جمهوريّة العـراق
وزارة التّعليم العاليّ والبحث العلميّ
جـامعة بابل
كليّة العُلوم الإسلاميّة
قسم علـوم القـرآن
الدّراسـات العليا

نقد التفاسير النسوية

دراسة تحليلية

أُطروحَةٌ تَقدَّمَ بها الطَّالبُ

رائد عبد السّادة حَمزَة المَحمُوديّ

إلى مَجلِسِ كُلِّيّة العُلُوم الإسلامِيّة/ جَامِعةِ بَابِل ،وهي جـــزءٌ

من متطلّباتِ نَيلِ شهادة (الدّكتوراه) في عُلومِ القُرآن وتفسِيرِه

إشراف الأُستاذ

الدُّكتورة سكينة عزيز الفَتْلِيِّ

١٤٤٥هـ ٢٠٢٣م

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[1]

صَدَقَ اللّٰهُ العَليُّ العَظيم

(١) الإسراء : ٨٨.

بسم الله الرحمن الرحيم

قرار لجنة المناقشة

نحن، رئيس لجنة المناقشة وأعضاءها، نشهدُ أنّنا اطلعنا على الأطروحة الموسومة بـ(نقد التّفاسير النّسويّة – دراسة تحليليّة) التي قدّمها الطّالب (رائد عبد السّادة حمزة المحمودي)، وقد ناقشناه في محتوياتها، وفيما له علاقة بها، وذلك يوم الأحد ٢٧ / ٨ / ٢٠٢٣م السّاعة التّاسعة صباحًا في قاعة الفرقان في مبنى عمادة كليّة العلوم الإسلاميّة/ جامعة بابل ، ونرى أنّها جديرة بالقبول لنيل شهادة الدّكتوراه في (علوم القرآن والتّفسير) بتقدير (جيّد جدًا عالٍ) .

الإمضاء

الاسم : أ. د. عذي علي الحجّار

اللّقب العلميّ: أستاذ

جامعة الكوفة /كليّة التربيّة الاساسيّة

عضوًا

الإمضاء

الاسم : أ. د. درید موسى داخل الأعرجي

اللّقب العلميّ: أستاذ

جامعة بابل /كليّة العلوم الإسلاميّة

عضوًا

الإمضاء

الاسم : أ. د. ناهدة جليل عبد الحسن

اللّقب العلميّ: أستاذ

جامعة كربلاء / كليّة العلوم الإسلاميّة

عضوًا

الإمضاء

الاسم : أ. م. إيمان عبد الحسن علي

اللّقب العلميّ: أستاذ مساعد

جامعة بابل /كليّة العلوم الإسلاميّة

عضوًا

الإمضاء

الاسم : أ. د. سكينة عزيز عباس الفتليّ

اللّقب العلمي: أستاذ

جامعة بابل /كليّة العلوم الإسلاميّة

عضوًا ومشرفًا

الإمضاء

الاسم : أ. د. عامر عمران الخفاجيّ

اللّقب العلمي: أستاذ

جامعة بابل /كليّة العلوم الإسلاميّة

رئيس اللجنة

مصادقة عميد الكليّة

أصادق على ما جاء في قرار لجنة المناقشة.

العميـــــــد

أ . د. حســن عبيد المعمــوريّ

محتوى الأطروحة

الموضوع	الصّفحة
الآية	أ -أ
الإهداء	ب -ب
شكر وعرفان	ت -ت
محتوى الأطروحة	ث -د
المقدمة	١ - ٦
التّمهيد: التّعريف بمفردات العنوان ومعالم التّفاسير النّسويّة	٧ - ٢٩
المحور الأوّل : التعريف بمفردات العنوان (مفردًا ومركبًا)	٧
أولاً : النَّقد : لغةً واصطلاحاً	٧
ثانيًا: التّفسير لغةً واصطلاحًا :	٩
ثالثًا: النِّسوية: لغة واصطلاحًا:	٩
رابعًا : التَّفسير النّسويّ (مركبًا)	١٠
خامسًا : النَّقد التَّفسيري (مركبًا)	١٠
سادسًا : دواعي نقد التَّفاسير النّسويَّة والمنهج	١١
المحور الثاني: (التّفاسير النّسوية) وملامح النّشأة والتّطور	١٢
المحور الثّالث: دوافع التَّفاسير النّسويّة	١٥
المحور الرّابع : أهداف التّفاسير النسويّة	١٨
المحور الخامس: أنواع التَّفاسير النِّسويّة	٢٠
١ - التَّفسير الإصلاحيّ والاجتماعيّ	٢٠
٢ - التَّفسير العلميّ للقرآن الكريم:	٢١
٣ - التَّفسير البيانيّ للقرآن الكريم:	٢٢
٤ - التَّفسير التّاريخيّ للقرآن الكريم:	٢٣
٥ - التَّفسير الموضوعي للقرآن الكريم:	٢٤
٦ - التَّفسير الفقهيّ للقرآن الكريم:	٢٨
الفصل الأول : نقد أصول التّفاسير النّسويّة	٣٠ - ١١١
المبحث الأول: الأصل الأوّل (القرآن)	٣٠
المطلب الأول : بيان الجانب (التّنظيريّ)	٣٠

المطلب الثاني: بيان الجانب (التَّطبيقيّ)	٣٢
المبحث الثّاني: الأصلُ الثّاني (السنّة) :	٤٠
المطلب الأول : بيان الجانب (التَّنظيريّ)	٤٠
المطلب الثاني: بيان الجانب (التَّطبيقيّ)	٤٤
المطلب الثّالث: موقف (التّفاسير النّسوية) من الإسرائيليات	٥١
المبحث الثّالث: الأصلُ الثّالث (العقل)	٥٩
المطلب الأول : بيان الجانب (التَّنظيريّ)	٦٠
المطلب الثّاني: بيان الجانب (التَّطبيقيّ)	٦٤
المبحث الرَّبع: الأصلُ الرّابع (اللّغـة)	٧٢
المطلب الأوّل : بيان الجانب (التَّنظيريّ)	٧٢
المطلب الثّاني: بيان الجانب (التَّطبيقيّ)	٧٥
المبحث الخامس: الأصلُ الخامس (إجماع المفسّرين)	٩١
المطلب الأوّل : بيان الجانب (التَّنظيريّ)	٩٢
المطلب الثّاني: بيان الجانب (التَّطبيقيّ)	٩٤
المبحث السّادس: الأصلُ السّادس (التّأويل)	٩٧
المطلب الأوّل : بيان الجانب (التَّنظيريّ)	١٠٠
المطلب الثّاني: بيان الجانب (التَّطبيقيّ)	١٠٣
الفصل الثّاني: نقدُ قواعد التّفاسير النّسويّة:	١١٢ -٢٠٧
القسم الأَوَّل : قواعدُ المعاني :	١١٢
المبحث الأوّل: قاعدة ظواهر القرآن:	١١٢
المطلب الأوّل : بيان الجانب (التَّنظيريّ)	١١٤
المطلب الثّاني: بيان الجانب (التَّطبيقيّ)	١١٥
المبحث الثاني: قاعدة ردّ المتشابه إلى المحكم.:	١٢٢
المطلب الأوّل : بيان الجانب (التَّنظيريّ)	١٢٢
المطلب الثّاني: بيان الجانب (التَّطبيقيّ)	١٢٥
المبحث الثالث: قاعدة حمل العامّ على الخاصّ:	١٣٨
المطلب الأوّل : بيان الجانب (التَّنظيريّ)	١٣٨
المطلب الثّاني: بيان الجانب (التَّطبيقيّ)	١٣٩
المبحث الرَّابع : قاعدة حمل المطلق على المقيّد:	١٤٤

المطلب الأوّل : بيان الجانب (التَّنظيريّ)	١٤٥
المطلب الثّاني: بيان الجانب (التَّطبيقيّ)	١٤٦
المبحث الخامس: قاعدة ردّ المجمل إلى المبيَّن أو(المفسّر):	١٥٣
المطلب الأوّل : بيان الجانب (التَّنظيريّ)	١٥٤
المطلب الثّاني: بيان الجانب (التَّطبيقيّ)	١٥٥
القسم الثّاني : قواعد النّصوص:	
المبحث الأوّل : قاعدة أسباب النّزول:	١٦٢
المطلب الأوّل : بيان الجانب (التَّنظيريّ)	١٦٢
المطلب الثّاني: بيان الجانب (التَّطبيقيّ)	١٦٤
المبحث الثّاني: قاعدة نسخ النّصوص:	١٧٢
المطلب الأوّل : بيان الجانب (التَّنظيريّ)	١٧٢
المطلب الثّاني: بيان الجانب (التَّطبيقيّ):	١٧٣
المبحث الثّالث : قاعدة الوُجوه والنّظائر:	١٨٤
المطلب الأوّل : بيان الجانب (التَّنظيريّ)	١٨٥
المطلب الثّاني: بيان الجانب (التَّطبيقيّ)	١٨٦
المبحث الرّابع : قاعدة السِّياق القرآني:	١٩٣
المطلب الأوّل : بيان الجانب (التَّنظيريّ)	١٩٤
المطلب الثّاني: بيان الجانب (التَّطبيقيّ)	١٩٥
الفَصلُ الثّالث: النَّقدُ في مجال (تأريخِ القرآنِ):	٢٠٨ -٢٦٢
المبحثُ الأوّل : النَّقد في مجال (الوحي) :	٢٠٨
المطلب الأول: تعريف الوحي :	٢٠٩
أ -الوحي لغةً:	٢٠٩
ب - الوحي اصطلاحاً :	٢١١
المطلب الثاني: الوحي في القرآن:	٢١٣
المطلب الثالث: صور الوحي:	٢٢٠
المطلب الرابع: رؤية الوحي وتمثله :	٢٢٣
المطلب الخامس : شبهات حول الوحي	٢٢٥
المبحثُ الثّاني : النَّقد في مجال (نزول القرآن) :	٢٢٧
المطلبُ الأوّل : نزول القرآن الكريم وأنواعه	٢٢٧

المطلبُ الثّاني: الحكمة من نزوله منجّماً :	٢٣١
المطلبُ الثّالث : أوّل وآخر ما نزل من القرآن:	٢٣٤
المبحثُ الثالث : النَّقد في مجال (المكيّ والمدنيّ) :	٢٣٦
المطلب الأول: المكي والمدني	٢٣٦
المطلب الثاني: خصائص المكي	٢٣٨
المطلب الثالث: خصائص المدني	٢٤١
المبحثُ الرّابع : النَّقد في مجال (القراءات) :	٢٤٤
المطلب الأوّل : بيان الجانب (التَّنظيريّ)	٢٤٤
المطلب الثّاني: بيان الجانب (التَّطبيقيّ)	٢٤٥
المبحثُ الخامس : النَّقد في مجال (سلامة القرآن)	٢٥٣
المطلب الأوّل : التّحريف لغةً واصطلاحاً	٢٥٣
المطلب الثّاني: التّحريف في الاستعمال القرآني	٢٥٥
المطلب الثّالث: أدلة سلامة القرآن من التّحريف:	٢٥٧
المطلب الرَّابع : (التّحريف) بين القران والكتب السّماويّة :	٢٥٨
الفَصلُ الرَّابع: النَّقدُ في مجالِ (عُلُوم القُرآنِ وقَصَصه):	٢٦٣ -٣٥٥
المبحثُ الأوّل : النَّقدُ في مجالِ (القرآن وأسماءه وسوره وآياته)	٢٦٣
المطلب الاوّل: تعريف القرآن لغةً واصطلاحاً	٢٦٤
المطلب الثانيّ: أسماء القرآن الكريم	٢٦٦
المطلب الثالث: تقسيم سوره وأسماءها وعدد آياتها	٢٧١
المطلب الرابع: فضائل السّور والآيات	٢٧٩
المبحثُ الثّاني : النَّقدُ في مجالِ (المحكم والمتشابه) :	٢٨١
المطلب الأوّل : المحكم والمتشابه لغةً واصطلاحاً :	٢٨١
المطلب الثّانيّ : المحكم والمتشابه في الاستعمال القرآنيّ:	٢٨٥
المطلب الثّالث: حكم المتشابه في القرآن:	٢٨٧
المبحثُ الثّالث : النَّقدُ في مجالِ (النّاسخ والمنسوخ):	٢٨٩
المطلب الأول : النّسخ لغةً واصطلاحاً والفرق بينه وبين البداء :	٢٨٩
المطلب الثّاني: النّسخ في القرآن الكريم ووقته:	٢٩١
المطلب الثّالث : أنواع النّسخ:	٢٩٣
المطلب الرّابع: أقسام النّسخ:	٢٩٤

المطلب الخامس: حكمة النّسخ .	**٢٩٥**
المبحثُ الرّابع: النَّقدُ في مجالِ (إعجــاز القُرآن) :	**٢٩٩**
المطلب الأول: إعجاز القرآن في التّفاسير النّسويّة:	**٢٩٩**
المطلب الثّاني: وجوه الإعجاز القرآنيّ :	**٣٠٠**
أ - إعجاز القرآن البلاغيّ البيانيّ :	٣٠٠
ب - إعجاز القرآن العلميّ :	٣٠٢
ت - إعجاز القرآن النُّظُمي:	٣٠٥
المطلب الثّالث : التّحدي في القرآن الكريم :	٣٠٦
المطلب الرّابع : الحروف المقطّعة وإعجاز القرآن:	٣١٠
المبحثُ الخامس : النَّقدُ في مجالِ (تفسير القرآن) :	**٣١٦**
المطلب الأوّل: التّفسير تعريفه وأهميّته وشروطه:	**٣١٦**
المطلب الثّاني: التّدبّر القرآنيّ وأهميّته :	**٣١٩**
المطلب الثّالث : أقسام التّفسير وطرقه :	**٣٢١**
المطلب الرّابع: مناهج التّفاسير النّسويّة:	**٣٢٤**
المبحث السادس: النَّقدُ في مجال (قَصَصِ القُرآن):	
المطلب الأول: القصّة ماهيتها وأهمّيتها وخصائصها ومنهج عرضها:	**٣٢٨**
أ - القصة لغةً واصطلاحاً	٢٢٨
ب - أهميّة (قصص القرآن) في التّفاسير النّسويّة	٣٢٩
ت - خصائص ومميّزات (قصص القرآن):	٣٣١
ث - منهج التّفاسير النّسوية في عرض (قصص القرآن)	٣٣٣
المطلب الثّاني: أساليب القصّة في القرآن	**٣٣٤**
أ - أسلوب (الإيجاز والتّفصيل) في قصص القرآن	**٣٣٥**
ب - أسلوب (التّكرار) في قصص القرآن	**٣٣٦**
المطلب الثّالث: أغراض وحكم قصص القرآن	**٣٣٩**
أ - إثبات وحي الله تعالى وتوحيده ورسالته	**٣٤٠**
ب - النّصر حليف الأنبياء (ع) والمؤمنين	**٣٤١**
ت - حسن المعاملة واللطف بالأنبياء (ع)	**٣٤٢**
ث - ترسيخ مبادئ الأخلاق وبثّها في المجتمع الإسلاميّ	**٣٤٢**
ج - بيان وجه الإعجاز القصصيّ :	**٣٤٣**

المطلب الرّابع : آثار القصّة القرآنيّة في التّفاسير النّسويّة	٣٤٤
أ - الأثر النّفسيّ لقصص القرآن	٣٤٤
ب - الأثر الاجتماعيّ لقصص القرآن	٣٤٦
ت - الأثر الحضاريّ لقصص القرآن	٣٤٧
ث - الأثر العلميّ لقصص القرآن	٣٤٨
ج - الأثر العقديّ لقصص القرآن	٣٤٩
الخاتمة والنّتائج	٣٥٥ -٣٥٩
ثبت المصادر والمراجع	٣٦٠ -٣٩٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحَمدُ للّهِ ربِّ العالمين ، والصّلاة والسّلامُ على أشرفِ الأنبياء والمرسَلين، صادق الوعد الأمين، وعلى آله الغرّ المَيامينَ الطّيبينَ الطّاهرينَ، وصَحَبه الصَالحين المقرّبين ومن تبعهم إلى يَومِ الدِّين .

وبعدُ: لا يشكُّ ذو مسكةٍ أنّ القرآن الكريم لا يزال غَضًّا طرِيًّا مهما ازدادت فيه الدِّراسات إن تعددت أو اختلفتِ المجالات، وهذا سرٌّ إلهيّ كامنٌ وراء تلكم الآيات البيّنات، فتتبري بين حينٍ وآخرٍ جهودٌ تفسيريّةٌ، قد ظهرت في الآونة الأخيرة عدّةٌ من التّفاسير قدّمتها نخبة من المفسّرات، كان من الجدير الوقوفَ عليها لأهميّتها، لذا تقدّمت استاذتنا مشكورةً بطرح عنوان (نقد التّفاسير النّسويّة - دراسة تحليليّة) والتي أشرفت عليّ فيه، ولكثرة التّفاسير النّسويّة وبعد استشارتها أُختيرَ منها خمسة(التّفسير البيانيّ للقرآن الكريم لبنت الشاطئ، وتفسير (نظرات في كتاب الله) للدّاعية زينب الجبيلي الغزالي وهو تفسير كامل، و(مدونات التّفسير) للدكتورة حنان اللحام فسّرت جملة من السور ، وتفسير (المبصر لنور القرآن) للداعية نائلة هاشم صبري وهو أيضًا تفسير كامل، وتفسير (التّوضيح والبيان في تفسير آي القرآن) للدكتورة ماجدة عبد الرزاق الفارس الشّمري، انتهت بتفسيرها إلى نهاية سورة النّحل من الجزء الرابع عشر من القرآن الكريم. ، وبمجموعها كانت (٣٦) مجلدًا ،

أولاً : سبب اختيار العنوان :

كان السبب من اختيار هذا العنوان لدراستنا واختيار هذه التفاسير دون غيرها ، نوجزه بما يأتي:

- إنّ هذا الموضوع لم يدرس -من قبل بصورة جمعيّة بلحاظ النّقد - في رسالة أو أطروحة وإن دُرس بعضها بصورة فرديّة فهو بمنأى عمّا تصبو إليه دراستنا ، كما سنشير إليه بعد قليل .
- وضع اليد على تلكم التّفاسير بإبراز مظاهر التّجديد في المنظومة التّفسيريّة النّسويّة ، مع كونها منتميّة لمدرسة واحدة في التّفسير وهي مدرسة الصّحابة ، وهو الجامع بين هذه التّفاسير المختارة .
- إماطة اللثام عن هذه المدونات التفسيريّة وتتبع موضوعاتها على وفق ما تضمنته خطة الدراسة وقوفاً على مباني وأصول التّفاسير وقواعدها ، وبيان موضوعاتها المتعلقة بعلوم القرآن وتأريخه ودورها في

التّفسير، ممّا تبرز قيمتها العلميّة للذات حيث أنّها تُعدّ ظاهرة جديرة بالذّكر لاسيما إن دشنتها (النّساء) في هذا الميدان وهنّ في ذلك محل تقديرٍ واحترام . أمّا آرائهن العلميّة فهي عرضة للمناقشة أخذًا وردًا بكل شفافيّة وموضوعيّة .

ثانيًا : أهداف الدّراسة :

تأتي أهداف وقيمة هذه الدراسة بما للنّقد التّفسيريّ من أهميّة في وقتنا الحاضر، فعمليةُ النَّقد تكمنُ في جملة من النّقاط أهمّها :

- الدّراسة النَّقديّة تهدفُ إلى معرفة مدى تأثّر المفسّر بآراء من سبقه، وبيان معرفة الرأي الرّاجح الذي انتهى إليه المفسر في تفسيره، وسبب ترجيحه على غيره، أو تقديم نقدٍ مباشر لرأيه بما يستدعيه المقام .
- معرفة الأدوات والمصادر المعتمدة التي ساعدت المفسّر في إبراز المعنى الأكثر قربًا من فهم النّص القرآني ومراده.
- تهدف إلى مدى التزام المفسر في المنهجية التي أقرَّها على نفسه ان كان مصرِّحًا بها في طليعة مدونته، أو عن طريق التتبع الذي انتهى اليه البحث .،ومن دون أدنى شكّ بظهور سعة المعارف والعلوم التي تسلّح بها المفسر في نقل الآراء ونقدها .
- الدّراسة النَّقدية تقوم على النّظر في المباني والأصول والقواعد التي اعتمدها المفسّر –أو المفسّرة - في الكشف عن معاني القرآن ، وإبراز فاعلية المقارنة بين الفهم السّابق للنّص قياسًا بالآراء الجديدة وبذلك تتضح حيوية النّص القرآني، كما تسهم في تطور عملية التَّفسير وتكشف عن أساليب ولغة جديدة تحاكي الواقع.
- تهدف إلى بيان دور المرأة في هذا المجال وكان حاضرًا وتطلعنا على الأسباب التي حدَّت من الكتابة في ميدان التَّفسير . كما تكشف عن اسباب عزوف النّساء من ممارسة مجال التَّفسير، كما تسهم إلى ابراز النّتاج التَّفسيري النّسوي في العصر الحاضر ومكانته في المكتبة الإسلامية.
- إنّ هذه المحاولة ليست بالضّرورة تبرز مواطن الضّعف فحسب فالنَّقد هو بيان الصّحيح من السّقيم وإبرازهما معًا - ولم يكن هذا معناه فحسب بل أصبح مفهومًا واسعًا - وفق السّياقات التَّفسيرية المشهورة والغالبة .كما تسعى هذه الدّراسة إلى بيان وتحليل مدى تأثر الدراسات التَّفسيرية النّسويَّة بالآراء والافكار، بقراءة النّص _مثلًا _قراءة بمعزل عن الآراء السابقة وقطع الصلة بها .
- طبيعة النّقد، تعتمد على مَفصلَينِ هما: الأوَّل النَّقد المباشر للموضوع. والثَّاني: نقد النَّقد التَّفسيري إن وُجد، وذلك يتجلى فيما يظهر من بيان لأصول التَّفسير وقواعده ومجال علوم القران وتأريخه وقصصه بطريق اختيار النّماذج ثم تحليلها واستخلاص الآراء وصالحيتها. وكل ذلك يأتي على وفق بيان الجانب التَّنظيري والتّطبيقي حسبما تقتضيه الحاجة اللازمة .أمّا الخطوات التي تقوم عليها هذه الدّراسة فهي تتعلق حتمًا بخطوات النَّقد: (القراءة والفهم والوصف والتّحليل والحكم).

ثالثًا : منهج الدّراسة :

والمنهج المتّبع في هذه الأطروحة هو المنهج الاستقرائي التّحليليّ النقديّ، ويأتي ذلك بعد تصنيفها على وفق ما تقدّم فهو جارٍ بالآتي:

١ - عرض النّص القرآنيّ . واختياره قائم عل اساس الانتقاء لما فيه من خلاف بين الآراء التّفسيريّة وما هو محلّ اتفاق، وتنوّعت النّصوص إن كانت من آيات الأحكام أو العقيدة أو الأخلاق .

٢ -ذكر آراء المفسّرات حول ذلك النّص.

٣ -نقد تلكم الآراء على وفق معطياته الموضوعيّة (تحليلًا ومناقشةً) على أساس بيان الجانب التّنظيري والجانب التطبيقيّ .

٤ -أدوات النّقد في هذه الدّراسة هي نفسها أصول التّفسير من قرآن وسنةٍ وعقلٍ، وبعض قواعده أحيانًا، وآراء العلماء والمفسّرين .

رابعًا: الدّراسات السّابقة :

وأمّا الدّراسات السّابقة حول التّفاسير النّسويّة على حد اطلاعي لم نظفر بشيء قريب من عنوان الدّراسة سوى بعض الدّراسات والبحوث وهي بعيدة عن مدار بحثنا منها:

- عائشة عبد الرحمن ومنهجها في التفسير (اطروحة دكتوراه) لريم صالح عياد، وواضح أنّ هذه الدراسة ركّزت على حياة المفسّرة، ومنهجها، و النقد الصادر من المفسّرة ، وهو بخلاف دراستنا فموضوعها النّقد للمفسرة .
- منهج نائلة هاشم صبري في تفسيرها المسمّى (المبصر لنور القرآن) دراسة وصفية تحليلية ،(رسالة ماجستير) للباحثة حنان محمد أبو سنينة، يظهر من هذه الدراسة أنّها ركّزت على الحياة، والمنهج، والاتجاه(الفقهيّ والعقائديّ والاخلاقيّ) وبرّزت مواطن نقد المفسّرة فيها، وهو بخلاف النّقد الموجّه للمفسّرة نفسها الذي نقصده في دراستنا.
- جهود المرأة المعاصرة في تفسير القرآن الكريم، (بحث منشور) للدكتور عبد الله أحمد الزيوت، تناول فيه مراحل التفسير وجهود المرأة فيها، والتعريف بالمفسّرات، وبيان المنهج العام لكل تفسير ، وهو عبارة عن معجم مصغر للمفسرات .
- أبرز جهود النّساء في تفسير القرآن الكريم منذ القرن الرّابع عشر الهجري، للدكتورة خديجة محمد المحمود، قد عمدت فيه على بيان ترجمة للمفسّرات و منهج كل من (التّفسير البيانيّ للقرآن الكريم) لبنت الشاطئ، وتفسير (نظرات في كتاب الله) لزينب الغزالي، وتفسير (المبصر لنور القرآن) لنائلة صبري، وتفسير (بعض السور : البقرة وآل عمران والنساء والتوبة وهود) ، للدكتورة حنان اللحام، وتفسير (اللؤلؤ والمرجان في تفسير القرآن) لفاطمة كريمان حمزة) وقد قامت بتقسيم مدونتها على ثلاثة أبواب: الأول التّفاسير التّقليدية : زينب الغزالي ، ونائلة صبري،

والثاني : التجديدي: وهو تفسير بنت الشاطئ، واللحام ، وفاطمة كريمان. وكان الباب الثالث: التفاسير النّسوية المنحرفة على حدٍّ وصفها وبيّنت أسباب انحرافها ونماذج من تلكم التّفاسير وبالأحرى لم تكن تفاسير وإنما جهود تفسيريّة جمعتها الباحثة وقدمت عليها النقد ومن جملتهنّ: أمينة ودود، وأسماء بارليس ، وإقبال بركة ، وزينب رضوان، وإلهام مانع ، وقد يتسائل القارئ أن الاطروحة بما اختلفت عن هذه الدراسة؟ أقول: على الرغم من أنّ اختيار التّفاسير فيه تشابه دون مفسرة واحدة، لكن هي بعيدة عمّا سنتناوله حيث أنّ دراستنا في دائرة النّقد حيث العرض والتحليل ومناقشة مخرجات التفسير فضلًا عن كشف الأدوات المتاحة لهنّ في التّفسير، وإبراز بعض الموضوعات القرآنية ومناقشة الآراء التي تمخضت فيها .

- أصول التّفسير بين (نظرات في كتاب اللّه) و (المبصر لنور القرآن) - دراسة مقارنة في ضوء سورة الفاتحة والبقرة وآل عمران، لـ (عفت بتول و سعدية جل)، وهو(بحث منشور) تناولت فيه الباحثتان جملة من الأمور منها: التّعريف بالمفسّرات وتقديم نتاجاتهن العلميّة وبيان وصف لتفسير كلّ منهنّ، وبيان منهجهنَّ فيه، ثم موقفهن من بعض الأصول (القرآن والسنة من قول النبيّ (صلى اللّه عليه واله) وقول الصحابة والتابعين) وموقف المفسرتان من الاسرائيليات ، وأسباب النزول.

خامسًا : الصّعوبات :

من جملة الصعوبات التي عرضت اتجاه هذه الدّراسة هو تأخّر وصول الكُتُب من (الأردن) بعد البحث والسّؤال عنها في سوريا وفلسطين والسّعودية . إلّا أنّ دواعي السُرور بدت حين وصولها فطفقت أقرأُ وأمعِنُ النَّظر ومعي توصيات المشرفة الكريمة التي لم تدّخر جهدًا في التّوجيه والإرشاد.

سادسًا : خطّة الدراسة :

وبفضل اللّه تعالى استقرت الدّراسة بخطتها على أن تكون قائمة على أربعة فصول يستهلُّها تمهيدٌ وهي على التّفصيل الآتي:

جاء التّمهيد بعنوان (بيان مفاهيم العنوان ومعالم التّفاسير النّسويّة) تضمن أربعة محاور: الأوّل: دوافع التَّفاسير النّسويّة ضمّت: (دافع ديني، ودافع اجتماعي، ودافع معرفي، ودافع تاريخي) وجاء في المحور الثاني: أهداف التَّفاسير النِّسويَّة وهي : (هدف الدّعوة والإصلاح، وهدف التّعايش مع القرآن، وهدف الوحدة الإسلاميّة) وفي المحور الثّالث: أنواع التَّفاسير النِّسويّة وهي:(التَّفسير الإصلاحيّ والاجتماعيّ، والتَّفسير العلميّ، والتَّفسير البيانيّ، والتَّفسير التّاريخيّ، والتَّفسير الموضوعيّ ،والتَّفسير الفقهيّ) وفي المحور الرّابع: طبيعة إمكانيّة نقدها جاء فيه :تعريف النَّقد لغةً واصطلاحًا، وتعريف النّقد التّفسيري بوصفه (مركبًا)، وطبيعة النَّقد في التَّفاسير النّسويَّة والجدوى منه.

وجاء الفصلُ الأوّل معنونًا بـ(نقد أصُول التّفاسير النّسويّة) وكان فيه ستة مباحث تضمن: الأصلُ الأوّل (القُرآن)،والأصلُ الثّاني(السّنّة)،وتضمّن الإسرائيليات، والأصلُ الثّالث (العقل) ، والأصلُ الرّابع (اللّغة)،

والأصلُ الخامس (إجماع المفسّرين)، والأصلُ السّادس (التّأويل) و كل مبحث تضمن مطلبين: الأوّل: بيان الجانب (التّنظيريّ)وفي الثّاني: بيان الجانب (التّطبيقيّ) ، وختامُ الفصل خلاصةٌ موجزةٌ.

أمّا الفصل الثّاني: حمل عنوانًا هو (نقدُ قواعد التّفاسير النّسويّة) وهو على قسمين الأَوّل: (قواعدُ المعاني) وكانت على خمسة مباحث: الأوّل: قاعدة ظواهر القرآن، والثاني: قاعدة ردّ المتشابه إلى المحكم.، والثالث: قاعدة حمل العامّ على الخاصّ، والرّابع : قاعدة حمل المطلق على المقيّد، والخامس: قاعدة ردّ المجمل إلى المبيَّن أو(المفسّر). وكان لكل مبحث مطلبان :الأوّل : بيان الجانب (التّنظيريّ)، والثّاني: بيان الجانب (التّطبيقيّ) . وكان القسم الثّاني منه تعلق بـ(قواعد النّصوص) وجاءت على أربعة مباحث الأوّل: قاعدة أسباب النّزول، والثّاني: قاعدة نسخ النّصوص، والثّالث: قاعدة الوُجوه والنّظائر، والرّابع: قاعدة السِّياق القرآني. وتضمن كلُّ مبحث من هذا القسم مطلبان: الأوّل: بيان الجانب (التّنظيريّ) والثّاني: بيان الجانب (التّطبيقيّ)، وختامُ الفصل خلاصةٌ موجزةٌ.

وكان الفَصلُ الثّالث بعنوان النّقدُ في مجال (تأريخِ القرآنِ)وقد ضمّ خمسة مباحث: الأوّل : النّقد في مجال (الوحي) فيه أربعة مطالب : الأول: تعريف الوحي لغةً واصطلاحًا ، والثاني: الوحي في القرآن، والثالث: صور الوحي، والرّابع: رؤية الوحي وتمثله . والمبحثُ الثّاني : النّقد في مجال (نزول القرآن) وضم ثلاثة مطالب الأوّل: نزول القرآن الكريم وأنواعه ، والثّاني: الحكمة من نزوله منجّمًا، والثّالث: أوّل وآخر ما نزل من القرآن، والمبحثُ الثالث : النّقد في مجال (المكيّ والمدنيّ) تضمن ثلاثة مطالب أيضًا: الأول: المكيّ والمدنيّ ، والثّاني: خصائص المكيّ، والثّالث: خصائص المدني. وكان المبحثُ الرّابع: النّقد في مجال (القراءات) على مطلبين: الأوّل: بيان الجانب (التّنظيريّ)، والثّاني: بيان الجانب (التّطبيقيّ) أمّا المبحثُ الخامس وهو الأخير في هذا الفصل: النّقد في مجال (سلامة القرآن) تكوّن من أربعة مباحث: الأوّل: التّحريف لغةً واصطلاحًا ، والثّاني: التّحريف في الاستعمال القرآني، والثّالث: أدلة سلامة القرآن من التّحريف، والرّابع: (التّحريف) بين القران والكتب السّماويّة، وختامُ الفصل خلاصةٌ موجزةٌ.

وجاء الفَصلُ الرّابع بعنوان النّقدُ في مجالِ (عُلوم القُرآنِ) تكوّن من خمسة مباحث: فالأوّل : النّقدُ في مجالِ (القرآن وأسماءه وسوره وآياته) تضمن أربعة مطالب: الاوّل: تعريف القرآن لغةً واصطلاحًا ، والثانيّ: أسماء القرآن الكريم، والثّالث: تقسيم سوره وأسمائها وعدد آياتها ، والرابع: فضائل السّور والآيات. والمبحثُ الثّاني : النّقدُ في مجالِ (المحكم والمتشابه) تضمن ثلاثة مطالب: الأوّل : المحكم والمتشابه لغةً واصطلاحًا ، والثّانيّ : المحكم والمتشابه في الاستعمال القرآنيّ، والثّالث: حكم المتشابه في القرآن. وكان المبحثُ الثّالث: النّقدُ في مجالِ (النّاسخ والمنسوخ) جاء فيه خمسة مطالب: الأول: النّسخ لغةً واصطلاحًا ، الثّاني: النّسخ في القرآن الكريم ووقته، الثّالث: أنواع النّسخ، الرّابع: أقسام النّسخ، الخامس: حكمة النّسخ. وجاء المبحثُ الرّابع: النّقدُ في مجالِ (إعجاز القُرآن) تبلورت فيه أربعة مطالب: الأول: إعجاز القرآن في التّفاسير النّسويّة، الثّاني: وجوه الإعجاز القرآنيّ وفيه (إعجاز القرآن البلاغيّ البيانيّ، إعجاز القرآن العلميّ،إعجاز القرآن النُّظُمي)، والمطلب الثّالث: التّحدي في القرآن الكريم و

الرّابع: الحروف المقطّعة وإعجاز القرآن. وجاء المبحثُ الخامس: النَّقدُ في مجالِ(تفسير القرآن) تضمن أربعة مباحث: الأوّل: التّفسير تعريفه وأهميّته وشروطه، والثّاني: التّدبّر القرآنيّ وأهميّته، والثّالث: أقسام التّفسير وطرقه، والرّابع: مناهج التّفاسير النّسويّة، وكان المبحث السادس: النَّقدُ في مجال (قَصَصِ القُرآن) تكوّن من أربعة مطالب: الأول: القصة ماهيتها وأهمّيتها وخصائصها ومنهج التّفاسير في عرضها وجاءت فيه: القصة لغةً واصطلاحًا، و أهميّة (قصص القرآن) ،و خصائص ومميّزات (قصص القرآن)، و منهج التّفاسير النّسويّة في عرض (قصص القرآن).وجاء المطلب الثّاني: أساليب القصّة في القرآن وفيه: أسلوب(الإيجاز والتّفصيل)،و أسلوب (التّكرار): والمطلب الثّالث عرض فيه: أغراض وحكم قصص القرآن. وجاء في المطلب الرّابع : آثار القصة القرآنيّة في التّفاسير النّسويّة تضمن خمسة آثار: الأوّل: الأثر النّفسيّ، والثّاني: الأثر الاجتماعي،والثّالث: الأثر الحضاري، والرّابع: الأثر العلمي، والخامس: الأثر العقدي، وختامُ الفصل خلاصةٌ موجزةٌ. وعقب الفصل الأخير خاتمة فيها أهمّ نتائج البحث، وقائمة بأهمّ المصادر والمراجع.

أخذ البحثُ زادَه المعرفيّ من التّفاسير النّسوية نفسها أولًا، ثم من مصادرَ متعدّدة توزّعت على: المعاجم اللغوية، والتّفاسير القديمة منها والحديثة، وكتب الحديث، وكتب الدّراسات القرآنيّة في أصول التّفسير وقواعده ومناهجه، وكتب النّقد، وكتب علوم القرآن وتأريخه وقصصه ، وغيرها .

وفي نهاية المطاف أعتذر عن كل سهوٍ أو خطأ يرد في البحث، سائلًا الباري عزّ وجلّ أن يأخذَ بأيدنا صوب الحقّ والصّواب إنّه نعم المولى ونعم النّصير. وآخر دعونا أن الحمدُ للّه ربّ العالمين .

الباحث .

التَّمهيـــــد

التّعريفُ بمفردات العُنوان ومَعالم التّفاسير النّسويّة

- ۞ المحور الأوَّل: التّعريف بمفردات العنوان
- ۞ المحور الثاني: (التّفاسير النّسوية) وملامح النّشأة والتّطور
- ۞ المحور الثَّالث: دوافع التَّفاسير النّسويّة
- ۞ المحور الرّابع: أهداف التَّفاسير النِّسويَّة
- ۞ المحور الخامس: أنواع التَّفاسير النِّسويّة

التّمهيد : التعريف بمفردات العنوان ومعالم التَّفاسير النّسويَّة

المحور الأوّل: التّعريف بمفردات العنوان :

أولًا : النَّقد لغةً واصطلاحًا :

أ - النَّقد لغةً:

وردت في المعاجم اللغوية لمادة (ن ق د) معانٍ متعددة سنشير إلى بعضٍ منها ونخلص بحصيلة ما يهمنا في موضع الدّراسة :

١ - التمييز والضرب ومداومة النظر: وهو ما اشار إليه الخليل (١٧٠هـ) في كتاب العين: النَّقد: تمييز الدراهم وإعطاؤها إنسانًا وأخذها. والنَّقد: ضرب جوزة بالإصبع لعبًا، والإنسان ينقد بعينيه إلى الشيء وهو مداومته النّظر واختلاسه حتى لا يفطن له. وتقول: ما زال بصره ينقد إلى ذلك الشيء نقودًا [١]

٢ - إبراز العيب والمناقشة : وهو ما جاء في الصحاح للجوهري (٣٩٣هـ) : "ونَقَدْتُ الدراهم وانْتَقَدْتُها، إذا أخرجتَ منها الزَيْفَ. والدرهم نَقْدٌ، أي وازِنٌ جيِّدٌ. وناقَدْتُ فلانًا، إذا ناقشته في الأمر " [٢]

٣ - الإظهار والكشف والتكسر: بيّن ابن فارس (٣٩٥هـ) : أنّ النون والقاف والدال أصل صحيح يدل على إبراز شيء وبروزه. من ذلك: النَّقد في الحافر، وهو تقشره. والنَّقد في الضرس: تكسره، ومن الباب: نقد الدرهم، وذلك أن يكشف عن حاله في جودته أو غير ذلك. ودرهم نقد: وازن جيد، كأنه قد كشف عن حاله فعلم[٣]

نستخلص من ذلك أنّ النَّقد: هو عملية تمييز وضرب وإطالة النّظر وإبراز العيب أو الزيف، والمناقشة والكشف عن الحال في الجودة وغيرها .

---

(١) ظ: الفراهيدي/ كتاب العين ،٥/ ١١٩ مادة (نقد)

(٢) الجوهري ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ٢/ ٥٤٤ مادة (نقد)

(٣) ظ: ابن فارس/ معجم مقاييس اللغة،٥/ ١٦٧ مادة (نقد)

يظهر انّ النَّقد : هو التّمييز بين الأشياء والإمعان والدّقة والتّحقق بمداومة النّظر والتّبصر بغية كشف العيب واظهاره كي يعلم ، ويدعو للمناقشة في امر ما قد اختلف فيه بين طرفين أو أكثر .

ب - النَّقد اصطلاحًا:

المعنى الاصطلاحي للنقد لم يخرج عن المعنى اللغوي فهو منحدر منه وقد تعددت التعريفات للنقد كل حسب تخصصه ومجاله فالنَّقد لم ينحصر في جانب دون غيره فقد اخذ مساحته في مجالات مختلفة وعلوم شتى وبجمعها لم تختلف من حيث المراد سوى اختلاف الالفاظ والطريق المتبع في كل مجال .

قد وصف قدامة بن جعفر(٣٧٣هـ) في (نقد الشعر) ان النَّقد بأنّه علم بقوله : "علم جيد الشعر من رديئه "[١] ولعلّه أقدم تعريف للنّقد الأدبي، والملاحظ على هذا التعريف ان النَّقد من خصوصيات الشعر وصرح أنه علم وجاءت تعريفات كثر للنقد منها ما عرفه محمد مندور بقوله : " فن دراسة النّصوص والتّمييز بين أساليبها المختلفة"[٢] أو توصف العمليّة النقديّة أنها لا تعدو أن تكون عبارة عن أسئلة يطرحها الناقد ويجيب عليها ومن تلك الاسئلة : ماذا قال الاديب ؟ كيف قال؟ وهل نجح في ذلك أم فشل ؟ [٣] وهذا قد يكون بيان لعمليّة النّقد كونه وصفًا فلسفيًّا؛ لأنه أخذ بعين الاعتبار التساؤلات وهي من شأن الفلسفي. .

وقد ذكر عز الدين اسماعيل مفهوماً آخر للنّقد ، إذ لا يخرجه عن دائرة الأدب: النّقد تناول مستقلّ عن المدح والذّم ، فلا شأن له بالقيمة نسبيّة كانت أو مطلقة، ومن ثم أنّ النّاقد العلميّ كالباحث يصوّر ظواهر الأدب كما هي في الواقع يفحصها ويحاول تنظيم القوانين والمبادئ التي يحسبها تشكل هذه الظواهر ويكون لها تأثيرها [٤]

إنّ ما تقدّم ما جاء فيها من مفاهيم حول النَّقد لا تعدو ان تكون وصفًا وبيانًا لحقيقة النَّقد بوصفه نقدًا أدبيًا. كما للنقد توسع في مجالات أخرى كالحديث فقد عرف النَّقد في اصطلاحهم : "هو تمييز الاحاديث الصحيحة من السّقيمة والحكم على الرواة توثيقًا وتجريحاً"[٥] .

وهناك تعريف آخر هو: أنّ النَّقد في حقيقته تعبير عن موقف كلي متكامل في النظرة إِلى الفن عامة أو إِلى الشعر خاصة يبدأ بالتذوق، أي القدرة على التّمييز، ويعبر منها إِلى التَّفسير والتعليل والتحليل والتقييم ، وهي متدرجة على هذا النسق؛ كي يتخذ الموقف نهجًا واضحًا ، مؤصلًا على قواعد مؤيدًا بقوة

---

(١) قدامة/ نقد الشعر/ ٣ .

(٢)محمد مندور/ النَّقد المنهجي عند العرب ومنهج البحث في الادب واللغة / ١٤ .

(٣) ظ: طه الجابري / في تاريخ النقد والمذاهب الادبية / ٤٠

(٤) ظ: عز الدين اسماعيل/ الادب وفنونه دراسة ونقد/ ٥٢ .

(٥) الاعظمي/ النّقد عند المحدثين / ٨

الملكة بعد قوة التمييز[1] ولعلّ هذا الحد أقرب ما يكون لمفهوم النّقد في ضوء دائرته الواسعة ويدخل ضمن حقلنا الدراسي هذا .

ونخلص بحصيلة ممّا ذُكر من دلالات لمفهوم النَّقد واستخداماته المتعددة إلى :

١ - ان النَّقد ظاهرة غالبة الاستعمال في الادب وهو فن وموهبة قائم على الذائقة والتي عُبّر عنها أنّها قدرة التّمييز بين القول الجيد من الرديء .

٢ - ملكة التّمييز تتمثل بقدرة التَّفسير والتعليل والتحليل والتقييم ويخلص منها إلى منهج واضح.

٣ - اتساع عملية النَّقد في ميادين ومجالات مختلفة ومتعددة منها الأدب والحديث والتَّفسير وغيرهما .

لمّا اتضح النَّقد بمجالاته المتعدّدة يبقى أن نتعرف على وظيفة الناقد ودوره وما يلزم له في ممارسة هذه المهمة وهنا الدكتور محمد حسين الصغير يصف لنا الناقد الموضوعي بقوله:"والناقد الموضوعي هو الذي يخضع هذا النص في التمييز لمقاييس فنية تحكم على جودته أو رداءته ، فلا يكون حكمه اعتباطيًا، ولا تقويمه كيفيًا، وإنما يخلص إليه بموازين ومعايير تتكفل بالأصالة والإنصاف.[2] ومن هذا تتضح انّ وظيفة الناقد تتجّلى بأن يتحلّى بالموضوعية وهي التحرز عن الميل إلى ميولاته وهواه ، ومنهج البحث العلميّ كفيل بذلك .

ثانيًا: التّفسير لغةً واصطلاحًا :

جاءت دلالة التَّفسير في اللغة أنّه: التَّفسير وهو بيان وتفصيل للكِتاب، وفَسَرَه يفسِره فسرًا، وفسّره تفسيرًا"[3] الفسر الإبانة وكشف المغطى[4] (فسر) الفاء والسين والراء كلمة واحدة تدل على بيان شيء وإيضاحه. من ذلك الفسر، يقال: فسرت الشيء وفسرته. والفسر والتفسرة: نظر الطبيب إلى الماء وحكمه فيه[5] ونخلص مما تقدّم: فالتَّفسير :هو الكشف والبيان والايضاح .

أمّا اصطلاحًا: تعددت آراء المفسرين والعلماء في حده فكلٌ له وجهةٌ هو قاصدُها ويعبّر عن وجهة نظره فيها وقد اشبع هذا الموضوع بحثًا ودرسًا ، لذا نكتفي بما عرَّفه الطبطبائي حيث قال التفسير:

---

(١) ظ: إحسان عباس/ تاريخ النقد الأدبي عند العرب / ٨

(٢) د. محمد حسين الصغير/ نظرية النقد العربي رؤية قرآنية معاصرة / ٥ .

(٣) الفراهيدي/ كتاب العين ، ٢٤٧/٧ مادة، (فسر) .

(٤) ظ: الأزهري/تهذيب اللغة، ٢٨٣/١٢ مادة (فسر).ابن منظور/ لسان العرب، ٥٥/٥ (فسر)، الزبيدي/تاج العروس من جواهر القاموس، ٣٢٣/١٣ (فسر) .

(٥) ظ: ابن فارس / معجم مقاييس اللغة، ٥٠٥/٤ مادة (فسر) .

"بيان معاني الالفاظ القُرآنية، والكشف عن مقاصدها ومداليلها"[1] ورُجِّح هذا التعريف لأنّه أخذ بعين الاعتبار البيان كونه متعلق بالألفاظ، والكشف بالمقاصد والمداليل[2]

انّ مصطلح التَّفسير بمعناه العام واسع الاستعمالات لكن غلب عليه أن يكون قرين كتاب الله ولذا لما يطلق مصطلح (التَّفسير) انصرف الذهن إلى تفسير القُرآن الكريم . ويصح ان يكون التَّفسير بمفهومه المتضمّن حدّ الوصف والأدوات والغاية يكون : هو جهد علميٌّ منهجيٌّ يقوم به من ابتغى إدراك مراد الله تعالى وبيانه من القُرآن الكريم مستعينًا بما يمتلك من مقومات ومعارف تساعده على بسط المفاهيم الحكمية والعقدية والاخلاقية آخذًا بعين الاعتبار الواقع المعاصر .وهذا ما يبدو للباحث .

ثالثًا: النِّسوية: لغة واصطلاحًا:

ورد في كتاب العين: النسوة والنسوان والنسون كله: جملة النساء، لا واحد له من لفظه[3]

وفي تهذيب اللغة : النِّسوةُ بِكَسْر النُّون لجَماعَة الْمَرْأَة من غير لفظِها، وَالنِّسَاء: إِذا كَثُرْن [4] وفي الاصطلاح: استخدموا كَلمة (النّساء) جَمْعًا للمرأة لتُحقِّق بجنسها صفة التّأخُّر عن الخطِّ الأوَّل الذي يمثله الرجل إلى الخطِّ الثَّاني في معركة وميدان الحياة الاجتماعيّة، إضافة إلى قيامها بزيادة وُجُود الجنس الإنساني من خلال كون كَلمة نسيء تدلُّ على التّأخير والزّيادة، وعندما نزل النّصُّ القُرآني استعمل كَلمة (النّساء) جَمْعًا لكَلمة (المرأة)[5] والنّسويّ هو قيد وصفي لـ(التّفسير)،

رابعًا : التَّفسير النّسويّ بوصفه (مركبًا):

واذا ما اردنا بيان (التَّفسير النّسويّ) بوصفه مركبًا فعلينا ان نقف على حدِّ المفسّر فالمهمّة واحدة إن قام بها الرجلُ أو المرأة اتجاه كتاب الله العزيز، والممكن ان يكون المفسّرة : هي من تقوم بعملية إيضاح وبسط معاني القُرآن الكريم، مستعينةً بما تملك من أدوات معرفية تأهلّها الوقوف على مراد الله تعالى من كتابه.. واذا ما نظرنا للتفاسير النّسويَّة فيمكن وصفها : انها تلك المدونات القُرآنية التي تنبي عن أفكار وجهود جملة من النّساء اتجاه القُرآن الكريم ظهرت في القرون الاخيرة شكلّت حلقة جديدة في رفوف المكتبة الإسلامية.

والتفسير النسويّ هو ما كان من نتاج النساء لا نتاج الرجال، وبعبارة أخرى هو من نتاج النّساء قبالة التّفسير الذي هو من نتاج الرجال .

---

(١) الطباطبائيّ / الميزان في تفسير القران، ١٤/١.

(٢) ظ: د. جبار كاظم الملا /د. سكينة عزيز الفتلي/ قواعد اصول التفسير في تهذيب الوصول للعلامة وكنز العرفان للسيوري/٤٣ .

(٣) ظ: الفراهيدي/ كتاب العين/ ٧/ مادة: (نسا) .

(٤) ظ: الازهري/ تهذيب اللغة ، ٥٧/١٣ مادة (نسا) .

(٥) ظ: سامر محمد نزار/ اللسان العربي المبين / (مقال منشور) بعنوان (النسيء والنساء في لسان العرب والقران الكريم) .

خامسًا : النَّقد التَّفسيري بوصفه (مركبًا):

انّ النَّقد كما تقدم شغل مساحة واسعة في شتى العلوم ومختلف المجالات، وهو مرتبط بالعلوم كلها ارتباطه بالحياة، فما من علم إلا والنَّقد سر من اسرار حياته ، وسبب رئيس من أسباب نشأته وتطوره وازدهاره ، وذلك اساس لتنقيح مسائله وأفكاره[١]

لم يكن مصطلح النَّقد شائعًا في كتب التَّفسير ، ولم يكثر من استخدامه عند تعرضهم لنقد المرويات والاقوال التَّفسيرية، وليس معنى هذا أنّ النَّقد بمفهومه لم يكن موجودًا عندهم إنما طبقوه ومارسوه عن طريق استعمال ألفاظ أخرى، مثل: التّعقيبات، الاستدراكات، التّرجيحات، التّنبيهات وهكذا [٢]

والنَّقد التَّفسيري مصطلح قد يبدو جديدًا أول وهلة من منظور القارئ إلا إنه ليس بجديد في نطاق الدّراسات العلمية[٣]، وعُرّف النَّقد التَّفسيري بعدة تعريفات وأحسب انّها متقاربة من حيث المضمون وإن اختلفت في صياغة العبارات ،وردت جملة من التعريفات لمجموعة من الباحثين يمكن مراجعتها[٤] ، والمختار من التعريفات الذي يرى أنّ النّقد التّفسيري : "هو عملية توجيه الرأي التَّفسيري غير الراجح - من منظور الناقد -إلى ما هو أرجح منه استنادًا إلى قوة الدليل وبيان الحجة المشفوعة بالمسلك المنطقي الذي يُغلِّب الأرجح على ما هو راجح"[٥]

واختيار هذا التَّعريف على أساس أنّه أخذ بنظر الاعتبار توجيه الآراء التّفسيرية وبيان الأرجح منها المشفوع بالحجة، وإصدار الحكم وهذه هي أهم مرتكزات النَّقد والغاية منه .

ولو عرّف النَّقد التَّفسيري بأنّه: الدّليل الناقض للدليل الآخر المنقود، متوخيًا الدّقة في تحقيق ومناقشة آراء المفسرين والوقوف على أدلتهم، محتكماً لعموم الأدلّة القرآنيّة والحديثيّة واللغويّة والفقهيّة والأصوليّة طالبًا الرأي السّديد ليميزه عن غيره مبرهنًا عليه ، قاصدًا بيان المراد. وهذا ما يبدو للباحث .

سادسًا : دواعي نقد التَّفاسير النّسويَّة والمنهج :

---

(١) ظ/ محمد صالح سليمان(الدكتور)/ نقد التفسير بين الواقع والمأمول / ٨. .

(٢) ظ: هنيدي/ عبد الجواد/ المنهج النقدي عند المفسرين دراسة تطبيقية (مجلة قسم أصول الدين / كلية الدراسات الاسلامية والعربية) في جامعة الأزهر ، ١٤٧٢.

(٣) ظ: نخبة من العلماء و الباحثين / الشهيد محمد الصدر بحوث في فكره ومنهجه وإنجازه العلمي ،٣٤٣/٢ .

(٤) ظ: عبد السلام عبد الصالح/ نقد الصحابة والتابعين للتفسير دراسة نظرية تطبيقية / ١٧ ، محمد صالح سليمان / نقد التفسير بين الواقع والمأمول / ١٣ ، د. محمد دراجي / المنهج النقدي في التفسير عند ابن باديس (الموافقات) العدد السادس / ١١٧.

(٥) نخبة من العلماء و الباحثين / الشهيد محمد الصدر بحوث في فكره ومنهجه وإنجازه العلمي ،٢/ ٣٤٣.

أنّ الدلالة تنقسم إلى قسمين بوجه عام: ظنية، وقطعية. فالقطعية: ما كان مضمونها حكمًا عقليًّا لا ينازع العقل فيه؛ نحو: ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ [1] فشمول علم الله لكل شيء لا ينازع فيه عقلًا سليمًا.. أمّا ثبوت اللفظ القُرآني، فهو قطعي من غير شك؛ واحتمال القطع والظن إنما هو من حيث الدلالة... وبعضه يحتمل أن يكون قطعي الدلالة، وأن يكون ظنيًّا.. ومن فضل الله أن أفسح مجال البحث؛ لنتدبر ولنتذوق ما يمتاز به القُرآن من مرونة تسع الزمان والمكان والفكر البشري القويم[2]

ومن هنا يتضح أنّ الدلالة بحسب الفكر البشري ليست قطعية فهي ممكنة الصحة والخطأ ولا زال الامر كذلك فالتفاوت متحقق والفهوم متعددة فيقترب معنىً للنص ويبتعد آخر ،ومن هنا يكون داعي النَّقد حتمًا .

كما أنّ التَّفاسير تعددت وتنوعت بشتى الاذواق والمشارب حتى وصلت إلى أن يكون للمرأة حضورٌ في التَّفسير فانبرت جملة من المفسّرات معتمداتٍ على المأثور من السّنة وبعضها على الرأي والاجتهاد . فالضعف ممكن فيها فاقتضى الفحص والتّمحيص والتّحليل. ويظهر ذلك كلّه في محله . ومها يكن من أمر فالخطة المتبعة في دراستنا بعد العمل على تحقيق خطوات النَّقد التي تقدّمت لزم العمل بالآتي :

١ - بيان النّص القُرآني الذي دارَ النّقد على تفسيره.
٢ - ذكر آراء المفسّرات محلّ النَّقد.
٣ - ذكر نقود المفسّرين لتلك الآراء.
٤ - المقاربة بين الآراء التَّفسيريّة لمعرفة أوجه التّقارب ونقاط الإبتعاد

المحور الثاني: (التّفاسير النّسوية) وملامح النّشأة والتّطور:

ملامح النشأة يلوح أفقها منذ أن نزل القُرآن الكريم على النّبي الأعظم (صلى الله عليه آله) كانت المرأة بمسمع ومرأى من النزول والتبليغ، وكانت تمارس جملة من النشاطات كالمشاركة في التجارة وحضورها في الحروب وتواجدها في المسجد وغيرها فكانت تسمع القُرآن والحديث، ولّما كان هو الاخير فقد عاش التَّفسير في أحضانه، أو كان مساوقًا له أي: سار معه جنبًا لجنب، فكانت من النساء الّلاتي سمعت الحديث وروته، لذا يطلعنا البرقي(٢٧٤هـ) في رجاله على جملة من الصحابيات اللواتي روينَّ الحديث وقد صنفهم البرقي في كتابه (رجال البرقي أو الطبقات) ابتداءً من السيدة فاطمة بنت محمد(عليها السلام) وانتهاءً بـ (كلثم الكرخية) في عصر الإمام العسكري (عليه السلام) ومن النساء

---

(١) البقرة :٢٩ .

(٢) ظ: القيعي/ الأصلان في علوم القرآن / ٣٥٧ -٣٥٨ .

الشهيرات اللاتي برز دورهنَّ في التَّفسير السّيدة فاطمة بنت محمد(عليها السّلام) والسيدة عائشة بنت أبي بكر وأم سلمة. لكن لم تطلعنا احدى النّساء بتفسير للقرآن الكريم سوى المرويات التي تضمنت تفسيرًا

وقد جمع الدكتور سعدون الفنيسان ذلك في مدونته التي (مرويات عائشة في التّفسير) ضمت (٥١٠) صحيفة جمع فيها جلّ الروايات التي نقلتها أو نُقِلَت عن طريقها ، وصنفها حسب ترتيب السور القُرآنية واعتمد في ذلك على جملة من كتب التَّفسير بالمأثور منها : تفسير الطبري(٣١٠هـ) وتفسير ابن ابي حاتم(٣٢٧هـ) تفسير البغوي (٥١٦هـ) وتفسير ابن الجوزي (٥٩٦ هـ) وتفسير القرطبي(٦٦١هـ) وتفسير الخازن(٧٢٥هـ) وتفسير ابن كثير (٧٧٤هـ) وتفسير السيوطي (٩١١هـ) [١]

ولعل من أسباب وعوائق ظهور التَّفسير بصورة مستقلة عن الحديث على يد النّساء في العصور المتقدّمة ؛ يرجع لأسباب من أهمها: التكوينية أن القُرآن الكريم لم يفرق بينهما؛ والمرأة هي تلك الركيزة المنتجة في البناء عن عقيدة وطمأنينة؛ لأنَّ عملها وفق تكوينها وأهليتها يتكامل مع الرجل وان اختلفت معه في بعض الأحكام، فخطاب التّكليف واحد والفارق بينهما ليس فارق في الأصل والفطرة ولكن في الاستعداد والوظيفة، والتّفضيل المنصوص عليه في القُرآن؛ ليس تفضيل كلّ رجل على كلّ امرأة. [٢]

يقول حيدر حب اللّه: إنّ قصّة بلقيس تدلّ على أنّ المرأة لها عقل عملي كالرجل، لكنّها لا تدلّ على الأرجحيّة ولا الأنقصيّة، كما تدلّ القصّة على إمكانية إدارة المرأة للمجتمع بطريقة عقلانيّة [٣]

إنّ أصل النظرية في شأن المرأة في القُرآن الكريم تعتمد على الأصالة الإنسانية للمرأة كما للرجل،لا يتصور شخص منّا أنَّ الرجل أفضل من المرأة، هذا التصور يصطدم مع الحقيقة القُرآنية:﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾[٤] لا يتصور أحد أن الرجل في الدنيا له دور في بناء المجتمع أكبر من دور المرأة [٥]

يرى فوزي آل سيف أن النذقص العقلي الذي تتحدث عنه تلك الروايات هو النقص بالقياس، والنقص النسبي وهو لا يؤثر في كرامة المرأة أو إنسانيتها، ولا يغير تكليفها أو ينقصه بل تبقى مكلفة بنفس تكاليف الرجل إلا ما خرج بالدليل بمقتضى قاعدة الاشتراك في الأحكام[٦] وقد يكون هذا التصور عن عقل المرأة وظنوه العل الذي هو أداة التّفكير في حين أنّ المقصود منه في بعض الروايات هو النّقص في الدّية لأنّ الدّية في بعض حالاتها مسؤولة عنها العاقلة أي العشيرة، وذلك ما ينقله صاحب (الموطأ) في باب ما جاء في عقل الأصابع، عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن ، أنه قال : سألت سعيد بن

---

(١) ظ: د. سعدون بن عبد الله الفنيسان / مرويات أم المؤمنين عائشة في التفسير/ ٦ .

(٢) ظ: د. محمد أديب الصالح /موقع المرأة المسلمة بين الواقع ودعوى التجديد ، ١٧

(٣) حيدر حب الله / إضاءات في الفكر والدين والإجتماع / ٥٤٥ .

(٤) الحجرات :١٧ .

(٥) صدر الدين القبانجي /الحركة الإصلاحية من الحسين (ع) إلى المهدي (ع)/٢٥٢ -٢٥٣

(٦) ظ: فوزي آل سيف / نساء حول أهل البيت، ٢٧/١ .

المسيب :كم في إصبع المرأة ؟ فقال عشر من الإبل . فقلت : كم في إصبعين ؟ قال : عشرون من الإبل .فقلت : كم في ثلاث ؟ فقال : ثلاثون من الإبل . فقلت : كم في أربع ؟ قال : عشرون من الإبل .فقلت : حين عظم جرحها واشتدت مصيبتها نقص عقلها ؟ [1] أي ديتها وليس المراد من العقل هو تلك آلة التفكير إنّما هي كناية عن العشيرة التي تسمّى بالعاقلة .

ولعل العائق في قلة توافر التَّفاسير النّسويَّة: الجانب المعرفي لا شك ان العملية التَّفسيرية تحتاج إلى تسلّح بالعلوم التي يمكن للمفسّر عن طريقها أن يُبيّن كلام الله تعالى بقدر المستطاع فلا يمكن للمرء أن يخوض في هذا الميدان من دون ان يعرف جملة من العلوم المتعلقة بفهمه كعلوم القُرآن وتأريخه والعلوم العربية وبين هذه العلوم والتَّفسير علاقة ملازمة ، فهناك ضوابط وشروط يلزم توفرها في المفسر حتى يدخل خضمّ هذه المهمّة الشّريفة . فلابدَّ له من منهجٍ يسلكه في بيان المراد الالهي ومصادر يعتمدها لسند اقواله وبذلك تتضح معالم التَّفسير واتجاهاته واذا ما أراد المفسّر أن يُفسّر القُرآن عليه ان يحدِّد نوع البيان المراد كشفه إن كان لغويًا أو بيانيًا او إصلاحيًا اجتماعيًا أو تربويًا أو فقهيًا أو عقائديًا أو غيرها . وهذا الأمر سار عليها أغلب المفسرين.

المرأة قليلة الجهد والحضور في ميدان التَّفسير ربّما لأنّ الفرصة لم تتح لها، وما إن أتيحت لها الفرصة أبدت ظهورًا متميزًا في عالمنا الإسلاميّ في مصر وفلسطين وسوريا والمغرب وغيرها اتجاه تفسير القُرآن الكريم وذلك لشغلها المقاعد الدراسية الاكاديمية في الجامعات التي جعلتها تتمكن من الدخول في سبر هذا العلم القيّم والشرف الاعظم .كعائشة عبد الرحمن وغيرها .

وثمة أسباب اجتماعية خاصة بالمرأة تجعلها تنشغل بها وتبتعد شيئًا عن هذا الميدان ومن تلك الأسباب العشّ الزوجيّ ومتطلباته من رعاية الأطفال في مراحلهم الجنينية والطفولية والصبا والمراهقة ، ومراعاة المنزل ومشاغله وتعدد مرافقه، ولعلّ هذه الأمور قد تكون موجودة في بلد دون آخر باختلاف العادات والتقاليد فالمرآة في المدينة تختلف عمّا هي في الرّيف .

وهل من الممكن أن يكون الشرع وقف عائقًا: لا وحاشا أن يكون ذلك: بأن المرأة لا يحق لها ممارسة التَّفسير. بل القُرآن الكريم شجّع وحيّا مَنْ عمل عملًا حسنًا وحيّاه بحياة طيبة وأجزاه بالإحسان:﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [2] . و(مَنْ) الشرطية من أقوى ألفاظ العموم فهي تشمل الذكر والانثى .

فالتاريخ وكتب الطبقات والتراجم تطلعنا بجملة من النساء اللواتي روين الحديث بكثرة فلهن دور بارز في التعلم والتعليم منذ بزوغ فجر الاسلام إلى يومنا هذا. فحسبك ما جاء في كتاب الطبقات الكبرى لابن

---

(١) ظ: مالك / الموطأ، ٢/ ٨٦٠ .

(٢) النحل :٩٧ .

سعد[1] وخصص ابن الاثير جزءًا كاملًا للنّساء في كتابه (أسد الغابة)[2] وذكر ابن حجر العسقلاني في(تقريب التهذيب) أسماء (٨٢٤) امرأة ممّن اشتهرنَ بالرواية حتى مطلع القرن الثالث الهجري[3]، والسخاوي في (الضوء اللامع لأهل القرن التاسع) أكثر من (١٠٧٠) ترجمة لنساء برزن في ذلك القرن[4] ، معظمهن من المحدثات الفقيهات اللواتي كثيرٌ منهنّ اشتغل بالتَّفسير [5]

ظهرت التَّفاسير النّسويَّة وهي متأخرة اذا ما قيست بالتَّفاسير التي قدمها المفسرون. فبرزت في الآونة الاخيرة جملة من المدونات في ميدان التَّفسير تقدَّمت بها نخبةٌ من المفسرات، وتُعدُّ هذه التجربة التَّفسيرية فريدة من نوعها، لذا سنسلّط الضوء في هذه الدّراسة على أهمّها وأبرزها، وهي خمسة: (التَّفسير البياني للقرآن الكريم) لعائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) (ت/ ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م)،و(نظرات في كتاب الله) لزينب محمد الغزالي الجبيلي (ت/١٤٢٥ هـ -٢٠٠٥م) هو تفسير كامل موجز، وقع في مجلدين من الفاتحة حتى النّاس ،وتفسير (المبصر لنور القُرآن) لنائلة هاشم صبري وهي معاصرة وقع تفسيرها على أحد عشر مجلدًا، وهو تفسيرٌ كاملٌ، جاء على وفق الاسلوب التّسلسلي إبتدء من سورة الفاتحة وانتهى بسورة النّاس . ومن هدي القُرآن الكريم (سور متفرقة هي: سورة البقرة، وال عمران، والنساء، والمائدة، والتوبة، وهود، وطه، والنور ولقمان، والأحزاب، ويس، والطلاق) لحنان اللحام وهي معاصرة، والتَّوضيح والبيان في تفسير آي القُرآن لماجدة عبد الرزاق الفارس الشمري وهي ايضًا معاصرة صدر لها التَّفسير عام ٢٠١٣م هو تفسير تسلسلي من فاتحة الكتاب وانتهى بتفسير سورة النّحل المباركة في المجلد الثامن .وكلّ هؤلاء المفسّرات على مدرسة واحدة في التّفسير وهي مدرسة الصحابة .

المحور الثالث: دوافع التَّفاسير النّسويَّة

أ - دافع ديني:

لا شك أن الإيمان الكامن في قلب الانسان واعتقاده التام بالقُرآن الكريم يجعله يتجه اليه ويهتم به؛ كونه الكتاب الذي تكفّل بهدايته وسعادته في الدنيا والاخرة﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [6] وهو سبيله الاوحد لنجاته وإخراجه من الظلمات إلى النّور﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾[7] وهو الدستور الالهي الذي﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ

---

(١) خصص ابن سعد الجزء العاشر من كتابه للنساء .

(٢) ابن الاثير / أسد الغابة ، ٤٩٧/٥ .

(٣) ظ: العسقلاني/ تقريب التهذيب / ٧٦٤ .

(٤) ظ: السخاوي / الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ١٢/ ٢ - ما بعدها .

(٥)ظ: د. خديجة المحمود/أبرز جهود النساء في تفسير القران الكريم منذ القرن التاسع الهجري/٣٢ -٣٣.

(٦) الإسراء :٩ .

(٧) إبراهيم :١.

﴿٤٢﴾ [1] فحريٌ بالعبد المؤمن -ذكرًا أو أنثى - أن ينظر في كتابه . ومن هنا كانت انطلاقة العلماء والمفسرين اتجاه هذا السّفر الخالد .

إنَّ النّساء قدمن إسهامات كبيرة في مجال التَّفسير حديثًا، وكان اهتمامهن بذلك نابعًا من اهتمامهنَّ بالإسلام، وشعورهنَّ بالمسؤولية في نشر تعاليمه القائمة على فهم كتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه[وآله] وسلم)، و ما لها من دور في إصلاح المجتمع، و في عصر صدر الإسلام كانت عائشة رائدة النساء في ذلك. ولقد جاءت مساهمات النّساء متواضعة في التأليف والتصنيف عمومًا، و التَّفسير خصوصًا [2]

ومن جملة النّساء كذلك اللاتي عاصرنَ النزول وشهدنَه وحفظنه وعلّمنه للأجيال تباعًا فاطمة الزهراء بنت محمد (عليها السلام) وأمّ سلمة وغيرهنَّ. هذا في شأن المتّقدمات اتجاه القُرآن، أمّا في العصور المتأخرة بدت جملة من المدونات التّفسيريّة كان شغلها الشاغل القُرآن الكريم وما تضمنه من ينابيع الحكمة التي تتوق اليه البشرية لتنهل منه وترتوي عذب ماءه الصافي .فكان دافع المفسرات صوب هذا الاتجاه .

تقول الغزالي: "فما أحوجنا للعودة إِلى كتاب الله ليكون لنا منهاجًا لسلوكنا وحياتنا كلها. ما أحوجنا للعودة إِلى كتاب الله ليكون للأمة دستورًا في جميع شئونها. فنسعد في رحاب القُرآن وننعم في حكمه، فهي نعمة لا تفضلها نعمة ، إنّه في رحاب حكم القُرآن تحل الازمات المعقدة في رحابه تتربى الأمة على هدي ربها، إنه ما نزل على رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلا ليكون دستورًا لحياة البشرية إِلى يوم القيامة"[3]

وتكشف صبري عن دافعها من التَّفسير بقولها: "دفعني إِلى تفسير كتاب الله هو حبي العظيم لخالقي تبارك وتعالى، ولرسوله محمد ورغبتي في إعطاء تصور لمعاني الآيات القُرآنية وتطبيقها على أرض الواقع، مما يتوافق مع عصرنا الحاضر، وابراز القيم القُرآنية على مجتمعنا، ليعالج أمورنا اليوميّة ومشاكلنا الحياتية وفق ما يريده الشرع"[4] ما تشيريه صبري في كلامها هو اعطاء تعبّدي عصري بقراءة نسويّة .

وإذا ما نظرنا لمدونة ماجدة الفارس ففي طليعة تفسيرها تقول:" بغية تثبيت هذا العلم الذي تعلموه ونفع الناس به ونشره بينهم واستذكاره، لتتكرر مثل هذه المجالس ويكون كتاب الله عز وجل منهجًا لكل مسلم في حياته، يُصلح به قلبه وفكره وسلوكه و تعامله ويصحح به نظرته إِلى الحياة وإلى ما حوله ويفهم المهمة التي من أجلها خلقه الله تعالى وأوجده سخر له كونه وسماواته وأرضه "[5]

---

(١) فصلت : ٤٢ .

(٢) ظ: روح الامين/ مساهمة النّساء في تفسير القرآن الكريم في العصر الحديث/ ١٤ .

(٣) زينب الغزالي/ نظرات في كتاب الله، ١٢/١ .

(٤) نائلة صبري/ المبصر لنور القران، ١/١/ (المقدمة) .

(٥) ماجدة الفارس/ التوضيح والبيان في تفسير آي القران، ٢/١ .

فلعلّ هذا الدافع باعث على روح الاجتهاد في ميدان التَّفسير ،فأخذت المرأة الغور في هذا الصنيع القيّم لتبيّن وتثبت وجودها في ساحة الدراسات التفسيرية للكتاب المنزل، وبهذا الصنيع دفعت الكثير من المواريث السّلبية عنها وتحلّت بشيء من الجرأة صوب هذا الميدان الأشرف، وأنارت الصراط لمن يأتي بعدها .

ب - دافع اجتماعي:

لمّا بان الفراغ الشاسع والفرق الكبير في ميدان التَّفسير بينها وبين الرجل دفع المرأة إلى أن تنتفض لنفسها وتزيل عنها غبار الركود والاندثار الذي واكبها طيلة المد الاسلامي منذ نزول القُرآن حتى يومنا هذا ، جعلها تقف وتثبت للجميع ان لها القدرة والامكانية في سبر هذا العلم لسد الفراغ الواقع في رفوف المكتبة الاسلامية، وكي ترجع مكانتها في الوسط العلمي والواقع المجتمعي وتثبت بذلك وجودها ، كما أن هذا الدافع جعلها تنهض بقضيتها وتثبت للآخرين مدى قيمتها التي تستحقّها .

تطلعنا حنان لحام على تجربتها التَّفسيرية وسط مجتمع داكن الأطباع عسير المراس ينظر لما تقدم المرأة باستهجان واستخفاف تقول: ولعلّ من المسلمين ينظرون إلى ما قدمت نظرة استهجان.. إذ لم يسبق لامرأة ضعيفة أن تجرأت على الكتابة في التَّفسير..!! وانها تلقت نصيحة من أحد اساتذتها من صدر كتابها الأوَّل (أضواء من سورة يس) أن تكتفي بكتابة القصص وتنأى عن مجال الفكر والتَّفسير ، وهذا الامر لم يجعلها تتقهقر ، بل جعلها تندفع أكثر نحو هذا المجال، كما انها كانت تلقى تشجيعًا ودعمًا كبيرين من استاذها (جودت سعيد) وهي تقر له بالفضل بكل ما قدمت من أفكار فهي من تأثيره وتعليمه هذا على حد قولها[1] ذلك لتأخذ المرأة هيبتها ومكانتها الاجتماعية في الوسط فآلت على نفسها الحضور وتقديم هذه الاسهامات التَّفسيرية القيمة، وهذا الصنيع حقٌ مشروع لها. .

كما يُعدُّ تناول النّساء تفسير القرآن الكريم هو مَعلمٌ، وحجة واضحة عن طريقها تردُّ تلك الاصوات التي نالت من المرأة في ظل الاسلام وكتابه الكريم، إذ تنكرت له مكانة المرأة ، فها هي المرأة المسلمة تشمر عن سواعدها لتدخل في سبر تفسير القرآن الكريم من دون أدنى تردد، فانبرت لتبيّن أن الاسلام ساوى حتى في تفسير أقدس كتاب عند حتى في شرحه وتفسيره .

ت - دافع معرفي :

ومن هنا بأن دافع المرأة اتجاه التَّفسير هو التّسلّح بالعلم من معينه الصافي ولذا أن الدعوة لطلب العلم ضروري للمرأة .

تقول حنان اللحام : "حين ننظر إلى المرأة التي تتفرغ إلى تربية أولادها على أنّها (لا تعمل) ..؟! بل أنّها تؤدي أفضل عمل إن تصفت بالعلم الكافي... ولو كانت أمّهاتنا واعيات لما كانت حالنا على ما نحن عليه .. صحيح أن العالم ذكوريّ .. لكن الطريق مفتوح وسالك أمامكِ أختي وإن اكتنفته المصاعب. وعلى المرأة

---

(١) ظ: حنان اللحام/ من هدي سورة آل عمران / ٦٧ .

ان تكافح وتتعلم وترتقي حتى تثبت ذاتها وكفاءتها وعندها تفرض احترامها وتعيد للأنوثة معناها النبيل والجليل والجميل"[١]

ودونك ما قالته ماجدة الفارس في تفسيرها:" إنّ العلم يرفع صاحبه في الدنيا والاخرة ، وانّ أشرف العلوم هو ما ضمّه هذا الكتابُ الخالد وانّما هجر المسلمون القُرآن حين غفلوا عن معانيه ومراده وأسراره وفيوضاته وفتوحاته التي تورث خشيةً في القلوب وتهذيباً في السّلوك وصبراً على طول الطريق وثباتاً واستقامة في الحياة.. لعلّ اللّه تعالى يلحقنا بركب الأنبياء ويحشرنا تحت لواء سيد الأنبياء محمد(صلّى اللّهُ عليه وآله) " [٢]

ث - دافع تاريخي:

ترى بنت الشاطئ في محاولتها التَّفسيرية هذا المغزى بقولها : ولست بحيث أجهل أن المدى الذي بلغته في محاولتي، محدود بطاقتي وجهدي. ويظل المجال مفتوحًا لعطاء أبنائي الصفوة...، ويظل مفتوحًا بعدنا لجهد أجيال من العلماء تتعاقب على تدبر كتابنا الأكبر فندرك منه ما فاتنا أن ندركه، وتستشرف لآفاق قصرت محاولتنا عن مدادها[٣]

تقول اللحام: "وستأتي أجيال من بعدنا تفهم أكثر... وتضيف اضافات جديدة تتجاوز فيها فهمنا ...وتشعر بضالتي ما قدمنا.. لكنها خطوة على الطريق.. ففي كل عصر ينبغي أن يحدث اختزال للمعرفة القديمة وتطلع إلى المزيد من النّمو " [٤]

المحور الرابع: أهداف التَّفاسير النّسويَّة:

أ - هدف الدعوة والإصلاح :

أخذت جملة من التَّفاسير هذا المنحى في التَّفسير بغية الدعوة إليه تعالى من جديد عن طريق بيان القُرآن الكريم، وهكذا أصبحت التَّفاسير همها الدعوة والاصلاح في منظومة العمل الاسلامي للمجتمع ومن جملة التَّفاسير النّسويَّة التي جعلت من الدعوة غاية في بيان مراد اللّه والداعيات نائلة هاشم. وحنان اللحام وزينب الغزالي .

نشأت نائلة صبري ,هي مشغولة بالنشاطات العلمية والدعوية، حيث كانت ناشطة في الجمعيات الخيرية والدعوية، قامت بجنب زوجها الشيخ عكرمة صبري خطيب المسجد الأقصى المبارك ورئيس هيئة العلماء في فلسطين[٥]

---

(١) حنان اللحام/ أضواء حول سورة الطلاق/ ١٤ .

(٢) ماجدة الفارس/ التوضيح والبيان في تفسير آي القران، ٢/١ .

(٣) ظ: بنت الشاطئ/ التفسير ابياني للقران الكريم، ٩/٢ .

(٤) حنان اللحام/ من هدي سورة البقرة / ٧ .

(٥) ظ: عفت بتول، سعدية جل / اصول التفسير بين (النظرات في كتاب اللّه) و(المبصر لنور القران) دراسة مقارنة في ضوء سورة الفاتحة و البقرة وآل عمران/ ٢٨٢ .

وكان لها اسهامات في تفسيرها تدعو إلى الدعوة والإصلاح تقول : فلا صلاح لهذه الأمة ولا استقرار في هذه الأرض ولا طمأنينة لهذا الانسان ولا حلَّ لهذه المشاكل البشرية من اقتصادية وسياسية واجتماعية وغيرها الا بالرجوع إلى كتاب الله، فهو البلسم الشافي لجراح هذا العالم الذي يعاني الفوضى والفساد[1]

أشارت حنان لحام مستفهمةً : هل نعود فنفهم قرآننا من جديد؟ ونبني نفوسنا من جديد؟ ونقدم الصورة اللائقة للمسلم المعاصر حتى نؤدي واجب الدعوة [2] وهذه دعوة إلى قراءة وفهم النّص التّفسيري للقرآن من جديد وفق قراءات وأفكار جديدة . لكن لابد أن تكون هذه القراءة الجديدة ليست بمعزلٍ عما جاءنا من الإرث التفسيري ولا تبتعد عن السّياقات والضوابط التفسيريّة المحكمة . فإذا ما ابتعدت هذه القراءات عن تراثها فإنّها تكون عرضة الزلة والهوى . لأنّ في التراث مالم يمكن الاستغناء عنه .

تشير الداعية الغزالي إلى سبب تفسيرها لكتاب الله أنّها في السجن وهي تصفه: لقد عايشت آياته أيام خلوتي مع الله، في السجن؛ فالسجن لأصحاب الدعوات خلوة. [3]

ب - هدف التعايش مع القُرآن:

كان من أهداف التّفاسير النّسويّة هو تعايش المجتمع وربطه بالقُرآن الكريم وإليك بعض نصوصهن في بيان هذا الهدف .

تقول حنان اللحام: "إنّ سلفنا الصالح نجحوا بهذا القُرآن نجاحًا مدهشًا كان ومازال موضع إعجاب التأريخ والمؤرخين، مع أنّ نسخ القُرآن ومصاحفه لم تكن متيسرة لهم، وحفّاظه لم يكونوا بهذه الكثرة، إنّ السر في ذلك هو حرصهم على تدبر القُرآن واستخراج كنوزه والانتفاع بهدايته والتفاعل معه في حياتهم العملية، فمع القُرآن يعيشون وفي بيوتهم وأسواقهم ومساجدهم ومعاركهم مع أعدائهم"[4]

ينكشف الهدف عند ماجدة الفارس من تفسيرها وهي قائلةً: وإنّما القصد من ذلك هو تعليم الناس القُرآن و توضيح معاني الرسالة العظيمة التي أنزلها من أجلها .﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [5] أردت أن تكون هذه السلسلة عونًا على فهم كتاب الله عز وجل وزادًا يستعين به المربون ورافدًا لمجالس التَّفسير بل محفزًا لإقامة مثل هذه المجالس المباركة[6]

ت - هدف التّجديد:

---

(١) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القران، ١/ ١٢/ (المقدمة) .

(٢) ظ: حنان اللحام/ تأملات في سورة الاحزاب / ٦٧ .

(٣) ظ: زينب الغزالي/ نظرات في كتاب الله ، ١/ ١١ .

(٤) حنان اللحام/ من هدي سورة النساء/ ٨ .

(٥) النحل: ٤٣ -٤٤ .

(٦) ظ: ماجدة الفارس/ التوضيح والبيان في تفسير آي القران، ٣/١ .

قصد التّجديد يبدو واضحًا في بعض التّفاسير النّسويّة لذا تطلعنا بعض المفسرات على ذلك وإليك بعض إفاداتهن بهذا الصّدد :

تقول حنان اللحام: "إنني أتطلع إلى تجديد الفكر والتفكير يتناسب مع الفتح الذي حصل في آيات الافاق والانفس، وليس هذا يسيرًا علينا نحن الذين لبثنا قرونًا في دائرة مغلقة غائبين عمّا يجري حولنا من نمو وتقدم... نخاف من كل جديد ونرفض كل تجديد.. وخاصة في عالم التَّفسير." [١]

إنّ محاولة المفسرة ودعوتها إلى التجديد في الفهم و الاستفادة من التقدم العلمي، كما حثت في مقدمة تفسيرها لسورة البقرة على تعميق الفهم لآيات الأنفس والآفاق فتقول: "إنني أتطلع إلى تجديد في الفهم والتكفير يتناسب مع الفتح الذي حصل في آيات الآفاق والأنفس، و ليس هذا يسيرًا علينا نحن الذين لبثنا قررنا في دائرة مغلقة غائبين عما يجري حولنا من نمو و تقدم، نخاف من كل جديد و نرفضه وخاصة في علم التَّفسير، لأنه تفرق بين التجديد والتَّفسير بالرأي الذي هو اتباع للهوى" [٢]

الحقيقة إنّ الغياب في تلك الفترة لم يكن في مجال تفسير القرآن الكريم، وإنّما كان في مجالات أخرى حيث يجد المتتبع أنّ القرون قد اشتملت على أعداد كبيرة من المفسّرين كلٌ يضيف إلى المعاني معنى آخر جديدو وليس هناك من رَفَض . في عالم التّفسير بحيث يحتاج إلى دعوة للتّجديد في النّظر الى فهم تفسير النّصوص القرآنيّة؛ لأنّ هذه الدّعوة مالم تكن لها ضوابط ومحددات فإنّها سوف تسيء إلى العمليّة التّفسيريّة وهو أمرٌ لم تقيّد به حنان اللحام دعوتها للتّجديد .

وأشارت حنان لحام أيضًا إلى: انّ مدلولات القُرآن الكريم لا تنتهي.. ومعينه لا ينضب.. وما زال المؤمنون المتدّبرون يفهمون منه معاني جديدة تتكشف لهم جيلًا بعد جيل .. [٣]

وكان لصبري هدف في تفسيرها مفاده: عمدت للكتابة عنه بالتبسيط لتفهمه وتدركه العامة التي انصرفت عن كتب التَّفاسير بحجة أنّها صعبة ومليئة بالمصطلحات المبهمة من نحو وصرف وبلاغة، فشرعت لأقدم لأبناء أمّتي تفسيرًا مبسطًا سهلًا سلسًا معاصرًا تفهمه العامة[٤]

ث - هدف الوحدة الإسلامية:

لمّا ينصرف المفسر عن النّزوع والتعصب ويتوشح بالموضوعية في بيان مراد اللّه فإنّ ذلك أمارة على هدف الوحدة الاسلامية، وقد التفتت بنت الشاطئ إلى هذا المنحى مستعينة باللغة العربية التي تعد السمة اللسانية في مناط توحيد الشعوب وان اختلفت لهجاتهم.

---

(١) حنان اللحام/ من هدي سورة البقرة/ ٥ (المقدمة).

(٢) المصدر نفسه / ٥ (المقدمة) .

(٣) ظ: حنان اللحام/ من هدي سورة لقمان / ١١ .

(٤) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القران، ١/ ١١ / (المقدمة) .

تقول بنت الشاطئ: "إن القُرآن الكريم هو مناط الوحدة الذوقية والوجدانية لمختلف الشعوب التي اتخذت العربية لسانًا لها، ومهما تتعدد لهجاتها وتختلف أمزجتها وتتابين أساليبها الخاصة في الفن القولي يبقى القُرآن الكريم، في نقاء أصالته، كتابها القيم الذي تلتقي عنده الشعوب العربية اللسان، على اختلاف لهجاتها وأقطارها، وتفاوت تأثرها بالعوامل الإقليمية، كما تلتقي عنده كتاب عقيدة وشريعة. ومنهاج" [١]

وفي موضع آخر أشارت بنت الشاطئ إلى " واليوم إذا تتداعى الشعوب العربية بالوحدة، نلوذ بكتابنا الأكبر الذي نلتقي عنده لسانًا ووجدانًا على اختلاف بيئاتنا ولهجاتنا وتباين ميراثنا الحضاري والفني، كما يلتقي المسلمون عنده، في شتى أقطارهم وعلى اختلاق ألسنتهم، عقيدة وشريعة ومنهاجًا. ولن يكون هذا التلاقي عند كتابنا العربي المبين، إلا إذا جدَّتْ محاولتنا في رسمه وفهمه وتذوقه، على منهج دقيق محرر، ينفذ من وراء الحجب التي أسدلتها التأويلات المذهبية والطائفية، والأذواق الأعجمية، إِلى الجوهر الكريم في ذروة نقائه وجلال أصالته." [٢]

المحور الخامس : أنواع التَّفاسير النّسويَّة

٧ - التَّفسير الإصلاحي الاجتماعي:

البعد القُرآني لم يكتفِ بتوجيهذه العقائدية والاخلاقية والشرعية فحسب، بل تناول أبحاثًا أخرى تتعلق بالحياة الاجتماعية على مستوى الفرد والمجتمع وقد تناولها المفسرون في طيات مدوناتهم من الرجال والنساء على حدٍ سواء لا سيما في القرون الأخيرة. كما ويعد اللون الاجتماعي في التّفسير -وما دشنته التّفاسير النّسويّة -يعدُّ عملًا جديدًا في التَّفسير، وابتكارًا يرجع فضله إِلى مُفسِّري العصر الحديث [٣]

إذا ما نظرنا إِلى التَّفاسير النّسويَّة نلحظ هذه الصبغة بيّنة وواضحة فدونك ما وصفه عبد الحي الفرماوي في مقدمته لمدونة الغزالي التّفسيريّة: إنّه ربط معاني القُرآن الكريم واحكامه بواقعنا الذي نعيشه، في محاولة –صادقة - لتقويم هذا الواقع على هذه الاحكام، وفي إطار هذه المعاني، محاولة دائبة لعلاج أمراض المجتمع، عن طريق إبراز هذه المعاني، وتلك الأحكام، والأخذ بأيدي المسلمين، أفرادًا وجماعات - مع هذا التقويم، وذاك العلاج - لربط حياتهم بهذه المعاني، وإسعادهم عن طريق الالتزام بهذه الاحكام [٤]

وللحام تطلَّع على ما تقوم به من الاصلاح في المجتمع او الإنقاذ له على حدٍّ وصفها تقول: لكي أحقق لنفسي وللقراء تواصلًا أفضل مع القُرآن الكريم سأكتب في تفسير سورة التوبة لأنني أحس (حال الخطر)

---

(١) بنت الشاطئ/ التفسير البياني للقران الكريم، ١٥/١ .

(٢) المصدر نفسه ، ١٧/١ .

(٣) ظ: الذهبي/ محمد حسين (الدكتور)، التفسير والمفسرون، ٤٠١/٢ .

(٤) ظ: زينب الغزالي / نظرات في كتاب الله، ١/ ٧ المقدمة .

وأتمنى أن أساهم في الانقاذ . وبكل خفض الجناح.. وبقدر الشجاعة الفكرية التي تعلمتها من القُرآن الكريم سأدخل هذا الحقل الصعب(الّلا مُفّكَّر فيه) لأ تلمس بعض معالم طريق الإنقاذ[١]

وفي موضع آخر تقول: "إنني حين أتأمل الآيات وأحاول ربطها بالواقع الذي نعيشه أرى: أنّ المسلمين لم يصلوا بعد على مرحلة المجتمع القائم بأمر الله ؛فليس لهم أن يستشهدوا بهذه الآيات (من سورة التوبة) لأنهم في غير ظروفها "[٢]

٨ - التَّفسير العلمي للقرآن الكريم:

هناك من تلمّس النّصّ القُرآنيّ واكتشف انّه يشير إلى جملة من الحقائق العلميّة التي يثبت عن طريقها إعجازه العلمي ، وقد وقع النّزاع والاختلاف بينهم بين معارض ومؤيد، وقد كتب جملة من المفسرين في هذا الاتجاه، ولسنا بهذا الصدد بقدر ما أردنا أن نبيّن أنّ هذا اللون لم تخلُ التَّفاسير النّسويَّة منه . .

ويرى بعضهم "أنّ القُرآن يتضمن ميدانًا يتسع للعلم الفلسفي والصناعي والانساني في الطب والتشريع والجراحة والفلك والنجوم والهيئة وخلايا الجسم ، وأصول الصناعات ، ومختلف المعادن فيجعل القُرآن مستوفيا بآياته لهذه الحيثيات.." [٣]

وسار على هذا الاتجاه من المفسرات زينب الغزالي فهي في كثير من النّصوص تحاول ان تبين القدرة الالهية في خلقه عن طريق البحوث والدراسات العلمية في العصر الحاضر منها : ترى في بيان مفهوم النّقصان في قوله تعالى:﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَأۡتِي ٱلۡأَرۡضَ نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَاۚ وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٤١ ﴾ [٤] تقول : "وقد يكون هذا النقصان : مجرد اضمحلال طبقة الارض من القطبين وانخفاضهما تبعًا لطبيعة كونية أرضية، بحيث يبدو منظر كوكب الأرض بيضاوي الشكل. وتختلف هذه المناطق عن أخرياتها في الطبيعة الجوية من برودة وشمس وخلافه ، فالأرض منتقصة من الطرفين، وذلك حسب ما وصل إليه العلم الحديث أخيرًا من حقائق"[٥].

كما تابعت صبري في تفسيرها هذا اللون وسعت إلى توظيفه في بيان مراد الله تعالى واعجاز كتابه العلمي تقول: " فالنّاس في عصرنا متعطشون إلى كتاب الله وإلى فهمه والتّزود من المعرفة وإدراك أسرار عظمة هذا القُرآن وما فيه من قضايا علمية أشار إليها كتاب الله وايده بها العلم وقد انتشرت بعض العلوم الحديثة مما ساعد على إيضاح الإعجاز العلميّ في القُرآن الكريم "[٦]

---

(١) ظ: حنان اللحام/ تفسير سورة التوبة/ ١٢ .

(٢) حنان اللحام/ تفسير سورة التوبة/ ٢٤ .

(٣) ظ: محمد حسين الصغير / المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم / ١١٨ .

(٤) الرعد :٤١ .

(٥) زينب الغزالي/ نظرات في كتاب الله، ٦٩٦/١ ، ظ: ١/ ٦٨١ -٦٨٢

(٦) نائلة صبري/ المبصر لنور القران ، ١/ ١١ (المقدمة)

٩ - التَّفسير البياني للقرآن الكريم:

ترجع البذور الأوَّلى لهذا اللون من التَّفسير إلى عهد النّبي المصطفى(صلّى اللّهُ عليه وآله) [١] و في تفسير الصحابة وأشهرهم عبد الله بن عباس [٢]. وسار على ذلك جملة من العلماء والمفسّرين وعقدوا المباحث البلاغيّة في بيان القُرآن الكريم مبرزين في ذلك مواطن إعجاز وأسراره إبتداءً بالرماني والخطابي والجرجاني ومن سبقهم في كتب اللغة والشّعر وغيرهم، حتى العصر الحاضر من الرجال والنساء الذين قدموا زادهم المعرفي في مجال التَّفسير.

تعريفه : "التَّفسير الذي يبيّن أسرار التّركيب في التعبير القُرآني، فهو جزء من التَّفسير العام تنصب فيه العناية على بيان اسرار التعبير من الناحية الفنية، كالتقديم والتّأخير، والذّكر والحذف ، واختيار لفظة على أخرى، وما إلى ذلك مما يتعلّق بأحوال التّعبير" [٣]

أما معالم (التَّفسير البياني) للقرآن، فقد وزعت بين كتب الإعجاز وكتب البلاغة، وفي كثير من الصّفحات المتقاربة في كتب التَّفسير_ على اختلاف الوانها وقد اشتهرت بعض التَّفاسير بعنايتها بإظهار مواطن البلاغة والإعجاز في النص القُرآني، مثل كتاب «الكشاف» للزمخشري. [٤]

ولعلّ من النّساء صرَّحت بهذا اللون هي بنت الشاطئ في تفسيرها (التفسير البياني للقرآن الكريم) الذي انتهجت به على منهج استاذها أمين الخولي .وقد وصف أحمد ياسوف جهدها بقوله:" فدراستها تتسم بالجدة والأصالة، وكثيرا ما ظل غيرها في إسار التقليد من غير تحرّ لمادة البحث."[٥]

وقد صرّحت بنت الشاطئ في تفسيرها بقولها :" وما أعرضه هنا، ليس إلا محاولة في هذا التَّفسير البياني للمعجزة الخالدة، حرصت فيها - ما استطعت - على أن أخلص لفهم النص القُرآني فهمًا مستشفعًا روح العربية ومزاجها، مستأنسة في كلّ لفظ، بل في كلّ حركة ونبرة، بأسلوب القُرآن نفسه، ومحتكمة إليه وحده، عندما يشتجر الخلاف، على هدى التتبع الدقيق لمعجم ألفاظه، والتدبر الواعي لدلالة سياقه، والإصغاء المتأمّل، إلى إيحاء التّعبير في البيان المعجز"[٦]

إنَّ تفسير بنت الشاطئ بوصفه انفرد عن بقية التّفاسير النّسويّة بيد أنّ الأخيرة لا تعدو ان تكون تفاسير تسلسلية استعانت بالمأثور من القُرآن والسنة أكثر من اللجوء إلى اللغة ومباحثها البلاغية فلم تفرد احداهنّ ايّ مطلب او مبحث خاص بالبحث اللغوي او البلاغي وانما تستكفي بذكر بعض المعاني والمفردات

---

(١) ظ: البيومي محمد رجب/ خطوات التفسير البياني للقران الكريم ،١٢ - ١٤ .

(٢) ظ: الرومي/ اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، ٣/ ٨٧١ .

(٣) السامرائي/ على طريق التّفسير البياني، ٧/١ .

(٤) ظ: زرزور / مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه، ٢٢٤ .

(٥) ياسوف/ جماليات المفردة القرآنية، ٧٣.

(٦) بنت الشاطئ/ التفسير البياني للقران الكريم، ٢٣/١ .

البلاغية عند الحاجة بشكل مقتضب ونلحظ بعض الإشارات البلاغية عند حنان لحام والقليل جدًا عند زينب الغزالي في النّظرات .

١٠ - التَّفسير التّاريخي للقرآن الكريم:

الاطلاع على كتب مناهج واتجاهات التَّفسير فقد أوردوا جملة من الدّلالات لهذا اللون من التَّفسير سنورد منها ما أشار إليه بعضهم : يعبّر عنه بأنّه محاولة استنباط السنن التاريخية من منظار إجتماعي تربوي في التَّفسير ؛ لأنّ المفسر في هذا المنهج ينظر من ناحية علم الإجتماع في أحوال البشر في أطوارهم وأدوارهم ومنشئ اختلاف أحوالهم من قوة وضعف، وعزّ وذلّ ، وعلم وجهل، وإيمان وكفر، ويميل إلى علم الاجتماع وفلسفة التاريخ [١]

ثمّ إنّ الجانب التاريخي في القُرآن لم يستهدف كما أراده الاسلام، وهو الجانب التطبيقي في تواريخ الأمم السابقة، وذلك باستخدام القياس التمثيلي عليها، وإدانة الشاهد بحسب جرائم الغائب على أساس ما ورد في ظلم الظالمين والجبروت في الأرض الذي اتسم به فرعون وهامان وقارون وأضرابهم، والأمور تقاس بنظائرها وكذلك الأمم المتعاقبة كمدين وعاد وثمود وبني إسرائيل وتحذير كلّ أمّة ممّا أصاب تلك الأمم في ضوء التَّفسير التاريخي لأعمالهم، وهذا تفسير حيوي تحذيري من صميم أهداف القُرآن، ومقتضيات تأصيله لقضايا كل زمان ومكان في الاستفادة من العبر، والقياس على الأمثلة، والاعتبار بما مضى، لصيانة ما بقي [٢]

بالنّظر إلى ما تقدّم -مع كون التاريخ أحد أدوات التّفسير - نلحظ أنّ التَّفاسير النّسويَّة لم تغفل عن هذه الأداة، تشير بنت الشاطئ إلى دور التاريخ في بيان مراد الله :" وقلم التأريخ، وقلم اللغة يشرح معاني ألفاظها ونحوها وتصريفها وأسرار تراكيبها "[٣]

ولها تعقيب واستفهام على ما تُقوِّل عن رسول الله (صلّى اللّهُ عليه وآله) من قصص وتاريخ لا علم للنبي (صلّى اللّهُ عليه وآله) بها وقد صرحت بهذه الافتراضات بأنّها إسرائيلية : ولا وجه لافتراض أن يكون المصطفى (صلّى اللّهُ عليه وآله) أو قومه الأميون، قد علموا من تفصيل أنباء الأوَّلين أكثر ممّا تنزل به القُرآن، ونحن نتلو ما عقب به على أنباء قوم نوح وعاد وثمود ومدين، ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [٤] فمن أين جاءت كل هذه التفصيلات والحكايات التي حشيت بها كتب التَّفسير، ولا علم للرسول (صلّى اللّهُ عليه وآله) وقومه إلا بما نزل به

---

(١) ظ: آيازي/ المفسرون حياتهم و منهجهم/٦٥ .

(٢) ظ: محمد حسين الصغير/ المبادئ العامة لتفسير القران الكريم، ١٢٢ -١٢٣.

(٣) بنت الشاطئ/ التفسير البياني للقران الكريم، ٢/٢٣.

(٤) هود :٤٩ .

القُرآن، إلا أن تكون من الإسرائيليات التي أقحمها نفر من يهود، على فهمنا لكتاب ديننا، وأضافوا إلى ما جاء في التوراة منها، مرويات أسطورية لا يقبلها عقل ولا يعرفها تاريخ؟ [1]

قد وقفت بنت الشاطئ بحزم اتجاه الاخبار التاريخية التي زُجّ بها في بطون التَّفسير وحذرت منها لا سيما أخبار اسباب النزول، وسنفرد لها مبحثًا خاصًا للوقوف على رأيها وموقفها في ذلك وكيف تعاملت مع تلك الاخبار في توجيه المراد من النّص القُرآني. ومهما يكن من أمر فبنت الشاطئ لم تعرِ اهتمامًا بالغًا بالشواهد التاريخية بحكم تفسيرها لبعض السور القُرآنية فلم تتضح مساحة أداة التأريخ بصورة واسعة وإنّما بقدر ما تحتاجه في الاسناد والحجة.

اعتمدت (اللحام)في تفسيرها بصورة كبيرة على الإستفادة من التاريخ بوصفه أداة وتوظيفها في بيان مراد الله تعالى وعكسه على المجتمع :

ففي بيان قوله تعالى :﴿ كَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمۡ قُوَّةً ﴾ [2] تقول: إنّ التاريخ خير معلم.. والقُرآن أول كتاب يعطي للتاريخ قيمة ويعتبره مرجعًا وشاهد عدل.. فمنه نتعلم سنن الله تعالى في حياة الامم .. إذ إنّ السنة: أن يُفعل في الثَّاني كما فُعل بالأوَّل[3]

١١ - التَّفسير الموضوعي للقرآن الكريم:

تناول المفسرون القُرآن الكريم من زوايا متعددة ومتنوعة، كل حسب تخصصه، فقد نظم بعضهم مباحث من القُرآن الكريم مستقصيًا كل شاردة وواردة، تخصّ موضوعه الذي يصبو إليه، مستعينًا بالقُرآن نفسه في ذلك . فالفقيه جمع من الآيات التي تتعلق بالأحكام الشرعية وسُمّيت جملة من المؤلفات باسم (أحكام القُرآن)، فمنهم الشافعي (٢٠٤هـ)، والجصّاص الحنفي (٣٧٠)، والكيا الهراسي الشافعي (٥٠٤ هـ) وابن العربي المالكي (٥٤٣ هـ) وغيرهم من المعاصرين ممّن كتب بعنوان (تفسير آيات الأحكام) للشيخ محمد على السائس، والشيخ محمد على الصابوني. والشيخ محمد باقر الإيرواني ، وهكذا بقية العلوم في مجالاتها المختلفة من اللغة ومشكل القُرآن والامثال والجدل وغيرها..

تنبعث أهمية التَّفسير الموضوعي، كونه يهتم "بالهدايات القُرآنية ويحاول الكشف عنها من خلال السياق للآيات الكريمة، ومن خلال تتبع الكلمة واستعمالاتها، ومن خلال التعرف على المناسبات والروابط بين السور والآيات، وبين بدايات الآيات وفواصلها وافتتاحيات السور وخواتيمها. ولعل لثقافة المفسر الخاصة والعامة، من الاهتمام الشخصي، وصفاء قريحته، وشفافية نفسه، وسلامة ذوقه اللغوي دخلًا في دقة الاستنباط والتعرف على ما تشير إليه الآيات تصريحاً أو تلميحًا"[4]

---

(١) ظ: بنت الشاطئ/ التفسير البياني للقران الكريم،١٤٦/٢.

(٢) التوبة :٦٩ .

(٣) ظ: حنان اللحام/ تفسير سورة التوبة/ ١٥٣ ، ١٥٤ - ١٥٥، حنان اللحام/ تفسير سورة التوبة / ٣٥ .

(٤) مصطفى مسلم / مباحث في التفسير الموضوعي/ ٢.

التَّفسير الموضوعي مصطلح شاع في الاوساط العلمية مؤخرًا واطلق على ما تقدم ذكره من مباحث قرآنية وكتبت فيه دراسات متعددة لما له من أهمية وحاجة في بيان مراد الله تعالى من القُرآن وهنا سنقف على مفهومه ومدى احتكام التَّفاسير النّسويَّة لهذا الاسلوب ومساحته فيها.

ولاحظ بعضهم أنّ علاقته بالتَّفسير العام للقرآن الكريم فهو بإزاء التَّفسير في عصور التدوين كان التَّفسير الموضوعي للمباحث الخاصة يسير معه جنبًا لجنب [1] عرف التَّفسير الموضوعي بجملة من التعاريف كلها متقاربة إِلى حدّ ما فبعضها يبين طريقة التّفسير وبعضها يصفه، وقد يكون جامعًا مانعًا على ما يرى.

عرف بأنه: هو التناول لجانب واحد من جوانب القُرآن الكريم بالبحث والدّراسة. كدراسة المجاز في القُرآن، أو المفردات، أو القسم. وفي كلّ منها مؤلفات[2]

وعرف ايضًا : "هو بيان ما يتعلق بموضوع من موضوعات الحياة الفكرية أو الاجتماعية أو الكونية من زاوية قرآنية للخروج بنظرية قرآنية بصدده" [3]

التَّفسير الموضوعي للقرآن: وهو من معطيات تفسير القُرآن بالقُرآن، إذ يتمّ به مراجعة الآيات الواردة في موضوع واحد، ليتدبّر فيها وينظر في معانيها، وقد يتمّ ذلك بمستويين من النظر، أحدهما نظر كلّي إِلى مجموع الآيات للخروج برؤية عامّة وشاملة لرأي الاسلام في الموضوع وتعيين خطوطه الكلّية ومبادئه العريضة، ومستوى آخر من النظر لبيان معالمه التفصيلية وأحكامه الجزئية[4]

يرى كمال الحيدري أنّه : ينبغي أن يُعلم أنّ التَّفسير الموضوعي رغم ما أحدثه من طفرة معرفيّة نوعيّة في عالم التَّفسير إلّا أنّه يبقى في أمسّ الحاجة إِلى معطيات التَّفسير التجزيئي ، ذلك إنّ المداليل اللفظيّة الجزئيّة، وإن كانت لا تُحدّد موقفًا قرآنيًّا عامًّا تجاه الموضوع المبحوث عنه في التَّفسير الموضوعي إلّا أنّها تمارس دورًا إيجابيًّا وفاعلًا في تحديد وتوجيه الصياغات الأوَّليّة للنتاج المعرفي للنصّ القُرآني والذي يتوخّاه المفسِّر في تفسيره الموضوعي[5]

وإذا ما التفتنا إِلى التَّفاسير النّسويَّة نلحظ الاهتمام البارز ونرى المساحة الواسعة في الاعتماد عليه في ابانة المراد لا سيما عند بنت الشاطئ والغزالي واللحام والفارس أيضًا .وتطلعنا بنت الشاطئ على هذا الاسلوب ببيان منهجها في التَّفسير الذي أقرّته ووظفت هذا اللون من التَّفسير في ترجيحاتها للرأي الأصوب

---

(١) ظ: الكطان / مباحث في علوم القران/٣٥٣.

(٢) ظ: منصور / موسوعة علوم القرآن/ ١٨٧.

(٣) مصطفى مسلم / مباحث في التفسير الموضوعي/ ١٦.

(٤) ظ: الامين / التفسير بالمأثور وتطوره عند الشيعة الامامية/ ٤٤٩ .

(٥) ظ: كمال الحيدري / اللباب في تفسير الكتاب/ ٤٨ .

-وهذا ما سنبينه في مبحثه ان شاء الله - وهنا سنتعرف على ما أشارت إليه بخصوص التَّفسير الموضوعي في المنهج .

تقول: "والأصل في منهج هذا التَّفسير - كما تلقيته عن أستاذي - هو التناول الموضوعي الذي يفرغ لدراسة الموضوع الواحد فيه، فيجمع كل ما في القُرآن منه، ويهتدى بمألوف استعماله للألفاظ والأساليب، بعد تحديد الدلالة اللغوية لكل ذاك.. وهو منهج يختلف والطريقة المعروفة في تفسير القُرآن سورة سورة، يؤخذ اللفظ أو الآية فيه، مقتطعًا من سياقه العام في القُرآن كله، مما لا سبيل معه إلى الإهتداء إلى الدلالة القُرآنية لألفاظه، أو لمح ظواهره الأسلوبية وخصائصه البيانية"[١]

ونلحظ للغزالي في بعض المواضع أمارات واضحة تشير إلى التَّفسير الموضوعي منها الاستقراء لبعض المفاهيم في القُرآن الكريم منها : استقراءها مواقف الطغاة من دعوة الله الواحدة على مرّ الزمان: إنهم لا يواجهون الحجة بالحجة، ولكن يواجهون الحجة بالعنف، وبالقتل والتعذيب .. والمستقرئ لمواقف الطغاة مع الانبياء في كتاب الله يرى ذلك واضحًا .. [٢] وهذا يُنبأ عن الاستقراء الذي قامت به ويُعد هذا أحد خطوات التَّفسير الموضوعي .

وأشارت في موضع آخر: إنّها قضية من أهم القضايا في حياة المسلمين (قضية الولاء) لمن يعطيه المسلم؟ وعمّن يحب؟ وهذه القضية ، لأهميتها وخطورتها، تولى الله عزّ وجل بيانها ، وتوضيح معالمها في أكثر من آية [٣]

وفي موضع آخر :اشارت في سياق تفسيرها إلى الكلمات التي ابتلى الله بها ابراهيم(ع) بقوله تعالى:﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾[٤] واستشفاعها بجملة من النصوص القُرآنية معللةً ذلك بقولها: (لأن النّص يفسر بعضه بعضًا)[٥] هذا فضلًا عن التطبيقات التي قامت بها باستنطاق القُرآن الكريم لبيان مراده .

واذا ما نظرنا إلى اللحام فلها وعي باصر باستخدام هذا الاسلوب وقد أبانته بصريح العبارة في منهجها وتطبيقاتها الواسعة في مدوناتها التَّفسيرية المتعددة .قالت: "وفهم القُرآن لا يكون صحيحًا إلا بالجمع بين الآيات المتعاقبة في الموضوع الواحد الذي يختلف التعبير فيه باختلاف الاعتبارات والظروف.."[٦] وفي مقدمة تفسيرها لسورة لقمان المباركة اشارت إلى : ان يقال بان القُرآن يفسر بعضه بعضًا حق [٧] وصرحت في

---

(١) بنت الشاطئ/ التفسير البياني للقران الكريم، ١/ ١٨ .

(٢) ظ: زينب الغزالي / نظرات في كتاب الله، ١/ ٢٠٤ .

(٣) ظ: المصدر نفسه ، ١/ ٢٠٨ .

(٤) البقرة :١٢٤ .

(٥) ظ: زينب الغزالي / نظرات في كتاب الله، ١/ ٢١٠ .

(٦) حنان اللحام/ تفسير سورة التوبة / ٤٣ .

(٧) ظ: حنان اللحام/ تأملات في سورة لقمان/ ٦ .

مقدمتها التَّفسيرية في تفسير سورة النساء إلى أنواع التَّفسير بالمأثور: أولها تفسير القُرآن بالقُرآن بيانًا لمراد الله عزّ وجلّ من كتابه ومثلت لذلك بقوله تعالى:﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ ﴾ [1] شرحت هذه الكلمات في آية أخرى :﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾[2][3]

وإنّ طريقتها في تقسيم أو تبويب السورة بآياتها فإنّها تجعلها على أقسام حسب الموضوعات، فنلحظ ذلك بداية كل مدونة تفسيرية بقصد تسهيل الدّراسة، فهي تبوّب السورة وتعطي مفاهيمها الكلية مثلًا (سورة لقمان) تقول::كأخواتها المكيَّات تتكلم عن العقيدة ،فقسمتها حسب مبادئها الأساسية القائمة على العلاقات القُرآنية الثلاث[4]:

- الإنسان يرتبط مع الله بعلاقة العبودية.
- الإنسان يرتبط مع الكون بعلاقة التسخير.
- الإنسان يتعامل مع البشر على أساس العدل والاحسان .

ثم تفصّل موضوعاتها تحت عنوان: مفاهيم سورة لقمان [5]:

أولا : القُرآن الكريم ومواقف الناس منه (الآيات من ١ إلى ١١):

١ - افتتاح السورة: الحديث عن القُرآن

٢ - المحسنون

٣ - المعارضون وجزاهم وجزاء المؤمنين

٤ - صور من خلق الله

ثانيًا : لقمان الحكيم (الآيات من ١٢ إلى ١٩) :

١ - حكمة لقمان شكره لله

٢ - وصية لقمان الحكيم لابنه

ثالثًا : أيها الإنسان ماذا أنت فاعل ؟ (الآيات ٢٠ إلى ٢٨):

١ - الكون مسخر للإنسان المنعَم عليه.

٢ - موقف المجادل المقلد.

٣ - جزاء الفريقين .

٤ - اعتراف الفطرة بالله الخالق.

---

(١) البقرة :٤٧ .

(٢) الأعراف:٢٣ .

(٣) ظ: حنان اللحام/ من هدي سورة النساء/ ١٦ .

(٤) ظ: حنان اللحام/ تأملات في سورة لقمان/ ١٢ -١٣

(٥) ظ: المصدر نفسه ، ١٤

٥ - علم الله وقدرته .

رابعًا: الله هو الحق (الآيات من ٢٩ إلى ٣٤) :

١ - الكون دليل على الله

٢ - الإنسان يلجأ إلى الله عند الشدة والهول

٣ - فكيف بهول القيامة ... ؟!

٤ - خاتمة السورة المغيبات الخمس .

١٢ - التَّفسير الفقهي للقرآن الكريم:

إنَّ اهتمام المفسرين بآيات الاحكام لا سيما الذين سلكوا طريق التَّفسير التسلسلي وقفوا على آيات الاحكام باختلاف مشاربهم وميولاتهم، فمنهم فصّل القول وجاء بالآراء وعرضها وناقش ادلتها وأوضح موارد الاختلاف بين المذاهب والبعض الاخر اكتفى بالإشارة إلى مدلول الآية وبيان حكمها دون الغور في سبر تفصيلاتها .

يظهر في التَّفاسير النّسويَّة تفاوتًا في هذا الصّدد فبعضهنّ لم ترع أيّ اهتمام إلى آيات الأحكام لا من قريبٍ ولا بعيدٍ، وبعضهنّ الآخر وقف بشيء من التّفصيل أو وبعضهنّ الآخر مرّ مرور الكرام .

واذا ما نظرنا إلى (نظرات في كتاب الله) للغزالي بحكم تفسيرها لجميع القُرآن كاد هذا اللون يلوح في الأفق في تفسيرها إذ أنّها وقفت على آيات الأحكام وكان من صميم أهدافها في التَّفسير واصفًا ذلك لنا الدكتور عبد الحي الفرماوي[١] الذي قدّم لها يقول:" الدعوة إلى إحياء فرائض الإسلام الغائبة من مثل: الحكم بما أنزل الله ، والعمل بما شرع إنقاذًا للعباد وإحياءً لهم، وتربط ما يعانيه المسلمون في واقعهم ، وبين إهمالهم تحكيم شرع الله فيهم، يقول: ويحس القارئ بلوعة الداعية لتغييب ماأنزل الله من تشريع عن حياتنا وأحكامنا وأنظمتنا التربوية والاجتماعية والإقتصادية والتشريعية[٢]

وقد وصف الدكتور إسماعيل نواهضة[٣] تفسير(المبصر لنور القُرآن) لنائلة هاشم صبري للأسس التي تبعتها في تفسيرها منها: التعرض للأحكام الفقهية التي تتضمنها آيات الاحكام ولكن بدون توسع وعمدت على تطبيق ما تضمنته الآيات من أحكام وحكم على الواقع الذي تعيشه الامة وتعرضت للآيات التي تخص احكام امرأة[٤] وبعد القراءة والمراجعة لُوحظ على المفسّرة أنّها مهتمة بآيات الأحكام إهتمامًا بالغًا فهي تعمد على البيان والشرح المطوّل وبيان الآراء وأنّها تقيم عنوانًا بارزًا في طيات تفسيرها باسم

---

(١) استاذ التفسير وعلوم القران في جامعة الازهر.

(٢) ظ: زينب الغزالي/ نظرات في كتاب الله ، ٧/١ -٨

(٣) عميد كلية القران والدراسات الاسلامية بجامعة القدس/ خطيب المسجد الاقصى المبارك.

(٤) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القران، ١/ ١٤/١ .

.(حكم فقهي) أو أحكام فقهية مثلًا: حول الصيام، وتسهب في الموضوع وتورد كلّ شاردة وواردة بخصوص الصيام فإنها تورد أحكامًا منها: (علامة ثبوت شهر رمضان رؤية الهلال، يكره صوم يوم الشك ، وقت السحور) وتشير إلى الحالات التي تفسد الصوم (السواك، الكحل في العين، بلع الريق، المضمضة والاستنشاق، الحجامة ، القبلة لا تفطر، الطّباخ وتذوق الطعام بلسانها، النسيان ...) وتتعرض إلى أصحاب الأعذار المبيحة للإفطار وغيرها [1]وهي في ذلك تفصّل كثيرًا ، والحقيقة أنّ هذه التّفصيلات فيها كلام وخلاف بين العلماء لكن المقام لا يسمح بذكرها، بقدر ما أردنا ان نثبت موقفها اتجاه آيات الأحكام أنه ليس كما وصف (اسماعيل نواهض) موقفها .

واذا ما التفتنا إلى تفسير(التَّوضيح والبيان في تفسير آي القُرآن) للدكتورة ماجدة الفارس نلحظ اهتمامها البالغ في تفسير آيات الأحكام وأنّها تشير إلى موضوعات السّورة أنّ كانت تتضمن أحكامًا وحدودًا شرعية كما في سورة البقرة تبيّنها تحت عنوان(الأحكام العامة: في القصاص ،والوصية، والصوم، والجهاد، والحج، والزواج والطلاق، والصدقة والربا، و الدَّين والتجارة) . وقد اشارت إلى هذا المضمون في مقدمة تفسيرها: التركيز في شرح الآية على جانب من إشارات الآية سواء كان ذلك في العقائد أو الأخلاق أو التشريع والتي بمجملها تمثل الدين الإسلامي[2] .

---

(١) ظ: المصدر نفسه ،١/ ٢/ ١١٠ -١١٥ .

(٢) ظ: ماجدة الفارس/ التوضيح والبيان في تفسير آي القران، ٣/١ .

الفَصلُ الأوَّل

نَقدُ أُصول التّفاسير النّسويّة

- المبحث الأوّل: الأصلُ الأوّل (القُرآن)
- المبحث الثّاني: الأصلُ الثّاني (السّنّة)
- المبحث الثّالث: الأصلُ الثّالث (العقل)
- المبحث الرَّبع: الأصلُ الرّابع (اللّغـة)

❁ المبحث الخامس: الأصلُ الخامس (إجماع المفسّرين)

❁ المبحث السّادس: الأصلُ السّادس (التّأويل)

المبحثُ الأوَّل: الأصلُ الأوّل (القُرآن) :

توطئة :

القُرآن الكريم أصلٌ لنفسه في البيان، وقد عرّف الله تعالى كلامه، ووصفه نورًا وتبيانًا وهدى، ووصف أنه ناطق بعضه على بعض، فلا غنى للمفسّر الحاذق من الإهتداء الى التَّفسير الهادي في بيان مراد الله تعالى من دون هذا الأصل، ولا رشاد له من سواه، فهو المبيّن لنفسه والمنور والمفصل لآياته ولأهميته ودوره الفعّال في كشف المراد.

لم تخلُ التفاسير عمومًا من الرجوع الى أصل القُرآن في تفسير وتوضيح القُرآن الكريم لا سيما التفاسير النّسوية، فلا غنى للمفسر من هذا الأصل . وفي هذا المبحث سنلحظ المساحة التي أخذتها هذه التّفاسير في الركون على هذا الاصل والرجوع إليه دون بقية الاصول كالسنة والعقل وغيرها..ومدى توظيفها في الكشف عن المراد وانطلاقًا مما سلف سنعمد إلى كشف وتحليل مستوى ذلك ويمكن عن طريق ملاحظة التنظير والتطبيق فيها .

المطلب الأول: بيان الجانب (النّظريّ) :

الجدير بالذكر أنَّ هذا الأصل بدى واضحًا على المستوى النّظري في التّفاسير النّسويّة المختارة وحق القول لا مناص للمفسر الباحث عن إصابة الدلالة الوافية، إن لم يأخذ بالحسبان ذلك، فقد ابتعد . فالدلالة المطمئنة الناهضة باستنادها إلى القُرآن الكريم بوصفه أصلًا معتمدًا. وتأسيسًا على هذا دأب المفسرون أن يقدّموا لمدوناتهم ويلفتوا الانتباه إلى مناهجهم التي سيسيرون على خطاها وإن فات بعضهم ذلك يلحظ عليهم من خلال تطبيقاتهم .

صرَّحت (بنت الشاطئ) باعتمادها هذا الأصل وطبقته وأشارت إليه في منهجها قائلةً : ومنهجنا الإستقرائي الذي يتناول النّص القُرآني في جوّه الإعجازي، ويقدر حرمة كلماته بأدق ما عرفت مناهج النّصوص من ضوابط، ويلتزم – المنهج - دائمًا مقولة السلف الصالح:(القُرآن يفسر بعضه بعضًا)[1]

---

(١) بنت الشاطئ/ التفسير البياني للقران الكريم، ١٨/١ .

والطريق الذي اعتمدته هو التناول الموضوعي الذي يفرغ لدراسة الموضوع الواحد فيه، فيجمع كل ما في القُرآن منه، ويهتدى بمألوف استعماله للألفاظ والأساليب، بعد تحديد الدلالة اللغوية لكل ذاك.. وهو منهج يختلف والطريقة المعروفة في تفسير القُرآن سورة سورة[1] قد اعتمدت (بنت الشاطئ) على القُرآن بوصفه أصلًا في منهجها الموضوعي والفرق بين تفسير القُرآن بالقُرآن يمتاز عن التّفسير الموضوعي حيث أنّ الثاني أعمّ بيد أنّ المفسر يرجع فيه إلى القُرآن وغيره من السنّة والعقل وغيرها . وفي الأول لا يلتفت فيه إلا إلى القُرآن نفسه. ويبدو واضحًا في الجانب التّطبيقي ونلحظ مدى توظيف هذا الأصل والاستفادة منه في كشف المراد.

ولزينب (زينب الغزالي) في تفسيرها(نظرات في كتاب الله) وقفة مع أصل القُرآن أيضًا إلا انّها لم تصرّح عنه في مقدمتها ولكنّها لم تغفل عن تطبيقه . على سبيل المثال فقد وقفت بتفسيرها على (الكلمات) التي ابتلى الله بها سيدنا إبراهيم عليه السلام بعد عرضها للآيات، قالت: لأن النّص يفسّر بعضه بعضًا[2] وهي بهذا كانت على وعي وبصيرة بما تقوم به في تفسير القُرآن بالرجوع إلى أصل القُرآن نفسه. وسنبين مدى توظيفها لهذا المنهج بما يخدم عملية التَّفسير .

وأمّا نائلة صبري تبنّت بهذا الأصل في مقدمتها في (المبصر لنور القُرآن) قائلة: "فقد التزمت مدرسة الاثر فسلكت في الوصول الى فهم الآيات بآيات أخرى أي يفسر القُرآن بعضه بعضًا"[3] والاثر يشمل القُرآن والسّنة فهو أعمّ من تفسير القُرآن بالرجوع إلى (القُرآن) وقد مثلت لذلك أنّها شرحت ما جاء موجزًا في موضع ومفصلًا في موضع آخر كقصة آدم وإبليس وقصة موسى وفرعون [4] ثم قالت: ونستعين بالآية على فهم الاخرى في بيان معناها ، مثلًا بيان المفردة فقد فسرت (ألفينا) في قوله تعالى:﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ﴾[5] بمعنى (وجدنا) على نظيرتها في قوله تعالى:﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ﴾[6] [7]

أمّا عند (حنان اللحام) في مدوناتها التَّفسيرية تجلى(أصل القُرآن) واضحًا وصرّحت به في مقدمة تفسيرها لسورة لقمان المباركة أشارت إلى : أنّ القُرآن يفسِّر بعضه بعضًا حق[8] وقالت : إنّ تفسير القُرآن

---

(١) ظ: المصدر نفسه، ١٧/١ .

(٢) ظ: زينب الغزالي ، نظرات في كتاب الله، ٧١/١ .

(٣) نائلة صبري، المبصر لنور القرآن، ١/ ١١/١ .

(٤) ظ: المصدر نفسه، ١/ ١١/١ .

(٥) البقرة :١٧٠ .

(٦) لقمان :٢١ .

(٧) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن، ٢/١ / ٥٠ .

(٨) ظ: حنان اللحام/ تأمّلات في سورة لقمان/ ٦ ، ظ: من هدي سورة البقرة / ٣٦ .

بالقُرآن هو أفضل أنواع التَّفسير [1] وفي موضع آخر في تفسير سورة النّساء اشارت إلى انواع التَّفسير بالمأثور فكان أولها تفسير القُرآن بالقُرآن بيانًا لمراد الله عز وجل من كتابه ومثلت لذلك بقوله تعالى:﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾ [2] شرحت هذه الكلمات في آية أخرى :﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾[3] [4] وسنشهد أثر هذا الأصل في مشروعها ومدى احتكامها له في التطبيقات التي سنوردها. وأشارت إلى أهمية آيات الانفس والافاق كأصل قرآني حيث تقول: "واليوم تبرز أهمية آيات الأفاق والأنفس كمرجع أساسي في التَّفسير والبيان لمعاني القُرآن الكريم " [5] ويتجلى من ذلك انّها تجعل من الآيات الآفاقية و الأنفسية مرجع في تفسير الآيات الأخرى. ومن هذا نلمح التَّفسير يتجه باتجاه التَّفسير العلميّ عند (حنان اللحام).

وُصفت (حنان اللحام) بتعاملها مع أصل القُرآن في التَّفسير : لم تعتمد المفسرة في تفسيرها تفسير القُرآن بالقُرآن إلّا على نحو ضيق، بل كانت تقتصر على المعنى الإجمالي للآية،ثم تنتقل إلى تأملاتها واستنتاجاتها، واعتمادها القُرآن كان على أساس التأييد [6] ولها كلام في سياق القُرآن الكريم وبيان أهميته وأفادت منه وذكرت جملة من الفوائد التي تتمخض في الجمل الاعتراضية في سياق الآية أو الآيات منها داعية له بالتّأمل فمن فوائدها: تلوين الخطاب وتنويعه لتنبيه الأذهان، وفيها التشويق إلى سماع بقية الكلام أو الخبر، وفيها التأكيد على أهمية أمر معين إذ يقطع الموضوع ليذكر به [7]

وتأسيسًا على ما ذُكر يمكن القول: أنّ التّفاسير النّسوية اعتمدت(القُرآن) بوصفه أصلًا من أصول التفسير – الأصل الأول - فهي حين تريد الكشف عن معنى النّص القُرآنيّ تلجأ إلى (القُرآن) بوصفه أصلًا لتفسير القُرآن وهذا ما حصل عند (بنت الشاطئ) و(زينب الغزالي) و(حنان اللحام) و(نائلة صبري) و(ماجدة الفارس) بتفاوت ملحوظ في التّعاطي مع هذا الاصل .. و أنّ (بنت الشاطئ) اعتمدت القُرآن كأصل لعمليتها التَّفسيرية أخذ مساحةً واسعةً وذلك في احتكامها اليه في تطبيقاتها، و(زينب الغزالي) لم تصرّح بهذا الأصل كمرجع في البيان دون الأخريات اللاتي أوضحْنَ ذلك . وظهر أنَّ (حنان اللحام) تجعل من آيات الأنفس والآفاق أصلًا لبيان القُرآن الكريم .

المطلب الثاني : بيان الجانب(التطبيقيّ):

---

(١) ظ: حنان اللحام/ من هدي سورة آل عمران / ٢٩.

(٢) البقرة :٣٧ .

(٣) الأعراف :٢٣ .

(٤) ظ: حنان اللحام /من هدي سورة النساء/ ١٦.

(٥) حنان اللحام /من هدي سورة النساء / ١٧.

(٦) ظ: خديجة المحمود/ أبرز جهود النّساء في تفسير القرآن الكريم منذ القرن الرابع عشر الهجري/ ١٤١

(٧) ظ: حنان اللحام/ تأملات في سورة هود /٦٠.

دشنت التّفاسير النّسوية بياناتهن بالرّجوع الى أصل القُرآن لبيان بعضه البعض الآخر ولكن بصور متفاوتة بلحاظ الأخذ والتّوظيف، فبعضهن تأتي بالآية تأييدًا أو توضيحًا لمعنى ما قد ذكرته ، والبعض الآخر سعى لتحصيل مراد اللفظة باستقرائها في القُرآن وأخذ على عاتقها تحشيد النّصوص ذات الموضوع الواحد -وهو ما يهمنا بهذا الصدد -، والبعض تعامل مع الموضوعات القُرآنيّة وأخذ بعين الاعتبار ما للموضوع من صلة بالآيات الاخريات وهكذا .ولكن ما يهمنا من هذه الطرق هو الاستقراء اللفظي لكل مفردة في القُرآن الكريم ولا يفوتنا أن ننوه إلى أن طريقة ومنهجية تفسير القُرآن قد تمخضت الدراسات القُرآنية فيه على أنواع وطرق مختلفة بل صيغت على قواعد تفسيرية ترجع أساسًا الى أصل القُرآن سنترك أمرها الى فصل القواعد التَّفسيرية حفاظًا على المنهج المتبع وبيانها على تفصيلٍ أكثر .

أ -نموذج (١) : قال تعالى:﴿ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ ﴾[١]

ذكرت (بنت الشاطئ) : للمفسرين في الإنسان قولان: إنه لعموم الجنس، أو: إن (الـ) للعهد مرادًا بالإنسان جماعة من المشركين: الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والأسود بن عبد المطلب، ذلك رواية عن ابن عباس. وقيل نزلت في أبي لهب، وفي خبر مرفوع أنّها نزلت في أبي جهل... وذلك لأنّهم كانوا يقولون: إنّ محمدًا لفي خسر، فأقسم تعالى بالضّد .

باستقراء آيات الإنسان في القُرآن وعددها خمس وستون آية، في هذا سياق الأهلية لاحتمال تبعات التّكليف، والابتلاء بالخير والشر، والتعرض للغواية، وما يلابس ذلك من غرور وطغيان. وللراغب الأصفهاني ملحظ دقيق في اشتقاق لفظ الإنسان، يربطه باجتماعيته التي تجعله يأنس إلى الجماعة[٢] وهو ملحظ يقبله حسّ العربية في الإنس والإنسان معًا، ثم تتخصص الإنسية بدلالتها على نقيض التوحش، وتأخذ الإنسانية دلالتها على خصائص الإنسان وأهليته لاحتمال الإنسانية، على ما هدى إليه استقراء آيات الإنس والإنسان في البيان القُرآني[٣]. وبهذه الدلالة الخاصة، يأتي لفظ (الإنسان) في سورة العصر، في سياق ما يحتمل من تبعات التكليف ومسؤولية الإنسان الفردية والاجتماعية[٤]

وفيما تقدّم بالمكان تحليل الكلام تحليلًا ونقدًا:

- ذهبت المفسّرة لمعنى الإنسان على اساس الاستقراء وأفادت منه معنى على غرار الرأيين الّذَينِ قدمتهما وكانت زاهدة بهما . في حين أنّ السياق[٥] في الآية يقودنا الى المعنى الثّاني في تفسير كلمة (الخسر)

---

(١) العصر :٢ .

(٢) ظ ، الراغب/ مفردات القرآن، مادة (أنس).

(٣) ظ: بنت الشاطئ/ القرآن وقضايا الانسان/ ١٨ الى نهاية المبحث .

(٤) ظ: المصدر نفسه ، ٢/ ٨٠ -٨٢.

(٥) يؤكد الزركشي (٧٩٤هـ) بقوله " دلالة السياق، فإنّها ترشد إلى تبيين المجمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة، وهو أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم، فمن أهمله غلط في نظيره، وغالط مناظراته.." الزركشي/ البرهان في علوم القرآن، ٢/ ٢٠٠ .

ذكرَت المؤلفة: (والغالب أن يأتي الخسر بالمعنى الديني في سياق النذير بسوء العقبى و عذاب الآخرة للكافرين، والضالين، والمنافقين، والمكذبين بآيات الله و بلقائه والمشركين، والظالمين، والمبطلين ،والذين يقطعون ما أمر الله به أن يوصل، ويفسدون في الأرض، و من يتخذ الشيطان وليًا، و من يبتغي غير الإسلام دينًا، و الذين قتلوا أولادهم سفهًا بغير علم ..) [١] وقد يكون السّياق سياق كلمات، أو جمل، أو آيات .

- إنّ الاستقراء القائم على دلالة (الانسان) بالمعنى الراجح عندها لم تذكره في تفسيرها إنما ذكرت استقراءً لمفردة (الانس) واكتفت المفسرة بعدد الآيات وهي (٦٥) آية .
- على ما ذكرت المفسّرة من سبب نزول للآية يُعدُّ قرينة يعتدُّ بها تدعم الرأي الثاني وتؤكده . وهذا لا يتعارض مع قول:(العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب) لأنّ السبب كاشف على مراد يحمله ما انطبق عليه ويتعدّاه إلى غيره .
- وظاهر الإستقراء يحتمل أن يكون (الإنسان) غالبًا هو الكافر بدلائل قرآنية سياقية شبيه منها في قوله تعالى:﴿ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ ﴾ [٢]يرى الطوسي فيها : استفهام و معناه الانكار على من أنكر البعث والنشور فقال الله له أيظن الانسان الكافر أن لن نجمع عظامه ونعيده إلى ما كان عليه [٣] وفي قوله تعالى: ﴿ قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ۝١٧ ﴾ [٤] يرى الطبرسي: أي عُذّبَ و لُعن الإنسان و هو إشارة إلى كل كافر [٥] ويرى الطباطبائي : في قوله:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ۝٦ ﴾ [٦] "عتاب وتوبيخ للإنسان ، والمراد بهذا الانسان المكذب ليوم الدين - على ما يفيده السياق المشتمل على قوله :﴿كَلَّا بَلۡ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ۝٩ ﴾ [٧] وفي تكذيب يوم الدين كفر وإنكار لتشريع الدين وفي إنكاره إنكار لربوبية الرب تعالى، وإنّما وجه الخطاب إليه بما أنّه إنسان ليكون حجة أو كالحجة لثبوت الخصال التي يذكرها من نعمه عليه المختصة من حيث المجموع بالإنسان" [٨] ويرى الطوسي أيضًا في قوله:﴿ أَوَلَا

---

(١) ظ: بنت الشاطئ / التّفسير البيانيّ للقران الكريم،٢/ ٨٣ .

(٢) القيامة :٣ .

(٣) ظ: الطوسي/ التبيان في تفسير القرآن، ١٠/ ١٩١.

(٤) عبس :١٧ .

(٥) ظ: الطبرسي/ مجمع البيان، ١٠ /٢٦٨ .

(٦) الانفطار :٦

(٧) الإنفطار :٩ .

(٨) الطباطبائي/ الميزان في تفسير القرآن، ٢٠/٢٢٤.

يَذۡكُرُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ يَكُ شَيۡـٔٗا ﴿٦٧﴾ ﴾[1] هذا حكاية من الله تعالى عن قول من ينكر البعث والنشور من الكفار، وهم المعنيون بقوله ﴿ أَوَلَا يَذۡكُرُ ٱلۡإِنسَٰنُ ﴾[2] ففي مجمل ما ذكره المفسرون على الرغم من الاطلاق الحاصل في مفردة(الانسان) لكن تحدّد معناها من سياق الآية التي جاء في جوِّها ،وحملها كلُّ مفسّر بحسب ما أفاد السياق من معنى وبالتالي ان هذا الاختلاف في توجيه النّص وارد وطبيعي والمعنى الثاني الذي استبعدته المفسرة ممكن والله العالم لما دلّت عليه من دلائل يمكن حمله بها على المعنى، .زد على ذلك أنّ كثيرًا من أقول المفسّرين في حمل الانسان بلحاظ الكفر في هذه الآية [3]

- إنّ غالب الاستعمال القُرآني لمفردة(الانسان) بلحاظ الكفر لا يتنافى مع ما جاء في استقراء المفسّرة في سياق الأهلية لاحتمال تبعات التكليف، والابتلاء بالخير والشر؛ لان الانسان في هذه الدنيا أهلّه الله وخصّه بالتّكاليف الفردية والإجتماعية وتبعاتها وسنن الحياة من الابتلاءات وغيرها﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا ﴾[4]. فلا يمنع من الجمع بين المعنيين .كما يمكن الجمع بين القولين فضلًا عن الرّأي الثّالث الذي صرّحت به ؛ لقول الزجاج : هذا اسم للجنس يقصد به الكافر خاصَّة كما قال تعالى﴿ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ﴿٢﴾ ﴾[5]

- ثم أنّ عزوف المفسرة عن القولين وتعليقها على الثاني القائل بعهدية (الـ) ثم الانتقال الى الاستدلال برأيها المغاير للقولين جعلها بمنأى عن الرأي الأول القائل بجنسية (الـ) وكثير من المفسرين حمل (الـ) على بيان الجنس [6]

ب - نموذج(٢) قال تعالى:﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ ﴾[7]

ذكرت (زينب الغزالي)، في بيان (يوم الدين) : يوم الحساب للخلائق، وهو يوم القيامة ..عندما يستغرق الانسان في مشاهد(يوم الدين) وموقف الناس والأمم في هذا اليوم العصيب﴿ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ

---

(١) مريم :٦٧ .

(٢) ظ: الطوسي/ التبيان في تفسير القرآن، ٧/ ١٤٠.

(٣) ظ: السمرقندي / بحر العلوم، ٦١٥/٣ ،ظ: السمعاني/ تفسير القرآن، ٦/ ٢٧٨ ، ظ: البغوي/ معالم التنزيل في تفسير تفسير القرآن، ٥/ ٣٠٢ ، ظ: الخازن/ لباب التأويل في معاني التنزيل، ٤٦٦/٤ .

(٤) البقرة :٢٨٦ .

(٥) ظ: الزجاج ، معاني القرآن وإعرابه ،١٦٤/٣.

(٦) ظ: الطبري/ جامع البيان في تأويل القرآن ،١٢٥/٦ ، ظ: الماوردي/ النكت والعيون،٣٣٣/٦ ، ظ: القشيري / لطائف الإشارات ، ٣/ ٧٦٤ ، ظ: الرازي/ مفاتيح الغيب ، ٣٢ / ٢٧٩ (ذكر لها قولين، الجنسية والعهدية) .

(٧) الفاتحة :٤ .

﴿ ٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ٨٩ ﴾ [1] ، ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ٣٤ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ٣٥ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ٣٦ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ٣٧ ﴾ [2] يوم تنشر الصحف ﴿ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ١٠ ﴾ [3] يوم توضع الموزين ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ﴾ [4] يجول المسلم بقلبه في ساحات ومواقف هذا اليوم، فتستغرقه يقظة في القلب، وصحوة في الضمير، و توقفه ليسأل نفسه ويحاسبها، فيجد نفسه تهتف من أعماقها: يا رب يا ملك الدنيا والآخرة يا ملك يوم الدين [5]

استطاعت المفسرة أن تلتفت إلى الآية الرابعة من فاتحة الكتاب بعد توضيح موجز لمعناها أخذت باستقراء الآيات الثّمان التي تتمحور في نفس الدائرة التي يدور فيها معنى يوم الدين وأحواله وهو يوم القيامة والحساب وهو نفسه اليوم الذي لا يملك المرء لنفسه شيئًا وهو نفسه اليوم الذي لا ينتفع به من مال وبنين وهو يوم الوحدة ويوم توضع فيه الموازين ولا يُظلم فيه أحد فعندئذٍ يستغرق في يقظة القلب والضمير وترجع نفسه بهتاف الاعماق اتجاه بارئها طالبةً العفو والمغفرة . جمعت المفسرة ما أمكنها من النّصوص و لا يعني لا وجود لغيرها من الآيات التي تشير الى يوم القيامة وأهواله منها ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ ٤٨ ﴾ [6] ونظيرتها آية (١٢٣) وقوله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ٢٥٤ ﴾ [7] وقوله﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ٢٨١ ﴾ [8] وغيرها الكثير والكثير .

ثم إنّ ما دعا المفسرة إلى الاكتفاء بهذا القدر من الآيات في توضيح الآية الرابعة من الفاتحة، هو المنهج المتبع ،فلو فتحت باب الاستقراء لآيات يوم القيامة لطال بها المقام وقد يخرجها عمّا آلت اليه من منهج الإيجاز والتبسيط . ومما سلف نخلص : أنَّ ما قدَّمته المفسرة يحمد عقباه ويحتسب لها ويضاف الى محور التزامها بمنهجها في التَّفسير . تمكنت المفسرة من فتح باب التذكير والتحذير من أن الانسان بعد الدنيا هذه له موقف في يوم يحاسب عن كل صغيرة وكبيرة ولا يسعفه شيء يومئذٍ إلاّ عمله وكل ما يقربه الى

---

(١) الشعراء :٨٨ - ٨٩ .

(٢) عبس :٣٤ -٣٧ .

(٣) التكوير :١٠ .

(٤) الانبياء :٤٧ .

(٥) ظ: زينب الغزالي/ نظرات في كتاب الله، ١/ ١٦ -١٧ .

(٦) البقرة :٤٨ .

(٧) البقرة :٢٥٤ .

(٨) البقرة :٢٨١ .

ربه، واستفادت المفسرة من هذه الآيات في توجيه وإرشاد المرء حول يوم القيامة وهو تسديد لمنهجها الداعي الى هداية الانسان وتبصرته وبيان معالم الدين ومبادئه الذي كان هدفها السّامق من تفسيرها..

ت - نموذج (٣) : قال تعالى:﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ ﴾ [١]

عمدت (حنان اللحام)في تفسير هذه الآية الى القُرآن في تفسير هذه الآية حيث قالت: إرضاعه حتى الفطام في عامين.. ويذكر ابن عباس – كما استنبط غيره من الائمة - أنّ أقلّ مدة للحمل: ستة أشهر لقوله تعالى في آية أخرى:﴿ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ﴾[٢] بينما يحدد مدّة الفصال هنا بعامين[٣] هذا البيان الذي قدمته المفسرة نلحظ فيه:

- ركنت المفسرة في بيان الآية إلى القُرآن الكريم ،والظاهر من النّص أنّ المدة أقصاها في الرّضاعة إذا بلغ الطفل عامين، والجدير بالذكر ان البيان الذي نقلته عن ابن عباس وأشارت به الى استنباط أحد الائمة يرجع الى حادثة في رجم من ولدت لستة أشهر، ومن غريب هذه الاجتهادات حكمه برجم امرأة ولدت لستة أشهر، فرد الإمام علي عليه السلام حكمه وقال له : إن الله تعالى يقول ﴿ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ﴾ ، وقال تعالى ﴿ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ ﴾ فالحمل ستة أشهر والفصال في عامين ،فترك عمر رجمها وقال : لولا علي لهلك عمر[٤] وفي السنن الكبرى للبيهقي رويت الحادثة الحادثة مع عثمان ابن عفان[٥]
- المفسّرة لم تخرج حديث ابن عباس[٦] فضلًا عن غيره الذي ذكرته، وما استندت اليه في البيان كان على أساس الرجوع في التّفسير الى أصل القُرآن في بيان الحكم الشرعي الذي استنبطه الامام علي بن أبي طالب عليه السلام ولا شك ان ابن عباس أبرز تلامذته في التّفسير وكثير النقل عنه.
- ومهما يكن من أمر فإنّ المفسرة وقفت على بيان هذه الآية الكريمة بما ورد عن أهل العلم واستدلالهم بالقُرآن الكريم في توضيح مدة الحمل ستة أشهر وهي المدة المطروحة من مجموع مدة الحمل والفصل (٣٠) شهرًا على اساس أنّ مدة الحمل في عامين وهي (٢٤) شهرًا .

اطلعت المفسرة على هذا الاصل وأفادت منه كثيرًا في تفسيرها للقران الكريم فكانت على وعي وبصيرة حيث أنّها أشارت اليه في كثير من المواطن [١]

---

(١) لقمان :١٤ .

(٢) الأحقاف :١٥ .

(٣) ظ: حنان اللحام/ من هدي سورة لقمان،٦٦ .

(٤) الحر العاملي/ وسائل الشيعة، ٢٠/١ ، وانظر مصادره: السيوطي/ الدر المنثور ١ / ٢٨٨ ، والنسائي/ السنن الكبرى ، ٧ / ٤٤٢ .

(٥) ظ: البيهقي/ السنن الكبرى حديث(١٥٥٥١)، ٧٢٧/٧ .

(٦) ظ: الطحاوي/ شرح مشكل الآثار، حديث(٢٨٥٩)، ٨/ ٢٩٢ .

ث - نموذج (٤) : قال تعالى:﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾ [٢]

كشفت (نائلة صبري) في هذه الآية بعد بيان المفردات عدّة المطلقة الحرّة المدخول بها إمّا ثلاث حيضات أو ثلاثة أطهر على رأي الشافعي ومالك أخذًا منهما برأي عائشة، .. هذا في المدخول بها أمّا غير المدخول بها فلا عدة عليها في حال الطلاق قال تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ﴾ [٣] وإن كانت حاملًا فعدتها أن تضعَ حملها لقوله تعالى:﴿ وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾[٤] والصغيرة واليائس فعدة ثلاثة أشهر

لا ثلاثة قروء لقوله تعالى:﴿ وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمْ يَحِضْنَ ﴾ [٥] . [٦]

فرَّقت (نائلة صبري) في بيان عدّة المطلقة المدخول بها وغير المدخول بها ذلك بجمعها الآيات ذات الصلة بالموضوع آية سورة البقرة وأخواتها من سورة الاحزاب وسورة الطلاق وكشفت عن أحكام عدة المطلقة بأنواعها وبذلك يكون القُرآن عند (نائلة صبري) أصلًا رجعت اليه في البيان .

ج - نموذج (٥) قال تعالى:﴿ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ﴾ [٧]

تستعين (ماجدة الفارس) بالقُرآن لإيضاح مفردة قد يقع فيها اللبس مثال ذلك (الزوج) في قوله تعالى: ﴿ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ ﴾ قالت: يعني ثمانية أفراد ،ثمّ تساءلت: لماذا سمي الفرد زوجان في هذه الآية؟ لأنه كل واحد من الذكر والأنثى زوج بالنسبة إلى الأخر ، ويقع لفظ الزوج على الواحد فيقال: هو زوج: قوله تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾[٨] فيصبح أي يقال: هما الزوج وهو زوج، وذلك أن زوج (اسم ذات منظمة إلى غيرها على وجه الملازمة)، فالزوج ثان لواحد، وكل منهما يقال له: زوج باعتبار أنه مضموم

---

(١) ظ: حنان اللحام/ من هدي سورة البقرة/٢٨٢ ، ظ: تفسير سورة التوبة /٣٤ ، ٤٥ .

(٢) البقرة :٢٢٨ .

(٣) الأحزاب :٤٩ .

(٤) الطلاق :٤ .

(٥)الطلاق :٤ .

(٦) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن، ٢/١ / ٢٤٤ -٢٤٥ .

(٧) الأنعام :١٤٣ .

(٨) البقرة :٣٥ .

فيطلق غالبًا على الذكر والأنثى من الإنسان ومن الحيوان أيضًا الذي يتقارن ذكره وأنثاه . وأيضًا يقال للذكر والأنثى: زوجان ، منه قوله تعالى:﴿ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣٩﴾ ﴾ [1] [2]

تمكنت (ماجدة الفارس) في بيان مفردة (الزوج) من الانعام المباركة المحتمل فيه لبس ، قدّمت له تساؤلًا وأجابت عليه، وأوضحت صحة أن يُطلقَ على الفرد بـ(زوج) ، استدلالًا في ذلك من القُرآن الكريم بآية سورة البقرة التي تخص (آدم وزوجه) فلاحظت كيف خاطبهم بهذه اللفظة ، ثم عمدت على بيان ماهيّة الزوج وعرفته بأنَّ وجه الملازمة بين الزوجين، وكيف يصح أن يطلق على أحدهما لفظ(الزوج) ثم استشفعت بالنَّص الثّالث من سورة القيامة الذي يشير الى صحة إطلاق اللفظ على الذكر والانثى من الإنسان ، وما جاءت به المفسّرة قد تابعت فيه من سبقاها من المفسّرين في إثبات هذا المعنى ولم تكن هي المستنبطة له.

بعد بيانها واستدلالها القُرآني صحّ تفسيرها ﴿ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ﴾في ذلك أن يكون المجموع ثمانية أفراد لانّ كل واحد من ذلك يسمى زوجًا ، والأنثى زوج، وإنّما سمي بذلك، لأنه لا يكون الزّوج الا ومعه آخر له مثل اسمه، فلما دل على الاثنين من أقرب الوجوه، وقع على طريقه [3] وفي مواطن عدة تركن المفسرة الى الى القُرآن كونه أصلًا في بيان القُرآن [4]

ومن خلال الاطلاع على التّفاسير النّسويّة(المختارة) نلحظ فيها التّعويل والرجوع للقرآن الكريم بوصفه أصلًا في التّفسير لكن بتفاوت واضح فيما بينها ضيقًا واتساعًا، ولعل (بنت الشاطئ) أكثر المفسرات ارتكازًا في الرجوع إلى أصل القُرآن، و(زينب الغزالي) أيضًا الى حدٍ ما، وللمفسرة (حنان اللحام)صولة في تفسيرها حيث تمخضت لديها معاني ومفاهيم بسبب تعاملها القُرآني في التَّفسير فكشفت عن مدى تطلعها لهذا الاصل وإن كان على مستوى اقل مما يبدو على بقية المفسّرات، وأن المفسرة (نائلة صبري) لها باع طويل في توظيف هذا الأصل استحصالًا للمراد من القُرآن الكريم وتنوعت الطرق في تفسيرها ، وإذا ما نظرنا للمفسرة (ماجدة الفارس) كان في تفسيرها حضورٌ واسع لأصل القُرآن وعوّلت عليه كثيرًا .

---

(١) القيامة :٣٩ .

(٢) ظ: ماجدة الفارس / التوضيح والبيان في تفسير آي القرآن، ٤/ ٤٢٣ .

(٣) ظ: الطوسي/ التبيان في تفسير القرآن، ٤/ ٢٩٨ .

(٤) ظ: ماجدة الفارس/ التوضيح والبيان في تفسير اي القرآن، ١/ ٢١ ، ١/ ٤١٢ ، ١/ ٤٦٤ -٤٦٥ ، ١/ ٣٠٦ ، ٤/ ٤٢٣.

المبحثُ الثَّاني: الأصلُ الثّاني(السَّنة):

تُعدُّ السُّنَّة على اختلاف المبنى في سعتها وضيقها حيث المراد منها على وجهين في الاصطلاح العام فعند مدرسة الصحابة: تطلق على كل ما نقل عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أو عن السلف الصالح من الصحابة والتابعين وغيرهم من الأئمة المقتدى بهم . وما رجحه الزركشي هو أن تطلق: عَلَى مَا صَدَرَ مِنْ الرَّسُولِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مِنْ الْأَقْوَالِ، وَالْأَفْعَالِ وَالتَّقْرِيرِ، وَالْهَمِّ، وَهَذَا الْأَخِيرُ لَمْ يَذْكُرْهُ الْأُصُولِيُّونَ، وَلَكِنْ اسْتَعْمَلَهُ الشَّافِعِيُّ فِي الِاسْتِدْلَالِ [1] وعند مدرسة أهل البيت عليهم السلام : هي السّنة الحاكية عن قول المعصوم وفعله وتقريره [2]

والسنّة: هي الأصل الثّاني التي يستعين المفسر لكتاب الله بها بعد القُرآن إذ هي المبيِّنةُ والموضِّحةُ والمفصِّلةُ لآي القُرآن الكريم وذلك بصريح قوله تعالى ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [3] فلا غنى للمفسر دون الرجوع الى هذا الأصل، ولذا نلحظ التّفاسير النّسوية، قد

---

(١) ظ: ابن قدامة/ روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه ، ٢٧٤/١. الزركشي/ البحر المحيط في أصول الفقه، ٦ /٦. المناوي/ شرح مختصر الأصول من علم الأصول/ ٧٤ .

(٢) ظ: تقرير بحث النائيني للسيد الخوئي /أجود التقريرات ، ١٢٣/٢ ، الصدر/ دروس في علم الاصول، ٦٢/١ ، الصفار/ اصول الفقه وقواعد الاستنباط ،١/ ٨٢ .

(٣) النحل :٤٤ .

أوضحت وبيّنت هذا الأصل، وتبيّنت أهميّته في التّفسير عن طريق ما قدَّمنَ، أو ما بدا واضحًا في تطبيقاتهنّ في التَّفسير.

سنعمد في البيان للسنّة بوصفها أصلًا من أصول التّفسير وفق ما استعانت به التّفاسير النّسويّة، وكشف مدى بيانها لهذا الأصل. والنّظر بما يتعلق بتطبيق أصل السّنة، ومدى استفادتها منها في بيان المعنى من الآية. ولاسيما المبهمات، كما ولا يخفى أنّ من باب الرّواية عن النبيّ والأئمة(عليهم السّلام) والصحابة والتابعين وغيرهم دخل الوضعُ وتقوّل الكثير عنهم، ممّن أراد بالإسلام سوءًا فأخذ الوضع والدّس يستشري حتى تخللت والموضوعات والاسرائيليات في بطون التّفاسير متوشحة بجلباب الرّواية وخصّ المطلب الثالث من المبحث هذا يتبيّن موقف المفسرات منها .

وكلما كانت النتاجات خاضعة الى أصول صحيحة كان النتاج قريبًا من الصواب إن لم يكن عينه. ومن تلكم الأصول النَّاجعة هي السنة.

المطلب الأول: بيان الجانب (النّظريّ):

إنّ التّفاسير النّسويّة كانت على مستوى متفاوت حيال التعامل مع أصل السّنة في التّفسير، فكان ل(بنت الشاطئ) موقف بعيد حيال تفسير القُرآن اعتمادًا على أصل السّنة فكانت بمنأى عنه، فهي تدعو الى التّجديد والخروج عن المنهج التّقليدي في تفسير القُرآن اقتفاءً بأستاذها أمين الخولي حيث تقول: وكان المنهج المتبع في درس التّفسير - إلى نحو ربع قرن من الزمان - تقليديًا أثريًا، لا يتجاوز فهم النّص القُرآني على نحو ما كان يفعل المفسّرون من قديم. حتى جاء شيخنا الإمام (الأستاذ أمين الخولي) فخرج به عن ذلك النّمط التّقليدي، وتناوله نصًا لغويًا بيانيًا على منهج أصله"[1] وهذا لا يعني انّها لم تأنس بالاحاديث مطلقًا بل استعانت بالشواهد من المرويات على سبيل الاحتجاج والتثبيت .كما سنراه في تطبيقاتها .

وموقفها أيضًا من مرويات الأسباب قال بعضهم : وهي بهذا التّعامل العقلاني لأسباب النّزول تتفادى نقل الاختلافات في الماضي والحاضر وتحاول بناء فكر جديد يتصل بالنص مباشرة ولا يغفل ما يلازمه من سبب النزول على أن يكون قرائن ممّا حول النّص، وليس هو والنّص سيّان [2]

يبقى أنّ (بنت الشاطئ) استأنست بالروايات التي تتعلق بأسباب النّزول بقدر ما وكانت دقيقة في اختيارها وتوظيفها للشواهد؛ والسبب في ذلك أنها تُعدُّ أسباب النزول قرائن تساعد على فهم النّص وبها تمتاز عن بقية المفسرات تقول: "فأسباب النزول لا تعدو أن تكون قرائن مما حول النص، وهي باعتراف الأقدمين أنفسهم لا تخلو من وهم، والاختلاف فيها قديم، وخلاصة ما انتهى إليه قولهم في أسباب النزول،

---

(١) بنت الشاطئ / التفسير البياني للقران الكريم، ١٣/١ .

(٢) ظ : باب العياط/ المنهج البياني في تفسير القرآن الكريم (بنت الشاطئ نموذجاً) ، ١٢٥ .

أنها ما نزلت إلا أيام وقوعه، وليس السبب فيها، بمعنى السببية الحكمية العلية"[١] فهي لا تعول على أصل السنة في التفسير؛ وذلك لطبيعة منهجها الأدبي البياني الذي سلكته عن استاذها الخولي. اما بخصوص الروايات في سياق اسباب النزول سنتناولها في مباحث علوم القُرآن إن شاء الله .

وهنا ينبغي الالتفات الى مسألة مهمّة وهي التّفريق بين السّنة وفهم أسباب النّزول ، والسنّة هي قول المعصوم على رأي مدرسة أهل البيت (عليهم السّلام) التي تعدّ حجّة في ما صحّ منها، ونحن مأمورون بذلك كونها مبيّنة وشارحة للقرآن الكريم، أمّا فهمنا لأسباب النّزول فهي روايات تأريخية أو قصصيّة، قد ترد عن المعصوم(وهو قليل)، أو ما ورد عن الصّحابة والتابعين(وهو كثير) ونحن لسنا ملزمين بالأخذ بها؛ خصوصًا إذا كانت اجتهادية، وبهذا قد ينطبق رأي (بنت الشاطئ) عليها، وإلا فموقفها لا يخلو من لبسٍ وخلط.

صرَّحت (زينب الغزالي) في مقدمة تفسيرها تقول::" وأخذت أراجع في السّنة ما وسعني جهدي، فهي خير مفسر لكتاب الله وكل من كتبوا في التفسير من علمائنا الأفاضل كانوا يحومون في رحابها، وينهلون من معينها، وكانت أكثر جلساتي مع كتاب الله بين صفحات ابن كثير فأخذت عليَّ لبي، وكنت أطالع مع ما سطره، وكأني انظر إليه وحبَّات النّور في جبينه، وتتفجر من ثناياه"[٢]

كما وصف الدكتور عبد الحي الفرماوي تفسيرها بقوله: "اعتماد الدّاعية على الصحيح من حديث رسول الله (صلى اللّهُ عليه وآله) فيما تستشهد به منه في معايشتها مع (كتاب الله) تعالى. واستشهادها بالحديث النبوي قد يكون في بيان معنى الآية و توضيحها أو كما قد يكون لضرب المثل بالحديث الشريف المقرِّب لمقصود الآية ومعناها، أو لزيادة الأنس والإمتاع ببيان تعانق الحديث الشريف والآية الكريمة حول المعنى المطروح في الآية القُرآنية" [٣] وعلى ما تقدّم يمكن القول : أن كلام الفرماوي وصف مرود بخصوص نقلها الصحيح من جانب أنّ معاير صحّة الحديث لم يبيّنها ولم تبينه هي كذلك ، ومن جانب آخر فالمعايير بين المسلمين متفاوتة، كما لم تتضح المعاير حتى نحكم على المفسّرة باختيارها الصّحيح من الحديث، فعندئذٍ لا يصحّ الحكم من جانب إلا إذا نظر أهل الاختصاص في مجال الحديث .

وللدكتورة (حنان اللحام) بيانٌ ورأيٌ في مدونتها التّفسيرية(من هدي سورة النساء) بيّنت التفسير بالمأثور وقسّمته: ما جاء عن النّبي (صلى اللّهُ عليه وآله) وما جاء عن الصّحابة وما جاء عن التّابعين وأوضحت أنّ أسباب ضعف التفسير بالمأثور يرجع الى[٤]:

١ - ما دسّه اعداء الإسلام في هذه الروايات .

---

(١) بنت الشاطئ/ التفسير البياني للقران الكريم ،١/ ٢٣ .

(٢) زينب الغزالي/ نظرات في كتاب الله، ١/ ١٢ .

(٣) زينب الغزالي/ نظرات في كتاب الله، ١/ ٨ .

(٤) ظ: حنان اللحام/ من هدي سورة النساء/ ١١ -١٢

٢ - ما لفَّقه أصحاب المذاهب المتطرفة ترويجًا لتطرفهم وما أدخله المتملقون لبني العباس من أخبارٍ نسبوها لابن عباس .

٣ - اختلاط الصّحيح بغير الصّحيح وفقدان الدّقة في تحري إسناد الروايات.

٤ - هذه الروايات مليئة بالخرافات والإسرائيليات.

٥ - ما نقل نقلًا صحيحًا عن الكتب السماوية السابقة أمرنا رسول اللّه(صلى اللّهُ عليه وآله) إن نتوقف فيه فلا نصدقهم ولا نكذبهم.

واما ما توافرت الأدلة على صحته وقبوله من التّفسير بالمأثور فلا يجوز إهماله، لأنّه من أقوى العوامل على الإهداء بالقُرآن .

لذا وصف جودت سعيد تفسيرها بأنّه اعتمد المأثور حيث يرى: إن الذين سيقومون بعملية تصنيف للتفاسير في المستقبل سيجدون تفسير الأخت يقع بين التّفسير بالمأثور سيدرك الناس في المستقبل ما بين الكلام (النص) وبين الواقع الذي يتحدث عنه النص وسيندهشون عندما يكتشفون العلاقة المتينة [١]

و(حنان اللحام) تدعو الى اقامة دراسات تفرز الحديث الضعيف من الآثار في السّنة، وقالت أيضًا: ضرورة التّمييز بين النصوص الواردة في القُرآن والسنة .. وما كتب حولها من شروح وأبحاث [٢]

وكذلك صرَّحت نائلة صبري في تفسيرها(المبصر لنور القُرآن) انَّ طريقها بعد القُرآن اعتمدت الاصل الثاني وهو السنة تقول: والطريقة الثانية التي سلكت فيها لفهم آيات اللّه عن طريق نصوص الأحاديث الشريفة فلا يوجد مَن هو أعرف بكتاب اللّه من رسول اللّه (صلى اللّهُ عليه وآله) والطريقة الثالثة عن طريق الصّحابة فهم أعلم النّاس بكتاب اللّه بعد رسول اللّه لأنهم عاصروه والتابعين وأقوال المفسرين واجتهاداتهم وتحريت البعد عن الإسرائيليات والخلافات المذهبية التي وردت في كتب التفسير [٣]

كما ركنت (ماجدة الفارس) في تفسيرها(التّوضيح والبيان في تفسير آي القُرآن) أيضًا إلى السّنّة بوصفها أصلًا وكانت تكثر من إيراد الرّوايات من قول النّبيّ (صلى اللّهُ عليه وآله) والصحابة والتابعين وبعض مرويات أهل البيت عليهم السلام في بيانها واعتمدت في ذلك على الصّحيحين وغيرهما ولم تهمل حكم العلماء على الحديث صحة أو حسنًا أو ضعفًا [٤] كما نلحظ لها شرحًا لمتن الحديث بعد إيراده في بيان معنى الآية وتجعل له عنوانًا (شرح الحديث) وهذا ما يلفت النّظر في تفسيرها دون المفسرات الأُخر .

تأسيسًا على ما تقدّم سنقف على موارد التّوظيف في التّفاسير النّسويّة لأصل السّنة (الرّوايّات) ومدى تطبيقه في الكشف عن المراد من النّصوص القُرآنية، فالمفسّرات بلحاظ مستوى التّطبيق والإفادة من هذا

---

(١) ظ: حنان اللحام /تأملات في سورة المائدة / ٩ .

(٢) ظ: حنان اللحام/ أضواء حول سورة الطلاق /١٣ .

(٣) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القران، ١١/١ (المقدمة).

(٤) ظ: ماجدة الفارس/ التوضيح والبيان في تفسير آي القرآن، ١/ ٣ .

الأصل متفاوتة، ف(بنت الشاطئ) كانت بمنأى عن هذا النمط والمنهج في التّفسير فهي اتخذت من دونهن أسلوبًا ومنهجًا مختلفاً عن الطريقة الكلاسيكية وعلى حد قولها(المنهج القديم) فلا تُعر للرّواية أيَّة أهميّة وهذا لا يعني أنّها بعيدة عنها بل منهجها جعلها بمعزلٍ عن ذلك . ومنهنّ من تعوّل على المرويّات أكثر ممّا تراجع القُرآن نفسه وعلى رأس هذا النّمط (زينب الغزالي) في (نظرات في كتاب اللّه) ، وأما المفسرة (حنان اللحام) فقليلة الرّواية إيرادًا في مدوناتها التّفسيرية بل وصل بها الامر في تفسير السورة كاملة لا تورد من الرّواية إلا بعدد الأصابع، ونلحظ المفسرة نائلة صبري في (المبصر لنور القُرآن) أخذت السّنة مساحة واسعة في تفسيرها فهي الأصل الثّاني في تفسيرها وأفادت منها كثيرًا، وأمّا المفسّرة ماجدة الفارس في (التّوضيح والبيان في تفسير آي القُرآن) فهي تعمد إلى تفسير الآية مباشرة الى نص الرّواية وتارة تكتفي بها وتارة أخرى تعمد الى شرح الآية والحديث معًا كما أشرنا سابقاً.

يبقى أن نذكر أنّ المفسّرات أعرضن كثيرًا عن إيراد مرويات أهل البيت عليهم السلام في تفسيراتهنّ إذا ما قارنّاها بما ورد عن الصّحابة والتّابعين وتابعي التابعين فضلًا عن آراء المفسرين متقدميهم ومتأخريهم ، وهذا الغنى قاصر في ذاته ويبقى ما جاء في تلكم التّفاسير رهن الإفتقار لأصالة المراد وحقيقته ، وهذا الاعراض لا ينبئ بشيء سوى الاعتداد بالانتماء المذهبيّ..

المطلب الثّاني: بيان الجانب (التّطبيقي):

تزخر التّفاسير النّسوية بإيراد الرّوايات عن(النبيّ (صلى اللّهُ عليه وآله) والصّحابة والتّابعين) ونزر من مرويات أئمة أهل البيت عليهم السلام وهذا ممّا يجعل التّفسير على بعدٍ من الدّلالة الصّائبة ويفقد الكثير من أهميّته البتة .

١ -نموذج (١): قال تعالى:﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ﴾ [١]

بيّنت (زينب الغزالي) هذه الآية واشارت الى معنى التقوى وعضدت تفسيرها بجملة من الروايات: قال رسول اللّه(صلى اللّهُ عليه وآله):(لا يبلغ العبد ان يكون من المتّقين حتى يدع مالا بأس به، حذرًا لما به بأس)[٢] وذكرت حديثًا آخر: سأل عمر بن الخطاب أبي بن كعب عن التقوى، فقال له أما سلكت طريقًا ذا شوك؟ قال: بلى. قال: فما عملت؟ شمَّرت واجتهدت. فقال :تلك التقوى. ثم أضافت وصفًا للتقوى لعلي بن أبي طالب بأنها :(الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والاستعداد ليوم الرحيل، والرضا بالقليل) [٣]

تحليل ومناقشة: ذيلت الحديث الاول عن رسول اللّه (صلى اللّهُ عليه وآله) وخرجته عن (ابن ماجه) وذكرت انه مروي عند الترمذي كذلك ،وقال عنه :(حسن غريب) . وفي الحديث الثاني غفلت عن مصدر

---

(١) البقرة :٢ .

(٢) ابن ماجه / سنن ابن ماجه ، حديث (٤٢١٥) ، ٢/ ١٠٩ .

(٣) ظ: زينب الغزالي/ نظرات في كتاب اللّه، ١/ ٢٠ -٢١ .

الروايات وتخريجها وحكمها من حيث القبول أو الرفض وهذا ملحظ يكشف العكس عن التزامها المنهج الذي تبعته في تخريج الاحاديث .

ان تقديم ما ذُكر فيه عن عمر بن الخطاب بسؤاله لأبي بن كعب عن التقوى لا يعطي البيان الشاف عن التقوى بل أبان وظيفة المرء اتجاه ما يجب أن يتقي منه، لا بيان معنى التقوى الذي يلزم أن يعرفه أبيّ بن كعب، فكان من الأولى تقديم بيان علي ابن أبي طالب عليه السلام للتقوى: لدقته وبيان ماهية مفهوم التقوى، وهذا لا يشك فيه ذو مسكة فبلاغته وحسن بيانه وسعة علمه نار على علم. كما نلحظ الاشكال يتكرر من عدم تخريج الحديث من مصدره وحكمه .

كما أن رواية مسالة عمر لأبي هي محض اجتهاد ورأي كونها لم تسند للرسول الاعظم (صلى اللّهُ عليه وآله) فحكمه لا يعبر عنه أنّه من المأثور لعدم اتصاله بحضرة النّبي (صلى اللّهُ عليه وآله) -مع حفظ منزلتهم وقربهم - وبالتالي فإنّ ما تبين من بيان للتقوى هو موقوفٌ على صاحبه ،لم تعلق على تلك الروايات ولم تستوضح شيئًا منها فهي تسوقها فحسب .

كما أن الروايات محذوفات السند أو على الاقل لم توضح طريق الحديث ولعل منهجها ساقها لهذا النحو وإن كانت مهتمة لغيرها من الاحاديث وأحسب ان كلامها في المقدمة يرفع الملحظ بقولها: إنّ الحديث لزيادة الأنس والإمتاع ببيان تعانق الحديث الشريف والآية الكريمة حول المعنى المطروح في الآية القُرآنية .

ومن المآخذ على تفسير (زينب الغزالي) في تطبيق أصل السنة أنّها تأتي بالأحاديث دون ذكر مصدره ولا سنده حيث تنقل بشكل يعدّ مظهرًا من مظاهر الاحاديث المرسلة ، منها ما ورد في بيان قوله تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ ﴾[1] ذكرت (زينب الغزالي) : " قال قتادة وغير واحد، قال النمرود: "وذلك أنى[2] أوتى بالرجلين، قد استحقا القتل، فآمر بقتل أحدهما فيقتل، وآمر بالعفو عن الآخر فلا يقتل، فذلك معنى الإحياء والإماتة" [3] وهنا جملة من الملاحظات على ما جاء من صورة نقل الرّواية بالأسلوب المتقدّم :

كيف ينقل قتادة عن النّمرود الذي كان على عهد ابراهيم عليه السلام وهو لم يعاصره فلو نقل عن أحد الصّحابة أو نقل عن رسول الله(صلى اللّهُ عليه وآله) لسلم الأمر، وإن صحَّ النّقل من دون سند وذلك ديدن المعاصرين في الذكر لكن حري بها أن تنقل عن تفسير أو مصدر الحديث أو تذكر ناقل الرّواية بسنده ، لكن بهذه الصّورة يبقى الاشكال على اسلوب التّعامل مع الرّواية فيه ملاحظ ويترتب أثر على ذلك منها أن الرّواية تعدُّ مرسلة إلا فلا نحكم على أصل الرّواية بالمرسلة .

---

(١) البقرة :٢٥٨ .

(٢) وذلك أنّه . ابن كثير / تفسير ابن كثير ، ١/ ٥٨٦ . هامش (٤)

(٣) ظ: زينب الغزالي/ نظرات في كتاب الله، ١/١٦١

يظهر أنّ المفسّرة في تعاملها هذا لم تتحرَّ الصّحة في نقل الحديث فيحكم عليه بالمرسل –عن طريقها - وذلك أنّ حكم الحديث المرسل[1] عند بعضهم بحكم الضّعيف ، قالوا: "اعلم أن حكم المرسل حكم الحديث الضّعيف، إلا أن يصح مخرجه بمجيئه من وجه آخر"[2] وقالوا أيضًا: "إنَّ الحديث المرسل ضعيف، لا تقوم به حجَّة. وهذا ما ذهب إليه جمهور المحدِّثين، وكثير من أهل الفقه والأصول"[3]

والجدير بالذّكر أنّ (زينب الغزالي) في الغالب كانت تستند إلى السّنّة بوصفها أصلًا من أصول التّفسير في مواطن كثيرة نحيلك إلى بعضها [4].

٢ - نموذج (٢) :قال تعالى:﴿ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٦٣ ﴾[5]

استعانت (حنان اللحام) في بعض مدوناتها التَّفسيريّة بأصل السّنة كونها أصلًا موضحًا وشارحًا للقران الكريم واستقت منه كثيرًا ذاكرةً أقوال النّبي محمّد (صلى اللّهُ عليه وآله) وأقوال الصحابة والتابعين وبعض مرويات أهل البيت (عليهم السّلام) لا على صعيد واحد فنلحظ في مدونة التعويل على السنة بمستوى عال وبعض مدوناتها يندر وجود رواية وقد لا تتجاوز عدد الاصابع . وعلى كل حال فهي لم تستغن عن هذا الاصل وهنا سنورد بعض الموارد ونلحظ تعاملها المنهجي في ذلك بيانًا لمراد النصوص القُرآنية .

ولدور تفسير اهل البيت عليهم السلام في دائرة تفسيرها لقوله تعالى: ﴿ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٦٣ ﴾ أشارت الى هذا النص الذي يفهم منه ثلاثة أمور : الاهتمام والذاكرة والتقوى ، ثم ترى ان الآية يلزم أن تذكر عند ظرفها المناسب ليعيشها الانسان وذكرت ان والد محمد إقبال اللاهوري يوصي ولده : يا بنيّ اقرأ القُرآن وكأنه يتنزل عليك) وتذكر ما فعله أبو بكر عندما مات النبي محمد(صلى اللّهُ عليه وآله) قرأ قوله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞۚ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ ﴾[6] تقول: وهذا ما فعله خادم جعفر الصادق حين أوقع الاناء فتلطخ جعفر وغضب، فقال له الخادم﴿ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ ﴾[7]فقال جعفر: كظمت غيضي، فقال: ﴿ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ﴾ فقال:

---

(١) المرسل : "إنّ مشايخ الحديث لم يختلفوا في أنَّ الحديث المرسل، هو الذي يرويه المحدث بأسانيد متصلة إلى التابعي، فيقول التابعي، "قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم. وهكذا عبر ابن الصلاح تبعاً للحاكم. ظ: حسن مظفر رزق /القول الفصل في العمل بالحديث المرسل/ ٢٣ .

(٢) ابن الصّلاح/ معرفة أنواع علوم الحديث، ٥٣ .

(٣) ظ: الفحل/ محاضرات في علوم الحديث، ٢٢ .

(٤) ظ: زينب الغزالي/ نظرات في كتاب الله ، ١/ ٤٣ ، ١/ ٤٤ -٤٥، ١/ ٦٨، ١/٢٣٠ ، ١/ ٤٥٤، ٢/ ٥٢، ٢/١٥٤..

(٥) البقرة :٦٣ .

(٦) آل عمران :١٤٤ .

(٧) آل عمران :١٣٤ .

عفوت عنك، فقال: ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾فقال: أنت حر لوجه الله . ثم قالت: ولن تتذوق حلاوة القُرآن وتتفاعل معه إلا حين تذكر الآية في ظرفها المناسب في حياتنا اليومية [١]

نلحظ المفسّرةَ في بيان هذه الآية لم تخرّج الرّواية وتركت الحكم عليها، وعلى حدّ اطلاعي لم أظفر بهذه الرواية عن الإمام جعفر بن محمد الصّادق(عليه السلام) ،وإنّما رويت بمعناها عن الامام الحسن بن علي (عليه السلام)[٢] ، كما انها تدعو الى تنزيل الآية بواقعها ومناسبتها وهذا يتيح لك التذوق القُرآني ومعايشته، وعلى أساس التدبر والتفكر في النص القُرآني استخلصت منه(الاهتمام والتذكر والتقوى)وسيق في كلامها وصية والد محمد إقبال، وتذكر عمر الآية عند وفاة النّبيّ (صلى اللّهُ عليه وآله) وفضيلة الإحسان وحسن الخلق عند الامام جعفر بن محمّد الصادق(عليه السلام) .

وهناك ملاحظتان على تفسيرها لهذا النّص:

الاولى : أنّ الرجوع الى الروايات كان على سبيل التأييد والتأكيد لا على سبيل البيان المباشر كما اسبقت الشاهدين بوصية والد محمد إقبال .ويتضح الدور المهمش للرواية في تفسيرها .

والأخرى : إنّ الشاهدين جيء بهما من دون تصدير يذكر للمصادر التي أخذت منها . وهذا يميل عن سبيل المنهجية العلمية والدقة في النقل .

وعمومًا نلحظ في مدونات (حنان اللحام) أنّها تكشف عن تعاملها مع السّنة بوصفها أصلًا تفسيريًّا بتفاوتٍ ملحوظ إذا ما قارنّا بين مدوناتها، وليس كما وصفه جودت سعيد الذي تقدّم وصفه لها، وهذا التّوصيف حكمه نسبي فإذا ما طالعنا مدوناتها التّفسيرية نلحظ التّفاوت الكبير باعتمادها أصل السّنة مثلًا نلحظ في تفسيرها لسورة طه أنّها قد ركنت للرواية في أربعة مواضع وتكتفي بذكر اسم الكتاب تقول(أخرجه البخاري ومسلم ،رواه الترمذي ، رواه مسلم، رواه البخاري) [٣] وركونها إلى هذا الاصل في مواطن عدة منها [٤]

٣ - نموذج (٣) : قال تعالى:﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[٥]

---

(١) ظ: حنان اللحام/ من هدي سورة البقرة،١٧٨/٦ -١٧٩ .

(٢) النسفي/ كتاب التّيسير في التفسير، ٢٦٠/٤ . القابوني/ بشارة المحبوب بتكفير الذنوب/٧٤.

(٣) ظ: حنان اللحام/ أضواء وتأملات في سورة طه، ٣٥ ، ٣٦، ٨٠، ٨٧ .

(٤) ظ: حنان اللحام/من هدي سورة البقرة/٥٦، ٧٠، ١٣٥ ، ١٤٠,١٦٦، ٢٤٢،من هدي سورة آل عمران/ ٩، ٢٥، ٣٤، ٤٩، ٥١، ٦٥، ٧٢، ١١٥، ١٣٤، ٢٠٥ ، ٢٢٢، تأمّلات في سورة المائدة/٢٨، ٣٦ ، ٧٩، ١٠٣، من هدي سورة النّساء/ ٢٢٩، ٢٨٧، ٢٤٧، ٤٣٨ . من هدي سورة لقمان/٨٢، ٩٧ ،١٢٤، ١٤٣، ١٥٠ .

(٥) البقرة :٤٤ .

ذكرت نائلة صبري في بيان هذه الآية بعد أن بيّنت معاني المفردات وذكرت بعض الروايات وقالت: وفي رواية أخرى :(يجاء بالعالم السوء يوم القيامة فيقذف في جهنم ...)[1][2] نلحظ عليها انّها تأتي بالحديث في بيان وشرح الآية دون ان تذكر مصدره فلا سبيل للقارئ لمعرفة مصدر الحديث .

ولا ينكر ما لنائلة صبري من اهتمام بالغ في اعتمادها أصل السنة كونها شارحة ومبيّنة للقران الكريم كما أقرته في مقدمة تفسيرها والشواهد كثيرة تكاد تدرج تحت تفسير الآية الواحدة جملة من الرّوايات تصل الى الخمس والسبع ،إلا أنّها في بعض الاحيان تدرج من الصحيح وغيره وقد تقدّم لها جملة من الباحثين بملاحظات في تعاملها مع هذا الاصل :

قال بعضهم : انه المفسرة في تفسير القُرآن بالسنة يتنوع بحيث هي تفسر القُرآن بالآثار الثابتة وغير الثابتة وهذا الشيء يجعلها بعيدًا عن الأصل في إيراد السنة عند توضيح القُرآن ألا وهو الصحة ،ومثاله إيرادها الرواية الضعيفة في الآية﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ﴾[3] ففي تفسير الآية كما ذكرت الأحاديث الصحيحة ذكرت أثناءها رواية يعدُّها العلماء ضعيفة وهي بأن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: "إياكم وإبكاء اليتيم فإنه يسري في الليل والناس نيام" [4] فقد ورد ان هذا الحديث على ذكره الألباني: ضعيف جدًا أخرجه الأصبهاني في (الترغيب والترهيب) (٢/ ١٠١٨/ ٢٥٠٣) من طريق موسى بن يحيى بن أبي عيسى: حدثنا عمرو بن الحصين: أخبرنا علي ابن الحسين: أخبرنا الأوزاعي عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) مرفوعًا. قلت: وهذا إسناد ضعيف جدًا؛ عمرو بن الحصين واه جدًا متروك [5]

كما أنها تميزت بكثرة استشهادها بالسنة النبوية، فهي المبينة، المفصلة لما فيه من إجمال، إلا أنّ ما يؤخذ على المفسرة هنا جمعها للأحاديث دون تحرّ، فكانت تأتي بالمقبول وغير المقبول[6]

ولا ننسى أن نشير إلى مكانة السنّة بوصفها أصل من أصول التّفسير فقد حظي هذا الأصل بمساحة واسعة في مدونة (نائلة صبري) حيث أفادت منها في كشف المراد والملفت أنّها تكثر من إيراد الرّوايات

---

(١) السيوطي/ الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ١/ ١٥٨ .

(٢) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القران،١/ ١٢٧/١ .

(٣) البقرة :٢٢٠ .

(٤) ظ: عفت بتول ، سعدية جل / أصول التفسير بين (نظرات في كتاب الله والمبصر لنور القران) دراسة مقارنة في ضوء سورة الفاتحة والبقرة وال عمران /٢٨٤ .

(٥) ظ: الألباني/ سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، الحديث (٣٢٨٤) ،٧ /٢٨٤ .

(٦) ظ: خديجة محمد المحمود/ ابرز جهود النساء في تفسير القران الكريم / ٩٤.

ذات المعنى الواحد في شرحها للآية في مواطن كثيرة[1] ولا مبالغة إن قلنا: تفسير (المبصر لنور القُرآن) يتصدر التّفاسير النّسويّة باعتمادها أصل السنّة في البيان والعرض فلا تكاد تخلو صفحة من تفسيرها من حديث أو رواية، كما وأنّ تفسيرها التّسلسلي لجميع القُرآن كان له أثر في ظهور هذا الكم الهائل من الرّوايات .

٤ - نموذج (٤) :قال تعالى :﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۖ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ ﴾[2]

فسرت ماجدة الفارس تحت عنوان (رؤية المؤمنين لربهم في الجنة) وقوله تعالى:﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ﴿٢٣﴾ ﴾[3]اعتمادًا على أصل السّنة (قول الرسول والصحابة والتابعين)حسب المبنى الذي تتبناه في أخذ الاحاديث من الصحيحين وانها لم تهمل حكم العلماء على الحديث صحة وحسنًا وضعفًا [4] تنقل : قال عكرمة ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ﴾ من النعيم﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ﴾ قال: تنظر إلى ربها نظرًا. في البخاري[5] ومسلم[6]: حديث أبي هريرة أن ناسًا قالوا: يا رسول الله. هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله(صلى اللهُ عليه وآله) :هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟ قالوا: لا يا رسول الله. قال: هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا يا رسول الله. قال فإنكم ترونه كذلك..[7]هذا البيان باعتماد أصل السنة واعتماد رواية عكرمة وابي هريرة في البخاري ومسلم فيه جملة من المؤاخذات سنسوقها بأمور :

لم تبيّن المفسرة طريق الحديث ومصدره[8] واكتفت بقول (قال عكرمة)[9] -وهو كثير الوضع عن ابن عبّاس - ، فلم يتبيّن ان هذا التفسير كلام يرجع له (من إجتهاده) او نقلًا عن صحابي أو عن النّبي

---

(١) ظ: نائلة صبري/ التوضيح والبيان في تفسير آي القرآن، ١/ ١/ ٤٢ ، ١/ ١/ ١٧٢ ، ١/ ٢/ ٥، ١/ ٢/ ١١ ،١/٢/ ٢٤٢، ٣/٢/ ٥١، ٢/ ٣/ ١٥٣، ٤/٢/ ١٦٣ ، ٤/ ٨/ ٦٩ ، ٩/٤/ ٨٥ ، ٥/ ١٢/ ٣٧ ، ٥/ ١٣ /٧٣، ٩/ ٢٣/ ٢١٢، ٩/ ٢٤/ ٤١، ١٠/ ٢٦/ ٨٦ ، ١٠/ ٢٧/ ٢٤٥، ١٠ / ٢٨/ ٢١٣، ١٠/ ٢٨/ ٢٨٨.

(٢) الأعراف :١٤٣ .

(٣) القيامة :٢٢ -٢٣ .

(٤) ظ: ماجدة الفارس/ التوضيح والبيان في تفسير آي القرآن، ٣/١ .

(٥) ظ: البخاري/ صحيح البخاري، حديث(٤٣٠٥) ، ٤/ ٥٧١ .

(٦) ظ: مسلم/ صحيح مسلم ، حديث(١٨٢) ، ١/ ١٦٧ .

(٧) ظ: المصدر نفسه، ١٠٠/١ .

(٨) ظ: البخاري/ صحيح البخاري، ١/ ١٩٥ ، مسلم / صحيح مسلم، ١١٢/١ .

(٩) عكرمة بو عبد اللَّه القُرشي، البربريّ الأصل ، كان لحُصين بن أبي الحر العنبري فوهبه لابن عباس . روى عن : ابن عباس ، وأبي هريرة ، وأبي سعيد الخُدري ، وأبي قتادة وغيرهم : "كان يكذب على ابن عباس ، فقد روي عن سعيد بن

(صلى اللّهُ عليه وآله) ، ولا تبيّن المصدر المنقول منه ولم تحكم على الحديث إن كان صحيحًا او حسنًا أو ضعيفًا، وهي بذلك جانبت الصواب باعتمادها اصل السنة ومنهجها الذي أقرته على نفسها كما أشرنا له سابقًا .

اطلاق التفسير والبيان لهذه ا لآيات على ما هو عليه يدعو للنظر، لوقوع اللبس فيه، وهو ان الله تعالى يُرى يوم القيامة وهي فكرة تصور لنا التجسيم والمادية للذات المقدسة . فضلًا عن كونه مبحثًا عقائديًا طال الكلام فيه وكثر الخلاف بين العلماء والمفسرين عليه .

ينبغي التفريق بين الرؤية القلبية والرؤية الحسية(البصرية الطبيعية المتعلقة بقدر من الشكل واللون ..) والاخيرة مستحيلة التعلق بالله سبحانه في الدنيا والاخرة [1]

إنّ المعنى ينصدم مع كثير من النصوص القُرآنية المحكمة كقوله تعالى:﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ﴾[2]وقوله تعالى:﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي ﴾ " التعليم القُرآني يعطي إعطاء ضروريًا أن الله تعالى لا يماثله شيء بوجه من الوجوه البتة فليس بجسم ولا جسماني ، ولا يحيط به مكان ولا زمان ، ولا تحويه جهة ولا توجد صورة مماثلة أو مشابهه له بوجه من الوجوه في الخارج ولا في الذهن البتة . أن موسى ذاك النبي العظيم ممن يليق بمقامه الرفيع وموقفه الخطير أن يجهل ذلك، ولا أن يمني نفسه بأن الله سبحانه أن يقوي بصر الانسان على أن يراه ويشاهده سبحانه منزها عن وصمة الحركة والزمان، والجهة والمكان، وألوان المادة الجسمية وأعراضها، فهذا الابصار الذي عندنا وهو خاصة مادية من المستحيل أن يتعلق بما لا أثر عنده من المادة الجسمية وخواصها فإن كان موسى يسأل الرؤية فإنما سأل غير هذه الرؤية البصرية[3]

القول بالرؤية مسألة اجتهادية وكل متمسك بدليله قرآنيًا كان أو غيره فله بحث خاص في كتب التفسير والكلام، لكن بخصوص الروايات الواردة هي القائلة بالرؤية عقيدة موروثة من اليهود

المسيب أنّه كان يقول لغلام له : يا بُرْد لا تكذب عليّ كما يكذب عكرمة على ابن عباس . وفي رواية عن الصلت بن دينار ، قال : سألت ابن سيرين عن عكرمة فقال : ما يسوؤني أن يكون من أهل الجنّة ، ولكنّه كذّاب . وقال عبد اللّه بن الحارث : دخلت على عليّ بن عبد اللّه بن عباس وعكرمة موثق على باب كنيف ، فقلت : أتفعلون هذا لمولاكم ؟ فقال : إنّ هذا يكذب على أبي" اللجنة العلمية في مؤسسة الإمام الصادق (ع) بإشراف وتحقيق: الشيخ جعفر السبحاني / موسوعة طبقات الفقهاء م ٤٦٦ .

(١) ظ: الطباطبائي/ الميزان في تفسير القرآن، ٢٦٢/٨ .

(٢) الأنعام :١٠٣ .

(٣) ظ: الطباطبائي/ الميزان في تفسير القرآن، ٨/ ٢٤٢ -٢٤٣ .

والنصارى، أعداء الدين، وقد دسوا هذه الروايات بين أحاديث المسلمين، فلم تزل مسلمة اليهود والنصارى يتحينون الفرص لتفريق كلمة المسلمين وتشويه تعاليم هذا الدين[1]

كما يلحظ عقب موضوع رؤية المؤمنين في الجنة موضوع الاسراء والمعراج وتشير بنفي الرؤية عند النّبيّ (صلى اللّهُ عليه وآله) وتسوق جملة من الروايات عن عائشة مفادها من قال بالرؤية كذب وذكرت به قال جمهور المحدثين والفقهاء، وذكرت رواية فيها كلام النبي محمد(صلى اللّهُ عليه وآله) لابي ذر ينفي الرؤية وقالت : هذا صريح في نفي الرؤية[2]

وهناك تعليق لأحد الباحثين على رواية ابي هريرة في سياق الموضوع يقول: إنّ في هذا الحديث ما يقوض أساس التوحيد والمعاد الصحيح النابع من منظار الإسلام الحقيقي والسبب في ظهور وانتشار هكذا أحاديث لأنهم اعتادوا الدين الخليفي الذي ابتدعه معاوية، وفهموا الدين من خلال كتب تتضمن أحاديث دست فيها أحاديث على الرسول (صلى اللّهُ عليه وآله) [3]

كان لأصل السّنة حضورٌ واسعٌ في مدونة المفسرة ماجدة الفارس فلا تكاد تخلو صفحة من تفسيرها دون ذكر رواية جيءَ بها لغرض البيان أو لتأكيد معنى أو قد تشرح بعضها تحت عنوان (شرح الحديث) . وذلك في مواطن كثيرة [4]

المطلب الثالث: موقف التّفاسير النّسوية من الإسرائيليات :

قبل الولوج في بيان موقف التّفاسير النّسويّة من الرّوايات الإسرائيلية وكيف تعاملت معها ينبغي الوقوف على مفهوم (الإسرائيليات) بصورة مقتضبة موجزة :

لفظ(اسرائيل) مكوّن من مقطعين (اسرا) تعني: عبد،و(ئيل) تعني:(اللّه)، والاسرائيليات جمع (اسرائيلية) هي قصة أو اسطورة من مصدر إسرائيلي، وهي كلمة عبرية تعني(القدرة والغلبة) وهي من ألقاب يعقوب النّبيّ، واليه تنتسب اليهودية نسبًا أو ايمانًا، وفي اصطلاح المفسرين والمحدثين : تدلّ بظاهرها على القصص الذي يروى اصلًا من مصادر يهودية، يستعمله علماء التفسير والحديث، وتوسّع بعضهم الى أنّها: ما دسّه أعداء الإسلام من اليهود وغيرهم على التفسير والحديث، من أخبار لا أصل لها

---

(١) ظ: السبحاني / البدعة ، مفهومها ، حدها وآثارها / ٣٩٠ .

(٢) ظ: ماجدة الفارس/التوضيح والبيان في تفسير آي القرآن، ١/ ١٠٠ -١٠١ و ظ: مصادرها ، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق مجموعة من العلماء (ولم تذكر رقم الصفحة) وهو ،١٩٧ .

(٣) ظ: النّجمي/ أضواء على الصحيحين، ١٩

(٤) ظ: ماجدة الفارس/ التوضيح والبيان في تفسير آي القرآن، ١/ ٢٩ ، ١/ ٨٥ ، ١/ ١٧٢، ١/ ٣٥٨ ، ٢/ ١١٠ ، ٢/ ١٣٩ ، ٢/ ٢٦٧، ٢/ ٤٧٥، ٥/ ٦٠ ، ٥/ ١٢٨ ، ٥/ ٢٦٠ ، ٥/ ٤٠٦ ، ٦/ ٢٢٥ ، ٦/ ٣٦٥ ، ٦/ ٤٦٠، ٨/ ٦٤، ٨/ ١٠٥ ، ٨/ ١٤٥ ، ٨/ ٢٧٥.

حتى في مصدر قديم، وإنّما هي من صنع أعداء الإسلام جيء بها بخبث نية ليفسدوا بها عقائد المسلمين [١]

دعوى يرفدها الإثبات: سبق أن تبيّن اعتماد أغلب التّفاسير النّسويّة بجملتها على السّنة كأصل في التّفسير فلا تخلو هذه المدونات من حشوها بالرّوايات الموضوعة والإسرائيلية فإن لم تكن قد نقلت عنها بالمباشر فإنّ نقلها عن التّفاسير المحشوّة التي كانت من مصادرها لا يجعلها بمنأى عن طريقها. وعلى الرغم من أنّ التّفاسير النّسوية كانت على نباهةٍ من هذه المشكلة وقد نوهت المفسّرات في مقدماتهنّ إلا أن القدم قد تزل .

هذا وقد نفذت الاسرائيليات في كتب التفسير وانتشرت، يقول الذهبي: "أدخل بعض المفسرين في تفسير القُرآن الكريم كثيرًا من القصص الاسرائيلية الذي لا يقبل عقلًا ولا يصح نقلًا، كذبًا واختلافًا إلى بعض الصحابة بل رفعوه إلى رسول الله (صلى اللهُ عليه وآله)" [٢] وهذا لا يجعل التّفسير بمعزل عن الرّوايات وأسباب النّزول وإنّما يدعو الى الاحتياط وقصد التّحري والتّقصي عنها والتّمييز بين الصّحيح والسّقيم . وكذلك ما ورد عن أهل البيت عليهم السلام لم يكن سليمًا كلّ السّلامة فقد تقوّلوا عليهم ونسبوا إليهم ما لم يكن لهم .

ولعلّ من التفاسير النّسوية التي خلت من ايراد الاسرائيليات هو التّفسير البيانيّ للقران الكريم ل(بنت الشاطئ) لأسباب منها: المنهج القائم على التّفسير البيانيّ فهو بعيد كل البعد عن دائرة الرّواية وإن ناقشت جملة من آراء المفسرين الذين اعتمدوا المأثور، هذا من جانب ومن جانب آخر أنّ التّفسير على صغره قد ضيّق دائرة الرّجوع الى المأثور من الرواية .كما ان اختيارها لقصار السور جعلها بمنأى عن السّور ذات الطابع القصصيّ التي كثر في تفسيرها الدّس والزّج من قبل أهل التضليل .

كما لا يخفى ان المفسّرة كانت على وعي تام لما تقوم به ورأيها اتجاه الروايات الاسرائيلية فهي تقول :"كما ننتفع بجهود المفسّرين حين نعرض أقوالهم على القُرآن الكريم، فنقبل منها ما يحتمله نصًا وسياقًا. ثم يكون إيرادنا للأقوال الأخرى التي لا يقبلها النّص، لفتًا إلى وجه الشطط فيها أو التكلف والإعتساف، وتنبيهًا إلى ما ينبغي من حذر وحرص، لاتقاء التورط في مقحم التأويلات المذهبية والمدسوسات الإسرائيلية" [٣]

ففي معرض بيانها لتفسير قوله تعالى:﴿ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ﴾ [٤] بعد أن قدمت آراء العلماء حول المراد من(الأوتاد) قالت: "أن كل هذه التأويلات تحمل القُرآن الكريم ما ليس من بيانه وطبيعته، وقد بدا منه

---

(١) ظ: معرفة/ التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب،٢/ ٥٩٥ .

(٢) الذهبي/ الاسرائيليات في التفسير والحديث/ ٦ .

(٣) بنت الشاطئ/ التفسير البياني للقران الكريم ،٢/ ٩ .

(٤) الفجر:١٠ .

العمد الواضح إلى طي هذه التفصيلات الجزئية، اكتفاء بما يلفت إلى موضع العبرة لذي حجر، في مصير هؤلاء الطغاة. وأكثر ما قالوه في الأطوال والأحجام والأسماء والأرقام ومواد البناء، من الإسرائيليات المقحمة على كتاب الإسلام نصًا وسياقًا. ولكي نتقي التورط فيها، نحتكم إليه في كل هذه الأقوال التي أكثروا منها واختلفوا فيها، فإذا أردنا مزيد بيان لآيات الفجر، فإنما نلتمسه من القُرآن الكريم"[١]

وفي موطن آخر من تفسيرها لسورة الفجر ذكرت تعليقة تحت قوله تعالى:﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾[٢]: فمن أين جاءت كل تلك التّفصيلات والحكايات التي حشيت بها كتب التفسير، ولا علم للرسول (صلى اللّهُ عليه وآله) وقومه إلا بما نزل به القُرآن، إلا أن تكون من الإسرائيليات التي أقحمها نفر من اليهود، على فهمنا لكتاب ديننا، وأضافوا إلى ما جاء في التوراة منها، مرويات أسطورية لا يقبلها عقل ولا يعرفها تاريخ؟[٣]

وفي خضم تفسيرها لسورة الهمزة وبيان (ويلٌ) واستقراءها له في القُرآن بيّنت: والنذير في كل آياتها من اللّه سبحانه، بويل، للكافرين، والمشركين، والمكذبين، والظالمين، والمطففين، والمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون،... وكل أفاك أثيم، وكل همزة لمزة. والوعيد فيها بويل: من مشهد يوم عظيم، ومن النار، وعذاب أليم، ومن يوم الدين، ويومهم الذي يوعدون، والنبذ في الحطمة.

وفي هذا الاستقراء ما يكفي إدراكًا لما للفظ ويلٍ من رهبة، وما يثير من خوف ورعب، دون أن نحتاج فيه إلى تأويلٍ بوادٍ في جهنم يسيل قيحًا، أحسبه من الإسرائيليات التي أدخل فيها اليهود عناصر من وصفهم لجهنم[٤]

وهناك من آخذ على (بنت الشاطئ) في إيرادها رواية وصفتها بـ(الاسرائيلية) ولم تعلق عليها، ذلك في بيانها سورة (ن) عند قولها : "وقيل هي من حساب الجمل. وهذا من إسرائيليات (يحيى بن أخطب اليهودي)"[٥] ثم ذكرت الرواية ولم تعلق عليها ، وانها جاءت بها على وجه الإستئناس [٦]أحسبُ ان الباحث غير محق في ذلك، ف(بنت الشاطئ) ذكرت أنها اسرائيلية وعلّقت عليها، وهذه الرواية نقلتها عن كتاب(السّيرة النبوية) لابن هشام (ج٢/ ص١٩٤)

بالنظر الى تفسير (نظرات في كتاب اللّه) لزينب (زينب الغزالي) نلحظ أنّها اعتمدت فيه على تفسير ابن كثير اعتمادًا كبيرًا بدليل انّها ذكرت في مقدمة تفسيرها: وعلى الحافظ ابن كثير وكان لي معه

---

(١) بنت الشاطئ/ التفسير البياني للقران الكريم،١٤٢/٢ .

(٢) هود :٤٩ .

(٣) ظ: بنت الشاطئ/ التفسير البياني للقران الكريم، ١٤٦/٢ .

(٤) ظ: المصدر نفسه،١٦٨/٢ .

(٥) ظ: بنت الشاطئ/ التفسير البياني للقران الكريم، ٤١/٢ .

(٦) ظ: نور الدين/ المنهج البياني في تفسير القران – بنت الشاطئ نموذجاً/ ١٣٣ .

أشواق وأشواق.. وكانت أكثر جلساتي مع كتاب الله بين صفحات ابن كثير[١] والمعروف عنه من التفاسير التي اعتمدت المأثور فلم يفلح من الخلاص من ايراده الاسرائيليات وان كان يشير الى بعضها معترضًا لكن في بعض الأحيان فاته منها .

يقول الدكتور عبد الله شحاته : نمت الاسرائيليات واتسعت في كتب التفسير وخاصة المطولة التي اعتمدت المأثور مثل كتب الطبري والبغوي والخازن وابن كثير والقرطبي وغيرهم ، رغم تحذير بعضهم من هذه الاسرائيليات ونقدهم لبعضهم في كتبهم، نراهم عند تطبيقهم قد حشدوا كثيرًا من هذه الروايات الاسرائيلية [٢] لكن المفسرة كانت على نباهة وحرص فيما تورد من الاحاديث إما ان تورد أو تترك السرد الروائي .

إنّها استفادت من طريقته - أي ابن كثير - في التّعامل مع مثل هذه الرّوايات، وذلك عند إعراضها تلك الرّوايات الي ينقلها المفسّر ونقل التّعقيب عليها حيث انّها لم تتناولها بالذكر، ولم تفعل كما فعل المفسرون من قبلها فهم ينقلون عن سابقيهم كل صغيرة وكبيرة [٣]

ففي قوله تعالى:﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [٤] تقول : ونادى الله آدم وزوجه ليسكنا الجنة، وحذرهما من الاكل من شجرة معينة في الجنة، ولهما بعد ذلك أن يأكلا من حيث شاءا ..وهنا ظل إبليس يوسوس لآدم وزوجه بالأكل من الشجرة، موحيًا لهما أنّها من شجرة الخلد والملك الذي لا يزول، حتى وقع آدم فأكل من الشجرة، وحين ذلك تحسس نفسه .. [٥] عقّبوا على تفسيرها في هذا المورد: لم تذكر الرّوايات الكثيرة التي ذكرها ابن ابن كثير في تفسيره بل اكتفت بنقل القول الرّاجح منها [٦]

كما أنّ (زينب الغزالي) تحيل الى كتب التّفسير للإطلاع على رواياتها فلم تقحم نفسها في معترك الاختلاف والتضارب في مداليل الرّوايات ففي تفسيرها قوله تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [٧] بعد أن بينت المعنى من هذا النّص

---

(١) ظ: زينب الغزالي/ نظرات في كتاب الله ، ١/ ١٢ .

(٢) ظ:عبد الله شحاته/ القران والتفسير/ ٢٥٠ .

(٣) ظ: عفت بتول ، سعدية جل/ أصول التّفسير بين النظرات والمبصر /٢٩٠ .

(٤) البقرة :٣٥ .

(٥) ظ: زينب الغزالي/نظرات في كتاب الله: ١/ ٣٦ .

(٦) ظ: عفت بتول ، سعدية جل/ أصول التفسير بين النظرات والمبصر /٢٩٠ .

(٧) البقرة :٦٧ .

القُرآني بتيسير واختصار إلى أن قالت: "وروى في قصص هذه البقرة روايات يرجع إليها من شاء في مضانها من كتب التّفسير"[١]

أمّا موقف (حنان اللحام) في مدوناتها التّفسيرية من الاسرائيليات كان واضحًا فهي لا تعير لها أيّة أهمية فعند عرضها القصص لا تكتفي بعرضها وإنّما تستخلص منها العبرة والقوانين النهضوية وسنن الآفاقية والأنفسية .

تذكر خديجة المحمود: واصفة موقف المفسرة (حنان لحام) من الروايات الإسرائيلية بقولها:" من الطبيعي ان تعرض عن الخرافات والاسرائيليات فهي لا تبحث عن القصص لمجرد ذكرها و لكنها تحاول دائمًا استنباط العبر، واستخلاص قوانين النهضة، والبحث في سنن الأنفس والافاق، لذلك تراها معرضة تمامًا عن ذكر كلّ ما يصنف تحت بند الخرافة او اللامنطقية ، وكذلك بالنّسبة للمبهمات فإنها تعرض عن الخوض فيها؛ لأنها ترى لا فائدة من ذكرها [٢]

وفي موطن آخر ذكرت عنها في صدد تأثرها بمدرسة محمد عبده ومحمد رضا رشيد : ومما لاشك فيه أنّ هناك أمورًا كثيرة تلتقي فيها المفسرة (حنان اللحام) مع هذه المدرسة، فمحاربتها الاسرائيليات والتركيز على صلة المسلمين بكتابهم ، وعدم الخوض في مصطلحات العلوم وغيرها من الامور و كل أولئك وغيرها مما تشترك فيه المفسر مع هذه المدرسة [٣]

وفي دائرة القصص القُرآني في معرض تفسيرها لآيات ابني آدم قالت: "أمّا قصة الغراب .. فلا نخوض في الروايات حولها لأنّه لا توجد رواية صحيحة في ذلك "[٤]

أمَّا نائلة هاشم نائلة صبري: وحشو تفسيرها من الإسرائيليات وتعيين المبهمات مما لا فائدة من ذكره مع أنها ذكرت في مقدمة تفسيرها أنها تحرت البعد عن الإسرائيليات وقد وقعت فيه والسبب في ذلك عدم التدقيق في النقل عن التفاسير والحديث .

قال بعضهم: المفسرة أشارت في مقدمتها إلّا أنها وقعت في الخطأ حيث ذكرت كثير من الإسرائيليات عند توضيح الآية، وفعلًا اتبعت جماعة من المفسرين الذين تنبهوا إلى خطر الإسرائيليات ومع ذلك لم يمنعوا أنفسهم من ذكرها في تفاسيرهم [٥]

ومع ايرادهم الروايات الاسرائيلية المسكوت عنها والتي يمكن غض النظر عنها لكنها جاءت بالمخالفة للقران بلا تعليق ولا توضيح ففي تفسير قوله تعالى:﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾

---

(١) ظ: زينب الغزالي/ نظرات في كتاب الله: ١/ ٤٨ - ٥٠ .

(٢) ظ:خديجة المحمود/ إبراز جهود النساء في تفسير القران الكريم منذ القرن الرابع عشر الهجري/ ١٤٠ .

(٣) ظ: خديجة المحمود/ إبراز جهود النساء في تفسير القران الكريم منذ القرن الرابع عشر الهجري / ١٤٨ .

(٤) حنان اللحام / تأمّلات في سورة المائدة/ ٦٠.

(٥) ظ: عفت بتول ، سعدية جل/ اصول التفسير بين النظرات والمبصر /٢٩٠

[1]فخلاصة كلامها حول هذه الآية : تذكر بأن حواء اوقعها الشيطان في الخطأ فغرر بهما فاستجابت نفس حواء وأكلت من الشجرة ثم ذهبت إلى أدم وشجعته بأن يأكل الثمر فأكلا منها ثم ذكرت في ذلك الرواية عن ابن عباس : بأنه آدم لما أكل من الشجرة التي نهى عنها قال الله عزّ وجل : يا آدم ما حملك على ما صنعت قال : يا ربي زينته لي حواء قال : إني اعقبها الا تحمل إلا كرهًا ولا تضع الا كرهًا فمدتها في الشهر مرة فرنت (فرنت: بكت) حواء عند ذلك، فقيل لها : عليك الرنة وعلى بناتك" نقلت ذلك عن السراج المنير (٥١/١) [٢]

لم تلتفت المفسرة إلى هذه الرواية عند إيرادها في تفسيرها وفيها جملة من الملاحظات سندًا ومتنًا فهذه الرواية فيها كلام :

١ - إنّ هذه الرواية ذكرها عدد من المفسرين منهم الطبري في تفسيره، والسيوطي في الدر المنثور، وجاءت هذه الرواية بطرق متعددة مرجعها (وهب ابن منبه) الذي كان كثير النقل عن أهل الكتاب[٣] فقد قال عنه: قد أكثر من سرد الاسرائيليات، ونسب إليه قصص كثيرة، كانت منارًا للنيل منه والطعن عليه، حتى رُمي بالكذب والتدليس وإفسادًا في عقول المسلمين[٤] هذا من حيث السند الرواية .

٢ - ومن جانب المتن فإن الرواية معناها مخالف لصريح القُرآن الكريم فمعنى الرواية: أنّ حواء هي من قامت بالوسوسة لآدم وشجعته على الاكل من الشجرة التي قد نهى الله تعالى عن الاقتراب منها. في حين ان القُرآن يقول الشيطان هو من وسوس لهما معًا وازلهما .

امّا ماجدة الفارس في تفسيرها (التوضيح والبيان في تفسير آي القُرآن) قد أوردت رواية في بحثها حول إثبات السحر في تفسيرها لقوله تعالى:﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ﴾ [٥] محاولة إثباته عن طريق السنة استشهدت بقصة أوردتها من الصحيحين (البخاري ومسلم) عن عائشة بنت أبي بكر:

خلاصة القصة هي : أن الساحر اليهودي لبيد بن الأعصم من بني زريق سحر النبي (صلى الله عليه وآله) حتى كان الرسول (صلى الله عليه وآله) يتخيل أنه يعمل عملًا ما، بينما هو لا يعمله، عن عائشة قالت : سحر النبي (صلى الله عليه وآله) حتى أنه يخيل إليه أنه يفعل الشيء وما فعله ،حتى إذا كان ذات يوم وهو عندي ، دعا الله ودعاه ثم قال (صلى الله عليه وآله): أشعرت يا عائشة إن الله قد أفتاني فيما

---

(١) البقرة :٣٦ .

(٢) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القران:١ / ١١٦/١ .

(٣) ظ: عفت بتول ، سعدية جل/ اصول التفسير بين النظرات والمبصر /٢٩٠.

(٤) ظ: عفت بتول ، سعدية جل/ اصول التفسير بين النظرات والمبصر /٢٩٠.

(٥) البقرة :١٠٢.

استفتيته فيه . قلت : وما ذاك يا رسول الله (صلى الله عليه وآله) ؟ قال (صلى الله عليه وآله) : جاءني رجلان فجلس أحدهما عند رأسي ، والآخر عند رجلي ، ثم قال أحدهما لصاحبه : ما وجع الرجل ؟

قال: مطبوب . قال : وما طبه ؟ قال: لبيد بن الأعصم اليهودي من بني زريق .قال : في ماذا ؟ قال: في مشط ومشاطة وجف طلعة ذكر قال : فأين هو ؟ قال : في بئر ذي أروان .قال : فذهب النبي (صلى الله عليه وآله) في أناس من أصحابه إلى البئر، فنظر إليها وعليها نخل، ثم رجع إلى عائشة، فقال: والله لكأن ماءها نقاعة الحناء، ولكأن نخلها رؤوس الشياطين .قلت : يا رسول الله أ فأخرجته ؟ قال(صلى الله عليه وآله): لا، أما أنا فقد عافاني الله وشفاني، وخشيت أن أثور على الناس منه شرًا ،و أمر بها فدفنت [١]

وزادت المفسرةُ توضيحًا على الحديث أنّ اليهود اتفقوا مع لبيد بن الاصم على ان يسحروا النبي مقابل ثلاثة دراهم فحصل على شعرة من جارية صغيرة كانت تذهب الى بيوت النبي(صلى اللهُ عليه وآله) وكان هذا السحر من نوع عقد الرجل عن زوجته فكان يتصور أنه يستطيع أن يجامع إحدى زوجاته ،فإذا اقترب منها لم يستطع ذلك [٢]

والملاحظ على ما قيل على هذه القصة بأمور :

المأخذ الاول : فمن حيث طريق وسند الرواية فهي من مفتريات الصحيحين على رسول الله (صلى الله عليه وآله) رواية لم يروها أحد سوى عائشة بنت أبي بكر وصارت بعد ذلك ذريعة وحربة بأيدي أعداء الإسلام للنيل من الإسلام ورسوله[٣] يقول شاكر عبد الصمد: كان الأستاذ محمد عبده لا يأخذ بحديث الآحاد مهما بلغت درجته من الصحة في نظر المحدثين، إذا ما خالف العقل أو القُرآن أو العلم .. وذكر تعليق (محمد عبده) على قصة السحر التي ألّمت بالنبي(صلى اللهُ عليه وآله) [٤]

والمأخذ الثاني من حيث الدلالة ، يقول محمد جواد مغنية: أنّ هذه الرواية يجب طرحها شرعًا وعقلًا، أما عقلًا فلأن النبي معصوم لا ينطق إلا بالوحي ، فيستحيل أن يخيّل له أنّه يوحى إليه ولا يوحى إليه، وأما شرعًا فلأن اللّه كذّب السحر وأهله حيث قال : ﴿ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ ﴾[٥] - إلى قوله﴿ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ ﴾ [٦]. وأيضًا كذّب المشركين الذين وصفوا النبي

---

(١) ظ: ماجدة الفارس / التوضيح والبيان في تفسير آي القران، ١/ ١٦٨ -١٦٩ .

(٢) ظ: ماجدة الفارس / التوضيح والبيان في تفسير آي القران، ١/ ١٦٩ .

(٣) ظ: النجمي/ أضواء على الصحيحين/٢٧٢ .

(٤) ظ: عبد الصمد شاكر / نظرة عابرة إلى الصحاح الستة/٢٩٣ .

(٥)طه :٦٦ .

(٦) طه :٦٩ .

بالمسحور ﴿ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ ﴾[1] [2] ومن الطريف ما نقله الشيخ محمد عبده عن كثير من المقلدين على حد تعبيره ، حيث قالوا: لقد صح الخبر بتأثير السحر في نفس رسول اللَّه (صلى اللّٰهُ عليه وآله) ومن أنكر ذلك فقد أبدع في الدين لأن القُرآن قد جاء بصحة السحر، وعلق الشيخ محمد عبده على ذلك بقوله: فانظر كيف ينقلب الدين الصحيح إلى بدعة عند المقلدين، ويحتجون بالقُرآن الذي نفى السحر على ثبوت السحر وتأثيره في رسول اللَّه تماما كما قال المشركون عنه : انه رجل مسحور [3] ويقول العاملي: إننا لا نشك في كذب هذه الروايات ، ونعتقد : أنها من مجعولات أعداء هذا الدين ، أو من قبل أناس أعمى الجهل بصائرهم ، وتاهت في ظلمات الضلالات عقولهم[4]

وخلاصة الأمر: إن الذين رووا هذا الحديث ودونوه هم المسحورون لأنهم لا يفكرون بما يكتبون، ويروون ولا يتثبتون، وكيف يصح على نبي لا ينطق عن الهوى - كما وصفه ربه – أن يكون فرية للمشعوذين ؟ فيفقد شعوره ويغيب عن رشده ومع ذلك يصفه القُرآن بأنه لا ينطق إلا بما يوحى إليه، ويفرض على الناس أجمعين أن يقتدوا بأقواله وأفعاله، والمسحور قد يقول غير الحق ويفعل ما لا يجوز فعله على سائر الناس، وقد يخرج عن شعوره وادراكه[5]

---

(١) الإسراء :٤٧ .

(٢) ظ: مغنية/ التفسير الكاشف، ٧/ ٦٢٥ .

(٣) ظ: عبد الكريم الخطيب /التفسير القرآني للقرآن، ٣٢٥/١٦ .

(٤) ظ: العاملي /الصحيح من سيرة النبي الأعظم (صلى اللّٰهُ عليه وآله)، ١٦/ ٢٢٣ .

(٥) ظ: النجمي/ أضواء على الصحيحين/ ٢٧٤ .

المبحثُ الثّالثُ: الأصلُ الثّالثُ(العقل):

توطئة :

لا شبهة انَّ العقل أصل من أصول التّفسير؛ لأنّه يُعاضد بقية الأصول في فهم القُرآن والكشف عن معانيه كما يعاضد السنة والقُرآن في فهم معنى الآية [١] ولا غرابة أن يمثل العقل الحجة الباطنة على الانسان [٢] تكمن حاجته على أن يقوم المفسر بقراءة حوارية مع القُرآن يقول الصدر "بعملية حوار مع القُرآن الكريم واستنطاق له، ليست مجرد استجابة سلبية بل استجابة فعالة وتوظيفاً هادفاً للنص القُرآني " [٣] وبذلك يكون العقل هو الكاشف عن الدليل ، وهو على خلاف القول بالرّأي الذي ذمّ في ما ورد من روايات ، كما وأنّ(الحوار) آليّة من آليّات قراءة النّص القرآنيّ .

وتبرز أهمية العقل: يأتي دور العقل كمصباح، فهو لا يوجد طريقاً بل يرشد إلى الطريق ، فلو كان عند الإنسان طريق لكن ليس لديه نور يستضيء به فلا يستطيع أن يمشى في ذلك الطريق وينتفع به .إذن نحن أمام منهجين: أن نتّجه إلى العقل، أو إلى القُرآن . في المنهج الأوّل نسأل العقل أوّلًا ثمّ نطبّق عليه الآيات، أمّا في المنهج الثاني فنسأل القُرآن أوّلًا، لكن بهداية من العقل وتوجيه منه، والمنهجيّة ذاتها تنطبق على دور

---

(١) ظ: آيازي/التفسير والمفسرون حياتهم ومنهجهم، ٤٣/١ .

(٢) ظ: الغرباوي/ اشكاليات التجديد / ١٠١ -١٠٢ .

(٣) الصدر/ المدرسة القرآنية / ٢١

النقل[١] إنّ دور هذه القواعد العقليّة أنّها توجّه المسيرة وتدلّ على الطريق المتعيّن، لا أنّها تكون هي الطريق وتسقط معطيات العقل وتحمّلها على القُرآن الكريم[٢] .

ومن ذلك نخلص : أنّ الأحسن والأفضل في باب التّفسير هو الاعتماد على التّفسير بحسب العقل والكتاب والسّنة[٣] وهذا التّرتيب ليس قِيميّ وإلا فالكتاب أولاً ثم السنّة ثم العقل، وعلى هذا سنسلط الضوء على التّفاسير النّسوية بغية معرفة دور العقل بوصفه أصلًا ونلحظ توظيفه بغية الوصول الى مراد اللّه من القُرآن، والعقل أصل من أصول التّفسير لا على أساس اعتباره أصل وإنّما بوصفه أداة تحصيل المعرفة أو أداة يتحصل عن طريقها فهم النصّ . وقد يطلق عليه بالتّفسير الاجتهادي في حين هو جزء منه فالاجتهادي أوسع من العقلي .والاجتهادي الدور فيه للعقل أكثر ممّا هو للنّقل وهو ما ذهب اليه هادي معرفة[٤] وهناك من يرى ان التّفسير الاجتهادي يأتي فيما اذا لم يكن للنّص تفسير في دائرة المأثور من القُرآن والسنة وقد اشترطوا في أن يكون التفسير العقلي غير مخالف للتّفسير النّقلي؛ لأن التّفسير النّقلي مقدم عليه، وذلك لأن العقول يلحقها من الشبهات والشهوات ما يحرمها الوصول إلى معرفة الحق بخلاف المنقول[٥]

المطلب الأول: بيان الجانب (النّظري) :

لا يخرج أيّ تفسير على الاطلاق من دائرة العقل إن كان تفسيرًا نقليًا او اجتهاديًا ، فإن كان نقليًا كيف يمكن أن يجمع بين الآيات، أو أن يُنتقى من الرّوايات ما يخص مهمته فهو في كل ذلك وظَّف العقل واجتهد ، وإن كان تفسيره خالصًا فإن توظيف العقل حاضر في طيات الحديث قل: كيف؟ ان تفسير النَّبي الأكرم وأهل بيته والصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم فسّروا القُرآن إما بآية أو نص رواية أو بدلالة لغوية فهو بهذه اللحاظ مارس العقل دوره مع المصادر والادوات وتبيّن المراد من النص القُرآني .

والبحث عن التّفسير باعتماد العقل في التّفاسير النّسوية على أساس أنّ : العقل المقصود منه العقل الفطري، أو قوة الفكر والإدراك والتّعقل، وفي هذه الموارد التي يكون فيها التفسير العقلي والاجتهادي بمعنى واحد، أحيانًا يكون العقل بمقصود العقل الاكتسابي أو مدركات التي يستفاد منها كقرائن عقلية أو أدلة عقلية في تفسير القُرآن[٦] ومن هنا سنلقي الضوء على التّفاسير النّسوية على اساس أن : التفسير أحد مفردات الفكر الاسلامي، علينا التعامل معه كقراءة للنص القُرآني، وفهمًا بشريًا قد

---

(١) ظ: الحيدري / المنهج التفسيري/ ٤٨ .

(٢) الحيدري / اللباب في تفسير الكتاب/ ٣٤ -٤٤ .

(٣) الميانجي / مناهج البيان في تفسير القرآن، ١/ ١٧ .

(٤) معرفة/ التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، ٣٤٩/٢ .

(٥) ظ: العثيمين / شرح (مقدمة التفسير) لابن تيمية / ٨ .

(٦) ظ: رضائي / دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية للقران / ١١٣ .

يصيب وقد يخطأ، ولا يجوز ان نرقى به إلى مستوى النص القُرآني وندخله برج القداسة ليتحول فيما بعد إلى نصّ جديد يمارس سلطته المعرفية ويحجب بحضوره النّص الأول ويطمس معالمه [١] .نعم: التفسير يعدّ (فهمًا بشريًا قد يصيب وقد يخطأ) هذا التّعميم يحتاج إلى استثناء؛ لأن المعصوم وظيفته التّفسير﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾[٢] وقوله يأتي تبعًا بعدالكتاب فعصمته من عصمة الكتاب .

نلحظ ل(بنت الشاطئ) في تفسيرها البياني تبرز ملامح الركون إلى العقل بوصفه أصلًا لأنّها ابتعدت عن الجانب النّقلي خصوصًا (الحديث) وظهرت حركة العقل عندها بتوظيفها الأدوات التي تمكنت منها في تحصيل المراد بركونها الى أصل القُرآن في دائرة الاستقراء وتقليبها المعاني اللغوية فكل ذلك يكشف دور العقل في تفسيرها. قدمت تطبيقات ومناقشات يتجلى بوضوح ان تفسيرها يعتمد العقل وما يتعلق به من قرائن تساعد على كشف المراد من النّص فهو عقلي تجديدي محض خرج عن دائرة التقليد في التّفسير تبعًا لشيخها الخولي[٣]

وأشارت الى أهمية العقل قائلةً: ولن يكون هذا التلاقي عند كتابنا العربي المبين، إلا إذا جدَّتْ محاولتنا في درسه وفهمه وتذوقه، على منهج دقيق محرر[٤] فمحاولتها بخطوات قائمة على اعمال (العقل) (العقل) الفكر والنظر بدقة وتحرر . فاستقراءها المفردة في القُرآن الكريم وتتبع سياقها العام والخاص تعد أداة استعانت بها المفسرة في بيان النّص القُرآني وقد أشارت إلى ذلك[٥] ومثال ذلك استقراءها لفظ(اليتيم) في سورة الضحى[٦] والاستقراء هو حركة فكرية تأمليّة في النص القُرآني غاية ما فيه الوصول الى أبعاد استعمال المفردة وسعة دلالاتها . وعرضها آراء واقوال المفسرين نفعًا ونقدًا حين نعرضها على القُرآن الكريم، فتقبل منها ما يحتمله النّصّ والسّياق. ثم يكون إيرادنا للأقوال الأخرى التي لا يقبلها النّص لفتًا إلى وجه الشطط فيها أو التكلف ، وتنبيهًا إلى ما ينبغي من حذر وحرص[٧]

ولم تصرح (زينب الغزالي) أنّها اعتمدت العقل لكن وصف الفرماوي لها في مقدمة تفسيرها أشار الى ذلك : كانت الداعية المجاهدة تقرأ في كتاب الله خلال هذه الجلسات فتنثال عليها الخواطر من العليم الحكيم، ومن ثم تنسكب في قلوب من يستمع لها أنوار الفهم لهذا الكتاب الكريم الخالد، وتنشرح لشرحها له الصدور، وتستجيب خاضعة -بالالتزام لربها :القلوب والعقول الصدور والابدان، ويحاول كل

---

(١) ظ :الغرباوي/ اشكاليات التجديد / ١١٢ .

(٢) النحل : ٤٤ .

(٣) ظ: بنت الشاطئ/التفسير البياني للقران، ١٤/١ .

(٤) ظ: بنت الشاطئ/ التفسير البياني للقران الكريم، ١٣/١.

(٥) ظ: المصدر نفسه ، ٧/٢ .

(٦) ظ: المصدر نفسه، ٤٢/١ .

(٧) ظ: المصدر نفسه ، ٨/٢ .

مستمع بنفسه وفي نفسه ولنفسه، ومع إخوانه، أن يقيم صرح هذا الدين: بحسن إدراك، وسعة فهم، وإخلاص قصد وصحة سلوك [١] وقالت: ولقد كانت عدّتي في تسطير هذه الصفحات ما علق بذاكرتي، مما كان يفيض على خاطري وقلبي وأنا أعيش في رحاب آياته سبحانه وتعالى، أخذت أراجع في السنة ما وسعنا جهدي فهي خير مفسر لكتاب الله [٢]

يفهم من ذلك أنّ الانسان ليحظ بنعمة لا بعدها نعمة لمّا يعيش مع كلام الله تعالى وتنزل عليه البركات ويسجل كل ما يرد في خلجه اتجاه كتاب الله لا سيما إن كان في ظرف حرج مثل السجن ولاشك الانقطاع عن الدنيا ومشاغلها والارتباط مع الله تعالى و كتابه متحصل حتمًا . هذا يجعلنا ان نتصور ان التّفسير نابع من التّدبر والتّأمل والتّفكر في طيات آيات القُرآن الكريمة . كما استعانت بالسنّة ومن ذلك يتجلى الركون بالتدبّر والتّأمل مقدمة وخطوة تعد جزءًا من العقل بوصفه أصلًا تفسيريًا .

و بالنّظر الى مدونات (حنان اللحام) نلحظ انّها تعوّل على العقل في مدوناتها التّفسيرية بكثرة فهي تستند وترى أهمية العقل انّه: ينبغي أن نلفت النّظر وبعمق الى أنّ القُرآن يهدف إلى تربية العقل: هو الموضوعية والنّظر في الأدلة والبراهين﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾[٣]﴿ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ ﴾[٤]وحذرت من الانصياع والاتباع، فالآبائية مرض خطير يشل التفكير ويمنع الاجتهاد والتجديد.. ولا حياة لأمة إلا بالخروج من (رحم الأباء وأصلابهم) [٥] ولها تطلع على ما قاله محمد إقبال في العقل حيث تنقل: فللحياة في نظره مصادر أخرى للمعرفة يصرح بوجود مصدرين هما: الطبيعة والتاريخ وروح الإسلام تتجلى في أحسن صورها في فتح طريق البحث فيهما ومولد الإسلام بذلك هو مولد العقل للاستدلال [٦] وعرفت التفسير بالرأي أنه : والمراد بالرأي هو الاجتهاد والامور التي يجب استناد الرأي اليها في التفسير (كما نقلها السيوطي من الزركشي) [٧] :

١ - النقل عن رسول الله (صلى اللّهُ عليه وآله) مع التحرز عن الضعيف والموضوع.

٢ - الأخذ بقول الصحابي وخاصه بعضهم بأسباب النزول بما لا مجال للرأي فيه.

٣ - الاخذ بمطلق اللغة والاحتراز عن صرف الآيات عن مدلول كلام العرب.

---

(١) ظ: زينب الغزالي/ نظرات في كتاب الله ، ٦/١ .

(٢) ظ: المصدر نفسه، ٨/١ .

(٣) الإسراء :٣٦ .

(٤) البقرة :١١١ .

(٥) ظ: حنان اللحام/ تفسير سورة التوبة / ٦٦ .

(٦) ظ/: حنان اللحام/ تأملات في سورة هود/ ٣٥، ظ مصادرها: محمد اقبال ، تجديد الفكر الديني، فصل روح الثقافة الثقافة الاسلامية .

(٧) ظ: حنان اللحام/ من هدي سورة النساء/ ١٣ .

٤ - الأخذ بما يقتضيه الكلام ويدل عليها قانون الشرع.

مناقشة : ان تعريف التفسير بالرأي على انه اجتهاد فيه:الرأي هو الاجتهاد لم يرد في أيّ مصدر لغوي. فعند مراجعة المصادر اللغوية نلحظ ان معنى الرأي جاء عند الراغب في المفردات هو(الاعتقاد الحاصل عن غلبة الظن)[١] وعُرِّف أنه: عبارة عن التفسير النابع من الفهم الشخصي دون الاخذ بنظر الاعتبار القرائن العقلية والنقلية (الكتاب والسنة)[٢] وقد عُبّرَ عنه في بعض الروايات القول بالقُرآن من غير علم كما ورد عن رسول الله (صلى اللّهُ عليه وآله) أنه قال: "من قال في القُرآن بغير علم فليتبوء مقعده من النار"[٣] يقول السيوطي : وصحّ عن النّبيّ (صلى اللّهُ عليه وآله) وعن الصّحابة أنّ التّفسير بالرّأي حرام ،فحرام مطلقاً لما فيه من الشهادة على اللّه والقطع بأنّه مراده [٤] فكان حريٌّ بها ان تقسم التّفسير بالرّأي إلى قسمين على الأقل وإن كان فيه نظر[٥] -هما: ما هو مذموم وهو المنهي عنه بالقُرآن :﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾[٦]والسّنة كما مرَّ . وما هو ممدوح والذي يعبّر عنه عندهم بـ(التفسير الاجتهادي) . ثم أن التّفسير باعتماد العقل: ليس معناه طرح التفسير بالمأثور، ولكن معناه الاجتهاد في تفسير ما لم يثبت فيه منقول صحيح، ولا أثر مروي .. فذهب قوم إلى منعه تمامًا، وذهب آخرون إلى جوازه لمن كان ذا علم وبصر، وتكاملت فيه أدوات علمية معينة أن يجتهد في التفسير[٧]

وأمّا نائلة صبري فيقول إبراهيم عفانة في وصف تفسيرها: لم تبادر الى الاعتماد على قدراتها في التفسير إلا بعد ان أمضت سنوات وسنوات في المطالعة والمراجعة كل ما وصلت إلى يدها من مراجع ومصادر، في الشرح والتفسير [٨] تقول نائلة صبري: فتلاوة القُرآن مطلوبة وكذلك التدبر في آيات الله سبحانه وتعالى والتفكر بتأمل معانيها، لأن القُرآن ما نزل إلا ليُفهم ويطبق لذلك كان تفسير آيات القُرآن الكريم مطلوبًا ضروريًا:﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾[٩] ومن هذا

---

(١) ظ: الأصفهاني/ مفردات الالفاظ القران ، مادة (رأي) .

(٢) ظ: المركز العالمي للدراسات الاسلامية/ نقد آراء الذهبي في كتاب (التفسير والمفسرون)/ ١٨ .

(٣) ظ: النسائي/ السنن الكبرى، حديث (٨٠٨٤) ، ٥/ ٣١ ، و ظ: المجلسي / بحار الانوار، ٥/ ٢٢٥ .

(٤) ظ: السيوطي / التحبير في علم التفسير/ ١٣٠ .

(٥) إنّ التّقسم بهذا الشكل يخالف اطلاق الروايات التي ذمّت التفسير بالرأي فلا نعلم على ايّ اساس تقسم التفسير بالرأي الى ما هو مذموم وممدوح وعلى هذا الاساس تقدم أحد الباحثين بنقد آراء الذهبي في(التفسير والمفسرون) وليس هو الأخير من أبدع هذا التقسيم وانما الراغب الاصفهاني. ظ: المركز العالمي للدراسات الاسلامية/ نقد آراء الذهبي في كتاب (التفسير والمفسرون)تعريب السيد :قاسم البيضاني ، ١٨

(٦) الإسراء:٣٦ .

(٧) ظ: عبد الجواد خلف /مدخل إلى التفسير وعلوم القرآن/ ١٣١.

(٨) ظ : نائلة صبري/المبصر لنور القرآن، ١ / ١/ ٨ .

(٩) ص : ٢٩ .

المنطلق قمت بتفسير كتاب الله ، وإني إذ أشعر بعظم المسؤولية فالأمر لا يتعلق بأمر عادي إنّما يتعلق بكتاب الله، وكلي خوف منه تعالى ان اقول في القُرآن برأيي [١] هذا فكانت المفسرة على حيطة وحذر من أن تتناول التفسير وتميل الى ساحة الرأي المنهي عنه، قد وظفت نائلة صبري بعد القراءة للمصادر التي اعتمدتها فكرها بتدبر وتأمل معاني القُرآن أشارت الى خطوات تفسيرها القائم على تبيان: سبب النزول. وتفسير المفردات اللغوية. تفسير كل آية على حدة، بطرق منها: تفسير القُرآن بالقُرآن والتفسير بطريق السنة حتى إذا ما وضُحت لديّ معالمُ الآيةِ الكريمة واطمأننتُ الى فهمها فسرتُها وكتبتُ عنها [٢] وضوح المفسرة(نائلة صبري) في بيان خطواتها ومصادرها في التّفسير كانت على خطى توظيف تلكم الأدوات في بيان وإيضاح النّص القُرآني وما هو إلا أمارة على تجلى ركونها في عملية التّفسير إلى العقل بوصفه أصلًا تفسيريًا .

ويتضح عند (ماجدة الفارس) مبنى الركون على العقل كأصل تفسيريّ انها أشارت الى المصادر التي تزودت منها في مقدمة تفسيرها [٣] وأشارت في منهجها الى شرح الآية على ما جاء من التفاسير مبسط وقريب من لغة العصر وقد تبقي نص المفسر دون تصرف مع الاشارة إلى اسم المصدر المقتبس منه. واعتمدت في ايراد الاحاديث بعد تخريجها على الصحيحين أو من غيرهما ذكرت أقرب المصادر التي يمكن الوصول إليها ، ولم تهمل حكم علماء الحديث عليه صحةً أو حسنًا أو ضعفًا [٤]

أقول: مجمل التفاسير التي تزودت منها المفسرة لا تخرج عن دائرة الاجتهاد في أي حال من الاحوال، ودورها بعد ذلك محل التأمل والتفكر فيما تنقل بسهولة وبساطة كي يصل للمتلقي فهذا دور عقلي، فضلًا عن تعاملها في نقلها للأحاديث وانتقاءها يبعث عن تعقل ودقة في النقل وتحرٍ في الاختيار ولم تغفل عن حكم العلماء اتجاه الاحاديث وهذا ديدن المفسر الواعي والمبصر لما يفعل ،كما أنّ المفسرة قدمت خدمة جليلة للقارئ بشرحها وتفصيلها للنص القُرآني واعتمادها التحليل ونقل الآراء من العلماء والمفسرين وترجيحاتها واستعانتها بالقُرآن والسنة في البيان وذكر ما يخصّ أسباب النّزول أو الحديث ما يؤكد المعنى أو يشرح مفردة ولم يغب عنها التفسير اللغوي والاشارة البلاغية وتبيان الأحكام والعقيدة والاخلاق. فعنوان تفسيرها مع محتواه متفق تمامًا إلا ما قلّ وندر. ومن ذلك كله تنبري مكانة العقل لديها بوصفه أصلًا بتوظيفها تلكم الادوات المعرفيّة التفسيريّة. كالقرآن والسنّة واللغة وغيرها .

المطلب الثاني: بيان الجانب (التّطبيقي) :

---

(١) ظ : نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن، ١ / ١/ ١٠ .

(٢) ظ : المصدر نفسه، ١ / ١/ ١٠ -١١.

(٣) ظ: ماجدة الفارس/ التوضيح والبيان في تفسير آي القران، ٢٣/١ (المقدمة) .

(٤) ظ: ماجدة الفارس/ التوضيح والبيان في تفسير آي القران، ٣/١ (المقدمة)

أ - نموذج (١) : قال تعالى:﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ۝٧ ﴾ [١]

قالت (بنت الشاطئ) : أصل الضلال في الاستعمال اللغوي، من فقدان الطريق: أرض مضلة، يضل فيها. والضلة الحيرة. ونقيض الضلال: الهدى، وقد استعملته العربية حسيًا في الصخرة الناتئة في الماء يؤمن بها العثار، وفي وجه النهار، يكشف معالم الطريق فيؤمن الضلال. ثم جاء الاستعمال المعنوي للضلال والهدى، ملحوظًا فيهما الأصل الحسي، والاستعمال في المصطلح الديني للضلال والهدى بمعنى الكفر والإيمان، وقوى هذا الاستعمال الاصطلاحي حتى كاد يكون هو المتبادر، عند الإطلاق [٢]

استشفعت المفسرة أولًا بالاستعمال اللغوي والدلالة الحسية للمفردة ثم الاستعمال المعنوي الذي لوحظ فيه المعنى الحسي ثم الاصطلاح الديني الذي يقابل فيه (الضلال والهدى) معنى (الكفر والايمان) .ثم رجعت للقران الكريم .

قالت: والقُرآن الكريم، قد استعمل الضلال بمعنى الكفر والباطل﴿ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ﴾[٣] مع بقاء الملحظ الحسي هو ضلال الطريق، بدليل إقتران الضلال بالسبيل، عشرين مرة، ومعها:﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۭ ﴾[٤].ويؤيد هذا الملحظ، استعمال العمى في الضلال، ﴿ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلۡعُمۡيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمۡ ﴾[٥] وفي قوله ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ۝٧٢ ﴾ [٦] [٧] بتحشيدها النصوص القُرآنية لاستظهار لفظ (الضلال)وسعة دلالته استطاعت ان تقف على المعاني مع بقاء الملحظ الحسي اللغوي وهو(ضلال الطريق) بدليل اقتران هذا اللفظ بـ(السبيل) بعشرين شاهد قرآني. ومن ذلك تريد أن تقول: إنّ الضلال معناه الكفر تضييق لدلالة المفردة القُرآنية وتحجيمها وهذا خلاف الاستعمال القُرآني فضلًا عن كونه لا ينسجم مع سياق الآيات المرتبطة بحضرة الرسول الاكرم (صلى اللّٰهُ عليه وآله) وعصمته .

ذكرت: ومن المفسرين من قالوا في آية الضحى: إنّ الضلال هنا هو الكفر، ذكره (الرازي) معزوًا إلى الكلبي والسدي ومقاتل، بمعنى أن محمدًا (صلى اللّٰهُ عليه وآله) كان على أمر قومه أربعين سنة. وأنكره

---

(١) الضحى :٦ .

(٢) ظ: بنت الشاطئ/ التفسير البياني للقران، ٤٤/١ .

(٣) يونس : ٣٢ .

(٤) السجدة :١٠ .

(٥) النّمل :٨١ .

(٦) الإسراء :٧٢ .

(٧) ظ: بنت الشاطئ/ التفسير البياني للقران، ٤٤/١ .

جمهور المفسرين، وردوه بأن الأنبياء يجب أن يكونوا معصومين، قبل النبوة وبعدها، من الكبائر والصغائر الشائبة، فما بال الكفر؟! [١]

ثم ذكرت جملة من التّأويلات بلغت عشرين تأويلًا في تفسير الرّازي وما ذكره الزمخشري وابو حيان واستطراده.. الى أن قالت: وما بنا حاجة إلى كل هذه التأويلات، ما ذكرناه منها وما لم نذكر، بل يكتفي في الرد على من فسروا الضلال بالكفر، أن الاستعمال القُرآني لا يلتزم دائمًا هذا المعنى الاصطلاحي، وإنما لحظ فيه الأصل اللغوي من ضلال الطريق، أو عدم الإهتداء إلى الصواب: قال إخوة يوسف لأبيهم ﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ ﴾ [٢]وليس الضلال هنا كفرًا، وإنما هو الشغف بيوسف. وقالت النسوة في امرأة العزيز ويوسف﴿ قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّاۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٣٠﴾ ﴾ [٣]وفي شهادة رجل وامرأتين على الدين﴿ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰ ﴾[٤].وليس شيئًا من هذه الآيات بالذي يحمل الضلال فيه، على معناه الاصطلاحي وهو الكفر. فالاحتكام إلى القُرآن الكريم نفسه، يعفينا من التزام المصطلح في لفظ الضلال بمعنى الكفر [٥]

وبالنظر إلى ما قدمته المفسرة من جهدٍ قيّمٍ وتأملٍ دقيقٍ ومناقشةٍ علميةٍ وطريقةٍ قرآنيةٍ استقرائيةٍ واستدراجٍ للدلالةِ اللغوية والاهتداء منها الى تفحص الدلالات القُرآنية وما طرحت من ردود، بذلك تبرز مكانةً العقل بوصفه أصلًا تفسيريًّا عند (بنت الشاطئ) بصنيعها الكاشف عن دلالة (الضّلال) في سورة الضحى بما انسجم مع مبتغاها، ليس على ما قرّه بعض المفسرين فهي بركونها إلى العقل استطاعت ان تخلي ساحة النبيّ (صلى اللّهُ عليه وآله) من تلكم الأقوال . فاعتماد المفسرة القُرآن في استنطاق بعضه للبعض الآخر، وهذا شائع عندها في رد أقوال المفسرين فأساس تحكيم القُرآن كان عندها الفيصل بين قبول الآراء ورفضها .

ب - نموذج (٢) : قال تعالى:﴿ حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ ﴾ [٦]

فسّرت (زينب الغزالي) : (الميتة) الحيوان أو الطير الذي مات بغير تذكية –اي ذبح(والدم) أي السائل الازل من الحيوان أو الطرير ، ويبدو أن الجاهليين كانوا يشربون، وأيضًا حرم علينا (لحم الخنزير) وكل متعلقاته، وقد اثبت البحث العلمي الحديث مدى خباثة لحم الخنزير [٧]

---

(١) ظ: المصدر نفسه ، ٤٤/١ .

(٢) يوسف :٩٥ .

(٣) يوسف :٣٠ .

(٤) البقرة :٢٨٢ .

(٥) ظ: بنت الشاطئ/ التفسير البياني للقران الكريم:١/ ٤٦ -٤٧ .

(٦) المائدة : ٣ .

(٧) ظ: زينب الغزالي، نظرات في كتاب الله: ١/ ٣٦٢ .

وفي بيان مفهوم النّقصان في قوله تعالى:﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾[1] تقول: "وقد يكون هذا النقصان: مجرد اضمحلال طبقة الارض من القطبين وانخفاضهما تبعًا لطبيعة كونية أرضية، بحيث يبدو منظر كوكب الأرض بيضاوي الشكل. وتختلف هذه المناطق عن أخرياتها في الطبيعة الجوية من برودة وشمس وخلافه، فالأرض منتقصة من الطرفين، وذلك حسب ما وصل إليه العلم الحديث أخيرًا من حقائق"[2]

تعدّ من المفسرات اللواتي وقفن على التّقدم العلميّ والبحوث والدراسات نسبيًّا هي (زينب الغزالي) في تفسيرها (نظرات في كتاب الله) فهي تحاول ان تبين القدرة الالهية بخلقه عن طريق الإشارة الى البحوث والدراسات العلمية في العصر الحاضر وبذلك يظهر الركون والتوظيف في دائرة العقل كونه أصلًا تفسيريًا ولها إشارات في مواطن أخرى [3]

ت - نموذج (٣) :قال تعالى:﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ ﴾[4]

قالت (حنان اللحام) : الغيب ما غاب عن حواس الانسان ومداركه. والايمان بالغيب نابع من الايمان بالله وصفاته العليا التي تنزه عن التماثل مع العباد في علمه وتقديره وتدبيره للعالم، والإنسان المعاصر قد كشف له العلم عن عوالم عجيبة غائبة عن حواسه.. فبات الإيمان بالغيب ضرورة علمية وموقفًا علميًا لا بدّ أن يتحلى به كل من يحترم العقل والعلم [5]

نلحظ في مدونات (حنان اللحام) التّفسيرية التّوسع في التّفسير العلمي -كما سنحيلك إلى بعضها - ظنًا منها في تقوية ايمان الناس اتجاه القُرآن الكريم ، لذا غلب على تفسيرها البحوث والنّظريات العلميّة واللمسات الماديّة، واندفاعها نحو المصطلحات العلمية على القُرآن الكريم، وقد اجتهدت في استخراج هذه العلوم من القُرآن الكريم . فكانت آيات الانفس والأفاق حاضرة في مجمل تفسيراتها داعية للتجديد والتقدم العلمي تارة ومتحفظة على التراث وتدعو الى تصحيحه أو أخذ ما هو مناسب وطرح الباقي. تارة أخرى . وبهذا الصدد لها وقفات كثيرة[6]

---

(١) الرّعد :٤١ .

(٢) زينب الغزالي، نظرات في كتاب الله: ٦٩٦/١ .

(٣) ظ: المصدر نفسه:. ١/ ٦٨١ -٦٨٢ .

(٤) البقرة :٣ .

(٥) ظ: حنان اللحام : من هدي سورة البقرة : ٢٥ .

(٦) ظ: حنان اللحام : أضواء على سورة يس / ٢٧ ، ظ: تأملات في سورة هود /٩٤ ، ظ: تأملات في سورة الأحزاب/ ٤١ ، ظ: من هدي سورة البقرة / ٢١ .

ث - نموذج (٤) : قال تعالى:﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [١]

ذكرت ((زينب الغزالي)) في هذا النّص: يبيّن الله سبحانه للمؤمنين أن وليهم الله ومن كان الله وليَّه فقد ملك الدنيا والاخرة، ولتعلموا يا أهل الإسلام أن الله ولي والذين آمنوا بمحمد وبالكتاب الذي انزل عليه، الذين أقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وحجّوا بيت الله، وصاموا شهرهم، والذين هم على صلة بالله دائمة ومشاعرهم وكل مواجيدهم في خشوع مستمر بين يدي الله يراقبونه في السر والعلن [٢]

من أدوات المعرفة التّفسيرية التي يحيل اليها العقل هو بيان المفردات والمعنى العام لكل مقطع من الآية ثم بيان معنى الولاية ومدى الفرق بين الولاية الخاصة بالله وارتباطها بالنّبي والمؤمنين وهل الولاية واحدة أم متعددة ؟ كل ذلك وغيره من التساؤلات يلزم لها إجابة .ببيان موجز يعطي اشراقة لهذا النّص ويستوضح المراد منه .حريٌّ ان يقف المفسر على سبب نزولها أسوة ببقية النّصوص أو السور القُرآنية، التي شهدنا ورود جملة من الروايات بخصوصها ولم نلحظ هذا الاهتمام في هذا النص ؟!! . كما لا يخفى أن السبب الذي يساعد على فهم النص وهو جزء من الضوابط التي ينبغي مراعاتها في التفسير القائم على أصل العقل كون (السّبب) أحد أدواته . وقد توافرت عشرات الروايات في هذا الصدد وهذه جملة من المصادر التي ذكرت سبب النزول [٣] منها جملة من المصادر التي اعتمدتها المفسرة كالقرطبي ولم تنقل عنهم رواية واحدة !! .فإن كان منهج المفسرة يلزم بهذا البيان الاختصار فما ورد لا يعطي تصورًا شافيًا للنّص وأحسبه إنشاء توجيهي لا ينبئ عن أي جهد إذا ما قورن عندها بنصٍّ قرآنيّ مفسَّرٍ آخر.

وقالت (حنان اللحام): وكلمة (وليكم) تأتي بصيغة المفرد مع أن ما بعدها عدد كثير.. فلمَ لم تأتِ بصيغة الجمع ؟! إنّ في ذلك إشارة هامة وهي أنّ الله وحده هو الولي﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾[٤] أما الرسول والمؤمنون فهم أولياء لكم بالتبعية وولايتهم نابعة من ولاية الله. ويحدد صفاتهم (وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ) حتى لا يختلط

---

(١) المائدة :٥٥ .

(٢) زينب الغزالي/ نظرات في كتاب الله ،١/ ٣٩٠ .

(٣) ظ: الطبري/ جامع البيان : ١٠/ ٤٢٦، الماوردي/ النكت والعيون ، ٢/ ٤٩، البغوي/ معالم التنزيل في تفسير القرآن : ٦٤/٢،الزمخشري/ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ٦٤٩/١،القرطبي/ الجامع لأحكام القرآن، ٢٢١/٦، البيضاوي/ أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ١٣٢/٢، النسفي/ مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ١/ ٤٥٦، الخازن/ لباب التأويل في معاني التنزيل، ٥٦/٢، الثعالبي/ الجواهر الحسان في تفسير القرآن،٢/ ٣٩٦ ، السيوطي/ الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ١٠٥/٣، الابجري/ البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ٥٢/٢،الشوكاني/ الفتح القدير ،٦١/٢، الشعراوي/ خواطر تفسير الشعراوي، ٦/ ٣٢٤٠ .

(٤) البقرة :٢٥٧ .

الأمر [١] وظّفت المفسرة باعها في اللغة العربية بتحكيمها في التفسير لتكشف مراد النّص القُرآني من أن الولاية واحدة بدلالة إفراد كلمة (وليكم) دون ان تجمع أي: ان المفردة لو كانت بصيغة الجمع تقول:(أوليائكم) لأنبت عن تعدد الولايات واختلاف بعضها عن البعض الاخر في المعنى، وان الولاية لله تعالى أصلًا، وأما النبي والمؤمنون ولايتهم نابعة من الأولى بالتبع . وهذا المعنى ذهب اليه الطباطبائي: وهذا المعنى من الولاية لله ورسوله هو الذي تذكره الآية للذين آمنوا بعطفه على الله ورسوله في قوله ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾على ما عرفت من دلالة السياق على كون هذه الولاية ولاية واحدة هي لله سبحانه بالأصالة ولرسوله والذين آمنوا بالتبع وبإذن منه تعالى[٢]

ذكرت (نائلة صبري) سبب النزول: عن عمار بن ياسر قال: وقف على عليّ بن أبي طالب[ع] سائلٌ وهو راكع في تطوع فنزع خاتمه فأعطاه للسائل فنزلت (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ)اخرجه الطبراني [٣] ثم ذكرت أنّ سبب النّزول هو حادثة التّصدق بالخاتم وهذه الروايات كثيرة وردت في كتب البعيد قبل القريب ذكرت المصادر التي نقلت كما تقدم .فكانت المفسرة منصفة بهذا الجانب اتجاه سبب النزول لما له من علاقة وملازمة في توضيح المراد، ذكرت في تفسير المفردات: قالت:(وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ)عام في جميع المؤمنين(رَٰكِعُونَ) خاشعون خاضعون [٤] وقالت به (حنان اللحام) أيضًا [٥]

ذكرت ماجدة الفارس : قال جابر بن عبدالله : جاء عبدالله بن سلام إلى النبي (صلى اللهُ عليه وآله)قال: يا رسول الله، إنَّ قومنا قريظة والنظير قد هجرونا وفارقونا وأقسموا الَّا يجالسونا فنزلت هذه الآية، فقراها عليهم رسول الله(صلى اللهُ عليه وآله) فقال: يا رسول الله، رضينا بالله وبرسوله وبالمؤمنين أولياء. [٦]

(وَلِيُّكُمُ) ناصركم، وظهيركم ويتولاكم بعونه وتوفيقه ،سميع لدعاءكم قريب منكم وبقدر قرب العبد من الله ينال هذه الولاية، وبقدر إيمانه وتقواه ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ ثم وصف الله تعالى هؤلاء فقال (يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ) بشروطها وفروضها (وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ)إحسانًا للخلق (وَهُمْ رَٰكِعُونَ) خاضعون ذليلون وقيل (صلاة النافلة) فيتولاه المؤمنون الصادقون وهذا من تمام التولي [٧]

---

(١) ظ: حنان اللحام / تأملات في سورة المائدة / ١٠٥ .

(٢) ظ: الطباطبائي/ الميزان في تفسير القران، ١٤/٦ .

(٣) نائلة صبري، المبصر لنور القرآن، ٣ / ٦/ ١٤٤ .

(٤) نائلة صبري، المبصر لنور القرآن، ٣ / ٦/ ١٤٤ .

(٥) ظ: حنان اللحام / تأملات في سورة المائدة / ١٠٥ – ١٠٦ .

(٦) ماجدة الفارس/ التوضيح والبيان في تفسير آي القران، ٤٩٥/٣ .

(٧) المصدر نفسه، ٤٩٥/٣ .

استهلت ماجدة الفارس بيان الآية برواية كسبب نزول وهذه الرواية ذكرها الواحدي في (اسباب النزول)[١] ولم تذكر المفسرة المصدر، فضلًا عن أنّ هذه الرواية لا تنسجم تمامًا في إيضاح معنى ومراد النص، على أن أسباب النزول تساعد على فهم دلالة النّص وتعمد إلى استظهار أسراره وهذا دور المفسر الحاذق كما ،وأنّ هذه الرواية ليست الوحيدة التي ذكرها الواحدي بل هناك روايتان تشيران الى حادثة التصدق بالخاتم من قبل علي بن ابي طالب عليه السلام .

لم تلتفت المفسرة الى(إنّما) في النص لما فيها من أنّ دلالة الحصر بخصوص الولاية وهنا البيان اللغوي ودوره يساعد على كشف المعاني .فكانت المفسرة بمنأى عنه .و(إنّما) جاءت لحصر الولاية بالثلاثة (الله تعالى ورسوله والمؤمنين) الذين وصفوا بإقامة الصلاة وايتاء الزكاة حال الركوع.[٢] وذكر الزمخشري: معنى (إنّما) وجوب اختصاصهم بالموالاة[٣]

وبيانها لقوله تعالى: (وَلِيُّكُمُ)ناصركم، فيه كلام لأن الولاية التي هي بمعنى الحب أو النصرة لا تنحصر في من يؤدون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون، بل تشمل كل المسلمين الذين يجب أن يتحابوا فيما بينهم وينصر بعضهم البعض، حتى أولئك الذين لا زكاة عليهم، فكيف يدفعون الزكاة وهم في حالة الركوع ؟! ومن هنا يتضح لنا أنّ المراد من كلمة(ولي) في هذه الآية، هو ولاية الأمر والإشراف وحق التصرف والزعامة المادية والمعنوية ، خاصة وقد جاءت مقترنة مع ولاية النبي (ص) وولاية الله حيث جاءت الولايات الثلاث في جملة واحدة[٤]

استغناء المفسرة عن الدلالة اللغوية التي تحملها (إنّما) والاستفادة منها لمعرفة مفردة(وليكم) جعلها تقول: أنّ الولاية هي ولاية نصرة لا ولاية التصرف وإذا ما التفتنا للمعنى العام بجمع الدلالات اللغوية يتضح غير ما قررته من معنى للولاية : أن لفظة (إنما) على ما تقدم ذكره تقتضي التخصيص، ونفي الحكم عمن عدا المذكور، كما يقولون: إنما الفصاحة للجاهلية، يعنون نفي الفصاحة عن غيرهم، وإذا تقرر هذا لم يجز حمل لفظة الولي على الموالاة في الدين والمحبة،لأنه لا تخصيص في هذا المعنى لمؤمن دون مؤمن آخر، والمؤمنون كلهم مشتركون في هذا المعنى، كما قال ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾[٥]وإذا لم يجز حمله على ذلك، لم يبق إلا الوجه الآخر، وهو التحقق بالأمور، وما يقتضي فرض الطاعة على الجمهور، لأنه لا محتمل للفظة إلا الوجهان فإذا بطل أحدهما ثبت الآخر[٦] و قالت : في تفسير(وَهُمْ

---

(١) الواحدي/ اسباب النزول: حديث(٣٩٨)، ٢٠٢.

(٢) ظ: الشيرازي/ الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٣٠/٤ .

(٣) ظ: الزمخشري/ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، ٦٤٨/١ .

(٤) ظ: الشيرازي/ الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٣١/٤ .

(٥) التوبة :٧١ .

(٦) ظ: الطبرسي / مجمع البيان في تفسير القرآن، ٣٩٣/٣ .

رَاكِعُونَ) خاضعون ذليلون، سياق الآية يعطي معنى الركوع على أنه الهيئة المخصوصة في الانسان، ومنه الشيخ الراكع، ويطلق في عرف الشرع على الهيئة المخصوصة في العبادة، قال تعالى ﴿ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ﴾[1] وهو ممثل للخضوع والتذلل لله، غير أنه لم يشرع في الاسلام في غير حال الصلاة بخلاف السجدة، [2] كما أنّ ما صرّح به ابن عطية والقرطبي وابن كثير وهم من مصادر المفسرة قالوا: أن علي بن أبي طالب أعطى صدقة وهو راكع[3] اذا كان سبب النزول ثابت في معنى الركوع كونه جزءًا من الصلاة لا بمعنى الخضوع لمَ يصرون على تخريج اللفظ عن دائرة معناه ؟!!! ثم انّ (حنان اللحام) قدمت في تفسير سورة البقرة مقدمة عن التّفسير وانواعه وأشرنا اليه في مطلب التنظير فكانت المفسرة زاهدة في كثير من الشروط والمبادئ التي يجب ان يلتزم بها المفسر ومن جملة تلك الضوابط هو سبب النّزول فضلًا عن ان المفسرة ذات صلة باللغة والبلاغة ولها آثار في ذلك لم تسعف بيانها بإشارة بلاغية واخرى نحوية بتحليل النص والوقوف على مكنوناته .ثم كانت بمعزل عن الشواهد القُرآنية والسنة الشريفة. ومع ذلك كله يظهر عند (حنان اللحام) دور العقل بتوظيفها ما استعرضته من بيانات ولمسات استطاعت عن طريقها إيضاح النص ، ومنه يبرز ركونها إلى العقل بوصفه أصلًا تفسيريًّا .

لمّا صنفت التّفاسير النّسويّة الى صنفين منها ما كان تقليديًا أعاد علينا ما كان موجودًا في السابق في التفاسير بصيغة وأسلوب قد اختلف من حيث صياغة العبارات واختصارها وذلك كتفسير (زينب الغزالي)، وتفسير نائلة صبري، وتفسير ماجدة الفارس . وهي بذلك لم تختلف عن بقية التفاسير (الرجالية) . ومنها ما كان طالبًا التجديد ويدعو لكسر الطوق ودعا الى التّحرر في تفسير القُرآن وفق منهجية وآليات جديدة وهذا ما ظهر عند (بنت الشاطئ) وقدمت هي الاخيرة نقادات في مدونتها لجملة من الآراء التفسيرية لمن سبقوها وناقشتها وفق خطوات تفسيرها التي صرحت بها، وكذلك نلحظ المفسرة (حنان اللحام) كثيرًا ما ادعت التجديد والابتكار في تفسيراتها وتعويلها على العقل كأصل كادت ان تجعله الاصل الاول وفي الواقع من حيث التطبيق أخذ عندها أصل العقل دائرة واسعة وشمرت عن آراءها باجتهادات ملئت دائرتها التفسيرية .والمفسرتين الأخيرتين قد اختلفتا عما ساد في التفاسير عمومًا وقريناتهن من المفسّرات .

---

(١) التوبة :١١٢ .

(٢) ظ: الطباطبائي/ الميزان في تفسير القرآن ، ١٥/٦ .

(٣) ظ: ابن عطية/المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ٢٠٨/٢ ، القرطبي/ الجامع لأحكام القرآن : ١٢٢/٦ ، البيضاوي / أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ١٣٢/٢ ، ابن كثير/تفسير القرآن العظيم ، ١٢٧/٣ .

المبحثُ الرّابعُ: الأصلُ الرّابع(اللّغة):

توطئة :

تعدُّ اللغة العربيّة وما يتعلّق بها من علوم أصلًا من أصول التّفسير وهي من أهمّ أدوات تفسير القُرآن الكريم فبها يتضح المراد وبها نزلت الرّسالة المحمّدية فلا يشك ذو مسكة في دور اللغة وما لها من أهميّةٍ في دائرة التّفسير .فلا يكاد يخلوَ تفسيرٌ من الرّجوع إلى هذا الأصل إلا ما ندر ، فاللغة كأصل سارت مع التّفسير جنبًا إلى جنب، واللّغة في تفسير القُرآن يرجع دورها إلى العهد النّبوي[1] ولأهميّتها يقول الزركشي: "واعلم أنه ليس لغير العالم بحقائق اللغة وموضوعاتها تفسير شيء من كلام الله ولا يكفي في حقه تعلم اليسير منها"[2] لذا نلحظ في التّفاسير النّسويّة رجوعًا لهذا الأصل ومكانة واسعة ودورًا كبيرًا في البيان .

---

(١) ظ: عبد الله ابراهيم المغلاج /الاتجاه اللغوي المنحرف في التفسير في العصر الحاضر/١٧٦ .

(٢) الزركشي/ البرهان في علوم القران، ٢٩٥/١ .

المطلب الأول: بيان الجانب (النّظري) :

ظهر في التّفاسير النّسويّة أن اللغة في البيان لها وجودها الواسع لدورها الكاشف عن المعنى، وقد تبنّى الزركشي: أنّ استخدام اللغة كأداة أساسيّة في فهم النصّ القُرآني واستخلاص معاني الآيات منه باعتباره نصّا أدبيّا معجزًا [١] يبقى أن أصل اللغة لا يحتكم اليه دائمًا في كل شيء حتى تكون اللغة هي السلطان على النّص القُرآني فهذا ليس من الممكن والسبب في ذلك: صرّح القُرآن الكريم بأن كلمات اللّه لا تنفد، والقُرآن الكريم عطاء لا ينفد بينما اللغة لها طاقات محدودة، وليس هناك تجدد في المدلول اللغوي [٢] لذا نلحظ ل(بنت الشاطئ) هذا الأمر فهي عادة ما تقف عند المعاني اللغوية ولا تركن إليها دائمًا وإنّما تعود لمعجم القُرآن الكريم أولًا ثم تؤيد ذلك بما ورد من كلام العرب .

وقد برز من التّفاسير النّسوية التّفسير اللغوي للقرآن وصار أمرًا رائجًا واشتهر باسم التّفسير البياني، ومن المصرّين أمين الخولي ، وتابعته (بنت الشاطئ)، وقد انتشرت منهما في ذلك المجال مؤلفات كثيرة، وقاما بتفسير القُرآن بالرّجوع إلى القُرآن الكريم نفسه، والتّفتيش عن موارد استعمالها في جميع الآيات، وهذا النمط من التفسير يعالج جانبًا واحدًا من مهمّة التفسير [٣]

إذن لا غنى للمفسر عن أصل اللغة لذا نلحظ حضورها في التّفاسير النّسويّة بقدر ما تقتضيه المناسبة وتلح به الحاجة وتكاد المباحث اللغوية تغادر عنها الا (التّفسير البيانيّ) فقد شق طريقه على أساس الأدب والملامح اللغوية القائمة على سعة دلالة المفردة القُرآنية المستوحاة من النّصوص القُرآنية وتقليب المعاجم اللغوية أمّا بقية التفاسير النّسوية يقدّر الاعتماد عليها بنسبة قليلة.

اعتمدت التّفاسير النّسويّة بشكل متفاوتٍ على أصل اللغة وعلومها كأداة ساعدت في كشف المراد والدلالة من النّص القُرآني ومعرفة ألفاظه وتراكيبه هذا من جانب ومن جانبٍ آخر فإن ارتباط اللغة بالنص القُرآني كونه جاء بلغة فاقت لغة العرب المنزل بها وأصبح القُرآن المحور الاساس والصبغة المحافظة عليها سواء أكان من حيث السعة الدلالية فالقُرآن توسع من حيث اختيار اللفظة وموضعها فانتقى الأنفع والأنجع في المقام المناسب ومن هنا أخذ النَّص ببلاغته وسحره للألباب العربية آنذاك إلى يومك هذا وما بعده قال تعالى:﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [٤] .

ف(بنت الشاطئ) تركن الى أصل اللغة في تفسيرها البياني بعد (أصل القرآن) ولا يكاد يخفى، واختصاصها اللغوي والادبي يحتم عليها الاتجاه بالتّفسير صوب اللغة وعلومها، تقول: لكني لم أع بيانه

---

(١) ظ: خضير جعفر /الشيخ الطوسي مفسراً/ ٨٥ .

(٢) ظ: الصدر /المدرسة القرآنية /٢٣ .

(٣) ظ: السبحاني ، مفاهيم القران ، ١٠ / ٣٥٩ -٣٦٠ .

(٤) الإسراء :٨٨ .

حق الوعي، إلا بعد تخصصي في دراسة النّصوص، واتصالي بأصيل ما للعربية من تراث أدبي، فكنت كلما ازددت تعمقاً في الدرس، وفقهًا للعربية، وقفت مبهورة أمام جلال هذا النص المحكم[١] كذلك استقراؤها للفظة القُرآنية ومقابلتها بالمعاني اللغوية لتلك المفردة واعتمادها بعض المعاجم اللغوية التي وظفتها في خدمة القُرآن "[٢] وتقول: "فإننا نحاول أن ندرك حسن العربية للألفاظ التي نتدبرها من النص القُرآني، عن طريق لمح الدلالة المشتركة في شتى وجوه استعمالها لكل لفظ، وواضح أنه لا سبيل إلى دراسة أي نص في لغة ما، دون فقه لألفاظه في لغته"[٣]

وموضوع الترادف[٤] الذي وقفت فيه بالضد وخالفت برأيها مَن قال به فهي تتبنى مبدأ الّا ترادف في القُرآن الكريم وذلك بقولها: وسيبهرهم بلا ريب، ما بهرني من أسرار له بيانية، هدى إليها الدرس المنهجي الاستقرائي والتّدبر المرهف: في اللفظ لا يقوم مقامه سواه، وفي الحرف لا يؤدى معناه حرف آخر، وفي الحركة أو النّبرة مكانها في النظم الباهر[٥]

ومما لاشك فيه ان (بنت الشاطئ) تعد من العلماء البيانيين المهتمين بإبراز الفروق الدلالية بين ألفاظ الكتاب العزيز؛ لكونها لا تؤيد القول بالترادف في القُرآن الكريم، لان كل لفظة في موقعها لها دلالة لا تتأتى مع وضع لفظ آخر موقعها [٦]

والحق ان هذا المبدأ لم يكن بدعًا من (بنت الشاطئ) فقد سبقها من اللغويين بين مؤيد ومنكر وكل له أدلته التي يسوقها لإثبات ما يدعي، وللوقوف عليها الرجوع الى مظانها في الكتب المختصة حتمًا، ونحن لسنا بصدد بيان ذلك بقدر ما نريد ان نقف على رأي (بنت الشاطئ) وكيف تعاملت معه في تطبيقها المنهج .

والمتأمّل لمدونة ((زينب الغزالي)) يلحظ في المقدمة التي قدّمها الدكتور عبد الحي الفرماوي لتفسير(نظرات في كتاب الله) لم يلحظ وصفًا له على تفسيرها ولو بإشارة على أنّه استعان باللغة كأصل في التّفسير وفي الواقع ان مراجعته التي صرّح بها على حد قوله: وقد طلب مني مراجعة هذه الخواطر التي سجلتها الداعية..[٧] تحتاج الى مراجعة؛ لأنّ التّفسير لم يخلُ من الإشارات والتّصريحات اللغوية والنّحوية والبلاغيّة

---

(١) بنت الشاطئ/ التفسير البياني للقران الكريم ،١٤/١ .

(٢) المصدر نفسه ،١٤/١ .

(٣) بنت الشاطئ/التفسير البياني للقران الكريم،٢/ ٨ .

(٤) عرفه القدماء ، هو تسمية الشيء الواحد بالأسماء المختلفة، نحو السيف والمهند والحسام .ظ: ابن فارس / الصاحبي في فقه اللغة/ ،٦٥ ، ومن المحدَثين إنّ الترادف ، هو ألفاظ متحدة المعنى وقابلة للتبادل بينها في أي سياق . ظ: ستيفن أولمان/ دور الكلمة في اللغة ، ترجمة د. كمال بشر / ٩٨ .

(٥) بنت الشاطئ/ التفسير البياني للقران الكريم ،٢/ ١٨ .

(٦) ظ: نادية رمضان النجار/ الظواهر المعجمية والدلالية عند بنت الشاطئ/ ١٨٢ .

(٧) زينب الغزالي/ نظرات في كتاب الله، ٦/١ .

والبلاغيّة والصّرفيّة كما يثبت ذلك في التَّطبيقات التي سنوردها، ولا نجد تصريحاً من المفسّرة بهذا الصّدد في مقدمتها أيضًا ،وإذا أردنا القول باعتمادها أصل اللغة في التفسير فهذا لسببين ، الاول: هو التتبع ، والثاني اعتمادها بعض التفاسير و هي بالجملة قد اعتمدت اللغة ولم تكن بمنأى عن مباحثها لكن ليس كاعتمادها أصل السّنة والتّعويل على التّفاسير كان شغلها الشاغل .

أمّا (حنان اللحام) فقد وُصف تفسيرُها :" وهي تعرض تفسيرها للآيات بأسلوب أدبي، ولعل ذلك ناتج عن تكوينها الأدبي، وكتاباتها لمجموعة من القصص القصيرة"[1] ومن خلال التفتيش في مدوناتها التّفسيريّة (بعض السّور القُرآنية) نلحظ بوضوح الابتعاد عن أصل اللغة في تفسيرها. ترى أحدى الباحثات : إنّ الاتجاه الاجتماعي الاصلاحي مما فرض عليها طريقة معينة في التفسير، أبعدتها عن الخوض في مباحث اللغة[2] وما جاء في تفسيرها هو إشارات على سبيل الايجاز والاقتصار بإيرادها المصطلحات التي تخص اللغة وعلومها من علم النحو والبلاغة والتصريف .

وأمّا نائلة صبري قد تعرّضت في مدونتها إلى اللغة كأصل في التّفسير ،ولم تستغنِ عنها في كلّ آية تقريبًا، فنلحظ بيان المفردات يأتي بعد بيان سبب النّزول ان وجد وهذا ما قرَّته في بيان المنهج، وبعد التّتبع، لم تكن بمعزلٍ عن الاشارة اللغوية والنّحوية والتّصريفية والبلاغيّة في بيان مراد الله تعالى وهنا سنورد بعض النماذج مع إبداء الملاحظات إن وُجدّت في تعاملها وكيفية توسلها بأصل اللغة ؛ بغية بيان المعاني القُرآنية .

وبالنّظر إلى تفسير (ماجدة الفارس) نلحظ أنّها قد عُنيت بالجانب اللغوي إلى حد ما، وكاد أن يكون جزءًا من مصادرها إمّا بتفسيرها للمفردة القُرآنية ببيانها الوافي لها أو مرة تنتقي من المفردات وتقرنها بما يقابلها من الألفاظ وتأخذ على عاتقها التفريق بينهما، ومن ذلك كثير في تفسيرها، وتارة تركن الى أصل اللغة بالبيان لمعنى النّص بشرح بسيط على أساس الكلمة ومعناها وتارة تقف على المسائل النّحوية وتفيد منها من أجل بسط الكلام حول الآية وفي بعض الاحيان تأتي بالآراء مرجحة تارة وغير مرجحة أخرى، ولها وقفات من النكات البلاغيّة من مسائل علم البيان والمعاني والبديع نقلًا عن كتب اللغة أو تنقل من التّفاسير التي صرّحت بها في مقدمتها ،ومن ذلك كله نلحظ اعتماد أصل اللغة عند المفسرة في مدونتها(التوضيح والبيان في تفسير آي القُرآن) بدا واضحًا .

المطلب الثاني: بيان الجانب (التّطبيقيّ) :

أ - نموذج (١) : قال تعالى:﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ١ ﴾[3]

---

(١) د. عبد الله أحمد الزيوت، جهود المرأة المعاصرة في تفسير القرآن الكريم/ ١٨ .

(٢) ظ: د. خديجة محمد المحمود/ أبرز جهود النساء في تفسير القران الكريم منذ القرن الرابع عشر الهجري، ١٥٦ .

(٣) البلد :١.

قالت (بنت الشاطئ): فقد يبدو من السهل هنا أن نفسر أقسم بلفظ أحلف، وليس في استعمال العرب لهما ما يمنع من تفسير أحدهما بالآخر، فالنابغة يقول في اعتذاره للنعمان[1] :

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة

وقال الأعشى[2] : حلفت برب الراقصات إلى منى

وفي القاموس: حلف أي أقسم[3]

لكن استقراء الكلمتين في القُرآن يمنع هذا الترادف: فلقد جاءت مادة (حلف) في القُرآن الكريم في اثنتي عشرة موضعًا، كلها بغير استثناء، في مقام الحنث باليمين.

منها سبع آيات في المنافقين الذين فضحتهم سورة التوبة بعد غزوة تبوك: آية ٩٥ من سورة البقرة التوبة وآية ٤٢: و ٥٦: و ٦٢و ٧٤ و ٩٦و ١٠٧ ومعها في المنافقين أيضًا آيات: والمجادلة آية ١٤و ١٨: وفي القلم آية ١٠ وفي النساء آية ٦٢:﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ ﴾[4] .وجاء الفعل مرة واحدة مسندًا إلى الذين آمنوا، فلزمتهم كفارة الحنث باليمين﴿ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ﴾[5]

أمّا القسم فيغلب مجيئه في الأيمان الصادقة. وجاء المصدر منه موصوفًا بالعظمة في﴿ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ ﴾[6] . ويجئ الفعل في الشهادة ومثلها، حيث لا يحل الحنث باليمين، كالشهادة على الوصية: المائدة ١٠٦، ١٠٧.وحين يسند القسم في القُرآن إلى المجرمين فإنهم في ظنهم غير حانثين:﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾[7] وكذلك حين يقسم الكفار

---

(١) لم تخرج المفسرة هذا الصدر من الشعر ، ظ: الجاحظ: المحاسن والاضداد،٢٦٢ ،جاء فيه، كان النابغة يشبب بالمتجردة امرأة النعمان بن المنذر، وكانت أكمل أهل عصرها جمالاً، فبلغ ذلك النعمان، فهم بقتل النابغة فهرب منه، وسار حتى أتى الشام، والملك بها جبلة بن الأيهم الغساني، فنزل عليه وأقام عنده، وكتب إلى النعمان،

حلفت فلم أترك لنفسك ريبةً ... وليس وراء الله للمرء مذهب

لئن كنت قد بلغت عني خيانة ... لمبلغك الواشي أغش وأكذب

(٢) لم تخرج المفسرة البيت ، ظ: القالي/ الامالي(النوادر) ، ٦٣/٢ .

(٣) لم تخرج المفسرة المصدر ، ظ: الفيروزآبادى /القاموس المحيط، ٨٠١/١ .

(٤) النساء :٦١ -٦٢ .

(٥) المائدة : ٨٩ .

(٦) الواقعة :٧٦ .

(٧) الروم : ٥٥ .

باللّه جهد أيمانهم، عن اقتناع بصدق ما يقسمون عليه ولو كان في حقيقته كذبًا: ﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَـٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ ﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ﴾ [1] ومعها آيات: الأعراف ٤٩، إبراهيم ٤٤، المائدة ٥٣، النحل ٣٨، النور ٥٣، فاطر ٤٢.

وأمام هذا الاستعمال القُرآني، لا يهون أن نفسر القسم بالحلف، وصنيع القُرآن فيهما يلفت إلى فرق دقيق بين اللفظين المقول بترادفهما، فرق يؤيده فقه العربية، فاختلاف مادتي اللفظين يؤذن باختلاف مدلول كل منهما، وبين حلف وحنث من القرب، ما ليس بين حلف وقسم، مما يبعد أن يكونا سواء [2]

أشارت (بنت الشاطئ) الى قول العرب إن القسم والحلف بينها ترادف واستدلوا في ذلك بالشعر في حين أنّها لاحظت الملحظ البياني في القُرآن وفرقت بينهما ترى: أنّ لفظة (الحلف) قد جاءت في القُرآن اثنا عشرة مرة جميعها بمعنى الحنث بإسندها للمنافقين المعروفين بالكذب والحنث الا في موضع واحد أسند للمؤمنين ولزم الكفارة وأما القسم قد اقترن بالأَيمان الصادقة سواء اسند للمؤمنين او المجرمين؛ لأنه صدر عنهم وليس في نيتهم الكذب بل كانوا صادقين في أيمانهم حسب اعتقادهم .

ونخلص من ذلك إلى أن القسم مرتبط بالصدق والحلف مقترن بالحنث وما بينهما اختلاف يؤذن باختلاف مدلول كل واحد منهما إذ بين(حلف) و(حنث) من القرب ما ليس بين(قسم) و(حلف) مما يبعد أن يكونا سواء [3] وقد وقفت (بنت الشاطئ) على جملة من المفردات القُرآنية موضحة الفروق الدلالية لها في في مواضع شتى [4]

يتضح دقة (بنت الشاطئ) في استقراء معاني المفردات من خلال السياقات القُرآنية مبينة ما يختلف كل لفظة من سياق الحال والمقال فيوقفها على أسرار بيانية في الصياغة القُرآنية تعكس ما لديها من ثقافة لغوية ودينية وتفسيرات وأصولية في مجال الفروق اللغوية اهتم به أكثر اللغويين وإن كان بصفة عامة ولم يطبق في النص القُرآني الا القليل ومنهم (بنت الشاطئ) [5]

وهناك من ردّ على (بنت الشاطئ) في تفسيرها وتفريقها بين (القسم والحلف) وعدم اكتراثها لمبدأ الترادف في القُرآن منهم : الرومي يقول: ولنا معها وقفة عند آيات من القُرآن الكريم جاء فيها القسم في مقام الحنث باليمين وهو خلاف ما توصلت إليه، حيث أنّ بعض الآيات في القسم التي جاءت في مقام

---

(١) الانعام : ١٠٩ .

(٢) بنت الشاطئ/ التّفسير البيانيّ للقران الكريم ، ١٦٦/١ -١٦٨ .

(٣) ظ: بنت الشاطئ، التفسير البياني للقران الكريم، ١٦٨/١ .

(٤)ظ: المصدر نفسه ، منها (ألهاكم وشغلكم) في، ١٩٥/١ -١٩٥ ، (الصلى و الاصطلاء)في، ١١٣/٢ -١١٤ ، و(الدراية والمعرفة) في ، ١٧٦/٢ ، وأيضاً(الحث والحض) في ، ١٨٦/٢ .

(٥) ظ: نادية رمضان النجار/ الظواهر المعجمية والدلالية عند بنت الشاطئ/ ١٨٢ .

الحنث، صحيح أنها عدت هذا النوع[١] وقالت:" وحين يسند القسم في القُرآن إلى المجرمين فإنهم في ظنهم غير حانثين"[٢] لكن هل يصح القول أنهم يظنون أنهم كذلك في ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ إِنَّهُمۡ لَمَعَكُمۡۚ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَأَصۡبَحُواْ خَٰسِرِينَ﴾[٣]، لا شك أنهم يقسمون يعلمون أنهم حانثون؛ لأن ما أقسموا عليه ليس في درجة الظن، بل حقيقته بينة في قلوبهم. وهل يصح ذلك أيضًا في ﴿أَوَلَمۡ تَكُونُوٓاْ أَقۡسَمۡتُم مِّن قَبۡلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٖ ٤٤﴾[٤] كانوا يعتقدون حقيقة الخلود؟! أم أنهم كانوا يقسمون وهم يعلمون كذبهم وحنثهم، عنادا واستكبارًا[٥]

ويعلّق الرومي: الذي قلناه وغيره يظهر لنا أن الحلف والقسم على معنى سواء من ناحية الحنث وعدمه، ولا تصح هذه التفرقة ، وكلنا يخطئ ويصيب - أحيانًا بعد أن تستقرئ آيات القُرآن في لفظة واحدة لكنها والحماس يدفعها لا تصيب البيان الصحيح لبعض الآيات، حيث ظنت أن المجرمين في ظنهم غير حانثين بالقسم، فبنت على ذلك ما بنت[٦]

هذا وقد لاحظ جملة من الباحثين على (بنت الشاطئ) أنها تقرر المعنى قبل استقراءها اللغوي منهم الدكتور كامل سعفان، حيث قال: "إن الدكتورة عائشة تمضي في الاستقراء اللغوي بعد تحديد المعنى فيبدو عملًا لا مبرر له" [٧] ويمكن القول على هذا : يصح على منهج المتكلمين أن نضع المبنى ثم نذكر الاستقراء وعلى هذا يصح ما تصنع والأمثلة على هذا كثيرة. [٨].

وقد وجهت بعض النقود من قبل جملة من الباحثين: الدكتور شريف يقول: "ما كان هناك من مبرر لحملتها السافرة على قدامى المفسرين واعتدادها الشديد بما تحقق من نتائج، ووصفها المفسرين بالدأب على إفساد البيان القُرآني"[٩]

قال الدكتور الشرقاوي: "ولكن ما يلفت النظر في منهج المؤلفة حملتها السافرة على قدامى المفسرين واعتدادها الشديد بما تحقق من نتائج"[١]. والدكتور فهد الرومي : ذكرت أثناء عرض أسس منهجها بعض

---

(١) ظ: الرومي/ اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر ، ٩٣٦/٣ .

(٢) ظ: بنت الشاطئ/ التفسير البياني للقران الكريم ، ١٦٨/١ .

(٣) المائدة : ٥٣ .

(٤) ابراهيم : ٤٤ .

(٥) ظ: الرومي/ اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر ، ٩٣٧/٣ .

(٦) ظ: المصدر نفسه ، ٩٣٧/٣ .

(٧) كامل علي سعفان/ المنهج البياني في تفسير القرآن الكريم، ١٢١ نقلاً عن ، الرومي، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر ، ٩٣٨/٣ .

(٨) بنت الشاطئ/ التفسير البياني للقران الكريم ، ١٤٣/١ ، ١/ ١١٤ -١١٦ .

(٩) محمد إبراهيم شريف /اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر/ ٦٠٧.

بعض المخالفات للمنهج أو الأخطاء التي أحسب أن الدكتورة عائشة قد وقعت فيها، ولعلي أذكر هنا الملاحظات العامة. هناك إن من عيوبها -وجلَّ من لا عيب فيه - اعتدادها الشديد بآرائها وذكرت له أربع صور[٢] :

أولها: إنها تتيه بما وصلت إليه من معنى لكلمة قرآنية على المفسرين[٣] .

وثانيها: أنها تقلل بصيغ شتى من شأن المفسرين السابقين وتفسيرهم وتسوق عباراتها عنهم أحيانًا بما يشبه السخرية؛ بل لم أجد كلمة(المفسرين) في كتابها إلا وسياقها كذلك وهو أمر خطير.

وعلى هذه النقطة يمكن التعقيب : إذ تقول بنت الشاطئ :" ونحن نبدأ من حيث انتهى السلف، وتراثهم بين أيدينا علاماته على الطريق، لا تنقص من قيمته، ولا تحط من أقدار أهله،... ونمضي ونترك للأجيال بعدنا ما نترك، والباب مفتوح أبدًا ليس لأحدٍ أن يدّعي أنّه أغلقه ، والمجال رحب يتلقى في كلّ حينٍ جديدًا، لن يلبث أن يصير من القديم"[٤]

ثالثها: جزمها بصحة ما توصلت إليه وتعين القول به ورفض ما سواه. وسبق عصرها لم يصل إلى الحق حتى قالته[٥] ومن هذا يمكن القول على حد اطلاعي هذا حدّ علمها – والله أعلم - فقد يكون هناك من ذكر نفس كلامها ولكنّها لم تطلع عليه ، وبالذات هنا في هذا الموضع الحق أن المفسر القديم لعلّه كان أكثر حيطة منها حين وضع في اعتباره أن التّفسير قول على الله وخشي دائمًا القطع بقول لا يعلم أنه مراد الله من قوله.

رابعها: اعتدادها بنفسها إلى درجة أنها تذكر أقوالهم مقابل قولها فتقول مثلا: "لا نستطيع أن نطمئن إلى تفسير (النازعات) بما اطمأن إليه أكثر المفسرين ... "[٦] وكان الأولى أن تذكر رأيها بغير هذه الصيغة، وتقول في موضع آخر: "ولا حاجة بنا بعد هذا إلى الوقوف عند ما قاله بعض المفسرين في ..."[٧] .

ب - نموذج (٢) : قال تعالى:﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ ﴾[٨]

---

(١) عفت محمد الشرقاوي/ اتجاهات التفسير في مصر في العصر الحديث، ٣١٧.

(٢) ظ: الرومي/اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر ، ٩٣٧/٣ .

(٣) بنت الشاطئ/ التفسير البياني للقران الكريم ، ١/ ٢٦ .

(٤) بنت الشاطئ، الاعجاز ابياني، ٣٤ .

(٥) بنت الشاطئ/ التفسير البياني للقران الكريم، ١/ ٢١٥ .

(٦) بنت الشاطئ/ التفسير البياني للقران الكريم، ١/ ١٢٤ .

(٧) المصدر نفسه ، ١/ ١٦٢ .

(٨) البقرة : ١٠٢ .

ذكرت (زينب الغزالي) في مجال بيان المسائل النحوية: يقول القرطبي: إن (ما) نافية، حيث إن الله لم ينزل على الملكين سحرًا والملكان هما جبرائيل وميكائيل، فيكون تقدير الكلام ٠ وما كفر سليمان ، ولا انزل الله السحر على الملكين، وإنما الشياطين كفروا : يعلمون الناس السحر [١] استثمرت المفسرة النقل عن القرطبي وهو أحد مصادرها في بيان الآية وشرحها على أساس الملحظ النحوي لـ(ما) النافية . وهذا الرأي ضعفه ابن هشام(٧٦١هـ) في (المغني) ورجّح ان تكون (ما) موصولة [٢] وقال الطبري: والصواب من القول في ذلك عندي قول من وجه ما التي في قوله: ﴿ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ ﴾ إلى معنى الذي[٣]، وذهب الطوسي(٤٦٠هـ):إلى أن (ما) في هذه الآية بمعنى الذي واعزًا بذلك الى رواية ابن عباس وقتادة وابن زيد والسّدي [٤] وذهب إليه السّمعاني(٤٨٩هـ) أيضًا إذ يقول: والصحيح : أن (ما) بمعنى (الذي) ، يعني : والذي أنزل على الملكين[٥]

ثم ان الملكين قالت المفسرة أنهما (جبرائيل وميكائيل) في حين أنّ النّص صرّح بالملكين هما (هاروت وماروت) والدليل في ذلك أنهما مجروران بالفتحة بدل الكسر كونهما اسمين ممنوعين من الصرف يجرّان بالفتحة بدل الكسرة قال الطبري: "وأن هاروت وماروت مترجم بهما عن الملكين؛ ولذلك فتحت أواخر أسمائهما" [٦] وذهب الى ذلك جملة من المفسرين[٧] ، قال الزمخشري: هارُوتَ وَمارُوتَ عطف بيان للملكين علمان لهما، والذي أنزل عليهما هو علم السحر ابتلاء من اللَّه للناس. من تعلمه منهم وعمل به كان كافرًا، ومن تجنبه أو تعلمه لا ليعمل به ولكن ليتوقاه ولئلّا يغتر به كان مؤمنًا [٨]

ومن ذلك يتضح ان المفسرة مالت الى ما ذهب اليه القرطبي في تفسيره وهو نفسه الذي اورده ابن كثير كأحد الآراء[٩] الذي كانت لها معه جلسات وجلسات ، وهو أقرب من ان يكون بعيدًا عمّا تناوله المفسرون من الفريقين (السنة والشيعة) والغالب فيها . وهناك تفصيلات وآراء مختلفة في تفسير هذا النص ويبدو لي ان ما قرته المفسرة لا ينسجم تمامًا مع سياق الآية ووضوح دلالة ظاهرها والقرائن التي تحف بها فضلًا عن الروايات التي جاءت في صدد هذه الآية في المباحث التي أورتها التفاسير المشار اليها .

---

(١) ظ: زينب الغزالي/ نظرات في كتاب الله، ١/ ٦٤ وانظر مصدرها ، ابن كثير، ١٣٦/١ -١٣٧ .

(٢) ظ: ابن هشام / مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ٤١٥ .

(٣) ظ: الطبري / جامع البيان عن تأويل آي القرآن ،٢/ ٣٣٧ .

(٤) ظ: الطوسي/ التبيان في تفسير القران ، ٣٧٣/١ .

(٥) ظ: السمعاني ، تفسير السمعاني، ١١٦/١ .

(٦) الطبري ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ،٢/ ٣٣٩ .

(٧) ظ: البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن ، ١٤٨/١ .

(٨) ظ: الزمخشري/ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ١٧٢/١ ، ظ: الطباطبائي /الميزان في تفسير القران ، ٢٣٣/١ ،السبزواري/ مواهب الرحمن في تفسير القران، ٤٨٩/١، الشيرازي/ الأمثل في تفسير الكتاب المنزل، ٢٠٩/١ .

(٩) ظ: ابن كثير/ تفسير القرآن العظيم ،١/ ٣٥٠ .

وفي المقام ذاته استعانت المفسرة بأصل اللغة في قوله تعالى:﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ ﴾[1] قالت: الايلاء: لغة: الحلف[2] وهذا البيان قال فيه الراغب(٥٠٢هـ [3] ويتضح ويتضح من ذلك أنّ المفسرة على وعي في كشف المعنى من المفردة بلحاظ أصل اللغة .والجانب البلاغي وفي بيان قوله﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ ﴾[4]قالت: (ومن أظلم) استفهام يفيد النفي، يعني(ليس هناك أظلم ممن منع مساجد الله...) [5] أفادت المفسرة وبيّنت الدلالة بواسطة الاستفهام الاستنكاري الذي أفاد أفاد النفي بقولها: ليس هناك أظلم ممن منع مساجد الله.. بمعنى ان الاستفهام خرج عن حقيقته الى معنى النفي[6]إنكارٌ لأن يكون أحدٌ أظلمَ ممن فعل ذلك [7]لما كان أصلُ (مَن) أنّها نكرةٌ موصوفةٌ أشربت معنى معنى الاستفهام وكان الاستفهامُ الإنكاري في معنى النّفي صار الكلامُ من وقوع النكرة في سياق النفي فلذلك فسّروه بمعنى لا أحد أظلم[8]

وفي (الايجاز)[9] اشارت في قوله تعالى:﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[10]قالت : : وقد كانت العرب تقول: (القتل أنفى للقتل) فجاءت عبارة﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ﴾بالأبلغ والافصح، والأوجز، وفي القصاص حياة حيث يهاب من يريد القتل ان يقتل (فيترك القتل) [11] هو تفسير بلاغي أشار اليه أبو هلال العسكري(٣٩٥هـ)[12] وفي مقام التوسل بالشعر في قوله تعالى:﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ

---

(١) البقرة : ٢٢٦ .

(٢) ظ: زينب الغزالي/ نظرات في كتاب الله، ١/ ١٣٥ .

(٣) الاصفهاني/ مفردات غريب القران،٤٨ ،

(٤) البقرة : ١١٤ .

(٥) ظ: زينب الغزالي/ نظرات في كتاب الله، ١/ ٦٨

(٦) ظ: الاندلسي/ ابي حيان، البحر المحيط ، ٥٧١/١

(٧) ظ: ابي السعود / إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ١٤٩/١

(٨) ظ: ابن عاشور / التحرير والتنوير ، ٦٧٩/١

(٩) الايجاز ، يقال/ أوجز في كلامه، إذا قصره، وكلام وجيز أي قصير، ومعناه في اصطلاح علماء البيان، هو اندراج المعاني المتكاثرة تحت اللفظ القليل، وأصدق مثال فيه قوله تعالى، {فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ} [الحجر ، ٩٤] ، ظ: العلوي/ الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ٤٩/٢ ؟

(١٠) البقرة : ١٧٩ .

(١١) ظ: زينب الغزالي/ نظرات في كتاب الله، ١/ ١٠٣

(١٢) ظ: العسكري/ الصناعتين في الكتابة والشعر، ١٧٥ ، الثعالبي/ الاعجاز والإيجاز، ١٨ ، الخفاجي/ سر الفصاحة، ٢٠٩ ، الرماني والخطابي والجرجاني/ ثلاث رسائل في اعجاز القران، ٧٧٧٨ ، السكاكي/ مفتاح العلوم، ٢٧٧ .

عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ ﴾ [1] قالت: (أم)في الآية بمعنى (بل) أي بل اليهود يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله، والحسد مذموم، وهو يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب[2] ، ولله در الشاعرالذي قال [3] :

ألا لمن ظـــلّ لـــي حاسدا أتــدري على من أســأت الادب
أسأت على الله في حكمه إذا أنت لم ترض لي ما وهب

ويقول آخر [4] :

إصبر على حسد الحسود فإنَّ صبرَك قاتـــله
فالنار تأكـل بعضـــها إن لــم تجد ما تأكله

ثم قالت: واليهود قد اختلفوا على أنبيائهم وملوكهم، فإن اختلفوا اليوم في أمرك يا محمد فذلك ليس بغريب عليهم فهم قتلة الانبياء وهم اصحاب السبت وهم سراق الذهب الذي صنعوا منه العجل الذي عبدوه [5]

التفتت المفسرة إلى (أم) في هذه الآية بمعنى (بل)،وقد جاءت (أم) على معنيين ولم تحدد المفسرة أيَّ نوع منهما قال بعضهم: أم حرف عطف، وتستعمل في معنيين: الأول المعادلة، نحو أزيد عندك أم بكر ؟ أي أيّهما عندك ؟ وتسمى المتّصلة. المعنى الثاني الإضراب عما قبلها، وتسمى منقطعة، وأم هنا للإضراب بمعنى بل [6] ثم استعانت المفسّرة بالشّواهد الشّعرية زيادة في إيضاح المعنى لكلمة (حسد) . وشعر من مظانّ اللغة فاستعانت به .

ت - نموذج (٣) : قال تعالى:﴿ لِيَأۡكُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتۡهُ أَيۡدِيهِمۡۖ أَفَلَا يَشۡكُرُونَ ٣٥ ﴾ [7]

---

(١) النساء : ٥٤ .

(٢) اقتبست المفسرة هذا النص من حديث أورده ابن ماجه في سننه، قال رسول لله (صلى اللّهُ عليه وآله)، "الْحَسَدُ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ، كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ" ظ: ابن ماجه / سنن ابن ماجه، حديث(٤٢١٠) ،١٤٠٨/٢ .

(٣) هذا البيت ، للقاضي أبو الفرج المعافى بن زكريا بن يحيى بن حميد بن حماد بن داود المعروف بابن طرارا الجريري النهرواني كان فقيهاً أديباً شاعراً عالماً بكل فن ولي القضاء ببغداد ظ: ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ،٢٢١/٥ .

(٤) البيت للإمام علي ابن ابي طالب عليه السلام ظ: الباعوني/ جواهر المطالب في مناقب الإمام علي عليه السلام ، ٢ /١٣٧

(٥) ظ: زينب الغزالي، نظرات في كتاب الله، ٣٠٧/١

(٦) ظ: مغنية/ التفسير الكاشف ،٣٤٩/٣ ، البلاغي / آلآء الرحمن في تفسير القران، ١٣٩/٢ ، الطهراني / تفسير مقتنيات الدرر ،١١٨/٣ .

(٧) يس : ٣٥ .

ذكرت (حنان اللحام) : وتعني ما هنا: إما نافية، فيكون المعنى: ليست أيديهم هي التي صنعته، وأما اسم موصول بمعنى الذي .. ليأكلوا من الذي عملته أيديهم.. والله هو الذي منحهم القدرة على العمل وسخر لهم السموات والارض (أَفَلَا يَشْكُرُونَ) [1]

أوردت المفسّرة لـ(ما) في الآية نوعين: إمّا نافية أو موصولة ، ولكل منهما دلالته في الآية، فقد اختار الثاني ابن قتيبة في غريبه [2] والنّحاس في إعرابه وأستبعد أن تكون(ما) نافية [3] وذكرته المفسرة ولم ترجّح أحدهما على الآخر .التفت صاحب الميزان الى هذا الملحظ واختار أن تكون (ما) نافية وهو محق في ذلك، واستدل على ذلك بقوله تعالى:﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ [4]، واستبعد أن تكون (ما) موصولة ردًا على مَن قال بها [5] فاستدلاله بالقُرآن الكريم من سورة يس ،واستشعاره بالمقام وسياق الكلام عن التدبير الإلهي جعله يرجّح أن تكون (ما) نافية وللمفسرة شواهد كثيرة تستوضح الآية اعتمادًا على أساس النحو [6] ومن الموارد البلاغية التي أشارت اليها في مواطن كثيرة [7] ففي بيان الحقيقة والمجاز [8] : في قوله تعالى:﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ﴾ [9] قالت: جاء وقت عواقب الدنيا: ويمكن أخذ الآية على الحقيقة : اي نبع الماء من الارض حتى فار من التنور . أو على المجاز كما يقولون: بلغ السيل الزبى .. بمعنى اشتد غضب الله عليهم [10] افادت المفسرة هذا البيان من (ابن عاشور) وذكر أنّ الآراء فيها مختلفة وما رجَّحه ابن عاشور :ما كان المعنى فيها على المجاز [11] ،وصورة فوران التنور، صورة غيبية، لا نعرف ماهيّتها، ولكنها كانت مجرد علامة على بدء

---

(١) حنان اللحام/ أضواء على سورة يس/ ٥٣ .

(٢) ظ: الدينوري/ غريب القرآن/ ٣١٣ .

(٣) ظ: النحاس/ إعراب القران، ٣/ ٢٦٦ .

(٤) يس: ٧١ .

(٥) ظ: الطباطبائي/ الميزان في تفسير القران ،٨٧/١٧ .

(٦) حنان اللحام/ أضواء وتأملات في سورة طه / ٤٩ .

(٧) حنان اللحام/أضواء وتأملات في سورة طه/ ٢١٨ ، من هدي سورة البقرة/ ٤١٥ ، من هدي سورة لقمان/ ١٤٦.

(٨) "قد أنكر قوم وقوع المجاز فيه، وقالوا، إنه أخو الكذب، والقرآنُ منزّه عنه، وإن المتكلم لا يعدل إليه إلا إذا ضاقت الحقيقة فيستعير، وذلك محال على الله تعالى .وهذه شبهة باطلة، ولو سقط المجاز من القرآن سقط منه شَطْرُ الحسن، فقد اتفق البلغاء على أن المجاز أبلغ من الحقيقة، ولو وجب خلو القرآن عن المجاز وجب خلوه من الحذف والتوكيد وتكنية القصص وغيرها." السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن ، ١٨٦/١

(٩) هود : ٤٠ .

(١٠) ظ: حنان اللحام/تأملات في سورة هود /٦٤ .

(١١) ظ: ابن عاشور/ التحرير والتنوير، ٧١/١٢ .

تعذيبهم بالإغراق[١] وذهب الرومي إلى: انّ التفسيرات حولها لا تخلوا من رائحة الاسرائيليات[٢] وعلى ذكر الحذف[٣] ذكرت موارد منها [٤]

نموذج (٤) : قال تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ﴾[٥]

ترى نائلة صبري : بالحق: بالحكمة [٦] و ذكروا فيه أربعة أقوال: أحدها: خلقهما للحق. والثاني: خلقهما حقًا. والثالث: خلقهما بكلامه وهو الحق. والرابع: خلقهما بالحكمة.[٧] فهي اختارت الرّابع من الأقوال .

وأحسب أنّ هذا الاختيار فيه نظر: فلو كان الاختيار على القول الأول أو الثّاني على ما أورده ابن الجوزي وكما اختاره الطباطبائي بقوله: إنّما يكون فعلًا حقًا إذا كان له أمر يقصده الفاعل بفعله وغاية يسلك بالفعل إليها وأما إذا كان فعلًا لا يقصد به الا نفسه من غير أن يكون هناك غرض مطلوب فهو الفعل الباطل وإذا كان الفعل الباطل ذا نظام وترتيب فهو الذي يسمى لعبًا كما يلعب الصبيان بإتيان حركات منظمة مرتبة لا غاية لهم وراءها [٨] كما نلحظ أن هذا المعنى المختار من قبل المفسرة قد فارق المعنى العام للخطاب فسياق الآية ليس بطور الكلام عن الخلق وإبداعه أي : ليس الخلق مدار الكلام وإنما غايته للحق فاستهلال الآية ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ﴾ فهو خطاب عام موجهٌ لحضرة النّبي(صلى اللّهُ عليه وآله)والمسلمين وغيرهم واختتامها بقوله:﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ خطاب لكل واحد من الكفرة، واذا اراد الله ان يميتكم أيها الكفار وأن يخلق قومًا غيركم خيرًا منكم فعل، ونظيره في سورة الأحقاف قوله:﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِۦَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ ﴾[٩]

---

(١) عبد السلام أحمد الراغب/ وظيفة الصورة الفنية في القرآن/٢٧١ .

(٢) ظ: الرومي/ اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر ، ٣/ ١٠٤٦ .

(٣) يقول الجرجاني، "هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبن(تبين) " الجرجاني/ دلائل الاعجاز في المعاني/ ١٤٦ .

(٤) ظ: حنان اللحام/ من هدي سورة النور /٣٧ .

(٥) ابراهيم :١٩ .

(٦) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القران ،١٣٠/١٣/٥ .

(٧) ظ: ابن الجوزي/ زاد المسير في علم التفسير، ٤٤/٢ .

(٨) ظ: الطباطبائي/ الميزان في تفسير القران ،١٢ /٤٢ .

(٩) ظ: نائلة صبري، المبصر لنور القران ،١٣١/١٣/٥ .

وفي بعض الاحيان تورد نائلة صبري في تفسيرها للمفردة أكثر من معنى ولم تختر منها مثال ذلك :في قوله تعالى:﴿ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ ﴾[1] قالت: "سامدون : لاهون، معرضون، غافلون، متكبرون" [2] المعنى الاول قالت : سامدون : لاهون وهذا المعنى بلغة اليمن[3] وفي لغة حمير تعني الغناء[4] وبقية المعاني: معرضون، قاله مجاهد، ومستكبرون، قاله السدي، وغافلون قاله قتادة[5] ومتكبرون ذكره السمعاني[6] وفي ظل هذا التعدد من المعاني وإن صح إطلاقها جميعًا على (سامدون) على ما جاء والله أعلم . يبقى ان ننظر الى السياق قد يفيد بتشخيص معنى من هذه المعاني والمعاني التي ذكرها الماوردي وعدّها تسعة تأويلات[7]

ولعل المعنى الأقرب كما يبدو هو ما ذهب اليه من قال : بالتكبر وأفاد منه الشيرازي في قوله: وكلمة سامدون مشتقة من سمود على وزن جمود ومعناه اللهو والانشغال ورفع الرأس للأعلى تكبرًا وغرورًا، وهي في أصل استعمالها تطلق على البعير حين يرفل في سيره ويرفع رأسه غير مكترث بمن حوله، فهؤلاء المتكبرون المغرورون كالحيوانات[8] .نلحظ هذا المعنى أقرب لدلالة السّياق فعادة ما يقترن معنى العبادة العبادة والتكبر في سياق واحد منها قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ﴿٢٠٦﴾ ﴾[9] وفي قوله تعالى:﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾[10] وفي سورة الانبياء (أية ١٩) وفي سورة السجدة(آية ١٥)أيضًا، ونلحظ سياق الآية والآية التي بعدها ، تشير للسّجود وهو ما يؤيد ذلك . ولعلّ الكلّ مطلوبًا في معناه على ما ذكرت المفسّرة لكنّ السّياق كما أفاد منه الشيرازي بدلالة المفردة هوما يميل إليه الباحث .

توسلت المفسرة (نائلة صبري) في بيان كل آية أو مفردة قرآنية باللغة كأصل تفسيري، تارة بلحاظ بيان المفردة ومعناها من دون تفصيل بل تكتفي بما يفي الغرض في مواطن كثيرة [11] وفي بعض الاحيان

---

(١) النجم : ٦١ .

(٢) نائلة صبري/ المبصر لنور القران ، ١٠/٢٧/١٠٣ .

(٣) ظ: مقاتل/ تفسير مقاتل بن سليمان، ٤/١٦٨ .

(٤) ظ: مجاهد/ تفسير مجاهد، ٦٢٩ .

(٥) ظ: الماوردي/ النكت والعيون ، ٥/٤٠٧ .

(٦) ظ: السمعاني/ تفسير القران، ٥/٣٠٥ .

(٧) ظ: الماوردي/ النكت والعيون ، ٥/٤٠٧ .

(٨) ظ: الشيرازي/ الأمثل في تفسير كتاب الله الأمثل، ١٧/٢٨١ .

(٩) الاعراف :٢٠٦ .

(١٠) النحل : ٤٩ .

(١١) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القران ، ١/١/٤٦ .

تنتقي المفردة وتبينها بذكر جذر الكلمة واشتقاقها الصرفي[١] في بيان الملمح النحوي في قوله تعالى:﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾ [٢] قالت: " مالك كاسم فاعل من ملك يملك"[٣] أشارت المفسرة الى هذا الملحظ اللغوي ولم تفد منه بشيء فلو أشارت الى شيء من دلالة الاسم في النص والفرق بينه وبين الفعل، وإن كان مقام التفسير لا يسمح بذلك لأنها عنت بتفسيرها الايجاز والتبسيط . يقول أبو البقاء: "الجملة الاسمية فإنها موضوعة للدلالة على الثبوت مجردًا عن قيد التجدد والحدوث"[٤] ،يقول السامرائي: إنّ الاسم يدل على الثبوت والفعل يدل على الحدوث[٥] ومما تقدم نخلص بما أفاده الجرجاني: بأنه مالك للأشياء كلها أزلًا وأبدًا، ولا يتغير بوجودها وعدمها إلا تعلق ملكه بها . وقد يجاب بأن معنى الاستمرار هو الثبوت من غير أن يعتبر معه حدوث في أحد الأزمنة وذلك ممكن في المستقبل كأنه قيل : هو ثابت المالكية في يوم الدين[٦]

وفي قوله تعالى:﴿ ۞ وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِ ﴾[٧]تقول: الوالدات: جمع الوالدة، وهي الام،

جاءت التاء للتفريق بين المذكر والمؤنث، وهي مبتدأ ،(يرضعن أولادهن): الجملة الفعلية خبر المبتدأ"[٨] هذا الوجه الإعرابي أفادته المفسرة من تفسير القرطبي وغيره [٩]

نشير إلى ملحظ مهم في بيان هذا النص وهو إن بقيت الجملة على حالها (على انّها خبرية) فهي محتملة الصدق والكذب وانّى ذلك في القُرآن، لذا قال بعض المفسرين ان الجملة إنشائية تأتي بصيغة الخبرية منهم السّيوري(٨٢٦ هـ): "أنّ الوالدات ينبغي لهنّ أن يرضعن أولادهنّ لأنّ هذه الجملة خبر في معنى الأمر تقديره (ليرضعن أولادهنّ) إذ لا جائز أن يكون على الخبريّة ، وإلا لزم الكذب"[١٠] وهذا الملحظ اشار اليه العلوي في الطراز وغيره من علماء البلاغة[١١] وهناك ملحظ مهم آخر في هذا النص أشارت المفسرة

---

(١) نائلة صبري/ المبصر لنور القران ، ١ /١ / ٤٦ . ١ / ١/ ٧٧ .

(٢) الفاتحة : ٤ .

(٣) نائلة صبري/ المبصر لنور القران، ١/ ١ /٣٤ .

(٤) ابو البقاء/ الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية/ ٨١٧ .

(٥) ظ: السامرائي/ الجملة العربية ، تأليفها وأقسامها/ ١٦٢ .

(٦) ظ: الشريف الجرجاني، الحاشية على الكشاف/ ٥٩ .

(٧) البقرة: ٢٣٣ .

(٨) نائلة صبري/ المبصر لنور القران،٢ /٤ /٢٣ .

(٩) ظ: القرطبي/ الجامع لأحكام القرآن ، ١٦٠/٣ ، ظ: درويش/ إعراب القرآن وبيانه، ٣٤٧/١ .

(١٠) السيوري، كنز العرفان في فقه القران، ٢٣١/٢ .

(١١) ظ: العلوي/ الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، ١٦٢/٣ ، ظ: حَبَنكة / البلاغة العربية، ١٧٥/١ ، السامرائي/ الجملة العربية تأليفه وتقسيمها / ١٨٠ .

الى طرف منه بخصوص (الوالدات) جمع لـ(والدة) في حين (الوالد) عدل عنه عن صيغة اسم الفاعل (والد) إلى اسم المفعول: (مولود له) في قوله تعالى : ﴿ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ ﴾ وهذه الآية تفيدنا من ناحيتين: أولاهما: أن القُرآن أتى باسم المفعول مكنيًا به عن الأب على وجه الحقيقة لأن الأب مولود له حقيقة. وليس بوالد. وذلك في موضعين: ﴿ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ ﴾ثم:﴿ وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ﴾. ثانيتهما: أنه أتى باسم الفاعل المؤنث في الدلالة على الأم على وجه الحقيقة لأنها والدة فعلًا. وذلك في موضعين منها كذلك: ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ ﴾. ثم:﴿ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا ﴾. فالأب في جميع الأحوال ليس والدًا ، وإنما هو مولود له [١]

وتتجلى الاشارات البلاغية عند (نائلة صبري) بتلميح بسيط وبيان يسير نلحظ فيه عدم الرغبة في بسط الكلام والشرح وتكتفي بذكر المصطلحات البلاغية كالتشبيه والمجاز والاستعارة والكناية وغيرها من الطباق والجناس والمقابلة وعادة ما تذكر هذه الملاحظ البلاغية في مقدمة تفسير السورة وقد انفردت المفسرة بهذه المميزة دون غيرها من المفسرات وتجد هذه العنوانات البلاغية تحت عنوان (مميزاتها) بفقرة (تضمنت السورة وجوهًا بلاغية وصورًا بيانية بديعية) في كل سورة ابتداءً من سورة الرعد حتى آخر سورة في القُرآن [٢] وقد خلت هذه الميزة في بداية تفسيرها في إحدى عشرة سورة بدءًا من سورة الفاتحة وانتهاءً بسورة يوسف لم نلحظ هذه الفقرة ضمن مميزات السورة . ومن موارد ذلك:

التشبيه في قوله تعالى:﴿ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ ﴾[٣] تقول: تكون الجبال كالعهن المنفوش: تشبيه مرسل [٤] ان التشبيه المرسل نوع من أنواع التشبه بلحاظ الأداة [٥] لم تبين المفسرة حقيقة التشبيه في الآية ووجه الشبه، يقول الزمخشري: شبههم الله بالفراش في الكثرة والانتشار والضعف والذلة، والتطاير إلى الداعي من كل جانب، كما يتطاير الفراش إلى النار [٦] ثم إنّ وجه الشبه في الآية كثرة الاكتظاظ على أرض المحشر [٧] وهذا ما أُطلق عليه عند البيانيين بالتشبيه المرسل [٨] ولها في ذلك شواهد عدة [٩]

---

(١) عبد العظيم المطعني/خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، ٢٨٥/١ .

(٢) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القران ، ٥ /١٣ / ٤٧ ، ٨ /٢٢ / ٢٠٤ ، ٩ /٢٣ /٥٢ -٥٣ .

(٣) القارعة : ٤ .

(٤) ظ: نائلة صبري/المبصر لنور القران، ١١ /٣٠ / ٥٦٧ .

(٥) ظ: الهاشمي/ جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ٢٣٨ .

(٦) ظ: الزمخشري/ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، ٧٨٩/٤ .

(٧) ظ: ابن عاشور / التحرير والتنوير، ٥١٢/٣٠ .

(٨) التشبيه المرسل:وهو التشبيه الذي ذكرت فيه أداةٌ من أدوات التشبيه، ظ: حَبَنَّكَة /البلاغة العربية، ١٧٣/٢ .

(٩) نائلة صبري/ المبصر لنور القران ، ٢٧/١٧/٧ .

وفي الاستعارة[1] قال تعالى:﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾[2]علامة أخرى على على كمال قدرته عزّ وجلّ وهي العلامة الثانية الهامة يزيل الله عز وجل الليل بالضوء ويفصله وينزع عن النهار فإذا هم داخلون في الظلام وهنا استعارة بليغة[3] أفادت المفسرة من هذا الملحظ البلاغي بذهاب ضوء النهار بمجيء الليل إذا غربت الشمس وتوارت عن الانظار انسلخ النهار من الليل، كون الليل أصلًا والنهار يقبل عليه فيبدده، ليتحول حالهم من النور الى الظلام، وهذه آية وبرهان دائم ما دامت السموات والأرض. وأشارت إلى هذا الصدد في مواطن أخرى[4]

وأشارت للكناية[5] في تفسيرها لقوله تعالى:﴿ ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[6]قالت : كناية عن التكبر والخيلاء[7]

وفي قوله تعالى:﴿ وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ﴿٢٧﴾ ﴾[8] قالت: كناية عن عن الندم والحسرة[9]

كما أنّ المفسّرة وقفت على موضوعات البديع من الجناس والطباق والمقابلة وغيرها منها :في الجناس[10] أشارت الى قوله تعالى:﴿ ۞ وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾[11]

---

(١) عُرفت الاستعارة: أنّها تسمية الشّيء باسم غيره إذا قام مقامه ، ظ: الجاحظ/ البيان والتبيين، ١/ ١٤٢ .

(٢) يس : ٣٧ .

(٣) نائلة صبري/ المبصر لنور القران ،٩/ ٩/٢٣ .

(٤) المصدر نفسه ،٩/ ١٥٦/٢٣

(٥) المقصود بالكناية، أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود، فيومئ به إليه، ويجعله دليلاً عليه، وفي موضع آخر، قد أجمع الجميع على أن (الكناية) أبلغ من الإفصاح، ظ: الجرجاني/ دائل الاعجاز في علم المعاني، ٦٦ ، ٧٠

(٦) الحج:٩.

(٧) نائلة صبري/ المبصر لنور القران ،٧/ ١٠٣/١٧ .

(٨) الفرقان : ٢٧ .

(٩) نائلة صبري/ المبصر لنور القران ،٧/ ١٦٣/١٨ .

(١٠) عرفه العلويّ بقوله ،" وهو أن تتفق الكلمتان في جميع حروفهما إلا في حرفين لا تقرب بينهما" ، العلويّ/ الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ،١٣٨/٣ .

(١١) الانبياء: ٨٣.

قالت: هناك جناس في قوله (أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ)[1] وفي قوله تعالى:﴿ يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ ﴾[2]قالت: هناك جناس في قوله(تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ)[3]

يُعدُ الجناسُ من المحسنات اللفظية التي تضفي على الكلمة الرّوعة والجمال في صياغتها وتركيبها مع قريناتها، وانسجامها الصوتي في الجملة لفظًا ولا تخلو من زيادة في المعنى . أشارت المفسرة الى هذا المقصد، ولم تفدنا بالدلالة المتوخاة منها، بل اكتفت ببيان الشاهد. وإذا ما تأملنا نلحظ أن موارد الجناس في هذه الآيات وشواهدها فإنّها من نوع الجناس الناقص لزيادة حرف أو حرفين .كما أنّ الجانب الصّوتي يكاد يكون الركيزة الأساس في فنّ الجناس وما الجانب الصوتي إلا الإيقاع والنَّغم، أو التّرديد الموسيقي ، فالكلمتان المتجانستان هما في الواقع إيقاعان مترددان في الشعر أو النَّص القُرآني تطرب له الأذن، وتهتز له أوتار القلوب[4] ففي قوله تعالى: ﴿ يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴾،الصورة السّمعية هنا توحي بالصدى المصاحب للصوت الشديد، وهذا يعني أن الصور مترابطة في رسم المشهد، ونقل تفصيلاته، وما يصاحبه من آثار في النفوس[5]

وفي الطباق[6] أشارت الى ذلك في تفسيرها قوله تعالى:﴿ هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ۝٣ ﴾[7]هناك طباق في (ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ) وفي (وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُ)[8] وفي قوله:﴿ وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ ۝٧ ﴾[9] تقول: تبيّن أن هناك طباق بين(الجنة والسّعير)[10]

---

(١) نائلة صبري/ المبصر لنور القران ،٧/ ٥٥/١٧ .

(٢) النازعات: ٦.

(٣) نائلة صبري/ المبصر لنور القران ،١١/ ٤٨/٣٠

(٤) ظ: جعفر السيد باقر الحسيني/ أساليب البديع في القران/ ١٨٦ .

(٥) ظ: عبد السلام أحمد الراغب/ وظيفة الصورة الفنية في القرآن/٣٣١ .

(٦) عرف الطباق أو المطابقة،" قد أجمع أرباب هذه الصناعة على أن المطابقة في الكلام هي الجمع بين الشيء وضده؛ كالسواد والبياض، والليل والنهار." ابن الأثير/ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ٢٦٤/٢.

(٧) الحديد:٣.

(٨) نائلة صبري/ المبصر لنور القران ،١٠/ ٢٥٧/٢٧ .

(٩) الشورى:٧ .

(١٠) نائلة صبري/ المبصر لنور القران ،٩/ ١٣/٢٥ .

وفي المقابلة [١] أشارت الى ذلك في لقوله تعالى:﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ ﴾ [٢] [٣] وتأتي غاية المقابلة في مثل هذه الآيات بين المعاني تزيدها في الفكر وضوحًا، وفي النّفس رسوخًا [٤]

نموذج (٥) : قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [٥]

قالت ماجدة الفارس: ولم يقل تعالى : تسعمائة وخمسين سنة، يقول أهل العلم: إن لفظ (السّنة) يطلق على الأيام الصعبة الشديدة، و(العام) يطلق على الايام السهلة أيام الرخاء والنّعيم ولذلك قال يوسف عليه السلام : ﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ ﴾ [٦] كان يقصد الايام الشاقة ودليله قوله تعالى:﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ ﴾ [٧] فهي أيام قحط وجفاف، وذكره عليه السلام ايام الرخاء قال:﴿ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [٨] وبذلك يكون قد لبث نوح عليه السلام فيهم ألف سنة من الشقاء والشدة ما الله به عليم، إلا خمسين عاماً رخاء [٩] ولها في هذا المجال تفسيرات كثيرة، منها الفرق بين (الفقير) و(المسكين) [١٠] والفرق بين(النسك) و(الهدي) [١١] ،والفرق بين (الغيض) و(الغضب) [١٢]

وإذا ما التفتنا الى ما طبّقته (ماجدة الفارس) في تفسيرها من بيانات وإيضاحات قرآنيّة جاءت على إثر ما يتعلّق باللغة بوصفها أصل يركن إليه في التّفسير وما يتصل بها من علوم ومن ذلك جمع المفسرة بين الألفاظ والتفريق فيما بينها أوردت كثيرًا من الفروق اللغوية بين المفردات وكانت تبسط الكلام فيها مرة

---

(١) عرّف الباقلاني(٤٠٣هـ)، (المقابلة): وهي أن يوفق بين معان ونظائرها والمضاد بضده، ظ: الباقلاني، إعجاز القرآن/ ٨٧ .

(٢) ص: ٢٧ .

(٣) نائلة صبري، المبصر لنور القران ،٩/ ١٤٦/٢٣ .

(٤) ظ: أحمد البيلي البدوي/ من بلاغة القرآن/١٤٣ .

(٥) العنكبوت :١٤ .

(٦) يوسف :٤٧ .

(٧) الأعراف: ١٣٠.

(٨) يوسف :٤٩ .

(٩) ظ: ماجدة الفارس / التوضيح والبيان في تفسير آي القران، ١٢٠/٥ .

(١٠) ظ: المصدر نفسه، ٢٨٦/١ .

(١١) ظ: المصدر نفسه ، ٣٣٢/١ .

(١٢) ظ: المصدر نفسه، ٢٨٠/٢ .

وتختصر أخرى وفي مجال استعانتها بمسائل النحو قال تعالى:﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ ﴾ [1] باسم مشتق من: السموّ بمعنى الرفعة والعلو وجمعه أسماء قال تعال:﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ [2]الباء هنا متعلق بفعل محذوف اي: الجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف. فالقارئ حين يقول: بسم الله، معناه : إقرأ مستعينًا باسم الله والكاتب حين يأخذ القلم ويقول: باسم الله، معناه: اكتب مستعينًا باسم الله، وفي الحديث: (كل أمرٍ ذي بال لا يبدأ به باسم الله الرحمن الرحيم فهو أبتر)[3][4] وقد كثر عندها في مواطن أخرى[5] ونلحظ لها بهذا الصدد تعطي لكل مفردة أكثر من معنى لغوي وتختار منها[6]

ولم تغفل المفسرة (ماجدة الفارس)في تفسيرها ما يخص المسائل البلاغيّة من علم المعاني والبيان من استعارة وكناية وتشبيه وغيرها. في مواطن عدة [7] .

المبحثُ الخامسُ: الأَصلُ الخامس(إجماع المفسّرين):

توطئة:

كشف البحث عن دور إجماع المفسرين في التّفاسير النّسويّة ومدى مساحته فيها؛ وذلك لأهميّته عندهنّ ؛ بوصفه أصلًا من أصول التّفسير وقبل المضي في بيان أثره عند المفسّرات يجدر الوقوف على بعض المقدمات الاساسيّة له .

الإجماع لغةً واصطلاحًا : الجيم والميم والعين أصل واحد، يدل على تضام الشيء. يقال جمعت الشيء جمعًا[8] قال الراغب: الجَمْع: ضمّ الشيء بتقريب بعضه من بعض، يقال: جَمَعْتُهُ فَاجْتَمَعَ، وقال عزّ وجل:

---

(١) الفاتحة :١ .

(٢) الأعراف :١٨٠ .

(٣) ظ: المازندراني/ شرح أصول الكافي، ١٠ /٢٩٠ . العلامة المجلسي/ بحار الانوار، ٧٣ /٣٠٥ .

(٤) ماجدة الفارس / التوضيح والبيان في تفسير آي القران، ١٢/١.

(٥) المصدر نفسه ،٢/ ٣٤٣ ، ٢/ ٣٤٣ ، ٢/ ٤٣١ .

(٦) ظ: المصدر نفسه ، ٣٠٢/٢ -٣٠٣ .

(٧) المصدر نفسه، ١/ ٣١٠ ،و ظ: ٢/ ٢٣٨ -٢٣٩ ، ٢/ ٣٠٤ .

(٨) ظ: ابن فارس/ معجم مقاييس اللغة/ مادة(جمع) .

﴿ وَجُمِعَ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ ۝٩ ﴾[1]، ﴿ ٱلَّذِي جَمَعَ مَالٗا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ ﴾[2]، ويقال: أَجْمَعَ المسلمون على كذا: اجتمعت اجتمعت آراؤهم عليه[3] يقال أَجْمَعْتُ الأمرَ وعلى الأمرِ، إذا عزمتَ عليه ؛ والأمرُ مُجْمَعٌ ، وجَمَع أمره، وأجمعَه، وَأَجْمع عَلَيْهِ: عزم، كَأَنَّهُ جمعَ نَفسه لَهُ[4] يتحصل مما تقدم أن الاجماع لفظ مشترك يطلق على على معنيين: الاتفاق والعزم على الشيء .

واصطلاحًا : قد اختلفت المشارب في بيانه وحدِّه أشار بعضهم أنّ له حدين بلحاظ الإطلاق والإضافة فمرة يقولون الإجماع دون قيد وإضافة وهذا هو ما يشير اليه الاصوليون في تعريفاتهم ، ومرة أخرى يشيرون اليه بلحاظ الاضافة بأن يقولوا: إجماع أهل مكة أو المدينة أو إجماع المفسرين . عرف ابن القطّان (٦٢٨ هـ) وغيره مع اختلاف الألفاظ (الإجماع)أنه : " هو اتفاق مجتهدي أمة محمد(صلى اللّهُ عليه وآله) بعد وفاته في عصر من العصور على أمر من أمور الدين اتفاقًا لم يسبقه خلاف مستقر[5] وقال آخر: "هو اتفاق فقهاء الأمة على أمر هام"[6] لذا قالوا لا اعتبار باتفاق العوام ولا بخلافهم في الأمور الشرعية، ولا ينعقد إجماع في عصر الرسول؛ لأنّه هو وحده المرجع في تعرف الأحكام الشّرعية [7] كما أنّ الإجماع ليس دليلًا دليلًا أو مصدرًا للتشريع ، بل هو دليل مظهر لحكم الله لا منشئ له[8]

يرى أتباع مدرسة الصحابة وغيرهم أنّ حجية الإجماع إجماع الخلفاء أو إجماع الصحابة دون غيرهم، وبعضهم قال أهل المدينة شاهدوا التنزيل وسمعوا التأويل وبعضهم قال أهل مكة وبعضهم قال أهل الحرمين وبعضهم قال الخلفاء الراشدين ، وبعضهم قال الكوفة والبصرة أو حدهما دون الاخرى وهكذا الاختلاف واراد في تحديد الاجماع على من يصدق وبعضهم قال : ان الاجماع لا يصدق على بعض دون البعض الاخر إنّما الاجماع هو اتفاق مجتهدي العالم الاسلامي[9] ولو سال أحد هل يوجد تعريف مخالف أو شاذ في تعريف الإجماع ، الاجابة على ذلك : نعم ، وهو النّظام حيث يرى أن الإجماع : عبارة عن قول قامت حجته، وإن كان قولًا واحدًا ، وقالوا عنه تعريف مخالف للغة والعرف [10]

---

(١) القيامة :٩ .

(٢) الهمزة : ٢.

(٣) ظ: الراغب/ المفردات في غريب القرآن/ مادة (جمع) .

(٤) ظ: الجوهري/ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ٣/ ١١٩٩ ، ابن سيده / المحكم والمحيط الأعظم : ١ /٣٥٠

(٥) ظ: الصنهاجي/ مبادئ الأصول/ ٢٢ .

(٦). أحمد حمد /الاجماع بين النّظرية والتّطبيق: ١٧٥ .

(٧) ظ:ابن القطان/ الاقناع في مسائل الإجماع/٨ ، ظ: النملة/ المهذب في علم اصول الفقه المقارن/ ٨٤٥/٢ ، ظ: الفاسي / الفكر السّامي في تاريخ الفقه الإسلامي: ١٢٣/١ .

(٨) ظ: أحمد حمد /الاجماع بين النّظرية والتّطبيق: ٦٧ .

(٩) ظ: أبو جيب/ موسوعة الإجماع في الفقه الاسلامي :١/ ٣٣ .

(١٠) ظ: السرميني/ حجية الإجماع / ٤٦ .

امّا عند مدرسة أهل البيت عليهم السلام ، قال المحقق الإجماع : "فعندنا هو حجة بانضمام (المعصوم) فلو خلا المائة من فقهاءنا عن قوله لما كان حجة، ولو حصل في اثنين لكان قولهما حجة لا باعتبار اتفاقهما بل باعتبار قوله عليه السلام " [1]

أمّا الذي يهمنا هو الاجماع عند المفسرين : أعني المفسرين بذكر المسائل المجمع عليها في كل موطن استدع ذكر الإجماع ، أو أُثر فيه إجماع، في شتى العلوم الإسلامية عقيدة، وفقهًا، وأصولًا وتفسيرًا، ولغةً وتاريخًا . وممّا يؤهل كتب التفسير لأن تكون من أهم المصادر، وما ذاك إلا كون القُرآن الكريم هو مدار جميع علوم الإسلام، ولشدة عناية المفسرين بالإجماع، فإنهم قلّ أن يطلعوا على إجماع في مصدر من المصادر التي يعتمدونها في تفاسيرهم، إلا ويقوم المفسّر بنقل ذلك الإجماع، للإستدلال به؛ لعلمه بعظم هذا الأصل، وقوة حجته [2]

المطلب الأول: بيان الجانب (النظريّ) :

آلت بعض التفاسير النّسويّة الى (إجماع المفسرين) إو الإجماع عمومًا إن خص مسألة عقدية أو فقهية أو غير ذلك ، فكان الاجماع في هذه المدونات التفسيريّة له حضور واسع حيث ركنت إليه المفسرات بصورة متفاوتة في مواطن كثيرة بوصفه أصلًا من أصول التفسير .

نلحظ (بنت الشاطئ) مثلًا لها موقف على جملة من آراء المفسرين في بيان آية ما وكانت كثيرًا ما تخالفهم وتطرح رأيها قبالة تلكم الآراء رافضةً إياها وتعضدها بأدلة تجعلها مطمئنةً لما تصبو إليه من رأي ومن هذا لا نلحظ ل(بنت الشاطئ) أية إشارة للإجماع إلا في موضع واحد أقرت به على ما أورده الفخر الرازي في بيان معنى (الشفع والوتر) حيث قالت : وقد بلغ ما أورده الفخر الرازي مما اضطرب فيه المفسرون في الشفع والوتر، عشرين وجهًا. وعنده (أن كل وجه من هذه الوجوه محتمل، والظاهر لا إشعار له بشيء منها على التعيين. فإن ثبت في شيء منها خبر عن الرسول (صلى اللّهُ عليه وآله)أو إجماع من أهل التأويل، حكم بأنه المراد، وإن لم يثبت فيجب أن يكون التأويل على طريقة الجواز لا على وجه القطع) ثم قالت: ولا نعلم أن أهل التأويل، قد أجمعوا على وجه في المواد بالشفع والوتر [3]

مع أنّها لم تعبأ للإجماع في دائرة التّفسير ولا تعتبر له بشيء . فمثلًا تقول: "وإن يكن جمهرة المفسرين أكثر ميلًا إلى عد التكاثر هنا مباهاة وتفاخرًا" [4] أو تذكر في تعجبها مثلًا : "ثم ما أكثر ما جاء به

---

(١) المحقق الحليّ/ المعتبر: ١/ ٣١ .

(٢) ظ:الخضيري/ الإجماع في التفسير، ٨٨ -٨٩ .

(٣) بنت الشاطئ/ التفسير البياني للقرآن الكريم، ٢/ ١٣١ .

(٤) المصدر نفسه ، ١/ ١٩٧ .

المفسرون بعد ذلك من عجيب التأويلات والمرويات عن غيب لم يشر إليه القُرآن من قريب أو بعيد! "[١] وغيرها من المواطن التي تعترض فيها على ما يقوله المفسرون أو توافق [٢]

أما (زينب الغزالي) نلحظ لها رجوع لهذا الاصل في (نظرات في كتاب الله) تذكر في تفسيرها في بعض المواطن بقولها: وهذا ما عليه أجمع المفسرون أو أكثر المفسرين أو توافق عليه المفسرون وغير ذلك من الالفاظ . ولم نلحظ عند (حنان اللحام) أية إشارة لإجماع المفسرين وإنّما جاء عندها مورد واحد بوصفه العام (الإجماع) كحكم شرعيّ[٣] و(حنان اللحام) لم تعبأ بإجماع المفسرين ولم تنقل عنهم إلا الميسور وذلك لموقفها الحذر من تلكم التفاسير إذ تقول: "وقد وقع المسلمون في تقديس أفكار السلف الصالح وكل الاتجاهات الإسلاميّة تعلن إلتزامها بالنصوص (الكتاب والسنة) لكنّها فعليًا تلتزم بالتفسيرات التي قدمها العلماء في الماضي للنصوص وبذلك أصبحنا نعاني من أغلال فكر الآباء"[٤]

وأما إذا التفتنا إلى (نائلة صبري) فكثيرًا ما تقف عند أراء المفسرين المتفق فيها أو المجمع عليها في بيان معنى الآيات و أيضًا ماجدة الفارس لم تغادر هذا الاصل فله مساحة واسعة في مدونتها وصرّحت به في مواطن كثيرة وجاءت صيغة الإجماع أو(إجماع المفسرين) بألفاظ مختلفة عندها لم تختلف عمّا صرّحت به قريناتها من المفسّرات . كما أشارت للإجماع واستدلت في بيانها بقوله تعالى: {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} [النساء : ١١٥] قالت: هذه الآية كما قال العلماء تفيد: إنّ إجماع هذه الأمّة حجة قاطعة[٥]

قبل المضي في بيان الجانب التّطبيقي جدير بالذكر الوقوف على هذه الآية التي عُدّت دليلًا على حجية الإجماع حيث يقول الصّفار : أنّها لا تمت للإجماع بصلة لأنّها لم ترد في شأن فروع الدين ، بل هي في شأن الاعتقاد؛ لأنّها تنهى عن معصية الرّسول ومشاقته بالدخول في غير دينه كما يدل على ذلك شأن نزولها ، فالآية تدل على مسألة الايمان والاعتقاد ولا علاقة لها بمسألة الإجماع في المسائل الفقهيّة، إن سلمنا جدلًا أنّها تدلّ على الفروع فلا تدلّ على الإجماع وإنّما سيرة المتدينين وهي سيرة المتشرعة فهي غير الاجماع الذي يعني الاتفاق في الآراء والأقوال لا العمل[٦]

المطلب الثاني : بيان الجانب التطبيقي :

نموذج : رقم (١) : قال تعالى:﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝٦ ﴾[٧]

---

(١) المصدر نفسه، ٢/ ١٥٦ .

(٢) ظ: المصدر نفسه،١/ ٦٥ ، ١/ ٨٧ ، ١/ ١٤٠ ، ٢١٥/١ ، ٢٢/٢، ٩٧/٢ ، ١٣١/٢ ، ١٥١/٢ ، ١٥٨/٢ .

(٣) ظ: حنان اللحام / تأمّلات في سورة الأحزاب/ ١٢١ .

(٤) حنان اللحام / تأمّلات في سورة هود/ ١٠٩ .

(٥) ظ: ماجدة الفارس/ التّوضيح والبيان في تفسير آي القرآن، ٣/ ١٧٦ .

(٦) ظ: الصفار، أصول الفقه وقواعد الاستنباط ، ١/ ١٩٠ -١٩٢ .

(٧) التكاثر: ٥ -٦ .

قالت (بنت الشاطئ) : والصّلة بين الآيات المحكمات جلية واضحة، فلسوف يعلمون اليقين حق علمه، حين يرون الجحيم عين اليقين. والنّسق القُرآني لا يسمح بأن نفصل بين هذه الآيات، فنقطع ما بين ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴾وبين الآية بعدها ﴿ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴾ . المفسرون فيما قرأت أجمعوا على أن هذا القطع واجب! وقرأوا أن ﴿ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴾ منفصلة عن ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴾هذا مع تقريرهم أن كل آية منهما لا يمكن أن تستقل بمعناها: فالأولى شرط يحتاج إلى جواب والثانية جواب يحتاج إلى شرط أو قسم [١]

نلحظ أنّ المفسرة في هذا الشّاهد ركنت إلى ما أجمع عليه المفسرون على حدٍّ قراءتها بوجوب القطع وركّزت على الجانب النّفسي في التّفسير عن طريق دلالة السّياق الذي ألفه النّسق القُرآني الذي لا يصح معه القطع بين الآيتين إذ ترى الوصل بينهما أولى ، ثم استندت إلى ما تقرر عندهم بأنّ كل آية لا تستقل بمعناها بمعزلٍ عن أختها إذ بينهما علاقة الجملة الشّرطية .

كما تعاملت (بنت الشاطئ) مع آراء المفسرين بأسلوب رشيق في هذا الشاهد نلحظ تحاملها السافر في مواطن أخرى كما وصفها الدكتور عفت الشرقاوي بقوله : "ولكن ما يلفت النظر في منهج المؤلفة حملتها السافرة على قدامى المفسرين واعتدادها بما تحقق من نتائج "[٢] وقال الدكتور عقيد العزاوي: "لم أجد في أي موضعٍ فيما قرأت تذكر المفسّرين في موضع الثناء والقبول إلا مرة واحدة قالتها في المقدمة"[٣] هذا فيه نظر فإنّها كثيرًا ما تقلّب الآراء وترجّح بعضها وتأنس بها على دعم رأيها لكن على مستوى الافراد من المفسرين، وأمّا تعاملها الجمعيّ مع جمهرة المفسرين وأكثرهم فلا يستبعد ما قيل عنها في الوصف المتقدم .

نموذج : رقم (٢) : قال تعالى:﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾[٤]

قالت (زينب الغزالي) في بيان هذا النص : " قد أجمع أهلُ العلم بالتّأويل جميعًا أنّ هذه الآية جواب لليهود من بني إسرائيل، إذ زعموا أنّ جبريل عدّو لهم ، وأنّ ميكائيل وليّ لهم" [٥]

ما أشارت اليه المفسرة من معنى في تفسير هذا النّص القُرآني قد ذكره الطبري في تفسيره [١] ذكرته [١] ذكرته المفسرة نصًا ولم تنسبه إليه، والسبب في عداوتهم لجبرائيل : وذلك أَن اليهود قالوا: لو كان

---

(١) ظ: بنت الشاطئ / التّفسير البيانيّ ، ٢٠٧/١ .

(٢) الشرقاوي / اتجاهات التجديد في التفسير في العصر الحديث / ٣١٧ .

(٣) العزاوي/ المنهج البيانيّ في تفسير القرآن في العصر الحديث/ ٢٢٩ - ٢٣٠ .

(٤) البقرة :٩٧ .

(٥) زينب الغزالي/ نظرات في كتاب الله ، ١/ ٦١ .

الذي يَنْزِل على مُحَمَّد بالوحي ميكائيل لاتبعناه، ونؤمن به؛ لأَن ميكائيل هو الذي ينزل بالغيث والرحمة، وجبريل هو المنزل بالعذاب والحرب والشدائد، فهو عدو لنا؛ لذلك لا نتَّبعه [٢] ومهما يكن من أمر فقد ركنت المفسرة إلى إجماع المفسرين بما ذكره الطبري .

هذا وقد اعتمدت (زينب الغزالي) على (الإجماع) بألفاظه المختلفة كونه أصلًا تفسيريًا بشكل قليل في تفسيراتها وذلك في مواطن معدودة [٣]

نموذج رقم (٣) : قال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣٠ ﴾[٤]

قالت نائلة صبري في استفهامٍ قدمته حول البسملة: هل البسملة آية من القُرآن؟ قالت: أجمع العلماء والمفسرون على أنّ البسملة الواردة في سورة النّمل هي جزء من الآية قال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣٠ ﴾ لكنهم اختلفوا هل هي آية من الفاتحة ومن كل سورة أم لا على أقوالٍ كثيرةٍ منها [٥] :

١ - هي آية من الفاتحة ومن كل سورة على رأي الشّافعي .

٢ - البسملة آية من كل سورة من سور القُرآن ما عدا سورة براءة .

٣ - وقالت الرأي الراجح هو : أنّ البسملة آية من القُرآن الكريم وردت في سورة النّمل ووردت للفصل بين السّور وهذا ما أشار اليه ابن عباس .

ذكرت المفسرة إجماع العلماء والمفسرين على جزئية البسملة من سورة النّمل في نص الآية وهي محقة في ذلك ، أما ما اختلفوا فيه من كونها جزءًا من الفاتحة ومن كل سورة فليس الشافعي وحده يقول بذلك وإنّما مفسرو الشيعة قالوا أيضًا [٦] وترجيحها كان موافقًا لرأي الشيعة والشافعيّة .

ولنائلة صبري ركون واضح على ما أجمع المفسرون والعلماء عليه في تفسيرها لآيات القُرآن الكريم بصيغ مختلفة منها (أجمع المفسرون أو أجمعت كتب التفسير، او قال المفسرون ، وغيرها من الالفاظ المتفقة في المعنى) وذلك في مواضع كثيرة [٧]

---

(١) ظ: الطبري/ جامع البيان في تأويل القرآن، ٢/ ٣٧٧ .

(٢) ظ: الماتريدي/ تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، ٥١٧/١ .

(٣) ظ: زينب الغزالي/ نظرات في كتاب الله ، ١/ ٦٧ .

(٤) النمل :٢٠ .

(٥) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن، ١/ ١/ ٣٣ -٣٤ .

(٦) ظ: الطوسي/ التبيان في تفسير القرآن، ٣٤/١ ، السيوري/ كنز العرفان في فقه القرآن، ١١٩/١ ، الطباطبائي/ الميزان في تفسير القرآن ، ٢٣/١ .

(٧) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن، ١/ ١/ ٩٢ ، ١/ ١/ ١٠٤، ١/ ١/ ١٣٤، ١/١/ ١٦٤ ، ٧٣/٢/١ ، ٧٦/٢/١ ، ١/ ٢/ ٧٨ ، ١٨٦/٢/١، ١/ ٢/ ١٩٨ ، وغيرها .

نموذج رقم (٤) : قال تعالى:﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ ﴾ [١]

تقول ماجدة الفارس: أجمع أهل العلم والمفسرون على أنّه : إن أريد بالتأويل معرفة عاقبة الأمور فهنا يتعين الوقوف على(إِلَّا ٱللَّهُ ۗ) ثم تكون (وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ) مستأنفة . وإن أريد به التفسير ومعرفة معنى الكلام فإنّ العطف أولى وذلك أن الراسخين في العلم قد يعلمون بعض المتشابه دون البعض [٢]

إنّ اجماع المفسرين الذي ذكرته المفسرة في شقه الأول لا ينسجم والفهم العام للآية ومبتغاها إذا كان التأويل المراد به عاقبة الامور فهو لا ينسجم والآية عمومًا التي تتكلم عن أقسام الآيات القُرآنية المحكمة منها والمتشابهة . وأمّا في الشّق الثاني: يقول الطبرسي: وهذا قول ابن عباس وغيره، وهو المروي عن أبي جعفر عليه السلام فإنه قال: كان رسول الله أفضل الراسخين في العلم، قد علم جميع ما أنزل الله عليه من التأويل والتنزيل، وما كان الله لينزل عليه شيئًا لم يعلمه تأويله، وهو وأوصياؤه من بعده يعلمونه كله . وممّا يؤيد هذا القول إن الصّحابة والتّابعين أجمعوا على تفسير جميع آي القُرآن، ولم نرهم توقفوا على شيء منه، ولم يفسّروه بأن هذا متشابه لا يعلمه إلا الله . وكان ابن عباس يقول في هذه الآية : أنا من الرّاسخين في العلم .

وخلاصة القول أنّ العلماء يعلمون معاني القُرآن ، إذ لا يجوز بحال أن ينزل اللّه كلامًا لا معنى له، أو لا يفهمه أحد ، حتى العلماء . . كيف ؟ وقد أمر الله بتدبّر القُرآن، ولا يكون التدبّر والتعقل إلا للمعقول . . والذي لا يفهم لا يمكن تدبره وتعقله [٣]

رجعت ماجدة الفارس في تفسيرها للآيات القُرآنية إلى إجماع المفسرين أو العلماء أو أهل العلم في مواطن كثيرة [٤] وبذلك ينكشف دور (الإجماع) بوصفه أصلًا تفسيريًا عند ماجدة الفارس برجوعها واعتمادها واعتمادها عليه .

المبحثُ السَادس: الأَصلُ السّادسُ (أصلُ التَّأويل)

توطئة :

---

(١) آل عمران :٧ .

(٢) ظ: ماجدة الفارس/ التوضيح والبيان في تفسير آي القرآن، ٢/ ٢٠ .

(٣) ظ: مغنية / التفسير الكاشف، ١١/٢.

(٤) ظ: ماجدة الفارس/ التوضيح والبيان في تفسير آي القرآن، ٧٥/١ ، ١/ ١٠١، ١/ ١١٣ ، ١/ ١٩١، ٢٠/٢ ،١٧٦/٣ ،٤١٠/٣ ،١٥٢/٥، ٨٠/٦ ، ٦/ ١٢٤،. وغيرها .

إنّ التّأويل له بعد تاريخي يرجع إلى سير الأنبياء ومجادلتهم أقوامهم كما سار مع النّص القُرآنيّ منذ نزوله إلى يومنا، وقد أخذ التأويل مساحة واسعة أخذًا وردًا بين العلماء والمفسّرين ،فتعددت فيه آرؤاهم، وإذا ما خرجنا عن دائرة الأبحاث والدّراسات الإسلاميّة خصوصًا نلحظ في الآونة الأخيرة هناك تداخل بينه وبين الدراسات المعاصرة، فطفقت دراسات تأويلية تحت مسمّى (الهرمينوطيقيا) التي يُعبّر عنها بـ(بفن التأويل أو علم التأويل)[١] أو بعبارة (شلايرماخر) أنها تعني فنّ امتلاك كل الشّروط الضرورية للفهم"[٢] ويعود استخدام هذا المصطلح الى عام ١٦٥٤ بهذا المعنى [٣] كما ويعدُّ خطًا مرجعيًا وأصلًا تفسيريًا وأداة لتحديد المعنى أسوة بالعقل والسنة واللغة وإن لم يشمل جميع القُرآن فهو في متشابهه أولى، باعتباره جزء من الدائرة المتكفلة ببيان النّص القُرآنيّ . ولأهميته البالغة راح بعضهم يصفه: إحياء لثقافتنا بل لا إحياء دون تأويل، ويعتبر التأويل سبيل الى التوافق مع وقائع الحياة المتغيرة[٤] .

المعلوم أن التأويل أخصّ والتفسير أعمّ، والأخير يستعمل في بيان الألفاظ بينما التأويل يستعمل في كشف المراد وإيضاح المعنى وتأويله كتأويل الرؤيا[٥] التأويل يتسم بقيمة قاعدية بل تأصيلية ؛ فلا غنى للمفسر دون تأويل النّصوص القُرآنية إن كان في دائرة المتشابه أو في خارجها، ومن هنا نتطلع الى التفاسير النّسوية ومدى تعاملها مع الاعتبار بلحاظ المفهوم وأبعاده الشمولية واعتماد التطبيق بتحليل المحتوى في كشف المراد من القُرآن الكريم.

مسألة التأويل وارتباطها بالقُرآن الكريم كامن خلف تمازج الآراء وتنافرها في خضم تعدد وجهات النظر في توجيه المحكم والمتشابه من جهة ومن جهة أخرى هناك مسائل اعتقادية وسياسية احتدت بين المسلمين وتباعدت على اساس تأويل النّص القُرآني. لذا قال بعضهم: ارتبط تأويل القُرآن بالخلاف حول المحكم والمتشابه من جهة والخلافات والسياسة والعقائدية من جهة أخرى، وهذا ما أكده الطبري عن ابن عباس: ذُكرَ عنده الخوارج وما يلفون عند القُرآن، قال: (يؤمنون بمحكمه ويهلكون عند المتشابه)[٦]

إنّ ما يخصّ دراستنا في هذا المبحث هو التأويل (للمتشابه)الذي يقابل المحكم على أساس التّقسيم القُرآني لآياته منها المحكمات والأُخر المتشابهات ،وهناك تأويل يقابل التنزيل القائم على تطبيق المفاهيم والاحكام الكلية نفسها على المصاديق المخفية والغامضة، أو المصاديق التي كانت موجودة في ظروف

---

(١) ظ: تيري ايغلتون/ نظرية الأدب ، ترجمة :ثائر ديب/ ١٣ .

(٢) ظ:، عبد الكريم شرفي / من فلسفات التأويل الى نظريات القراءة ،١٧ .

(٣) ظ: نصر حامد أبو زيد / إشكاليات القراءة وآليات التأويل ، ١٣ .

(٤) مصطفى ناصف / نظرية التأويل، ٥ .

(٥) د. عبد الرسول الغفار / الميسر في علوم القرآن ، ٤٥ .

(٦) ظ: نصر حامد أبو زيد /الاتجاه العقلي في التفسير / ١٤١ .

نزول القُرآن، وهذا النوع من التأويل لا يقابل التفسير [١] وتجدر الاشارة إلى مفهوم التأويل لغةً واصطلاحًا باختصار .

التأويل لغةً : قال الجوهري(٣٩٣هـ): إنّ التَأْويل: تفسير ما يَؤُولُ إليه الشيء[٢] وقال ابن فارس (٣٩٥هـ): فأما التأويل [فهو] ابتداء وانتهاء الشيء [ومصيره وعاقبته] وآخره .. وتأويل الكلام، وهو عاقبته وما يؤول إليه [٣] وقال الراغب(٥٠٢هـ): التأويل من الأول، أي: الرجوع إلى الأصل، ومنه: المَوْئِلُ للموضع الذي يرجع إليه، وذلك هو ردّ الشيء إلى الغاية المرادة منه، وقوله تعالى:﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ ﴾ [٤]أي: بيانه الذي غايته المقصودة منه.، وقوله تعالى:﴿ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [٥]قيل: أحسن معنى وترجمة، وترجمة، وقيل: أحسن ثوابًا في الآخرة[٦] يقول ابن منظور(٧١١هـ): "الأول الرجوع، آل الشيء يول أولا مآلا مآلا رجع ، وأول إليه الشيء : رَجَعَه، وألتُ عن الشيء : رجعت، يقال طبخت النبيذ حتى آل إلى الثلث أو الربع أي رجع "[٧] وفي موطن آخر يقول :" والمراد بالتأويل نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الأصلي إلى ما يحتاج إلى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ"[٨]

واستخلاصًا لما تقدّم يتجلّى أن التّأويل بمعناه اللغوي يتردد بين : التّفسير وابتداء الشيء وانتهاءه والعاقبة والمصير والرجوع إلى الأصل والعودة والغاية المقصودة .. وبجمع هذه المعاني يتجلى المراد من التأويل الكلامي في اللغة: هو تفسير الكلام وعاقبته وما يؤول اليه انتهاءً ومصيرًا ، وأن معنى التأويل الذي دأب في استعماله المفسّرون على أساس أنّ التأويل بمعنى التفسير واخذوا به في تسمية مدوناتهم. وهذا ما لاحظناه في التفاسير النّسوية بلحاظ استعمال المصطلح ، أو بلحاظ غيره .

وجدير بالذكر أنّ هناك معنى ظهر عند ابن منظور لم يشر اليه العلماء الذين سبقوه في القرن الرابع الى القرن الثامن الهجري وهو أن التأويل : (نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الأصلي إلى ما يحتاج إلى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ) وهذا المعنى لم يكن موجودًا في القرون المتقدمة وإنّما في المتأخرة وهذا المسار التطوري لمصطلح (التأويل) تناوله الباحثون بالتفصيل[٩] ولا مجال لذكره في هذا المقام.

---

(١) ظ: السبحاني /مفهوم التأويلية، قراءات معاصرة ، العدد الأول ، السّنة الاولى / ٣٦

(٢) ظ: الجوهري/ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ٤/ مادة: (أوّل) .

(٣) ظ: ابن فارس/ معجم مقاييس اللغة ، ١/مادة: (أوّل) .

(٤) الأعراف :٥٣ .

(٥) النساء :٥٩ .

(٦) ظ: الراغب / مفردات غريب القرآن/ ٩٩ .

(٧) ابن منظور / لسان العرب: ٣٢/١١ (أوّل) .

(٨) المصدر نفسه ، ٣٣/١١ (أوّل) .

(٩) ظ: محمد السيد الجَلَيند / الامام ابن تيمية وقضية التأويل/ ٣٥ - ٣٧ .

أما اصطلاحًا: التّأويل: "صرف الكلام عن ظاهره إلى معنى يحتمله"[١] ، يقول الشّوكاني: فان أردت تعريف التأويل الصحيح زدت في الحد بدليل يصيره راجحًا لأنه بلا دليل أو مع دليل مرجوح أو مساوٍ يكون فاسدًا[٢] وعدّ بعضهم التّأويل على نوعين مستكره، ومنقاد وملاك التفريق بيتهما على أساس البشاعة والتّدليسات المزخرفة[٣]

والتّفريق بينه وبين التّفسير يقول العسكري(٣٩٥ هـ): التّفسير إفراد ما انتظمه ظاهر التّنزيل والتّأويل الإخبار بغرض المتكلّم بكلام، وقيل التأويل: استخراج معنى الكلام لا على ظاهره بل على وجه يحتمل مجازًا أو حقيقةً ومنه يقال تأويل المتشابه وتفسير الكلام إفراد آحاد الجملة ووضع كل شيء منها موضعه[٤] أو أنّ التّفسير هو البحث عن مدلول اللفظ وما يقتضيه ظاهر التعبير أدبًا والتزامًا وعقلًا، وأمّا التأويل : فهو تعيين مرجع اللفظ والمراد والمقصود منه ، وقد يخفى المراد على الناس ولا يدلّ عليه ظاهر اللفظ ، فهذا يحتاج إلى الاطّلاع بالمقصود والمراد من اللفظ[٥]

وقال بعضهم : أن أي لفظ مثير للريب إذا كان له توجيه صحيح فهذا التوجيه تأويله لا محالة كما في قصة الخضر في قوله تعالى:﴿ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ ﴾[٦]أي سأطلعك على السر المبرر لأعمال أثارت شكوكك ودعتك للاعتراض[٧] ويشترك مصطلح التأويل بالتفسير من ناحية وهي : الكشف عن مصير الدلالة الى المعنى المراد، فإن كان هذا الكشف بفعل اللفظ كان تفسيرًا ، إن كان بغير اللفظ كان تأويلًا[٨]

إنَ الرّجوعَ إلى أصلِ التأويلِ في التّفسيرِ مرهونٌ بمعرفة حقيقة الراسخين في العلم ودورهم في الكشف عن بطون الآيات واستخلاص معانيها بلحاظ أن جزءًا من الآيات بحاجة الى تأويل فضلًا عن جميعه استنادًا للترادف القائم بينه وبين التفسير وعلى أية حال، يشكل التأويل مفصلًا وركيزةً أساسيةً في البيان القُرآني ،وبعد هذه التوطئة سنلحظ فاعلية هذا الأصل مفهومًا وتطبيقًا في التّفاسير النّسوية :

بعد أن كان التفسير والتأويل مترادفان من حيث الوظيفة اتجاه النص القُرآني على رأي المتقدمين من العلماء والمفسرين فعندئذٍ سنأخذ بنظر الاعتبار مرتكزات وآليات التفسير أو التأويل ومدى توظيفها في النّصوص القُرآنية المتشابهة المتفق عليها غالبًا. وإن كان التأويل يفترق عن التفسير بلحاظ رأي المتأخرين،

---

(١) الزركشي/البحر المحيط في أصول الفقه، ٢٦/٣ .

(٢) ظ: الشوكاني/إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول/ ١٧٦ .

(٣) ظ: فرحات/ في علوم القرآن عرض ونقد وتحقيق/ ٢٠٨ .

(٤) العسكري / الفروق اللغوية / ٥٨ .

(٥) ظ: المصطفوي/ التحقيق في كلمات القران الكريم ، ١٧٦/١ .

(٦) الكهف : ٧٨ .

(٧) ظ: الحسني / دروس في علوم القرآن / ٣٣٧ .

(٨) ظ: نارت محمد خير الدين قاخون / اتساق التأويل وسننه / ١٩.

سنعوّل على قاعدة التأويل المستوحاة من تعريفه (صرف معنى الكلام عن ظاهره الى معنى آخر دلَّ عليه دليل) النظر الى تطبيق تلك الآيات التي سنأخذها نموذجًا .

عرض آراء التّفاسير النّسوية في حقيقة تفسير وتأويل المتشابه أن كان خاصًا بالله تعالى دون غيره أو الرّاسخون في العلم لهم نصيب من ذلك ، وذلك بالوقوف على تفسير أية (٧) من سورة آل عمران المباركة . ونختتم المبحث في مسألة الراسخين في العلم ذاتهم ودورهم الحقيقي في تأويل النّص القُرآني.

المقرر أن التأويل لا يخرج من ثلاث جهات بلحاظ الوظيفة والدور البياني للنص القُرآني، وهو إما أن يكون مرادفًا للتفسير فيكن مساويًا له بلحاظ البيان والكشف عن المراد وهذا بعيد عن دائرتنا، أو يُعدُّ جزءًا بمثابة القاعدة التفسيرية فبهذا الصدد يكون عن طريق إرجاع المتشابه الى المحكم من القُرآن وبهذا الاتجاه فإن قيمة التأويل ودوره يكون دورًا اساسيًا وأصوليًا يرجع اليه في بيان المتشابه وهذا الملحظ قريب. أو على أساس أن يكون التأويل قيّم على بيان القُرآن محكمه ومتشابهه فعندئذ يلزم أن يكون له باب ومفاتيحه ومقاليده عند أصحابه من الراسخين في العلم الذين اصطفاهم الله وحباهم وجعلهم قرين القُرآن وعدله . وهذا المأمول والأقرب . لكن بما أنّ التفاسير النسوية كانت بمعزل عن هذا المضمون وكانت دائرتها الاتجاه الأول والثاني والخلط بينهما سنلحظ في بحثنا ما نراه والله المستعان .

المطلب الأول : بيان الجانب (التّنظيري) :

تعاملت (بنت الشاطئ) مع التّأويل بلحظ المفهوم المرادف للتفسير وبمعناه الاصطلاحي عند المتأخرين، ذلك عن طريق تفحّص تفسيرها نلحظ أن (التأويل) عندها بمعنى التفسير فهي تستعمل هذا المصطلح في مدونتها التفسيرية كثيرًا، وذلك عن طريق تردد قولها في مثل هذه العبارات : (اختلاف أهل التأويل، كان ينبغي لمثل هذا التأويل، ومقتضى هذا التّأويل، ومقتضى هذا التأويل، جاء هذا التأويل في تفاسير(الكشاف، ومجمع البيان، والجلالين) ، وإنما نستبعد هذا التأويل، ووجه الغرابة في هذا التأويل، هذا الوجه من التأويل أوفق)[1] وغيرها من العبارات التي نثرت في مدونتها التّفسيرية وهذا ينم عن تصور (بنت الشاطئ) بتعاملها أنّ التّفسير والتّأويل بلحاظ الاستعمال التداولي بالمرادفة.

وأمّا (زينب الغزالي) نقلت ما أورده القرطبي: (اختلف العلماء في المحكمات والمتشبهات على أقوال عديدة، (منها أنّ) المحكمات أي القُرآن ما عرف تأويله وفُهم معناه وتفسيره، والمتشابه ما لم يكن لأحد إلى علمه سبيل مما استأثر الله تعالى بعلمه دون خلقه .. وذلك مثل وقت الساعة وقيام السّاعة، وخروج يأجوج ومأجوج، والدجال و وعيسى، ونحو الحروف المقطعة في أوائل السور) ثم قالت المفسرة : " قلت: هذا أحسن ما قيل في المتشابه" [2]

---

(١) ظ: بنت الشّاطئ/ التّفسير البيانيّ للقرآن الكريم ، ٢٨/١ ، ٥٨/١ ، ٦٢/١ ، ٨٦/١ ، ١٤٥/١ ، ١٧٨/١ ، ١١٢/٢ .

(٢) ظ:زينب الغزالي/ نظرات في كتاب الله، ١/ ١٩٤، انظر مصدرها: القرطبي/ أحكام القران، ٤/ ١٠ .

هذا فيه نظر: إنّ المفسّرة أبدت رأيها بتأويل المتشابه أنّه (ممّا استأثر الله بعلمها دون خلقه)، فإذا كان الأمر كذلك لمَ قلت :(فإذا رددنا المتشابه إلى المحكم)؟! هذا يستدعي التناقض . هذا من جهة .ومن أخرى : إذا كان في القُرآن لا سبيل للخلق إلى معرفته وهو ممّا استأثر الله بعلمه، يقول: الطباطبائي:" أن الأحكام والتشابه وصفان لآية الكتاب من حيث أنها آية أي دالة على معرفة من المعارف الإلهية والذي تدل عليه آية من آيات الكتاب ليس بعادم للسّبيل ولا ممتنع الفهم إمّا بنفسه أو بضميمة غيره وكيف يمكن أن يكون هناك أمر مراد من لفظ الآية ولا يمكن نيله من جهة اللفظ مع أنه وصف كتابه بأنه هدى وأنه نور وأنه مبين" [١] ثم إن الله حكيم لا يخاطب الناس بأشياء لا يفهمونها ، ولا يريد أن يفهموها [٢]

ثم استحسنت المفسّرة رأي القرطبي بما نقله من آراء اتجاه المحكم وتأويل المتشابه وهنا نلحظ لها رجوع على ما ذكرت من رأي بأن المتشابه لا يعلمه الا الله تعالى ولا سبيل للخلق في معرفته وذكر القرطبي من الأمور الممتنعة (الحروف المقطعة) في أوائل سور القُرآن الكريم نلحظ أنّ المفسرة على مستوى التّنظير تتبنى رأي وتنقضه على مستوى التطبيق.

أمّا رأي (حنان اللحام) في التأويل فلها وجهة نظر تختلف عمّا توقفت عليه ((زينب الغزالي)) بتقديمها فكرة تأويل القُرآن وبيان رأيها عقب آراء العلماء التي ساقتها ومدى تطبيقها لذلك واليك بحثها :

تقول : وقف المفسّرون عند هذه الآية فمنهم من قال : إنّ الله وحده هو الذي يعلم تأويله. أمّا الراسخون في العلم يقولون: أمنا به. وابن كثير يقول: للتأويل معنيان: الأول : بمعنى حقيقة الشيء وما يؤول أمره إليه مثل﴿ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَايَ مِن قَبۡلُ ﴾[٣]فإن أريد بالتأويل هذا المعنى فلا يعلم تأويله إلا الله وحده أمّا إذا أريد بالتّأويل المعنى الثّاني وهو التّفسير والبيان والتّعبير عن الشيء كقوله تعالى﴿ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓ ﴾[٤] فالرّاسخون في العلم يعلمون ويفهمون الآيات برد المتشابهات إلى المحكمات [٥]

وتطلعنا نائلة صبري على موقفها من التأويل حيث قالت: " تأويله : تفسيره والتأويل إخبار عمّا يرجع إليه اللفظ من المعنى" [٦] ثم قالت : وما يعلمون تفسير المتشابه إلى الله وحده وما استأثر الله بعلمه ولم يطلع عليه أحد من خلقه مثل وقت ساعة وخروج يأجوج ومأجوج وخروج الدجال وعيسى ناهيك عن الحروف المقطعة في أوائل السّور والروح [٧]

---

(١) الطباطبائي/ الميزان في تفسير القرآن : ٤١/٣

(٢) ظ: مغنية / التفسير الكاشف : ٢/ ٣ / ١٤

(٣) يوسف :١٠٠ .

(٤) يوسف :٣٦ .

(٥) ظ: حنان اللحام/ نظرات في كتاب الله من هدي سورة آل عمران/ ٢٨ -٢٩

(٦) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن، ١٣٦/٣/٢ .

(٧) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن، ١٣٩/٣/٢ .

استوضحت المفسرة مفردة(التّأويل) في تفسيرها وفي فقرة بيان المفردات أشارت إليه بمعنى التّفسير ، والإخبار عنه بما يرجع إليه اللفظ من المعنى . وهذا الجانب الأوّل وفيه :

إنَّ معنى التأويل بهذا المفهوم يرجع إلى مفهوم المتقدّمين من الصحابة والمفسرين ومنهم ابن تيمية وهو يخالف رأي المتأخرين من المتكلمة والمتفقهة والمحدثة والمتصوفة ونحوهم القائلون بالتأويل على أنه : صرف اللفظ عن المعنى الراجح الى المرجوع بدليل يقترن به [١]

ان اطلاق التأويل بهذا المعنى فيه نظر، اذا كان التأويل اخبار عمّا يرجع إليه اللفظ من معنى . نسأل: اذا تعارض المعنى من ذلك اللفظ مع صريح المحكم أو العقل فعندئذ من الأولى أن يترك، هذا من جانب ومن جانب آخر ان المعنى المستقى من ظاهر اللفظ (يد) على سبيل المثال دلّ على معنيين: الاول: راجح (اليد الجارحة) وهو ظاهر، والثاني: مرجوح (القدرة)غير ظاهر، فالاحتمال الاول يفضي لمعنى الجسمية للذات المقدسة، وهو محال عقلًا ومخالف للنَّص القُرآني المحكم:﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾[٢] والاحتمال الثّاني حمل على اللفظ وهو غير ظاهر منه وهو المتعين [٣]

سارت ماجدة الفارس على المسار نفسه الذي شقته المفسرات في بيان (التّأويل)، قالت: التأويل في قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ ﴾ [٤] يحمل معنيين :المعنى الأول: التّفسير (الكلام الذي يفسر به اللفظ حتى يفهم معناه) والمعنى الثاني: الحقيقة التي يؤول إليها الكلام، مثال ذلك تأويل ما أخبر الله به عن اليوم الاخر هو نفسه ما يكون في اليوم الآخر وكذلك أسماء الله وصفاته تأويلها هو حقيقة ذاته المقدسة وما لها من حقائق الصفات، فالألفاظ معلومة ولكن الحقيقة غير الحقيقة [٥]

أغلب المفسّرات ذكرن التأويل بلحاظ المتشابه ، وتأويله عندهنّ يبقى متشابهًا؛ لأنّه مختصٌ بالله تعالى، وهذا رأي بعض المفسرين وبعضهم الآخر يرى في تأويل المتشابه إن كان مجملًا أو مؤولًا ليكون محكمًا وهو رأي الأصوليين أيضًا، وهناك رأي آخر للمفسرين بتأويل المتشابه من قبل المعصوم فيصبح مفسرًا وهو بهذا المعنى يكون المتشابه من الباطن قبالة الظاهر. لكنك لما تأتي الى تطبيقاتهنّ ستجد تأويل بعض النّصوص المتشابه وبذلك تتصدم بما قيل في في الجانب التنظيريّ.

المطلب الثاني : بيان الجانب (التّطبيقيّ):

أ - نموذج (١) : الحروف المقطعة .

---

(١) ظ: الحيدري / موسوعة العلامة الحيدري (أصول التفسير والتأويل) ، ١٧/٢ -١٩

(٢) الشورى :١١ .

(٣) ظ: د.جبار كاظم الملا، د. سكينة عزيز الفتلي / قواعد أصول التفسير في تهذيب الوصول للعلامة كنز العرفان للسيوري/ ٦٤ .

(٤) آل عمران :٧ .

(٥) ظ: ماجدة الفارس / التوضيح والبيان في تفسير آي القرآن،١٩/٢ -٢٠ .

اذا ما تأملنا في تفسير (بنت الشاطئ) للآية الأولى من سورة القلم قالت: قالوا: إنّ هذه الحروف (ذكرت لتدلّ على أنّ القُرآن مؤلف من مثل حروفهم.... ليدلّ القوم الذين نزل القُرآن بلغتهم أنه بالحروف التي يعرفوها فيكون ذلك تعريفاً لهم ودلالة على عجزهم أن يأتوا بمثله) ثم قالت: .ومجيء الحرف (ن) في (سورة القلم) لفت واضح إلى سرّ الحرف في البيان المعجز. وقد كانت كلمة الوحي الأولى (إقرأ) لافتةٌ إلى آية الله الكبرى، في الإنسان الذي خلقه سبحانه من علق، وعلم بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم. وبعدها نزلت سورة القلم مبتدئة بحرف (ن) لافتةٌ إلى سرّ الحرف الذي هو مناط القراءة والعلم والبيان، تنطق به منفردًا منقطعًا فلا يعطي أي معنى أو دلالة، بل لا يكاد يخرج عن مجرد صوت، ثم يأخذ الحرف موضعه من الكلمة في البيان، فيتجلى سرّه الأكبر. (١)

بالنّظر الى ما أطلعتنا عليه (بنت الشاطئ) من تبيان رأيها في (الحروف المقطعة) نقف عليه بجملة من الأمور :

الحروف المقطعة قابلة للتفسير أو لها وجه تأويلي يصّح معه القول وذلك بلحاظ التأويل الصحيح الذي يكون بعيدًا عن الشطط في القول والزيغ والذي نهى عنه القُرآن. بدليل عرضها للرأي الاستئثاري ولم تركن إليه .

زد على ذلك نستنبط من صنيعها ونقدها في مسألة الوقف والابتداء أنها تقف على (الراسخون في العلم) في الآية السابعة من سورة آل عمران لا على (لا يعلم تأويله الا الله) . وهذا استنتاج ممكن .

مارست (بنت الشاطئ) النقد التفسيري في تقليب الآراء ويظهر قربها من بعضها وابتعادها عن البعض الاخر، وخارجة برأي في سياق تأويل الحروف المقطعة مستشفعةً بالعلاقة الترابطية بين السور القُرآنية وترتيب نزولها بلحاظ أوائل سورة العلق كسورة أولى نزلت تشير(إقرأ) ونزول السورة الثانية المبتدئة بـ(ن) من سورة القلم المباركة .

يتجلى تأويلها لهذه (الحروف المقطعة) من سورة القلم أنها مكامن سر الاعجاز القُرآني المتحدّى به العرب ، وان هذا الحرف هو مناط القراءة والعلم والبيان ، وأنه لا يعطي تلك الدلالة دونما يأخذ موضعه من الكلمة في البيان، كي يتجلى سرُّه الأكبرُ.

وقالت (زينب الغزالي) في تأويل (الحروف المقطعة): اختلف المفسرون في الحروف المقطعة التي في أوائل السور فمنهم من قال هي مما استأثر الله بعلمه، ومنهم من فسّرها واختلف هؤلاء في معناها وقد وردت في تفسيرها وجوه كثيرة نختار منها وجهًا: أنها إشارة للتنبيه إلى أن هذا الكتاب مؤلف من جنس هذه الأحرف وهي في متناول المخاطبين به من العرب ولكنه -مع هذا - هو ذلك الكتاب المعجز الذي لا يملكون أن يصوغوا من تلك الأحرف مثله... الكتاب الذي يتحداهم مرّة ومرّة ومرّة أن يأتوا بمثله أو بعشر

---

(١) ظ: بنت الشاطئ/ التفسير البياني للقرآن الكريم، ٤٢/٢ -٤٣ .

سور مثله أو بسورة من مثله فلا يملكون لهذا التحدي جوابًا [١] ثم استشهدت بما نصّه سيد قطب في الظلال وبهذا يظهر أنّ المفسرة ترى شيئًا وتعمل على شيء !!. في التنظير قالت من المتشابه وهنا استأنست بتفسيرها .

قالت المفسرة بإرجاع المتشابهات الى المحكمات كونهنّ أم الكتاب ،وهي محقة فيما تقول، وقد وصف محمد السند : محكمات القُرآن هي العمود الفقري والهيكل الاساسي الذي تبتني عليه خارطة القُرآن الكريم [٢]

ب - نموذج (٢) : قال تعالى: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ ﴾[٣]

تساءلت ماجدة الفارس: هل الآية ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ ﴾ معطوف على قوله ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ ﴾ أم مستأنفة أي غير متصلة بما قبلها.؟ فأجابت : أجمع أهل العلم والمفسرون على أنّه: إن أريد بالتأويل معرفة عاقبة الأمور (المعنى الثاني) فهنا يتعين للوقوف على (إِلَّا ٱللَّهُ ۗ) ثم تكون ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ ﴾ مستأنفة وأن أريد به التفسير ومعرفة معنى الكلام فإن العطف أولى وذلك أن الراسخين في العلم قد يعلمون بعض المتشابه دون البعض بدليل قوله ﴿ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾بمعنى : ما علمناه وما لم نعلمه فهو كل من عند الله [٤]

القول في ذلك مسألتان: الأولى : لم تخرج المفسّرة عن سابقاتها من المفسّرات في مفهوم (التأويل) عن دائرة المعنيين : الأول :بمعنى التّفسير ، والثّاني :حقيقة ما يؤول اليه الكلام، ومثلت لذلك بـ(اليوم الآخر، أسماء الله وصفاته) .

وفي هذه المسألة ثلاثة أمور: الاول: يرى الطباطبائي معرض كلامه عن آية (٥) من سورة طه تحت عنوان(كلام في معنى العرش) قال: فأكثر السلف على أنها وما يشاكلها من الآيات من المتشابهات التي يجب أن يرجع علمها إلى الله سبحانه، وهؤلاء يرون البحث عن الحقائق الدينية والتطلع إلى ما وراء ظواهر الكتاب والسنة بدعة، والعقل يخطئهم في ذلك و الكتاب والسنة لا يصدقانهم فآيات الكتاب تحرض كل التحريض على التدبر في آيات الله وبذل الجهد في تكميل معرفة الله ومعرفة آياته بالتذكر والتفكر و النظر فيها والاحتجاج بالحجج العقلية، ومتفرقات السنة المتواترة معنى توافقها، وهؤلاء هم الذين كانوا يحرمون البحث عن حقائق الكتاب والسنة ويعدونها بدعه فلنتركهم وشأنهم [٥]

---

(١) زينب الغزالي/ نظرات في كتاب الله، ١/ ١٩ .

(٢) ظ: محمد السند / تفسير أمومة الولاية والمحكمات للقرآن الكريم ، ١ /٦ .

(٣) آل عمران :٧ .

(٤) ظ: ماجدة الفارس / التوضيح والبيان في تفسير آي القرآن، ٢٠/٢ .

(٥) ظ: الطباطبائي/ الميزان في تفسير القرآن ، ١٥٦/٨ .

الثاني: ان مسألة حقيقة الشيء أو الكلام أو ما أشارت اليه من حقيقة الذات المقدسة يطلعنا الرَّازي في تفسير(حقيقة الشيء) عند سؤال فرعون لموسى عليه السلام ،قال: أنّ فرعون قال لموسى عليه السلام : وما رب العالمين؟ فأجاب الرازي : "واعلم أن السؤال بما طلب لتعريف حقيقة الشيء، وتعريف حقيقة الشيء أما أن يكون بنفس تلك الحقيقة أو بشيء من أجزائها أو بأمر خارج عنها أو بما يتركب من الداخل والخارج. أما تعريفها بنفسها فمحال، لأن المعرف معلوم قبل المعرف، فلو عرف الشيء بنفسه لزم أن يكون معلومًا قبل أن يكون معلومًا وهو محال. وأمّا تعريفها بالأمور الداخلة فيها (فههنا)[1] في حق واجب الوجود محال، لأن التعريف بالأمور الداخلة لا يمكن إلا إذا كان المعرف مركبًا، وواجب الوجود يستحيل أن يكون مركبًا، ..ولمّا بطل هذان القسمان ثبت أنه لا يمكن تعريف ماهية واجب الوجود إلا بلوازمه وآثاره، ثم إن اللوازم قد تكون خفية، وقد تكون جلية، ولا يجوز تعريف الماهية باللوازم الخفية بل لا بدَّ من تعريفها باللوازم الجلية، وأظهر آثار ذات واجب الوجود هو هذا العالم المحسوس وهو السموات والأرض وما بينهما فقد ثبت أنه لا جواب البتة لقول فرعون وما رب العالمين إلا ما قاله موسى عليه السلام ، وهو أنه رب السموات والأرض وما بينهما"[2] وتأسيسًا على ما تقدم فإن ذات اللّه تعالى تتجلى معرفتها بأمور خارجة عن ذاته (آثاره، مخلوقاته) سبحانه وتعالى وهو المستوحى من جواب موسى لفرعون، ومن منطلق قياس الأولى مراد كلامه تعالى تتجلى حقيقته بألفاظه وما تحمل من معاني أو بما يتعلق بها من أمور خارجية تساعد على تأويلها، كما أن الكتاب نزل على نبيّ عربي وأمّة عربيّة وتحداهم باللغة التي كانوا فرسانها . فمن الطبيعي فهموا القُرآن وأذعنوا وسلموا به وخضعوا له منكسرين .

الثالث: ما نقل من قول عن مالك في بيان الآية الخامسة من سورة طه هو مأخوذ من الروايات عن أم سلمة أم المؤمنين وكان رد مالك لسائل في معنى الآية ، وعلّق الطباطبائي على هذا الحال قائلًا: لم ينقل عن طبقة الصّحابة بحث حقيقي عن مثل العرش والكرسي وسائر الحقائق القُرآنية وحتى أصول المعارف كمسائل التوحيد وما يلحق بها بل كانوا لا يتعدون الظّواهر الدينية ويقفون عليها، وعلى ذلك جرى التّابعون وقدماء المفسّرين حتى نقل عن سفيان بن عيينة[3] أنه قال : كلما وصف اللّه من نفسه في كتابه فتفسيره تلاوته والسكوت عليه ، وعن الامام مالك أن رجلًا قال له : يا أبا عبد اللّه استوى على العرش ، كيف استوى ؟ قال الراوي فما رأيت مالكًا وجد من شيء كموجدته من مقالته وعلاه الرحضاء يعني

---

(١) (فههنا) يقصد : فهمنا .

(٢) الرازي/ مفاتيح الغيب ، ٤٩٨/٢٤ .

(٣) كان سفيان بن عيينة محدثاً ومفسراً وفقيهاً، ولد بالكوفة (١٠٧هـ) ، ونشأ وتوفي في مكة (١٩٦هـ) . له كتاب (التفسير) ، وكتب في الحديث. ظ: ابن سعد/الطبقات الكبرى، ١/ ٣٥ .

العرق وأطرق القوم . قال فسري عن مالك فقال : الكيف غير معقول : والاستواء منه غير مجهول ، والايمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ، وإني أخاف أن تكون ضالًا ، وأمر به فاخرج [١]

أما المسألة الثانية: جاءت بتوجيه الوقف في الآية(٧) من آل عمران الاول على لفظ الجلالة تكون الواو بعدها مستأنفة أو الوقف على (العلم) تكون الواو عاطفة، ولم ترجح بينهما، وكان الاجدر بها ان ترجح لأن من المستحيل أن تبقى الاحتمالية بين الطرفين متساوية وظاهر النص وأقوال العلماء وسيرة المفسرين والعلماء شاهد ترجيح عطف الراسخين على لفظ الجلالة، ومن خلال تطبيق المفسرات وتجربتهم في دائرة التفسير، يصرح بذلك فلم هذه الحيرة ؟!! يقول النحاس : القول الأول وإن كان حسنًا ، فهذا أبين منه، لأن واو العطف الأولى بها أن تدخل الثاني ، فيما دخل فيه الأول ، حتى يقع دليل بخلافه وقد مدح الله عز وجل الراسخين ، بثباتهم في العلم ، فدل على أنهم يعلمون تأويله وقد قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ ؟ [٢]

ت - نموذج (٣) :قال تعالى: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ ﴾[٣]

ذكرنا هذا النص قبل قليل بلحاظ وهنا نرجع إليه بلحاظ آخر وهو المصادق لـ (وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ) قالت: (زينب الغزالي) في بيانها: إنّما يعقل ويفهم عن الله وتدبر المعاني على وجهها ذوو العقول السليمة والفهوم المستقيمة فهم يؤمنون به كله فيقفون حيث وقف ويكلون علم ما جهلوا إلى الله تعالى[٤] وترى (حنان اللحام) في بيانه بجملة من النقاط مهمة[٥] :

- طريق النجاة من المتشابه الرجوع الى المحكم .
- كل من يتتبع المتشابهات ويستدل بها يكون في قلبه زيغ ويريد الفتنة.
- منزلة العلماء ولا سيما الراسخون في العلم منهم، والوصول الى مرحلة الرسوخ في العلم يحتاج الى صبر ودأب.
- أولو الألباب: أصحاب العقول ينتفعون بالبيان والتذكير فيفهمون الموقف السليم من الآيات ويسلمون بها.

أمّا نائلة صبري فسّرت هذه الآية: أنّها استعارة والمراد بها المتمكنون في العلم تشبيهًا برسوخ الشيء الثقيل على الأرض والراسخون الثابتون في العلم الشرعي المتمكنون منها يؤمنون بالمتشابه أنه من عند الله

---

(١) ظ: الطباطبائي/ الميزان في تفسير القرآن ، ١٦٤/٨ -١٦٥ .

(٢) ظ: النحاس / معاني القرآن ، ١/ ٣٥٤ .

(٣) آل عمران :٧ .

(٤) زينب الغزالي / نظرات في كتاب الله، ١/ ١٩٥ -١٩٦ .

(٥) ظ: حنان اللحام/ من هدي سورة آل عمران/ ٢٩ - ٣٠ .

[1] وماجدة الفارس تقول فيها : الرسوخ : الثبوت في الشيء وكل ثابت راسخ، وعولت في هذا المعنى على (الطبري والقرطبي) ثم عقبت ذلك، سئل النبي عن الراسخين في العلم، فقال: (هو من برت يمينه، وصدق لسانه، واستقام قلبه، وعف بطنه، فذلك الراسخ في العلم) [2] وذكرت قبل ذلك رواية ابن عباس مصرحًا أنه من الراسخين في العلم .

قرأت النصوص الواردة التي أبدتها المفسرات في بيان معنى (وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ) وما تقدم من معاني (التأويل) يظهر لنا أنّ هناك تأرجحًا وعدم الثبات في البت بحقيقة مسألة معرفة التأويل ومصداق الراسخ في العلم بما له حق في علم التأويل من عدمه، هذا على مستوى التنظير، أمّا على صعيد التطبيق فنلحظ الاختلاف بما قرَّرنه من مشروعية تأويل القُرآن .

ونلحظ أمرًا هامًّا وهو إرجاع المتشابه من القُرآن إلى محكمه والكلّ متفق في ذلك في سبيل توضيح المتشابه عن طريق المحكم الأم من الآيات حتى يصبح محكمًا، وتعزيزًا على ذلك فإنّ المفسرات قد أقر بعضهن بجواز وإمكان تأويل المتشابه لمن كان شأنه من أهل الرسوخ في العلم . وقد أوردن مصداقًا لذلك وشاهدًا ردف رأي الإمكان وهو أنّ النبي الأعظم (صلى اللّٰهُ عليه وآله) أوّل الراسخين في العلم ولو كان عكس ذلك لما ساغ لنا القول بعلم النّبي (صلى اللّٰهُ عليه وآله) بالمتشابه [3] أن (ابن عباس) حبر الإمة ، يرى أنَّه من الراسخين في العلم على ما رُوي، وله حظٌ من دعاء النّبي الأكرم (صلى اللّٰهُ عليه وآله) في تعلّم التّأويل. وهذا ما أشارت اليه المفسرة (حنان اللحام) ونائلة صبري و ماجدة الفارس.

وما تقدّم ينسجم مع الرأي القائم على عاطفية الواو الذي ذكرته المفسرات ولم ترجحاه لا لمانع ؟! والذي استنبط من التطبيق الذي طبقته المفسّرات يؤكد ذلك. وأنّ النابهين من المفسرين أجمعوا على ضرورة العطف ورفضوا صحة الوقف، وذلك وقوفًا إلى جانب الأدب الرفيع والفصحى من اللغة في هكذا تعابير، وضرورة الحكمة تقضي فتح باب العلم بكتاب اللّٰه في جميع دلائله وبيّناته، لأنه هدى للعامين ومصباح ينير درب الخافقين [4]

وعلى فرض أنَّ الآية (٧) من آل عمران، لا تدل على أن الراسخين في العلم لهم نصيب في تأويله، واختصاصه باللّٰه وهو ما ذهب اليه الطباطبائي، لكنه لا ينافي دلالة دليل منفصل يدل على علم غيره تعالى به بإذنه، كما في نظائره كالعلم بالغيب [5]

---

(١) ظ: نائلة صبري/المبصر لنور القرآن،٢/ ٣/ ١٣٩ - ١٤٠ .

(٢) ظ:ماجدة الفارس/التوضيح والبيان في تفسير آي القرآن: ٢٠٢١/٢ ، ظ: مصادرها (الطبري:٦٦٣٨) و(الطبراني: ٧٦٥٨).

(٣) ظ: محمد عبد الرحمن المغراوي / المفسرون بين التأويل والاثبات في آيات الصفات / ٤٠٥ .

(٤) ظ، معرفة/ التأويل في مختلف المذاهب والآراء / ٢٠ .

(٥) ظ: الطباطبائي/ الميزان في تفسير القرآن، ٣/ ٦٠ .

يُعدُّ كتاب الله المصدر للفكر الإسلامي، وهو الذي يعطي الاعتبار والحجية للمصادر الدينية الأخرى، لذا يجب ان يكون قابلًا للفهم لعامة الناس .فضلًا عن هذا فان القُرآن يعلن انه نور موضح لكل شيء ... وواضح أنّ القُرآن لو لم يكن مفهومًا لدى العامة فان مثل هذه الآيات لا اعتبار لها . وليس هناك مجال للظن موضوع (القُرآن يفهمه عامة الناس) يتنافى مع الموضوع (انّ النّبي الأكرم (صلى اللّهُ عليه وآله) وأهل بيته، هم مراجع علمية للمعارف الاسلامية، والتي هي حقيقة يدل عليها القُرآن الكريم). ، فان القُرآن يشير إلى الكليات منها، ويتوقف تفصيلها بالرجوع إلى السنة(حديث أهل البيت عليهم السلام مثل أحكام الصلاة والصوم والمعاملات وسائر العبادات) [١] .

وما يذكره القُرآن بكلمة تأويل لم يكن مدلولًا للفظ بل حقائق وواقعيات أعلى شأنًا من فهم عامّة النّاس، وهي الأساس للمسائل الاعتقادية والاحكام العملية للقرآن . نعم ان لكل آيات القُرآن تأويلاً ، ولا يدرك تأويله عن طريق التفكر مباشرة ، ولا يتضح ذلك من ألفاظه، وينحصر فهمه وإدراكه للأنبياء والصالحين من عباد الله ، الذين نزهوا أنفسهم من كل رجس [٢]

كانت التّفاسير النسويّة بمنأى عن هذا الركن والاصل تمامًا الا ما ندر ففي بعض الموارد استشهدت بعض المفسّرات بجملة من الروايات بكلمات أئمة الهدى والبيان في مقام التأكيد لمعنى أو استئناس ببعض كلمات لهم (عليهم السلام). ومن جملة الموارد

علم التأويل أعظم العلوم وسرّه أعظم الأسرار فهو أن يتحقق عندك أن التأويل لا يمكن إلا على قاعدته وأصوله وقوانينه، لأنه أصل في الدين وأساس في الإسلام، وعلمه أعظم العلوم وأشرفها، وسرّه أعظم الأسرار وأنفعها، وليس هناك سرّ إلا وهو معدنه، ولا علم إلا وهو مشربه، وهو أول الواجبات على الخلق في الدين، وآخر المقامات عند أرباب الكشف، وأصحاب اليقين [٣]

هل أنّ الأمومة في الكتاب على الآيات المتشابهة هي فقط للآيات المحكمات أم يوجد معها غيرها؟ الجواب تجيب الآية المباركة عن ذلك﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ ﴾ ومعنى العلم بتأويله هو الذي يربط المتشابه إلى المحكم وهذا ليس بيد المحكم بمفرده، وإنّما يوجد حاكم على المحكمات وولايةٌ عليها وهي ولاية الراسخين في العلم، فالله تعالى يُرسلُ علمه عبر القُرآن، ولأجل أن يرفع الله إجمال وإبهام المتشابه جعل آيات محكمات إلا أنّ المحكمات ليس لوحدها وبمفردها ترفع الاشتباه والمتشابه، بل بتعليم من الله وهذا التعليم الإلهي أوصله إلى البشر عبر الراسخين يعني عبر الثقلين وهم النّبي(صلى اللّهُ

---

(١) ظ: الطباطبائي/ الشيعة في الإسلام، ٧٠ .

(٢) ظ: المصدر نفسه : ٧٦ .

(٣) ظ: الآملي/ تفسير المحيط الأعظم والبحر الخضم في تأويل كتاب الله العزيز المحكم ، ٢٢٩/١ .

عليه وآله) وقرباه عليهم السلام وعليه فالمحورية هي يعلم الله ثم يعلم الراسخون وهم الطريق المنتدب الذي يصل إلينا [١]

وتأسيسًا على ما تقدّم :إنّ نيل حظ التأويل الحقيقي هو عن طريق أئمة أهل البيت عليهم السلام كونهم أول العارفين به والعاملين على منهاجه بل هم ترجمان القُرآن وأوصياء الرحمن وعدل القُرآن بدليل حديث الثقلين المتواتر من الصحاح والسنن والمسانيد من مصادر أهل السنة [٢] فلا يمكن أن يتخلف أحدهما عن الآخر ويسبق أحدهما الاخر، أو يناقض أحدهما الآخر، فعصمة أحدهما تثبت عصمة الآخر الأول هو الكتاب .

ومشروعية التأصيل لأصل التأويل للتفسير قائم على وجهين على ما يبدو للبحث :

الأول: أنّ المحكمات هنّ أمّ الكتاب والحاكم عليهنَّ هم الراسخون في العلم فهم أعلم بهنّ من غيرهم وهم الأقدر على إرجاع المتشابه إليهنَّ وهذا ما نظّر له الشيخ السند في مدونته التفسيريّة (تفسير أمومة الولاية والمحكمات للقرآن الكريم) .

الثاني: ما يؤكد الوجه المتقدم أنّ القُرآن في ظل وجود المعصوم أو نصه يعدّ الملجأ الأول في بيان القُرآن وما تضمنه من شريعة وعقيدة وأخلاق على القدر التفصيلي الذي احتاجه . ولما ابتعد المسلمون عن نصّ المعصوم كان لزامًا عليهم البحث والتأسيس للقواعد التفسيرية والتركيز على أصوله . وعلى حد قول المازندراني :" ما رافق التفسير من غموض في المنهج التأويلي نظرًا لعدم وضوح حد تام لدى المتقدمين للتأويل فاستدعى ذلك الاتكاء على جزئيات من علوم الحديث، وعلوم القُرآن، واللغة والبيان، وأصول الفقه ، والمنطق، والفلسفة " [٣]

ث - نموذج (٤) : قال تعالى:﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ ﴾[٤]

قالت ماجدة الفارس في بيانها (يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ) هو وصف بالبخل لأن العرب تجعل (العطاء) معبَّرًا عنه باليد . فيكون (بسط اليد) عن الكرم عندهم (وغُلّ اليد) تطلقه على البخل ، وليس المقصود أنّ يد الله مشدودة الوثاق كما هو ظاهر المعنى[٥]، ثم ذكرت المفسرة معاني (اليد عند العرب) منها : الجارحة في

---

(١) ظ: محمد السند/ تفسير أمومة الولاية والمحكمات للقرآن الكريم ، ٣٨/١ .

(٢) راجع كتاب (كتاب الله وأهل البيت في حديث الثقلين) ،من تأليف لجنة التحقيق في مسألة الإمامة في مدرسة الإمام باقر العلوم عليه السلام بقم المقدسة / ايران. قد جمع هذا الكتاب (٦٠٠) نقل لهذا الحديث باختلاف تعابيره وجمله يتجاوز (١٦٠) كتاب .وهذا الكتاب القيم ضم هذا البحث بـ (٥٧٢) صحيفة .

(٣) د. عدي جواد علي الحجار / الأسس المنهجية في تفسير النّص القرآني / ١٣ .

(٤) المائدة :٦٤ .

(٥) ظ: ماجدة الفارس/ التوضيح والبيان في تفسير آي القرآن ، ٣/ ٤٦٢ -٤٦٣ .

قوله تعالى:﴿ وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ ﴾[1] اليد للنعمة كما تقول العرب: كم يدٍ لي على فلان. الحيازة والملك في قوله تعالى:﴿ أَوۡ يَعۡفُوَاْ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ عُقۡدَةُ ٱلنِّكَاحِ ﴾[2] وفي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡ ﴾[3]تأييد بالولاية والنصرة وليس هذا تشبيهًا لكنه خص اليد بالذكر لأنّها أجلّ الجوارح التي يتولى بها الفعل، وتأتي بمعنى القوة في العبادة في قوله تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴿١٧﴾ ﴾[4] [5]

وقفت ماجدة الفارس على النّص بصرفها معناه الظاهر المتبادر الى الذهن إلى معنى أخرجته من سبب نزول الآية مفاده: أنّهم لمّا رأوا فقر النبي وقلة المال وسمعوا ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗ ﴾[6] ورأوا أنّ النّبي يستعين بهم في جمع الدّيات، قالوا: ان إله محمد فقير وبخيل[7] وهذا الوجه من المعنى قرّبه الطباطبائي الى النّظر[8]، واستندت على ذلك بما كان عند العرب في كلامهم ثم فصلّت معاني (اليد) واستعمالها القُرآني وإيضاح دلالاتها التي تخرجها من معناها الأول الذي لا ينسجم مع الذات المقدسة . وبذلك قامت بتأويل لفظ(اليد) إلى ما يصحُّ القولُ فيه . وهذا لا جديد يُذكر فيه

---

(١) ص: ٤٤ .

(٢) البقرة :٢٣٧ .

(٣) الفتح :١٠ .

(٤) ص: ١٧ .

(٥) ظ: ماجدة الفارس/ التّوضيح والبيان في تفسير آي القرآن ، ٣/ ٤٦٢ -٤٦٣ .

(٦) البقرة : ٢٤٥.

(٧) ظ: ماجدة الفارس/ التّوضيح والبيان في تفسير آي القرآن ، ٤٦٢/٣ .

(٨) ظ: الطباطبائي/ الميزان في تفسير القرآن ، ٦/ ٣٢.

ما خلصنا إليه في الفصل الأول نوجزه بما يأتي :

- إنّ مدار البحث في أصول التّفسير فيما دشنتها التّفاسير النّسوية طفق منه الوقوف على أصل: (القُرآن الكريم، والسنّة، والعقل، واللغة، وإجماع المفسرين، والتّأويل) كل ذلك لم يكن على حدٍ سواء في التّوظيف والاستفادة بين المفسّرات.
- إنّ (القُرآن الكريم) بوصفه أصلًا كان له الحظّ الأوفر في تفسير (بنت الشاطئ)؛ بيد أنّ دراستها كانت تدور على وفق مبدأ الاستقراء للفظة القُرآنية بغية الركون إليه على أن تطمئن إلى ما فيه من دلالة، وتأتي المفسّرات بعدها بنسب متفاوتة، ولعلّ (زينب الغزالي) ركونها كان إلى حدٍ ما أقل ؛ وذلك لمنهج تفسيرها الموجز .
- إنّ استناد المفسّرات للسنّة بوصفها أصلًا تفسيريًا كان واضحًا عند المفسّرات عدا (بنت الشاطئ) و(حنان اللحام) إلى حدٍ ما، وقد أفدنَ من هذا الأصل في إيضاح مراد الآية ولم تكتف بعضهنّ كماجدة الفارس بعرض الحديث بل كانت تشرح الحديث أيضًا، وفي ظل الأخذ فقد غفلت المفسّرات من أن تأخذ من السّنة ما ورد عن طريق أئمة أهل البيت عليهم السلام وإن ظهرت بعض النّصوص عند ماجدة الفارس. كما صرّحت بعض المفسّرات بالنّقل ما صحّ من الرّوايات وفي الحقيقة لم تصمد بعضها في كفة ميزان أصول الحديث وشروطه، فضلًا عمّا ورود في بعض النّصوص التي قيل عنها أنّها من الاسرائيليات فلم تسلم بعض التّفاسير من تفشي هذه البليّة .
- وتظهر ملامح الاستفادة من العقل إذ يعاضد القُرآن والسنّة كان له الحضور عمومًا عند المفسّرات ، و(بنت الشاطئ) خصوصًا تبرز ملامح الركون إليه بوصفه أصلًا تفسيريًّا؛ لأنّها ابتعدت عن الجانب النّقلي خصوصًا (الحديث) وظهرت حركة العقل عندها بتوظيفها الأدوات التي تمكنت منها في تحصيل المراد ، و(حنان اللحام) أيضًا عوّلت على الجانب العقلي في تفسيرها ولذلك كثرت اجتهاداتها في مدوناتها التّفسيريّة وبان ابتعادها عن الجانب النّقلي نسبيًا وكثيرًا ما ادعت التجديد والابتكار في تفسيراتها وتعويلها على العقل كأصل، و(زينب الغزالي) تظهر ملامح التدّبر العام عندها وإعمال النظر والاستفادة من الأدوات والمساعدة على التّفسير كان ضئيلًا .
- تأتي اللغة ودورها في التّفسير بوصفها أصلًا لم تغفل عنه المفسّرات، فقد وقفت على علومها، وأفادت منها في توضيح وكشف المراد ، فالإشارات البلاغيّة والنحويّة والصرفيّة حاضرة وإن لم تكن على أفق واحد إلا أنّ دورها والركون إليها بارز في طيات تلكم التّفاسير النّسويّة ولعلّ أكثرهنّ (بنت الشاطئ) بحكم تخصصها وأقلهنّ (زينب الغزالي) .
- إجماع المفسرين كأصلٍ تفسيري عند المفسّرات اخذ حيزه وكان له دورٌ بارزٌ عندهنَّ إلا أنّ (بنت الشاطئ) كثيرًا ما تقف بالضدِّ منه، مناقشة إيّاه في جملة من الموارد كما مرّ ذكره، وهذا الأصل بطبيعة الحال في ضوء ما تنتمي اليه المفسرات من مدرسة كان حجة في خضم تفسيراتهنّ ، إلا أنّ

الإجماع عمومًا وإجماع المفسرين خصوصًا ما لم يضم إليه قول المعصوم فليس بحجة عند مدرسة أهل البيت عليهم السلام .

١ - لمّا دارت محورية مفهوم التّأويل في معنيين : الأول : بمعنى التّفسير وهو عند المتقدّمين، والثّاني :حقيقة ما يؤول اليه الكلام، ومثلن لذلك بـ(قيام الساعة، واليوم الآخر، أسماء الله وصفاته) وهو عند جملة من المتأخرين، فقد قيدن مفهومه بتأويل المتشابه الذي ليس لأحد فيه علم سوى الله تعالى، بأن يبقى متشابهًا وهذا عند بعضهن ،وقد خلطن في مصاديقه، في حين أنّه لم ينحصر بهذا المعنى، بل هناك من المفسرين من يرى بتأويل المتشابه من (المجمل، والمؤول) برده للمحكم وهو عند الأصوليين، وهناك من يجعله قبالة الظاهر بأن يؤوله المعصوم فيصير مفسَّرًا .وما ركنت إليه بعض المفسرات أن المتشابه يبقى متشابهًا . وبعضهن الاخر كماجدة الفارس تقول بصرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يصح معه ، كما فعلت بمعنى اليد . أمّا بالنّسبة إلى القول بعاطفية الواو في الآية السابعة من سورة آل عمران أرجح .

الفَصلُ الثَّاني

نقدُ قواعد التّفاسير النّسويّة

القسم الأَوَّل : قواعدُ المعاني :

- ۞ المبحث الأوّل: قاعدة ظواهر القرآن
- ۞ المبحث الثَّاني: قاعدة ردّ المتشابه إلى المحكم.
- ۞ المبحث الثالث: قاعدة حمل العامّ على الخاصّ
- ۞ المبحث الرَّابع : قاعدة حمل المطلق على المقيّد
- ۞ المبحث الخامس: قاعدة ردّ المجمل إلى المبيَّن أو(المفسّر)

القسم الثّاني : قواعد النّصوص:

- ۞ المبحث الأوّل : قاعدة أسباب النّزول
- ۞ المبحث الثّاني: قاعدة نسخ النّصوص
- ۞ المبحث الثّالث : قاعدة الوُجوه والنّظائر
- ۞ المبحث الرّابع : قاعدة السِّياق القرآني

الفَصلُ الثَّاني: نَقدُ قواعد التَّفاسير النَسويّة

مدخل :

تُعدّ دراسةُ قواعدِ التفسيرِ أمرًا شائقًا شائكًا؛ لأنّ البحث فيها بحثٌ في كليّات التفسير وقواعده [1] إنّ الصّلة والعلاقة بين قواعد التّفسير وأصوله علاقة متداخلة قائمة على إشكالية الأخذ، فبعض منهم يجعل من الاصول قواعد والبعض الاخر يجعل العكس، فهناك من صنّف في أصول التّفسير على أساس التفريق ،وهناك من جمع بينهما وطرحها تحت عنوان (قواعد أصول التفسير) والملاحظ في ذلك انَّ الاصول ترجع إليها الفروع وهو الحق وبالتالي فقد نظم الفصل الثاني على أساس التفريع والتفريق لا الجمع، وذلك نظرًا إلى الوقوف على جزئيات الموضوع دراسةً وتحليلًا لما جاء في التفاسير النسوية لنكشف مدى التوظيف والاستفادة منها في هذه التفاسير . تحقيقًا وتحليلًا ونقدًا .

لم تألُ التفاسير النّسويّة جهدًا في توظيف تلكم القواعد في خدمة النّص القُرآني افهامًا وإيضاحًا للمراد، وانطلاقًا من هذا الاساس نفتح باب النظر في هذه التفاسير تحقيقًا للمبتغى المقصود، بكشف جملة منها والوقوف عليها تحليلًا ومناقشةً. ومن داعي الوقوف على القواعد التفسيرية في هذه التفاسير انّها معاصرة من جانب لنلحظ فيما اذا كانت هناك قواعد مستجدة من جهة، ومدى تفاوت الأخذ بينها والاستفادة منها من جانب آخر ولأن في عصرنا الحديث نشطت حركة التّأليف في تنصيص القواعد نشاطًا كبيرًا ونَجَم عنها العديد من القواعد [2] لا يخفى على ذوي الحجى أهميّة القواعد التّفسيريّة ومنصتها الخطيرة في تفسير القُرآن الكريم وهي قواعد ممهدة لتحصيل الحجة على استكشاف مراد الوحي من آياته النازلة لهداية البشر[3] وبالنتيجة يدعو ذلك إلى النظر في المدوَّنات التّفسيريّة النّسويّة قصد الكشف عن مواطن الضعف والقوة في توظيفها والأثر المترتب عليها .

---

(١) ظ : د محمد صالح محمد سليمان، وآخرون/ التأليف المعاصر في قواعد التفسير – دراسة نقدية لمنهجية الحكم بالقاعدة/ ٧ .

(٢) ظ : المصدر نفسه: ١١ .

(٣) ظ: محمد السند / تفسير أمومة الولاية والمحكمات للقرآن الكريم ، ١ /٢١ -٢٢ .

ولا شك أنّ التعريف يُعد من أهمَ الوسائلَ التي تَرسُمُ الصورةَ الواضحةَ عن المصطلح في تحديد أطره وملامحه العامة، وبيان كل ما من شأنه أن يحتويه وإبعاد ما لا يقبله . وبالنظر إلى ما قدَّمه العلماء والباحثون بهذا الصدد وقد سال مداد كثير في تقديم مفاهيم متعددة على اختلاف مآربهم ومشاربهم فلا تخرج عن مقصد واحد وإن تعددت في مفهومها ألفاظ البيان ولا زال التعريف يتطلب الخوض في الجانب اللغوي الاصطلاحي لكل مفردة من مفردات(قواعد التفسير) فقد دشن وكتب فيه الكثير ولا مجال إلى التوسع فيها ونقتصر على زبدة مفادها . أنّ قواعد التفسير بلحظ أصولها أنها قواعد فرعية لحاظ الاصل المندرجة تحته، وفي الوقت نفسه قواعد كلية بلحاظ ما يندرج تحتها[1] وهذا البيان أخذ على عاتقه بيان النسبة والصلة بينهما ، ولك تعريف آخر ، قواعد التفسير : "هي الأحكام الكلية التي يُتوصل بها إلى استنباط معاني القُرآن العظيم ومعرفة كيفيّة الإستفادة منها"[2] وقواعدُ التفسير كثيرةٌ ومتشعبةٌ ومتداخلةٌ وبناءً على هذا سنختار منها الأبرز والأكثر استعمالًا في التّفاسير النّسوية المختارة، نأتي بها على وفق التّقسيم الآتي.

القسم الاول : قواعد المعاني :

المبحث الأول: قاعدة ظواهر القُرآن.

المبحث الثاني: قاعدة ردّ المتشابه الى المحكم.

المبحث الثالث: قاعدة حمل العام على الخاص.

المبحث الرَّابع : قاعدة حمل المطلق على المقيّد.

المبحث الخامس: قاعدة ردّ المجمل إلى المبيَّن أو(المفسّر).

القسم الثّاني : قواعد النّصوص:

المبحث الأوّل : قاعدة أسباب النّزول.

المبحث الثّاني: قاعدة نسخ النّصوص.

المبحث الثّالث : قاعدة الوُجوه والنّظائر .

المبحث الرابع : قاعدة السياق القُرآني .

---

(١) ظ: د. جبار كاظم الملا، د. سكينة عزيز الفتلي/ قواعد أصول التفسير في تهذيب الوصل للعلامة وكنز العرفان للسيوري/ ٤٣ .

(٢) خالد عثمان السبت / قواعد التفسير (جمعاً ودراسة)، ١/ ٣٠ .

القسم الأول: قواعد المعاني

المبحث الاوَّل : قاعدة ظواهر القُرآن:

توطئة :

إنّ ظاهر القُرآن إن لم يكن أصلًا تفسيريًا كما عدّه بعض الباحثين[1] شريطة أن لا يكون قبالة القُرآن لأنّ حجية الظواهر فرع من حجية القُرآن ، فهو عندئذٍ قاعدة تفسيرية يركن إليها المفسر في سبيل الكشف عن مكنون النّص القُرآنيّ والمقصود من ظاهر النّص "هو المعنى الذي يفهمه العارف باللغة العربيّة –بموجب القوانين الثابتة عند أهل العرف وأبناء اللغة –من اللفظ"[2] كما وأنه حجة استنادًا إلى بناء العقلاء الذي أمضاه الشارع ؛ لأنّه لم يعترض عليه .

وقالوا في حكم الظاهر : أنّه يجب المصير إليه، ولا يجوز العدول عنه إلّا بدليل أقوى منه يدلّ على صرف اللفظ عن ظاهره المتبادر منه إلى الاحتمال المرجوح، وهذا ما يسمى بالتأويل[3] كما في بعض الموارد يجب التّخلي عن الظاهر فيرجع إلى معنى غير ظاهر يندرج تحت الظاهر وهذا الرجوع يسمّى تأويلًا .

المطلب الأول: الجانب (التَّنظيريّ):

إن تقديم المنهجية التّفسيرية لكل مفسر تتجلى إمّا عن طريق بيانها في المقدمة التي جاء بها المفسّر نفسه أو يأتي غيره يكشف عن خطواته وأصوله وقواعده في بيان القُرآن، أو يعمد الباحث أو القارئ لقراءة التّفسير وتحليله ينكشف له ذلك في التّفسير .

---

(١) ظ: كمال الحيدري/ أصول التفسير والتأويل، ١/ ١١٠

(٢) المصدر نفسه، ١/ ١١٠

(٣) ظ: السبت / قواعد التفسير جمعاً ودراسة، ١/ ٦٧٥

وعمومًا اتضح المنهج لدى التّفاسير النّسوية باعتماد أصول التّفسير من الرجوع الى : القُرآن الكريم والسنة والعقل(التّفكر والتّدبر) واللغة سواء كان تصريحاً أو استقراءًا، فضلًا عن القواعد الفرعية المنحدرة منها التي كُشف عنها في طيات صفحات التّفسير، منها الظّواهر التي تتعلق بمباحث الالفاظ .

فلا يمكن للمفسر أن يظهر له فهم لنصٍ قرآنيّ ما دون أن يستند في ذلك على قاعدة تفسيريّة صرّح بها أو تظهر أماراتها في دائرة تفسيره ومناقشته للنّصوص القُرآنية وما دار حولها من فهوم .

لذا نلحظ التّفاسير النّسوية تعاملت مع النّصوص القرآنيّة مع ظواهرها إذ إنّ اللغة واللسان العربي يقتضي ذلك، والكلام في الغالب يُحمل على ظاهره ولا يراد منه معنًا آخر ، لا يمكن حمل الألفاظ على غير المعاني الموضوعة لها من أوّل وهلة، إلا إذا قامت قرينة تصرفه عن معناه الحقيقي فعندئذٍ ، يقال: لا يراد منه المعنى الظاهر من اللفظ فيُحمل على معنى آخر يفهم من دلالات وقرائن داخليّة أو خارجية ،كالسّياق وغيرها وهذا المعنى يرتبط حتماً بمسألة التأويل على الذي يقصده المتأخرون من الأصوليين ، لذا تلحظ عموم التّفاسير والنّسوية خاصة عمدت على بيان المقاصد القرآنية على أساس الظواهر إلا في مواضع قليلة .

استطاعت بنتُ الشاطئ ان تستفيدَ من ظواهر النّصوص القُرآنية في عملية الإستقراء لظواهر القُرآن التي جعلتها قاعدة ومقارباتها مع دلالات المفردة في المعاجم اللغوية، ففي تفسيرها لسورة الضحى وتعليقها على مسألة إبطاء نزول الوحي على الرسول الأكرم (صلى اللّهُ عليهِ وآلهِ) وعدم اكتراثها لمجمل العلل والأسباب التي ساقها المفسرون قالت: "والذي يعطيه ظاهر النّص، أن فتور الوحي ظاهرة طبيعية، شأنها شأن سجو الليل بعد إشراق الضحى. وهذا يغنينا عن تقديم أسباب والتماس علل للإبطاء في الوحي، لم يتعلق القُرآن بذكرها"[1] وهنا تعقيب على وصف (الوحيّ) أنّه (ظاهرة طبيعيّة) ان هذا الوصف لو خصص بالنّبي (صلى اللّهُ عليه آله) وحده ممكن لكن يبقى الوصف على عمومه فيه نظر لأنّ الوحيّ ميزة خاصّة بحضرته (صلى اللّهُ عليه آله) ،كما وأنّ هذه الصفة حصر علّة في إبطاء الوحي لا يمكن حصرها ويجوز لأغراض منها :

- تشويق النبيّ للوحي بعد الانقطاع .
- محلّ ابتلاء للأمّة وقياس مدى ثباتهم واعتقادهم بنبيهم .
- اعطاء فرصة له (صلى اللّهُ عليه آله) لاستيعاب ا يحدث إذ أنّه أول اتصال بين الخالق والمخلوق ولم يكن ذلك سهلًا عليه (صلى اللّهُ عليه آله).
- اعلام النبيّ(صلى اللّهُ عليه آله) أن الوحي ينزل لأمر هامّ بأمر الله تعالى وفق ما تقتضيه الحاجة .
- ثم أنّ الوحي ظاهرة دينيّة لا ظاهرة طبيعيّة بقيد (خاصة) إلّا من باب التّجوّز في اطلاق المصطلح مع تخصصه بالنبيّ (صلى اللّهُ عليه آله) .

---

(١) بنت الشاطئ/ التفسير البياني للقرآن الكريم، ٣٦/١

وبالجملة يمكن القول على ما تقدّم فإنّ بقيّة المفسّرات في مدوانتهنّ التّفسيريّة عولن كثيراً على ظاهر القرآن ، وكما سيتضح ذلك في الجانب التّطبيقيّ .

المطلب الثاني : بيان الجانب (التّطبيقيّ) :

أ -نموذج (١) : قوله تعالى: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ [١]

لبنت الشاطئ وقفة مع الاستناد الى ظاهر النّص في إطلاق الرضا الالهي الذي خصه الله به(صلى اللّهُ عليهِ وآلهِ) في سورة الضحى المباركة في قوله تعالى: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ [٢] فاستطردت آراء المفسرين في هذه الآية وما حملوا عليها من تأويلات بتحديد العطاء المرضيّ للنبي(صلى اللّهُ عليهِ وآلهِ) منها: ألف قصر في الجنة ،على ما نقله الطبري عن ابن عباس، وذكرت بعضهم حدد ذلك : بالظفر من أعدائه، وفتح مكة، ودخول الناس في دينه أفواجا، وقيل: الشفاعة للمذنبين، وذكرت رأي ابن القيم، وذكرت لرأي (محمد عبده) وتحامله على موقف المفسرين القائلين بالعطاء: الشفاعة، تكريم آل بيت النبوة، معبرًا (محمد عبده) عن ذلك انهم حشروه في التفسير حشرًا وبعد هذا كله ترى بنت الشاطئ ان في تحديد العطاء جورًا عليه ، والأليق بجلال الموقف أن يكتفى فيه بالرضا على ما أراد البيان القُرآني، فوق كل تحديد، ووراء كل وصف ، وذكرت في استهلال بيان الآية: ولا وجه عندنا لتحدبد المقصود بالعطاء في الآية، بما ذكره (الرازي) أو غيره بل نؤثر إطلاقه، مسايرة للبيان القُرآني الذي يشأ أن يحدده [٣]

إنّ استناد المفسّرة بنت الشاطئ إلى البيان القُرآني الظاهر من النص دون التأويلات التي ذكرها المفسرون تراه (جورًا) وحري بالعطاء يبقى على إطلاقه دون حدٍ ووصف يذكر، من ذلك نرى أنّ بنت الشاطئ ركنت جميع الآراء على جهة وعولت على بيان (محمد عبده ، وابن القيم) واسترضت قول ابن القيم: ((توارد الوحي عليك بما فيه إرشاد لك ولقومك، ومن ظهور دينك وعلو كلمتك وإسعاد قومك بما تشرع لهم، وإعلائك وإعلائهم على الأمم في الدنيا والآخرة))[٤] ،وقوله((فهو يعم ما في الدنيا من القُرآن والهدى والنصر وكثرة الأتباع ورفع ذكره وإعلاء كلمته، وما يعطيه بعد مماته))[٥] وتأسيسًا على ما تقدم يمكن القول:

إنّ الآراء التي جاء بها المفسرون تعبّر عن رأي أصل السّنة (الروايات) وهذا لا يُعقل أن يركن جميع ما جاء فيها أو بعضها على فرض المبالغة التي تضمنتها. مع إمكان الجمع بين الآية والرّواية من دون تعارض . كما والآراء هي مصاديق لذلك العطاء بعضها فهمها المفسّر ، وبعضها ورد عن طريق الرواية كالشفاعة

---

(١)الضحى:٥

(٢)الضحى:٥

(٣) ظ: بنت الشاطئ/ التفسير البياني للقرآن الكريم ، ٣٩٤٠/١

(٤) المصدر نفسه ، ٤٠/١ .

(٥) بنت الشاطئ/ التفسير البياني للقرآن الكريم، ٣٩/١ .

وتكريم أهل البيت عليهم السلام ، عن محمد بن علي بن الحنفية أنه قال : يا أهل العراق ! تزعمون أن أرجى آية في كتاب الله عزّ وجل ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [1] وإنّا أهل البيت (عليهم السلام) نقول : أرجى آية في كتاب الله ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾ ﴾ [2] وهي والله الشفاعة ، ليعطينها في أهل لا إله إلا الله ، حتى يقول : رب رضيت [3] أوردها صاحب الميزان في بحثه الروائي ولم يعلق عليها وذكر الطبرسي أيضًا : قال زيد بن علي عليه السلام : إنَّ من رضا رسول الله أن يدخل أهل بيته الجنة .وقال الإمام الصادق عليه السلام : رضا جدي أن لا يبقى في النار موحد [4]

نعم الخطاب موجه الى حضرة النبيّ الاعظم (صلى اللّهُ عليهِ وآلهِ) لكن يبقى فيه الدرس والموعظة والإرشاد والتَّوجيه الى من ينهج منهجه (صلى اللّهُ عليهِ وآلهِ) فهو من باب الترغيب والترهيب، فالتنبيه عن الاستناد الى الدنيا وترك الآخرة والتحبيب بالآخرة بما فيه من النّعيم المقيم ، فلا مانع من أن يكون التحديد بنوع العطاء الإلهي المرضي لحبيبه المصطفى عليه السلام على سبيل المصداق لا الحصر كي يطمئن هو وأتباعه من المسلمين والمؤمنين .

ب - نموذج (٢): قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [5]

أولًا: رأي (زينب الغزالي): عن الرجل والمرأة هما معًا من نفس واحدة.. كانت الرجل فشطر منها نفس ثانية هي المرأة ومعنى ذلك أن حياة أحدهما بغير صاحبه غير مكتملة وقد أراد الله سبحانه وتعالى أن يثرى بالحياة والوجود؛ فبث من آدم وحواء كثرة كثيرة من الرجال والنساء؛ وبذلك كانت حركة الخلق في إنماء الأرض [6]

ثانيًا : رأي (حنان اللحام): قدمت تساؤلات في تفسيرها لهذه الآية المباركة : كيف حدث هذا؟ وهل الحديث هنا عن آدم أم عن خلق قبله؟ ام عن بشر من بعده..؟ ثم قالت: إنّ هذا البحث ليس حرامًا.. بل لعلّه

---

(١) الزمر : ٥٣ .

(٢) الضحى : ٥ .

(٣) ظ: الطبرسي/ مجمع البيان في تفسير القرآن ، ٣٨٣/١٠ .

(٤) ظ: المصدر نفسه ، ١٠ /٣٨٣ .

(٥) النساء :١ .

(٦) زينب الغزالي/ نظرات في كتاب الله :١/ ٢٨١ .

من العلم المأمور به:﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ [1]لكنه يحتاج الى متخصصين في مجالين من العلم :

١ - مجال تقصي الروايات عن النبيّ (صلى اللّهُ عليهِ وآلهِ) فيما ورد في هذ الموضوع، يحتاج إلى تخصص في صحة الحديث وصحة الدلالة؛ إذ إنّ علم الحديث: علم رواية وعلم دراية .

٢ - ومجال السّير في الأرض والدراسة في الكشف كيف بدأ الخلق يحتاج أيضًا إلى تخصص في علوم الطبيعة والآثار .

ثم قالت: ولا ينبغي للمسلم أن يشعر بشيء من الخوف على دينه من دراسة هذه العلوم المادية، فلن يكشف الناس شيئًا يخالف القُرآن. [2]

ثالثًا : و(نائلة صبري) ترى :الذي سواكم وانشأكم من نفس واحدة وهو آدم عليه السلام أبو البشر الذي خلقه اللّه سبحانه وتعالى من تراب، وخلق من نفس آدم زوجها وهي حواء، أنه خلقها من ضلعه الأيسر وهو نائم فلما استيقظ رآها ومال إليها وألفها لأنّها مخلوقة من جزء منه. (عن قتادة وخلق منها زوجها يعني حواء خلقت من آدم من ضلع من أضلاعه) الطبري (٣ /١٤٩).[3]

رابعًا : وأما (ماجدة الفارس) تقول: (النَّفس الواحدة) آدم . وفي قوله تعالى: {وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا} قالت: (زوجها): حواء لان حواء أُخرجت من آدم (من) تبعيضية. ومعنى التبعيض أنّ حواء خُلقت من جزء من آدم .. وفي شرحها لحديث عن أبي هريرة أورده البخاري في صحيحه ،قالت : حواء خلقت من ضلع آدم الأقصر الأيسر وهو نائم وذلك قبل أن يدخل الجنة وجعل مكانه (اللحم) (خُلقت)اي أُخرجت كما تخرج النخلة من النواة [4]

بناءً على ما تقدّم من بيان يمكن الوقوف على آرائهنّ على أساس الآتي:

الأول: ان (زينب الغزالي) اكتفت في بيانها الشرح الميسر والمقتضب دون أن تعضد كلامها بدليل من قبيل القُرآن على اعتباره أصل، ولم تورد نصًّا من السنّة الشريفة المفسرة للنص القُرآني، ولم نلحظ الاشارة اللغوية في بيانها وإنّما انحصر بيانها على ظاهر النّص القُرآني تدبرًا ، أنّها بهذا التفسير ترى أنّ آدم وزجه من نفس واحدة وأشارت الى الشطر بلحاظ الضمير يرجع الى النفس التي خُلق منها آدم ، وأشارت في ذلك أن مراد اللّه من خلقهما معًا بلحاظ التكامل في الحياة أحدهما يكمل الآخر. وهي بهذا المعنى كانت بمعزلٍ عن اضطراب الآراء واختلاف مشاربها.

---

(١) العنكبوت :٢٠ .

(٢) ظ: حنان اللحام/ من هدي سورة النساء / ٣١ .

(٣) نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن ، ٢/ ٤/ ١٨٣

(٤) ظ: ماجدة الفارس/ التوضيح والبيان في تفسير آي القرآن ، ٤٢٩/٢ .

أما (حنان اللحام) فقد أوكلت هذا الأمر الى المختصين في مجال علم الحديث(رواية ودراية) وعلوم الطبيعة والآثار. وعليه نقول: علم الحديث من جملة العلوم التي يلزم المفسر أن يكون ملمًا بها وعارفًا بطرقها وموضوعاتها، أو على الأقل الرجوع إلى الكتب المعتبرة في ذلك، فكان لها أن تراجع النّصوص في ذلك وتتبنى رأيًا معه دليل يستند إليه ولها محاكمة المراد وفق أصول وقواعد التفسير وآراء العلماء لتخرج بحصيلة في تفسير هذا النّص ولا تعزُ به إلى المختصّين ، وهنا نتساءل إذن لماذا تخوضين فيه أنتِ ؟ ومن جانب آخر لا أدري إلى أي مدى يعوّل على المكتشفات العلميّة البشريّة من العلوم الطبيعية والآثار في تحديد المراد من النّص القُرآني وهل مثل هذه الآيات حكر على المختصين المشار إليهم؟ . وفي ضوئها يلزم أن يُعاد إنتاج المعرفة التفسيريّة .

الأمر الثاني: رأي كل من (نائلة صبري) و(ماجدة الفارس)متفق حيث أنّهما أشارتا الى أن زوج آدم(حواء) كانت من نفس آدم خلقت من ضلعه الأيمن وهو نائم ثم استيقظ وألفها استنادًا إلى أصل السنّة وهذا التّوجيه فيه نظر بلحاظ جملة من المسائل :

الأولى : القُرآن نفسه : هناك كثير من النّصوص القُرآنية نظيرة لهذا النّص تكشف أمرًا يخالف ما جاء في النّصوص المروية المستند عليها في البيان ،وهو منها قوله تعالى:﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً ﴾[2]وقوله : ﴿ فَاطِرُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا ﴾[3]يقول صاحب الميزان: وظاهر الجملة أعني قوله:﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾، أنها بيان لكونه زوجها من نوعها بالتماثل ، وفي مقام بيان اتحاد أفراد الانسان من حيث الحقيقة وأنهم على كثرتهم رجالًا ونساءً إنما اشتقوا من أصل واحد وتشعبوا من منشأ واحد[4] ويرى الشنقيطي: "أنه خلق بني آدم من نفس واحدة هي أبوهم آدم ، ثم جعل من تلك النفس، زوجها يعني حواء. أي وبث جميع بني آدم منهما"[5] إذًا فالمراد من (نفس واحدة) هو آدم، ومعنى خلق الزوجة منها كونها من جنسها[6] وذهب السبزواري إلى : أنّ الطينة واحدة التي خلق منها (آدم وحواء) واستدل على ذلك بأمور[7] :

---

(١) الروم : ٢١ .

(٢) النحل: ٧٢ .

(٣) الشورى :١١ .

(٤) ظ: الطباطبائي/ الميزان في تفسير القرآن، ١٤٠ .

(٥) الشنقيطي/ أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن ، ٣٥٤/٦ .

(٦) ظ: السبحاني/ عصمة الأنبياء في القرآن الكريم، ١١٠ .

(٧) ظ: السبزواري/مواهب الرحمن في تفسير القرآن، ٢٣٢/٧ .

- تكرار كلمة الخلق في الآية يدل على تفاوت الخلقين.
- التّراخي في قوله تعالى في سورة الزمر: {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا} [الأعراف : ١٨٩].
- الاحاديث المعتبرة التي تنص على أنّ حواء خلقت من فاضل طينة آدم عليه السلام وذكر ان الروايات التي تشير الى مسألة (الضلع الايسر) فهو مما لا دليل له يصح الاعتماد عليه .

المسألة الثانية : التعامل مع النصوص المروية في بهذا الصدد قد وجهها السبزواري الى نص معتبر واعتبره شارح لجميع الروايات وهو عن عمرو بن أبي المقدام عن أبيه قال : ((سألت أبا جعفر عليه السلام من اي شيء خلق اللّه حواء ؟ فقال اي شيء يقولون هذا الخلق ؟ قلت يقولون إن اللّه خلقها من ضلع من أضلاع آدم فقال كذبوا أكان اللّه يعجزه أن يخلقه من غير ضلعه ؟ قلت جعلت فداك يا ابن رسول اللّه من اي شيء خلقها ؟ فقال أخبرني أبى عن آبائه (عليهم السلام) قال: قال رسول اللّه (صَلَّى اللّهُ عليهِ وآلِهِ) ان اللّه تبارك وتعالى قبض قبضةً من طين فخلطها بيمينه وكلتا يديه يمين فخلق منها آدم وفضلت فضلة من الطين فخلق منها حواء))[١] وأكد فضل الله : إنّ الآية واردة في مقام تسلسل الخلق، دون أن يتم الخلق من ضلع آدم، فإن الآية لا تدل عليه؛ بل يمكن أن يتجه النظر نحو الجزء المتبقي من الطينة التي خلق منها آدم[٢]

المسألة الثّالثة: أن (من) للتبعيض على ما ذكرت (ماجدة الفارس) ففيه نظر :إذ لا وجود لدليل على (من) في قوله تعالى{منها} تبعيضية، بل ممكن أن تكون للبيان مثل قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[٣] وتأكيد ذلك ما يراه أبو البقاء: من نوع الإنسان زوج آدم، والمقصود منه التنبيه على أنه تعالى جعل زوج آدم إنسانًا مثله[٤] والزحيلي يرى بيان لمعنى(من) وأشار الى توجيه خلق حواء من ضلع أعوج: أن كثيرًا من المفسرين كالرازي قالوا : إن المراد بقوله (منها) أي من جنسها ، ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[٥]والمراد أنه خلق أزواجًا من جنسكم، لا أنه خلق كل زوجة من بدن زوجها.[٦]

---

(١) ظ: المصدر نفسه، ٢٤٥/٧. العياشي/ تفسير العياشي، ٢٢٣/١ . ظ: البحراني/ البرهان في تفسير القرآن، ٢/ ١٥٥ ، ظ: الفيش الكاشاني، تفسير الصافي، ٤١٧/١ .

(٢) ظ: فضل الله / من وحي القرآن، ٧ / ٢٥ .

(٣) ظ: مغنية / التفسير الكاشف، ٢/ ٢٤٤ .

(٤) ظ: أبو البقاء/ الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية / ١٢٠ .

(٥) الروم: ٢١ .

(٦) الزحيلي/التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، ١/ ١٣٩ ،السّبحاني/الفكر الخالد في بيان العقائد، ٤٤/٢ .

المسألة الرّابعة : أن (أبا هريرة) الذي نقل هذا النّص من الرواية شخصيته مجروحة، فضلًا عن كونه ينقل عن أهل الكتاب كثيرًا لا سيما عن كعب الاحبار الذي كان يستغل سذاجته وغفلته بنقله القصص والاخبار[١] ، ويرى الشيرازي وغيره: ان هذا المعنى :أن حواء خلقت من أضلاع آدم (هو أمر قد صرَّح به سفر التكوين من التوراة أيضًا)[٢] ولا دليل فيه، يقول صاحب الميزان: فما في بعض التفاسير أن المراد بالآية كون زوج هذه النفس مشتقة منها وخلقها من بعضها وفاقًا لما في بعض الاخبار: أن الله خلق زوجة آدم من ضلع من أضلاعه ممّا لا دليل عليه من الآية[٣]

المسألة الخامسة : العقل حجة باطنة جعلها الله تعالى للإنسان في أمور دينه ودنياه ، وهو لا يرتضي تفسير (خلق حواء من أضلاع آدم) وما يلفت الانتباه كلام أبي جعفر الباقر عليه السلام وحسبك ما جاء فيه من تكذيب واستفهام: (كذبوا أكان اللّه يعجزه أن يخلقه من غير ضلعه ؟) يقول الخوئي: ولا بد للمفسر من أن يتبع الظواهر التي يفهمها العربي الصّحيح أو يتبع ما حكم به العقل الفطري الصحيح فإنه حجة من الداخل كما أن النّبي حجة من الخارج[٤]

نعم: إنّ ما جاء في التّفاسير النّسوية هو ما عليه أكثر المفسرين، قال الطوسي: روي أنها خلقت من ضلع من أضلاع آدم، ذهب إليه أكثر المفسّرين . وقال أبو جعفر عليه السلام : خلقها من فضل الطينة التي خلق منها آدم[٥] إن الأكثرية من المفسّرين إن قالوا بأمر بل إن أجمعوا على أمر ما، دون وجود لرأي المعصوم أو خالفه فلا حجية فيه عند الإماميّة . فضلًا عن ذلك مخالفته العقل فكيف يخلق الله حواء من ضلع آدم وهو نائم، ولو قيل إن مجمل الروايات ترجع إلى النبيّ (صلى اللّهُ عليهِ وآلهِ) أو الصّحابة، على فرض ذلك فإن الروايات لا تؤخذ على إطلاقها وتوجيهها يكون على أساس ما ذكره الآملي (٧٨٢هـ): أنّ الأحاديث الواردة في الضلع ناظرة إلى مسألة أخلاقيّة في مداراة الرّجل مع زوجته فتأمل، واللّه هو العالم[٦] يقول الزحيلي: وأمّا الحديث فجاء على طريق تمثيل حال المرأة واعوجاج أخلاقها، باعوجاج الضلوع، فهو على حدّ قوله تعالى:﴿ خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٖۚ ﴿٣٧﴾ ﴾[٧][٨]فالكلام بلحاظ الحال لا بلحاظ الحقيقة من خلقها من ضلع آدم .

---

(١) ظ: معرفة/ التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، ٦٢٥/٢ .

(٢) ظ: الشيرازي /الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٤٩/٣ ، معرفة/ التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، ٤٨١/١.

(٣) ظ: الطباطبائي/ الميزان في تفسير القرآن، ١٣٦/٤ .

(٤) ظ: الخوئي/ البيان في تفسير القرآن/ ٣٩٧ .

(٥) ظ: الطوسي/ التبيان في تفسير القرآن، ٩٩/٣ .

(٦) ظ: الآمليّ / تفسير المحيط الأعظم والبحر الخضم في تأويل كتاب الله العزيز المحكم، **٩٨/٢** .

(٧) الانبياء: ٣٧ .

(٨)ظ: الزحيلي / التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، ١/ ١٣٩ .

واستخلاصًا لما سلف يكون بأمرين: الأول: إن الرأي الذي عينته (نائلة صبري) و(ماجدة الفارس) إن كان معتمدًا على قاعدة (ظواهر القُرآن) فدلالة الآية ظاهرًا إن لم يقم دليل صحيح على عكسه أُخذَ به، أو وجد دليل روائي يحدد الظاهر ويكشف عنه. وبهذا المعنى لا وجود للمراد الذي سيق به للآية ونظيراتها، لأن المعنى مخالف قامت قرينة معتبرة مع ظاهر الآية تخالفه فهو حينئذٍ مطروح لا حجة فيه ، قالوا: البيّن أنّ سيرة العقلاء على حجية الظاهر مختصة بما إذا لم تقم قرينة على خلاف الظهور، سواء أكانت القرينة متصلة أم كانت منفصلة، فإذا نهضت القرينة على الخلاف وجب رفع اليد عن الظاهر، والعمل على وفق القرينة [1]

الثاني: وإن كان اعتمادهنّ على قاعدة أصل السّنة، فإنّ سياق الآية ونظيراتها من الآيات والقرائن العقلية لا تعطي المعنى الوارد في الرّوايات ، فضلًا عن تعارض مجملها مع نصوص أخرى من الرّوايات المعتبرة. التي كشفت عن رأي المعصوم فيها وإن خالف رأي أكثر المفسرين . كما نأخذ بالظاهر في حال عدم وجود الموجهات له أو تحديده، أو بيانه .

المبحث الثاني : قاعدة ردّ المتشابه الى المحكم

توطئة:

صرّح القُرآن في تقسيم آياته إلى آيات محكمات وأخر متشابهات﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٌ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾[2]،تُعدُّ الآيات المحكمة هي الأساس والمرجع للآيات ولابدّ من إرجاع

(١) ظ: الخوئي/ البيان في تفسير القرآن/ ٤٠٠ .

(٢) آل عمران :٧ .

الآيات المتشابهة إليها؛ لكي يتضح معناها، أو يتعين احدى الاحتمالات[1] ولمّا كان الكلام المحكم أمّ الكتاب؛ لأنه كالأصل في ردّ المتشابه إليه، واستخراج علمه منه[2] لذا قرّر أصحاب الاختصاص قاعدة(حمل المتشابه على المحكم)[3] على اختلاف ألفاظها من المفسّرين عمومًا والأصوليين[4]

. وقد افاد المفسرون من هذه القاعدة في بيان مراد الله تعالى من كتابه العزيز . وقرّر بعضهم ذلك بالوجوب كالجصاص[5] ومن جملة الاهداف التي تحققها هذه القاعدة هو منع تفشي البدع والأهواء والمذاهب الفاسدة وذلك أكثر مواردها من اتّباع المتشابه بما لا يرتضيه الله سبحانه، منها التمسك بآيات التجسيم، وأخرى الجبر ،وأخرى التفويض، وأخرى لعثرة الانبياء، وغيرها، كل ذلك بسبب الأخذ بالمتشابه من غير إرجاعه للمحكم الحاكم فيه[6]

وممّا سبق ذكره تتعين قيمة هذه القاعدة في التفسير وأهميتها في كشف الستر عن دلالة النص القُرآني لا سيما المتشابه منه، وانطلاقًا من هذا الاعتبار سيسلط البحث الضوء على التّفاسير النسويّة آخذًا بعين الإعتبار مدى تحكيم وتوظيف هذه القاعدة ومدى تأثيرها في استظهار المعاني وكشف المداليل . وكما هو سائد في الدراسة عمومًا نلحظ الجانب (التَّنظيريّ) والجانب (التّطبيقيّ) .

المطلب الأول : بيان الجانب (التَّنظيريّ):

وقفت التّفاسير النّسوية كغيرها من التّفاسير وقفةً اتجاه قاعدة المحكم والمتشابه لما لها من أهميّة بالغة ودور بارز في كشف المراد، ولما لها من حساسيةٍ في التّعامل مع النّص القُرآني. سنلحظ في هذا المقام مدى حضور وواقعية هذه القاعدة في التفاسير النسوية تأسيسًا للجانب (التّطبيقيّ) فيها ليتسنى لنا بسط الكلام وملاطفة الآراء بقدر المستطاع .

بعد تتبع التّفسير البيانيّ لم نلحظ لها أية التفاتة لموضوع المحكم والمتشابه من حيث المفهوم ولا حضور للقاعدة سوى ما سنبينه في ممارستها لعملية التّفسير في الجانب (التّطبيقيّ) ان شاء الله. لكن نلحظ استعمالات المفسّرة لمصطلحي(المحكم والمتشابه) بلحاظ الوصف للقرآن أو الآية وضوح الدّلالة من الآية

---

(١) ظ : الرضائي ، محمد علي / دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية للقران/ ٨٣ .

(٢) ظ: بيان الحق، محمود بن أبي الحسن النّيسابوري الغزنوي/ باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن/٢٧٧ .

(٣) ظ: أبو خميس/ المدخل إلى التّفسير الموضوعيّ/ ٦٤، السّبت/ قواعد التّفسير جمعاً ودراسةً،١/ ٦٦٤ .المبيدي/ قواعد التفسير لدى الشيعة والسنة /٣٦٣ ، الطوسي/التبيان في تفسير القرآن،٣٩٥/٢ ، الطباطبائي/ الميزان في تفسير القرآن، ٢١/٣ . المازندراني/ دروس تمهيدية في القواعد التّفسيرية،٣/ ١٦١ ، الصفار/ قواعد فهم القرآن وتفسيره وتأويله/ ٢٢٨ .

(٤) ظ: الجصاص/الفصول في الأصول، ٣٧٤/١ ، ابن العربي/المحصول في أصول الفقه،٨٦ ، الجيزاني/ معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة، ١٠٦ .

(٥) ظ: الجصاص / أحكام القرآن، ٢٨٢/٢ .

(٦) ظ: الحيدري/ أصول التّفسير والتّأويل ،١/ ٢٥٦

وغموضها أو بمعنى المماثلة منها نحو: (في آيات أخرى محكمات، نزلت آيات محكمات في مثل هذا الإبتلاء ، والسّياق فيها متشابه، والسياق فيهما متشابه)[1]

أمّا (زينب الغزالي) ففي بيانها لـ(آية :٧) من ال عمران وقفت على معنى(المحكمات):بأنها واضحات الدلالة، و(المتشابهات): هي ما استأثر الله بعلمها دون خلقه[2] ثم قالت : انّ الله سبحانه جعل الآيات المحكمات﴿ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾فإذا رددنا المتشابه إلى المحكم صار القُرآن كله محكمًا[3] تطلعنا (زينب الغزالي) ان المتَشابه ما كان واضح الدلالة وآياته مرجعًا وأمًّا للآيات المتشابه في حال ردّها وبذلك يتّضح انّ القُرآن يصبح كله محكمًا، لكن ما معنى قولها :إنّ المتشابه : ما استأثر الله بعلمها دون خلقه ؟!! . وهو قول عائشة والحسن ومالك[4]

ولعلها تقصد ان هناك بعض النّصوص القُرآنية المتشابهة كآيات قيام السّاعة وآيات الصّفات والافعال الخاصة بالذات المقدسة لا يدرك كنهها أحد سوى الله تعالى، نعم، وهو قسم من أقسام تفسير القُرآن الذي ورد عن ابن عباس[5] . لكن يبقى ذلك من مصاديق المتشابه فلا يصح أن يطلق على المتشابه بأن علمه خاص به فلا يبقى هناك داعٍ من نزوله يقول ابن قتيبة(٢٧٦هـ): ولم ينزل الله شيئًا من القُرآن إلا لينفع به عباده، ويدلّ به على معنى أراده. فلو كان المتشابه لا يعلمه غيره للزمنا للطّاعن مقال، وتعلّق علينا بعلّة. وهل يجوز لأحد أن يقول: إن رسول الله (صلى اللّهُ عليهِ وآلهِ)، لم يكن يعرف المتشابه؟![6] ، ثم إن كان خاصًّا به تعالى ،فما معنى قولنا : فإذا رددنا المتشابه إلى المحكم صار القُرآن كله محكمًا.!؟ومهما يكن من أمر فالمفسّرة صرّحت بقاعدة إرجاع المتشابه إلى المحكم حتى يصبح كله محكمًا واضح الدلالة .

وأمّا (حنان اللحام) في معرض بيانها لقوله تعالى: ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾[7]جرّها الكلام الى أن قالت: وفهم الآيات المحكمات التي ذكرت فيها القواعد القواعد بوضوح يوصلك الى فهم الآيات المتشابهات، وأما ان نترك المحكمات ونتجه الى المتشابهات نتعنت

---

(١) ظ/ بنت الشاطئ/ التفسير البياني للقرآن الكريم، ١٢٧/١، ١١٤/٢ ،٩٣/٢، ١٣٤/٢ -١٣٥.

(٢) ظ: زينب الغزالي/ نظرات في كتاب الله، ١٩٣/١.

(٣) ظ: المصدر نفسه، ١٩٤/١.

(٤) ظ: القيرواني/ النكت في القرآن الكريم ، ١٧٥ .

(٥) ظ: الزّركشي/ البرهان في علوم القرآن، ١٦٤/٢ .

(٦) ظ: ابن قتيبة / تأويل مشكل القرآن/ ٦٦ .

(٧) البقرة :٧ .

وراءها فهو الزيغ وضلال القلوب [١] وهذه النظرة الباصرة تكشف عن وعي المفسرة لهذه القاعدة ولما لها من قيمة، وأن الاكتفاء بالمتشابهات ليس فيه إلّا ضلال القلوب .

وقد افردت مبحثًا تحت عنوان (المحكم والمتشابه) أتت الموضوع بما ينسجم مع تفسيرها المقتضب حيث اشارت الى مفهوم المحكم والمتشابه. ثم استشهدت بقول ابن كثير:(فمن ردّ ما اشتبه عليه الى الواضح منه وحكّم محكمه على المتشابه عنده فقد اهتدى)[٢]

أقّرت المفسّرة القاعدة على قول ابن كثير لما لها من غاية سامية في الاهتداء لمن ردّ المتشابه الى واضح القُرآن و حكّم محكمه ؛ لأن المتشابه فيه غموض وممكن حمله على أكثر من وجه، فيتعين الرجوع بها الى الواضحات وهي أصل الكتاب والمرجع فيه .وقولها : (والمهم في الامر أن نشعر أنّ الذي يعيش مع القُرآن دراسة وتطبيقًا ويفهم المحكمات يستطيع ان يفهم المتشابهات) [٣] تنصّ على توظيف القاعدة.

وكذلك (نائلة صبري) صرّحت بالقاعدة بقولها : فآيات القُرآن واضحة لا غموض فيها ولا التباس ولا اشتباه فالمتشابهات توضحها الآيات المحكمات، وقالت في موطن آخر: المحكمات سماهن أمّ الكتاب ولم يقل أمهات الكتاب ؛ لأنّ الآيات كلّها في تكاملها واجتماعها كالآية الواحدة وكلام الله واحد وكل آية منه أمّ الكتاب لأنّهنّ معظم الكتاب وأصله وأساسه، وفيه آيات متشابهة غير واضحة ويتضح معناها إذا ردّت الى المحكمات فتصبح مفهومة بإعانتها [٤]

كما تبدو القاعدة واضحةً عند (ماجدة الفارس) قد ذكرت جملة من آراء العلماء منها ما قاله النّحاس: المحكمات ما قام بنفسه لا يحتاج أن يرجع فيه الى غيره، مثل:﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾[٥]والمتشابهات نحو:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾[٦]، يرجع فيه إلى قوله تعالى:﴿ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ﴾[٧]والى قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ ﴾[٨] ونظيرها[النساء:١١٦] [٩] ومن هذا يظهر وعي المفسرة لهذه القاعدة في تفسيرها .

---

(١) ظ: حنان اللحام/ من هدي سورة البقرة / ٣٦ .

(٢) ظ: حنان اللحام/من هدي سورة آل عمران، ٢٧ -٢٨ ،لم تخرج النّص، وهو: ابن كثير/ تفسير القرآن العظيم، ٦/٢.

(٣) ظ: المصدر نفسه / ٢٩ .

(٤) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن، ٢/ ١٣٦/٣ -١٣٧ .

(٥) الاخلاص: ٤ .

(٦) الزمر: ٥٣ .

(٧) طه :٨٢ .

(٨) النساء :٤٨ .

(٩) ظ: ماجدة الفارس/ التّوضيح والبيان في تفسير آي القرآن، ١٨/٢.

وتقريرًا لما تقدّم ذكره يتّضح تمامًا شعور المفسّرات قاعدة (رد المتشابه الى المحكم) أو حمله عليه، عند جميع المفسّرات إلا بنت الشاطئ لم نلحظ لها تصريحاً بهذا الشأن . وذلك يعني أن المتشابه يتضح معناه إذا ما رددناه الى الواضحات من المحكمات لتصبح كلّ آيات القُرآن الكريم محكمات واضحات ، ومن هذا ينبري للبحث أن القول في المتشابه لما نصت عليه التّفاسير النسويّة أنّ علمه خاصٌ بالله تعالى لا محلّ له في هذه القاعدة وبما قررته، بمعنى أن الراسخين في العلم لهم الضلع الأسمى في بيان وتوضيح وكشف المراد من المتشابه . لكن يا ترى من هم الراسخون في العلم الذين لهم الباع الطويل في ردّ المتشابه الى المحكم ؟ ولكن يلزم أن ننوه إلى أنّ هذه القاعدة سيتبيّن مدى توظيفها والإفادة منها في التّفاسير النّسويّة في لحاظ التّطبيق في المطلب الآتي .

المطلب الثّاني : بيان الجانب (التّطبيقيّ):

أ - نموذج (١) : قال تعالى :﴿ نٓ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ١ ﴾[1]

نلحظ في مطلع تفسير بنت الشاطئ لسورة القلم المباركة لّما توقفت على آراء العلماء في بيان الحروف المقطعة (ن) في السورة، استعرضت جملة من الآراء حول بيانها [2] :

- قيل أنّها من المتشابهات التي استأثر الله بعلمها. وقريب منه ما روى عن الشّعبي أنه سئل عن فواتح السُور: إن لكل كتاب سرًا وإن سر هذا القُرآن فواتح السُور.
- وذكرت ما اختاره ابن القيم : تنبيه على شرف الحروف وعظم قدرها وجلالتها، إذ هي مباني كلامه تعالى وكتبه التي أنزلها على رسله،... وهذا الوجه قريب إلى مجال دراستنا البيانية، وأقرب منه قول من قالوا: إن هذه الحروف (ذكرت لتدلَّ على أن القُرآن مؤلف من مثل حروفهم.... ليدل القوم الذين نزل القُرآن بلغتهم أنه بالحروف التي يعرفوها فيكون ذلك تعريفاً لهم ودلالة على عجزهم أن يأتوا بمثله) وقد تعرضت للموضوع بمزيد من التّفصيل في كتاب (الإعجاز البياني للقرآن) [3]

ومن المعلوم أنّ الحروف المقطعة عدّت من جملة المتشابهات فقد ذكرت هذا الوجه ولم تعبأ له ، ومن الممكن قولًا: ان المفسرة مالت الى الرأي القائل أنّ الراسخين في العلم لهم نصيب من العلم في متشابه القُرآن والحجة في ذلك لّما أعربت عن رأيها في تفسير الحروف المقطعة لا سيما فاتحة سورة القلم. أوضحت دلالتها . يمكن تحصيله بجملة من النقاط:

---

(١) القلم :١ .

(٢) ظ: بنت الشاطئ/ التفسير البياني للقران الكريم : ٢/٤١ -٤٢ .

(٣) ظ: المصدر نفسه، ٢/٤٢ .

١ - ذكرت بنت الشاطئ جملة من الآراء حول الحروف المقطعة (ن) واستأنست بها واطمأنت الى تفسير(ابن القيم) القائل: بشرفية الحرف وعظم قدره وهي من جنس كلام العرب المؤلف منها والتي يعرفونها وهي بمنزلة التحدي لهم وبيان عجزهم أن يأتوا بمثل هذا القُرآن.

٢ - لم تهتم للرأي القائل إنّ الحروف المقطعة والمعتبر تفسيرها ممّا استأثر الله بعلمها كونها من المتشابهات، .واستبعدت كذلك المعنى الروائي المتمثل بمروية الشعبي ان الفواتح سر من اسرار القُرآن . وهي بذلك كانت بمنأى عمّا جاءت به الروايات .

٣ - رجّحت الرّأي الأخير -المتمثّل برأي ابن القيم وأقرب منه ما قالوه -لانسجامه مع ما أقرّته من منهج بيانيّ قائم على الدّراسة الأسلوبيّة البلاغيّة البيانية في لفت واضحٍ الى سرّ البيان المعجز.

ب - نموذج (٢) :

قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ ﴾[١]

ترى (زينب الغزالي): الله سبحانه وحده هو الذي يعلم كيف استوى على العرش، فالاستواء في الحقيقة من خواص علمه، فيجب على المؤمنين التّسليم بهذا الاستواء، واليقين به ، ثم لا يبحثون في كنهه وكيفيّته، على أن الآية تقيم الدّليل القطعي على نفوذ أمره وتمام سلطانه بالسّيطرة الكليّة والتّدبير النافذ في عوالم الوجود كافّة [٢]

لمناقشة هذا البيان حول النّص الذي عُدّ من الآيات المتشابهات والتي يظهر من كلامها أنها تتحاشى الخوض في بيان النّص القُرآني تعبدًا بما جاء من توقيف في التفسير ، تماشيًا مع ما كان بعض السلف يحتشم القول في القُرآن خشية أن يكون قولًا على الله بغير علمٍ و تفسيرًا برأيه الممنوع شرعًا فأمسكوا عن التفسير سوى ما ورد فيه أثر صحيح ونقل صريح [٣] فعزمت على الايمان والتّصديق بها دون الدّخول في سبر هذه الحقيقة الدّينية وكشف دلالتها ومعناها منها ما ذكره الطبرسي: وروي عن أبي حنيفة أنه قال : (أمروه كما جاء) أي : لا تفسروه[٤] وهذا ما لا ينسجم تمامًا مع ما يقتضيه العقل ويصرّح به، ولا يتماشى مع ما يدعو اليه القُرآن والسّنة الشريفة، ويمكن النظر في ذلك بمجموعة مسائل منها :

الأولى: القُرآن نزل بلغة العرب وخاطبهم بها، ومن هنا لا يمكن أن يخاطب القُرآن قومًا بلغة لا يفهموا معناها ولا ينتقي من كلماتها ما لا يدرك مدلولها، فكلمة (الاستواء) جاءت في القاموس العربي وتداولها

---

(١) الرعد :٢ .

(٢) ظ: زينب الغزالي/ نظرات في كتاب الله، ١/ ٦٨٠.

(٣) ظ: معرفة/التأويل في مختلف المذاهب والآراء / ٨٧.

(٤) ظ: الطبرسي/ مجمع البيان في تفسير القرآن، ٢٦٩/٤ .

اللسان وكانت لها معانٍ عدّة منها : احتمل في اللغة أن يكون كاستواء الجالس على السّرير، واحتمل أن يكون بمعنى الاستيلاء نحو قول الشاعر :

ثم استوى بشر على العراق ❖ من غير سيف ودم مهراق [١]

وأحد الوجهين لا يجوز عليه تعالى لقوله: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾[٢] [٣] فما الضير إن تعيّن هذا المعنى لمفردة (الاستواء) وقد دلّت عليه قرائن أخرى تأتي، كما أنّ باب اللغة من أبواب إدراك معنى القُرآن فلا مانع من طرقه . قالوا: "متى كان التأويل يحتاج إلى شاهد من اللغة ، فلا يقبل من الشاهد إلا ما كان معلومًا بين أهل اللغة ، شائعًا بينهم" [٤]

الثانية: ثم إنّ دلالة (العرش) لا يمكن حملها على ما جاء في اللغة بمعنى السرير بل يلزم صرفه إلى ما يصح معه وهنا يأتي دور الراسخ في العلم، يقول مغنية : أن يدل اللفظ على شيء يأباه العقل، فلفظ العرش يدل على السرير، والعقل يرفض هذه الدلالة، لأن اللّه سبحانه فوق الزمان والمكان، فيتعين التأويل، وهو من اختصاص أهل العلم، إذ لا بد للتأويل من دليل صحيح يصرف اللفظ إلى معنى صحيح، ولا يعرف هذين إلا أهل الاختصاص [٥]

الثالثة: السّياق دوره كاشف وهو قرينة يصح الاستناد إليها لا سيما هذه الآية وجمعها بنظيراتها، وهو قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ﴾[٦] وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾[٧] وقوله : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ﴾[٨] وغيرها تعطي هذه الآيات بسياقها معاني متعلقة بالاستواء مرة يدبر الأمر ومرة يغشي الليل .. وله الخلق والأمر، ومرة يعلم . عقّب الطبطبائي على ذلك: الآية تثبت علمه تعالى بكل شيء ظاهر أو خفى

---

(١) البيت للأخطل (الأموي) ، إميل بديع يعقوب/ المعجم المفصّل للشواهد العربيّة ، ٢١٨/١١ . وذكره الواحدي في (التفسير الوسيط) ونسبه للبعيث وهو من جملة القائلين بـ(الاستواء) بمعنى: استولى ، ٣٧٦/٢ .

(٢) الشورى :١١ .

(٣) ظ: الطّوسي/ التبيان في تفسير القران، ٣٩٦/٢ .

(٤) المصدر نفسه ، ٧/١ .

(٥) ظ: مغنية/ التفسير الكاشف، ١٠/٢ .

(٦) يونس :٣ .

(٧) الأعراف :٥٤ .

(٨) الحديد :٤ .

فهي في ذكر العلم عقيب الاستواء على العرش[١] ،و يرى: بالنظر الى ما يعطيه السياق ، وهو الذي تعطيه أغلب الآيات القُرآنية التي يذكر فيها العرش فإنها تذكر معه شيئًا من التّدبير أو ما يؤول إليه بحسب المعنى[٢]

الرابعة: ثم إن قلنا في المتشابه يلزم الايمان به فحسب، فما دور العلماء حينئذٍ؟، والجدير بالذكر يقول الطوسي: ولولا ذلك لما بان منزلة العلماء، وفضلهم على غيرهم ، لأنه لو كان كله محكمًا لكان من يتكلم باللغة العربية عالمًا به، ولا كان يشتبه على أحد المراد به فيتساوى الناس في علم ذلك، على أن المصلحة معتبرة في إنزال القُرآن، فما أنزله متشابهًا لأنّ المصلحة اقتضت ذلك ، وما أنزله محكمًا فلمثل ذلك[٣]

الخامسة: آيات الحثّ والتّفكر في القُرآن الكريم كثيرة، لو أنّ الناظر حكّم عقله ونظر في قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾[٤]وقوله تعالى:﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾[٥].فإنّ هذه الآيات تحث وتدعو الى التدبّر والتفكر والبحث وهو ما جبل جبل عليه الانسان فإذا لم يمارس العقل حقّه في مثل هذه الآيات فلا شك انّه يتجه صوب المنحى التعطيلي[٦]

السادسة: من أسباب ابتعاد بعض المفسرين عن تناول كهذا موضوعات ،يقول الطبطبائي في تفسير قوله تعالى:{ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} والآيات التي في هذا المساق مسالك مختلفة، فأكثر السّلف على أنّها وما يشاكلها من الآيات من المتشابهات التي يجب أن يرجع علمها إلى الله سبحانه، وهؤلاء يرون البحث عن الحقائق الدينية والتّطلع إلى ما وراء ظواهر الكتاب والسّنة بدعة، والعقل يخطئهم في ذلك والكتاب والسّنة لا يصدقانهم فآيات الكتاب تحرض كل التحريض على التّدبر في آيات الله ..والاحتجاج بالحجج العقلية[٧] ومن بيان للسنة عن أمير المؤمنين عليه السلام حديث طويل وفيه قوله :﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾[٨]يعني استوى تدبيره وعلا امره [٩] نقل الطبرسي أيضًا : عن سعيد بن جبير . (ثم استوى

---

(١) ظ: الطباطبائي/ الميزان في تفسير القرآن، ١٢٣/١٤ .

(٢) ظ: المصدر نفسه ، ١٥٠/٨

(٣) ظ: الطّوسي/ التبيان في تفسير القران، ٣٩٦/٢

(٤) النساء:٨٢ .

(٥) محمد :٢٤ .

(٦) ظ: الحيدري/ تأويل القرآن بين النظرية والتطبيق/ ٢٠٦ .

(٧) ظ: الطباطبائي / الميزان في تفسير القرآن، ٨/ ١٥٣

(٨) طه : ٥ .

(٩) ظ: الحويزي/ تفسير نور الثقلين، ٣٩/٢ . القمي/ تفسير القمي، ١/ ٢٣٦ ،

على العرش) أي : استوى أمره على الملك، عن الحسن . يعني استقر ملكه ، واستقام بعد خلق السماوات والأرض [١]

السابعة: إنّ توقف المفسّرة في الخوض في تفسير ما لا تعلمه أو تمسكًا بما ورد عن السّلف الداعي الى المسك من تعاطي التّفسير في مثل هكذا نصوص ، لها الحقّ في ذلك لكن يمكن القول: أن مَن تمسّك بالتّوقف عن تعاطي التّفسير من السّلف كانوا القلّة القليلة من الاصحاب والتّابعين ، أمّا الاكثريّة السّاحقة من علماء الأمّة ونبهاء الصّحابة فقد عنوا بتفسير القُرآن وتأويله عناية بالغة، كانت الوفرة الوفيرة من رصيد اليوم في التفسير [٢]

نلخص بنتيجةٍ ممّا تقدم: أنّ تبيان آيات القُرآن الكريم ومسالك فهم ألفاظه يلزم المفسر طَرْقَ أكثر من باب في سبيل تحصيل مسكة لها من العلاقة تثير المعنى وتكشف الستر عن مكنوناته فتلك الالفاظ المتشابهة لا ينبغي التوقف في بيانها عند باب واحدة ، وقد قرّر العلماء من الاصول والقواعد الجمّة التي تساعد على فهم معانيها من جملتها ما نحن بصددها . وما عمدت له المفسرة من بيان وحكم لا ينسجم تمامًا مع ما قررته فيما تعرضنا له في المطلب (التَّنظيريّ) من قاعدة (إرجاع أو ردّ المتشابه الى المحكم) لم يكن لها مكان في تفسيرها لهذا النص القُرآني ، ويبقى السؤال: أين هذه القاعدة من التوظيف ؟! .

نموذج (٣) : قال تعالى: ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾[٣]

قالت (حنان اللحام) : ما هو العرش؟ وأين هو؟ لا نملك إلا ما روي عن السّلف الصّالح: الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة وإنكاره كفر، الشيء الوحيد الذي ألتقطه من هذه الآية هو شرف هذا العنصر(الماء) وأهميته في الخلق والحياة﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ﴾ [٤][٥]

عزفت المفسرة عن تفسير (العرش) في هذه الآية تمسكًا بالنّص المروي الداعي للتوقف عن التفسير وقال بعضهم: وإجماع السلف منعقد على أن لا يزيدوا على قراءة الآية [٦] ، ويمكن مناقشة هذا الموضوع بجملة من المسائل بعضها مرّ ذكرها في مناقشة (زينب الغزالي) في مسألة (الاستواء) لاشتراكهما في جملة من المسائل ، ويبقى مناقشة دلالة (العرش) بالآتي:

---

(١) ظ: الطبرسي/ مجمع البيان في تفسير القرآن، ٢٦٩/٤ .

(٢) ظ: معرفة، التأويل في مختلف المذاهب والآراء / ٨٩ .

(٣) هود :٧ .

(٤) الانبياء :٣٠ .

(٥) ظ: حنان اللحام / تأملات في سورة هود/٢٦ .

(٦) ظ: ابن الجوزي/ زاد المسير في علم التفسير، ١٢٨/٢ .

الاولى: الملحظ اللغوي: العرش: السرير للملك. والعريش: ما يستظل به. وعرش الرجل: قوام أمره، وإذا زال عنه ذلك قيل: ثل عرشه[1] وجاء بمعنى: الملك[2]العين والراء والشين أصل صحيح واحد، يدل على ارتفاع في شيء مبني، ثم يستعار في غير ذلك. من ذلك العرش، قال الخليل: العرش: سرير الملك. وهذا صحيح، قال تعالى:﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾[3] ،ثم استعير ذلك فقيل لأمر الرّجل وقوامه: عرش[4]

الثانية: الملحظ الشرعي : قول الرازي: والعظمة صفة العرش وهو قوله:﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾ ﴾[5]وكمال العلو والعظمة لله كما قال:﴿ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾[6][7]وقال النعماني: المراد من العرش: الملك، يقال: فلان على عرشه أي: ملكه[8]وفي هذا دلالة على أن العرش والماء كانا موجودين قبل خلق السماوات والأرض . وكان الماء قائمًا بقدرة الله تعالى على غير موضع قرار، بل كان الله يمسكه بكمال قدرته ، وفي ذلك أعظم الاعتبار لأهل الانكار وقيل : إن المراد بقوله : (عرشه) بناؤه ، يدل عليه قوله : ﴿ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾ أي : يبنون . والمعنى : وكان بناؤه على الماء ، فإن البناء على الماء أبدع وأعجب [9] يقول مغنية: المراد بعرش اللَّه ملكه ملكه واستيلاؤه ، والماء معروف، وتدل الآية على انّ الماء كان موجودًا قبل خلق السماوات والأرض، أما من أين جاء ؟ وهل كان قائمًا على قرار ض؟ فلا نصّ على شيء من ذلك في آية، أو رواية متواترة ، والعقل وحده لا يملك العلم به ، لذا نترك البحث عنه[10]

الثالثة: ونستفيد من الاستواء على عرشه كون الملك والتدبير له وحده فلا نعبد غيره، ولذلك قرنه في آخر آية يونس بقوله:﴿ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ﴾[11]وقوله تعالى:﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ ﴾[12] وهذا يؤيد تقرر وحدانية

---

(١) ظ: الفراهيدي/ العين، ١/ مادة (عرش) ، الجوهري/الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ٣/مادة (عرش) .

(٢) ظ، الازهري/ تهذيب اللغة، ١/ مادة(عرش)

(٣) يوسف:١٠٠ .

(٤) ظ: ابن فارس/ معجم مقاييس اللغة، ٤/ مادة (عرش)

(٥) التوبة :١٢٩ .

(٦) يونس :٣ .

(٧) ظ: الرازي/ مفاتيح الغيب، ٢٣٧/٢.

(٨) ظ: النعماني/ اللباب في علوم الكتاب، ٢٦٠/١٠

(٩) ظ: الطبرسي/ مجمع البيان ،٢/ ٢٤٥

(١٠) ظ: مغنية/ التفسير الكاشف، ٢١١/٤

(١١) يونس : ٣ .

(١٢) السجدة : ٤ .

الربوبية على أنها حجة لوحدانية الإلهية وإبطال عبادة غيره تعالى معه بمعنى ما كانوا يدعونه من الشفاعة[١] ويرى الزحيأتي : ومقتضى استواء الله على العرش أنه صاحب السّلطان المطلق في التّصرف والملك والأمر والحكم[٢]

الرابعة : الملحظ الروائي: أورد الطبطبائي عن التوحيد بإسناده عن الصادق عليه السلام أنه سئل عن قوله تعالى:﴿ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾[٣]، فقال : ما يقولون ؟ قيل : إن العرش كان على الماء والرب فوقه! فقال: كذبوا، من زعم هذا فقد صير الله محمولا ووصفه بصفة المخلوقين، ولزمه أن الشيء الذي يحمله هو أقوى منه . قال : إن الله حمل دينه وعلمه الماء قبل أن تكون سماء أو أرض أو جن أو إنس أو شمس أو قمر .أقول : أن العرش هو العلم ، والماء أصل الخلقة وكان العلم الفعلي متعلقاً به قبل ظهور التفاصيل[٤]

وقبل الطبطبائي أشار الى هذا المعنى السيد حيدر الآملي [٥]

الخامسة: أن مفهوم الآية إن بقى على ما هو عليه، فالعقل لا يقبل ظاهره فيلزم صرف اللفظ عن ظاهره لمانع دلّ عليه العقل وهو التّجسيم وهو مستحيل بحقه تعالى، يرى الحيدري: أنّ النّص القُرآني يشتبه المراد منه على السامع أول ما يسمعه، فإذا رجع الى مثل قوله:﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾[٦]بها يستقر الذهن على على أنّ المراد به التسلط على الملك، والإحاطة على الخلق، دون التمكن والاعتماد على المكان المستلزم للتجسيم المستحيل على الله سبحانه [٧]

على اختلاف وجهات النظر في تفسير وتأويل(العرش) عند المفسّرين من المتقدّمين والمتأخرين نلحظ التّدبّر والتّفكّر في الآية، وقد حشّدوا كلّ ما للنّص من قرينة بغية الوقوف على بيان دلالتها ولم يكونوا في معزلٍ عن تفسيرها ،كما نلحظ المجال اللغوي أبدى إعرابه عنها بلحاظ الاستعارة وتقليب دلالة (العرش) معانيها التي كانت محط استناد بعض المفسرين، وبالتّالي اجتمعت القرائن في بيانها إن كانت قرآنيّة أو لغوية أو روائيّة، أو عقلية وأما هذا اليسير من القول لا يمكن التّوقف في بيان هذا النّص القُرآني .

وما يهمّنا في هذا الصّدد أنّ القاعدة كفيلة بفتح الباب في دائرة تفسيرها أن المتشابه يحمل على المحكم من جهة، وتدعو الى دراسة النّص وفق القواعد والقرائن من جهة ثانية ومن ذلك نخلص إلى أنّ المفسرة لم توظف هذه القاعدة وركنت الى التّوقف عن التفسير . تتضح معالم الافادة من قاعدة (ردّ المتشابه الى

---

(١) ظ: محمد رشيد/ تفسير المنار، ٤٠٢/٨

(٢) ظ: الزحيأتي/ التّفسير الوسيط، ١٠٢٤/٢

(٣) هود : ٧.

(٤) ظ: الطباطبائي/ الميزان في تفسير القرآن، ١٦٨/٨

(٥) ظ: الآملي/ تفسير المحيط الأعظم والبحر الخضم في تأويل كتاب الله العزيز المحكم ، ٤٩/٩

(٦) الشورى :١١ .

(٧) ظ: الحيدري/ تأويل القرآن بين النّظرية والتّطبيق/ ٢٣٢.

المحكم) عند المفسرة في موارد عدة منها [1] والمجمل كانت القاعدة عند المفسرة حاضرة في جمعها للآيات وإشارتها الموجزة تدل على ذلك . فأفادت من هذه القاعدة في تفسيرها في مقام هذا النّص القُرآني.

ت - نموذج (٥) :قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩ ﴾ [2]

لا يشك ذو مسكةٍ أن هذه الآية هي من جملة النّصوص المتشابهة؛ لما اختُلف فيها من توجيه لا سيما قوله﴿ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾، حيث تعددت فيها الآراء وحرّية الدّراسة مفتوحة وفق القواعد التّفسيرية وأصولها ، فالنّصُّ غضٌّ طريٌّ لا يزداد عند النّشر والدّرس إلا غضاضة [3] ، وقد اشترك التوجيه عند المفسرات تخصيصًا بجملة من المصاديق، لذا سيعمد البحث إلى كشف مدى فاعليّة توجيه ردّ المتشابه منها الى المحكم ،سنعرض آراء المفسّرات ونتبعها بالمناقشة تحليلًا ونقدًا .

قالت (زينب الغزالي):، لمّا أمر الدعاة والولاة بالعدل في أمر رعاياهم، أمر الله سبحانه في هذه الآية المحكومين بطاعة حكّامهم .وهذا الترتيب في الخطاب عادل إن الله امر الحكام بالعدل أولًا، فإذا حكموا بالعدل كما يريد المولى فمن غير الجائز مخالفة أمرهم. لذلك يقول الامام علي (كرم الله وجهه):(حقٌ على الإمام أن يحكم بما أنزل الله، ويؤدي الامانة، فإذا فعل ذلك فحقٌ على الرّعية أن يسمعوا ويطيعوا) [4]

وترى (حنان اللحام): في قوله تعالى﴿ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾: وهم أهل الحلّ والعقد؛ المتخصصون من العلماء والرؤساء الذين تثق بهم الأمة. والأمر عام في كل ولي أمر ثم أشارت الى ملاحظتين: الاولى:(مِنْكُمْ): من المؤمنين الذين يتحقق فيهم شرط الإيمان، الثانية :لم يكرر لفظ(أطيعوا) عند أولي الأمر، وكأنه يقرر أن طاعتهم مستمدة من طاعة الله ورسوله، وللطاعة حدود كما قال أبو بكر في خطبة خلافته: (وُلّيت عليكم ولستُ بخيركم.، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فإن عصيت فلا طاعة لي عليكم) [5] [6]

---

(١) ظ: حنان اللحام/ من هدي سورة آل عمران/٢٨ -٢٩ ، تأمّلات في سورة هود/٢٦ .

(٢) النساء :٥٩ .

(٣) عن الرضا (عليه السلام)، عن أبيه موسى بن جعفر (عليه السلام) ،إن رجلاً سأل أبا عبدالله عليه السلام : ما بال القرآن لا يزداد عند النّشر والدّرس إلا غضاضة ؟ فقال : « لأن الله تعالى لم يجعله لزمان دون زمان ، ولا لناس دون ناس ، فهو في كل زمان جديد ، وعند كل قوم غض إلى يوم القيامة » .ظ: البحراني/ البرهان في تفسير القرآن ، ٦٦/١ .

(٤) ظ: زينب الغزالي/ نظرات في كتاب الله، ١/ ٣١٠ .

(٥) ظ: حنان اللحام/ من هدي سورة النساء / ١٩٨ .

(٦) ظ: المصدر نفسه / ٢٠٢ .

وقول (نائلة صبري): أمر الله تعالى بطاعة (أولي الامر)، من حكّام وأمراء ومسؤولين وقضاة وعلماء ورؤساء وقادة، وكل من يدير أمور الناس اذا ساروا في طاعة الله ورسوله وساروا في درب الحق والنور، أمّا اذا كانوا عصاة لا يتّقون الله فلا يجوز طاعتهم ، إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق [١]

وقول (ماجدة الفارس) في الآية هو: طاعتهم فيما كان لله فيه طاعة ولا تجب فيما كان لله فيه معصية، وقال جابر بن عبد الله ومجاهد (أولي الامر) أهل القُرآن والعلم وهو اختيار مالك، أي الفقهاء العلماء في الدين والعلم لا يحتاج الى (ولاية) بل هي صفة قائمة بأربابها الذين اشتهروا بين الامة بها [٢]

ويمكن مناقشة هذه الآراء وفق المعطيات التي اعتمدنّ عليها، وللبحث وجهة أخرى قد تقترب أو تبتعد شيئًا وفق المعطيات الممكنة وذلك بجملة من المسائل:

المسألة الاولى : ان المفسرات اتفقن على أنّ (أولي الامر) تصدق على مجموعة مصاديق: من ولاة وحكّام وأمراء ورؤساء وأهل الحلّ والعقد وعلماء ، يجب طاعتهم فيما إذا كان حكمهم في طاعة الله وعدله ولا يجوز مخالفتهم في ذلك. أما إذا كانت هناك معصية فلا طاعة للرعية لهم، وقد استندت هذه الآراء الى رأي أبي بكر في ولايته ومقولة الإمام علي عليه السلام واقتباس لمقولة الرسول الأعظم (صلى اللّهُ عليهِ وآلهِ) .

الملحظ الاول: ذكرت التّفاسير النّسويّة مجموعة من المصاديق التي ورد فيها بيان من الروايات أو نقلًا عن المفسّرين، ولم يذكرن من مصاديقها أئمة أهل البيت عليهم السلام وقد ورد ذلك على لسان السّنة فضلًا عمّا ورد في التّفاسير عند العامّة فلمَ التّهميش لهذا المصداق ؟!. وعلى هذا يمكن القول: دلّت الآية على غيرهم كما ذكر الطوسيّ: فللمفسرين فيه تأويلان [٣] :

أحدهما -قال أبو هريرة، وفي رواية عن ابن عباس، وميمون بن مهران ،والسدي، والجبائي، والبلخي، والطبري: إنهم الامراء .

الثاني -قال جابر بن عبد الله، وفي رواية أخرى عن ابن عباس، ومجاهد، والحسن، وعطاء، وأبي العالية : انهم العلماء . وروى أصحابنا عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهم السلام أنّهم الأئمة من آل محمد (صلى اللّهُ عليهِ وآلهِ) فلذلك أوجب الله تعالى طاعتهم بالاطلاق.

وهناك عدّة من المحدثين صرحوا منهم : الحاكم الحسكاني بإسناده عن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال : " قال رسول الله (صلى اللّهُ عليهِ وآلهِ) شركائي الذين قرنهم الله بنفسه وبي وأنزل ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾ فإن خفتم تنازعًا في أمر فارجعوه الى الله والرسول وأولي الأمر. قال يا نبيّ الله، من هم؟ قال : أنت أوّلهم" [٤] وما أخرجه الجويني من حديث طويل لمناشدة علي ابن ابي طالب عليه السلام

---

(١) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن، ١٣٩/٥/٣.

(٢) ظ: ماجدة الفارس/ التّوضيح والبيان في تفسير آي القرآن، ٣/ ٨٢.

(٣) ظ: الطوسي / التبيان في تفسير القرآن، ٢٣٦/٣.

(٤) الحاكم الحسكاني/ شواهد التنزيل ، حديث(٢٠٢) ، ١/ ١٨٩ ، وذكره نظيره حديث(٢٠٣)، (٢٠٤)،(٢٠٥) .

لجمع من المهاجرين والانصار[١] هذا من جهة ومن جهة أخرى قد ذكر جملة من المفسرين أنّ الأئمة المعصومين عليهم السلام هم احد الأقوال التي تنسب لمصداق الآية ولم تشر أحداهنّ لهذا المصداق ومن هؤلاء الذين ذكروا من جملة مصاديق الآية : أبو حيان الاندلسي في بحره[٢] والنيسابوري في غرائبه[٣]

الملحظ الثاني: تقييد مطلق النص لا ينسجم وواقع النّص وسياقه، إذ تصّرح التّفاسير النّسوية بمصاديق أجنبية: الامراء والعلماء والولاة وغيرهم، إذ يتمتع النّص بالعصمة بقرينة العطف، وعدم تكرار (أطيعوا) مع عبارة (أولي الأمر). مع ان المشار إليهم لم يتمتعوا بهذه الخاصيّة اللازمة بل أنّ بعضهم ثبت جرمهم ومعصيتهم وخطأهم في اجتهاداتهم وغفلتهم لأنّهم أناس عاديون لا أحد منهم صرّح بعصمته ،وبعضهم الآخر صرّح بعدم أفضليته منها ما ورد نص عن أبي بكر بلسانه عن نفسه ذكرته (حنان اللحام).

المسألة الثانيّة: أفادت المفسرات من سياق الآيات في تتابعها أن يأمر بطاعة(اولي الأمر) من الحكام والولاة بعد أنْ أمرهم أن يقيموا العدل في حكمهم ورعاياهم، عقّبت بعدم جواز مخالفتهم شريطة حكمهم بالعدل.، فالتفاتة السّياق في وحدة موضوع الآيات أمر مهم في ضوء بيان النّص وتجليّ مراده، يمكن القول في ذلك بملحظين :

الملحظ الاول: إنّ الوصف المتقدّم مشروط بطاعة الله وهذا لا ينسجم حتمًا مع طاعة الله و الرسول المحكمة بالعصمة المطلقة. والحجة في ذلك: انّ العطف في الآية قرينة مهمة، قالوا: فالواو من أكثر حروف العطف استعمالًا وهي تدلّ إشراك الثّاني فيما دخل فيه الأول[٤]

فالآية دلّت على أنّ الله تعالى قرن طاعة الأئمة بطاعته ، ودلّ على أنّ المعصية لهم كمعصيته على حدّ سواء في حكمه وقضيّته[٥] فإذا كان الأمر هكذا فمن الطبيعي أن (وليّ الأمر) يحكم بالعدل ويرعاه في رعاياه ،فلا يمكن أن يكون كل حاكم حكم بالعدل هو من (أولي الأمر)ضرورة فتارة يصيب وأخرى يخطئ وبالتالي لا يمكن حمل العبارة على كل حاكم.

الملحظ الثاني: عدم تكرار (أطيعوا) مع (أولي الأمر) وهو ما أشارت اليه (حنان اللحام) في تفسيرها وهو التفات بالغ الأهمية، وهذا الملحظ يلزم توظيفه في النّص لما له من أثر في توجيهه: أن الآية جمع فيها بين الرسول وأولي الامر وذكر لهما معًا طاعة واحدة ولا يجوز على الرسول أن يأمر بمعصية أو يغلط في حكم فلو جاز شيء من ذلك على (اولي الامر) لم يَسع إلا أن يذكر القيد الوارد عليهم فلا مناص من أخذ الآية

---

(١) ظ: القندوزي/ ينابيع المودة، حديث(١) ، ٣٤١/١ . الجويني/ فرائد السمطين، حديث(٢٥٠)، ٣١٢/١ -٣١٨ ، الباب (٥٨) .

(٢) ظ: الاندلسي/ البحر المحيط في التفسير، ٦٨٦/٣ ،

(٣) ظ: النيسابوري/ غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ٤٣٤/٣ .

(٤) ظ: ابن السراج/ الاصول في النحو، ٥٥/٢ .

(٥) المفيد/ تفسير القرآن المجيد/ ١٥٤ .

مطلقة من غير أي تقييد ولازمه اعتبار العصمة في جانب (اولي الامر) كما اعتبر في جانب رسول الله (صلى اللهُ عليهِ وآلهِ) من غير فرق [١]

المسألة الثالثة: لزوم عصمة (أولي الأمر)وما ذُكر منهم: لذا قالوا :لا يجوز ايجاب طاعة أحد مطلقاً إلا من كان معصومًا مأمونًا منه السهو والغلط، وليس ذلك بحاصل في الامراء ، ولا العلماء، فأمّا من قال المراد به العلماء، فقوله بعيد؛ لان قوله(وأولي الأمر) معناه أطيعوا من له الامر، وليس ذلك للعلماء ، فان قالوا : يجب علينا طاعتهم إذا كانوا محقين ، فإذا عدلوا عن الحق فلا طاعة لهم علينا . قلنا : هذا تخصيص لعموم ايجاب الطاعة لم يدل عليه دليل . وحمل الآية على العموم ، فيمن يتضح ذلك فيه أولى من تخصيص الطاعة بشيء دون شيء كما لا يجوز تخصيص وجوب طاعة الرّسول وطاعة الله في شيء دون شيء [٢] فالآية تدل على افتراض طاعة أولي الأمر هؤلاء ولم تقيده بقيد ولا شرط وليس في الآيات القُرآنية ما يقيد الآية في مدلولها [٣]

إذًا فإطلاق طاعة (أولي الأمر) لازمة في كل شيء حالها كحال طاعة الرّسول وطاعة الله تعالى المطلقتين . ومن هنا يتعيّن ويتوجب علينا معرفة (أولي الأمر) الذين يتصفون بالعصمة اللّازمة .إن قيل لا لزوم في عصمة (أولي الأمر) المنتفي عقلًا تبعًا لسياق الآية فإنّ من المفسرين من قال بعصمتهم وقد اعترف الرّازي بفكرة العصمة صراحة، وقال: إنّ (أولي الأمر) الذين تجب إطاعتهم لا بد أن يكونوا معصومين، والرازي من كبار علماء السنة وفلاسفتهم ومفسريهم [٤] ذكر مغنية رأيه في تفسيره واليك نصَّ قوله : "اعلم ان قوله (أولي الأمر) يدل عندنا على ان اجماع الأمة حجة، والدليل على ذلك إنّ اللّه تعالى أمر بالطاعة أولي الأمر على سبيل الجزم في هذه الآية، ومن أمر اللّه بطاعته لا بد أن يكون معصومًا عن الخطأ، إذ لو لم يكن معصومًا عن الخطأ، كان بتقدير اقدامه على الخطأ مع أنّ اللّه قد أمر بمتابعته ، فيكون ذلك أمرًا بفعل الخطأ ، مع العلم بأن متابعة المخطئ منهي عنها . فثبت ان المقصود من أولي الأمر المذكورين في الآية لا بد أن يكون معصومًا" [٥] هذا تصريح بعصمة (أولي الامر)ضرورة لازمة. وهذا عين عين ما قاله الشيعة .

لكنّه سرعان ما ابتعد عن هذا الرّأي بذريعة عدم التّمكن من معرفة المعصوم والوصول إليه، وأثبت العجز ولم يرتض بعض الأمّة ثم انتصر لـ(أهل الحلّ والعقد) يقول الرازيّ "ثُمّ نَقُولُ :ذَلِكَ الْمَعْصُومُ إِمّا مَجْمُوعُ الْأُمّةِ أَوْ بَعْضُ الْأُمّةِ، لَا جَائِزٌ أَنْ يَكُونَ بَعْضَ الْأُمّةِ، لِأَنّا بَيّنّا أَنّ اللّه تَعَالَى أَوْجَبَ طَاعَةَ أُولِي الْأَمْرِ

---

(١) ظ: الطباطبائي/ الميزان في تفسير القرآن، ٣٩١/٤ .

(٢) ظ: الطوسي/ التبيان في تفسير القرآن، ٢٣٦/٣ .

(٣) ظ: الطباطبائي/ الميزان في تفسير القرآن، ٣٩١/٤ .

(٤) ظ: مغنية/ التّفسير الكاشف، ٣٥٩/٣ .

(٥) ظ: الرازي/ مفاتيح الغيب، ١٠ /١١٣ .

فِي هَذِهِ الْآيَةِ قَطْعًا، وَإِيجَابُ طَاعَتِهِمْ قَطْعًا مَشْرُوطٌ بِكَوْنِنَا عَارِفِينَ بِهِمْ قَادِرِينَ عَلَى الْوُصُولِ إِلَيْهِمْ وَالِاسْتِفَادَةِ مِنْهُمْ، وَنَحْنُ نَعْلَمُ بِالضَّرُورَةِ أَنَّا فِي زَمَانِنَا هَذَا عَاجِزُونَ عَنْ مَعْرِفَةِ الْإِمَامِ الْمَعْصُومِ، عَاجِزُونَ عَنِ الْوُصُولِ إِلَيْهِمْ، عَاجِزُونَ عَنِ اسْتِفَادَةِ الدِّينِ وَالْعِلْمِ مِنْهُمْ، وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ عَلِمْنَا أَنَّ الْمَعْصُومَ الَّذِي أَمَرَ اللَّه الْمُؤْمِنِينَ بِطَاعَتِهِ لَيْسَ بَعْضًا مِنْ أَبْعَاضِ الْأُمَّةِ، وَلَا طَائِفَةً مِنْ طَوَائِفِهِمْ .وَلَمَّا بَطَلَ هَذَا وَجَبَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الْمَعْصُومُ الَّذِي هُوَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ:وَأُولِي الْأَمْرِ أَهْلَ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ مِنَ الْأُمَّةِ، وَذَلِكَ يُوجِبُ الْقَطْعَ بِأَنَّ إِجْمَاعَ الْأُمَّةِ حُجَّةٌ"[1] أمّا مصداقها يتحقق في (أهل الحلّ والعقد) بعيد لما يأتي.

الخلاف بين الشيعة وبين السنة في التّطبيق وتعيين المعصوم، فالسنة يقولون : العصمة للأمة، وفسروا الأمة بأهل الحلّ والعقد، وقال كثير منهم: يكفي بعض أهل الحلّ والعقد . وقال الشيعة : ان المراد بأولي الأمر أهل البيت(عليهم السّلام) ، وهم المعصومون والمطهرون من الرجس والدنس، ففكرة العصمة -إذن -ليست خاصة بالشيعة، ولم يتفردوا بالقول بها، بل هي عند السنة أيضًا، والفرق انّما هو في التطبيق وتعيين المعصوم[2]

المسألة الرابعة: بعد وقفنا على لزوم العصمة في(أولي الامر) عند الفريقين يبقى أن نسأل هل العصمة مصداقها يتحقق في (أهل الحلّ والعقد) ؟الجواب: كم من أهل الحلّ العقد على زعمهم صدر منه المعصية وأوقع نفسه وامته في الضلال ، فلو كان الامر كما ذكروا لظهر أثره ولعرفنا منهم شخوصًا أو مجموعة، فلا مناص من القول بأنّ أهل الحل والعقد كسائر أفراد الناس يجوز عليهم الخطأ والغلط، مهما بلغت بهم الخبرة والتّدريب والتّجربة [3]

ثم : وفق سياق الآية بدلالة(منكم) يعود للمخاطبين في صدر النّص : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ فمن أهمّ خصائص وصفات (أولي الأمر) الايمان ، وبقيّة الصفات الدّالة على الأفضلية من العلم وغيرها صدقت على شخصية الرّسول (صلى اللّهُ عليهِ وآلهِ) هي لزومًا في (أولي الأمر) فصفة الكمال عند النبيّ (صلى اللّهُ عليهِ وآلهِ) تنحدر منه إلى (أولي الأمر) والتاريخ كاشف عن هذه عند مَن تجسدت فيهم، فلك صفحات التّاريخ والتّراجم واحكم بنفسك. ولعمري هم محمّد وآل محمدعليهم السلام .

ومما تقدم يمكن تقرير الآتي: أن (اولي الأمر) بعد أن ثبت لزوم عصمتهم لما دلّت عليه القرائن فلا يمكن ان ينطبق هذا المفهوم على ما تمّ ذكره في التّفاسير النّسوية، وعليه يلزم المكلف معرفة من يصدق عليهم هذا المفهوم حقيقةً وينطبق عليهم تمامًا دون قيد أو شرط ليكون تبعًا وحلقة متينة مرتبطة بعصمة الرّسول (صلى اللّهُ عليهِ وآلهِ) المطلقة، فهذا النّص الذي أصبح من المتشابه علينا لو تتبعنا بعض النّصوص التي توضح الدلالة الصريحة من الكتاب والسنة كآية الولاية، وآية التّطهير وأية المباهلة، ونحو ذلك، ومن

---

(١) الرازي/ مفاتيح الغيب، ١٠/ ١١٣.

(٢) ظ: مغنيّة/ التفسير الكاشف، ٣٥٩/٢ .

(٣) ظ: السّبزواريّ/ مواهب الرحمن في تفسير القرآن. ٣٥٦/٨.

السّنة كحديث الثقلين والسفينة والمنزلة والغدير ، وغير ذلك من الاحاديث التي رواها الفريقان[1] لكان النّص واضح الدلالة محكمًا، فهذا الكتاب والسّنة هما المرجعان اللذان يدلّان على حلّ كل تنازع واختلاف ولذا نلحظ في النّص نفسه قوله :﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾[2].

نتيجة: أنّ التّفسير كلّما كان متمسّكًا بمنهج الجمع كان أكثر وقعًا ووصولًا في بيان وكشف المراد، فملاطفة الأدلة والقرائن التي ساقتها الاصول والقواعد النقلية والعقلية هي رهن تقصّي الحقيقة وبيانها، والوقف على ما قاله السلف من المفسرين وغيرهم، أفضى إلى بيان يعلوه الغموضُ واللبسُ ويبقى النّص في دائرة المتشابه وتبقى قاعدة الردّ إلى أمّ الكتاب معطلة، وبالتالي لم نحقّق مقصد التّفسير والبيان .

---

(١) المصدر نفسه، ٣٥٩/٨.

(٢) النساء :٥٩ .

المبحث الثّالث : قاعدة حمل العام على الخاص

توطئة:

لا شكّ أن القُرآن فيه ما هو عام وما هو خاص ؛ لأنه جاء على ما جاء في لسان العرب وأساليب كلامهم، بأبهى صورة وأدقّ النّظوم منه، لذا قرر علماء التّفسير قاعدة العناية بوجود العام والخاص في الآيات القُرآنيّة، ولزوم الالتفات إلى الفهم الصّحيح منهما والتّوجه إلى مراد الله تعالى من كلامه[١] و الخاصّ قرينة على بيان المراد من العام، ولا فرق في تأخر ورود الخاصّ على العام وتقدّمه [٢]

والعام لغةً : عمَّ الشيء بالنّاس يعم عمًا فهو عامٌ إذا بلغ المواضعَ كلَّها [٣] ،وقالوا: عمّنا هذا الأمر يعمّنا عمومًا، إذا أصاب القوم أجمعين[٤] إذًا العام من (عم) بمعنى الشمول يصيب ما من شأنه أن يكون تحته. و اصطلاحًا: العام:" هو ما يستغرق جميع ما يصلح له بحسب وضع واحد دفعة بلا حصر"[٥] أو ما اتفق عليه الفريقان العام: عبارة عمّا يشمل جميع ما يصلح الإنطباق عليه مفهومًا[٦] أو هو الشامل لأفراد تندرج تحته .والخاص لغةً: تخصَّص فلَان بِالْأَمر إِذا انْفَرد بِهِ[٧] إذًا الخاص هو الانفراد واصطلاحًا: هو اللّفظ الدّال على محصور بشخص أو عدد، والتّخصيص هو ضد التّعميم يطلق على الدّليل الذي حصل به التّخصيص[٨]

---

(١) ظ:محمد فاكر المبيدي / قواعد التفسير لدى الشيعة والسنّة / ١٨٧ .

(٢) ظ: الخوئي/ البيان في تفسير القرآن/ ٣٢٢ .

(٣) ظ: الفراهيديّ/ كتاب العين، ١/ مادة(عم).

(٤) ظ: ابن فارس/ مقاييس اللغة، ٤/ مادة(عم).

(٥) خالد عثمان السّبت / قواعد التّفسير جمعاً ودراسة، ١/ ٥٤٧ .

(٦) محمد فاكر المبيدي / قواعد التفسير لدى الشيعة والسنّة / ١٨٧ .

(٧) ظ: الأزهري/تهذيب اللغة، ٦/ مادة (خص) .

(٨) ظ: العثيمين/ الأصول من علم الأصول/ ٣٨ .

انطلاقًا ممّا تقدّم سيُعمد على إيضاح دور هذه القاعدة في التّفاسير النّسويّة على سبيل ايضاح وكشف المعاني من تلكم الآيات بلحاظ مساهمة القاعدة ونقاعتها بصرف اللفظ عن عمومه بدليل صحيح خصّصه . ويكمن ذلك في بيان الجانب (التّنظيريّ) و (التّطبيقيّ) .

المطلب الأول : بيان الجانب (التّنظيريّ):

لّما كان تخصيص العام أحد قواعد التّفسير، فقد دشنت التّفاسير النّسوية هذه القاعدة، والجدير بالذكر، أنَّهنَّ لم يصرِّحنَ بها حين بيان المنهج، وإن كانت هذه القاعدة وغيرها جزءًا من تلكم القواعد المتفرّعة من تلك الأصول العامّة، فالأصول تدخل فيها هذه القاعدة وغيرها حتمًا، وقد أشرنَ إليها في المناهج التي أوردنها، أو التي تم الكشف عنها بطريق التّتبع . ومن هذا يبدو واضحًا أنّ التّفاسير النسويّة على وعيٍ تام بهذه المبادئ والقواعد التّفسيريّة لا سيما التي نحن بصددها.

ولا يخفى أن مساحة قاعدة تخصيص العام عامة في مجال العقيدة والأخلاق والأحكام في التّفاسير النّسويّة، كما سنلحظ هذه القاعدة ومدى توظيفها وفق الاستعانة بطرق تخصيص العام إن كان بالقُرآن سواء كان متّصلًا أو منفصلًا[1] ، والمنفصل تارة تخصيص العام من القُرآن أو بالدليل النقلي (القطعي والظنّيّ) أو غيرها من الدليل العقلي والدليل الحسيّ[2]

المطلب الثاني: بيان الجانب (التّطبيقيّ):

عقد هذا المطلب على أساس بيان قاعدة تخصيص العام بالنّظر إلى الجانب (التّطبيقيّ) في التّفاسير النّسوية بغية نقدها وملاحظة الجوانب المهمّة في ممارسة هذه القاعدة في كشف المراد من النّص القُرآني ومدى المخرجات التّفسيرية ووفقها . وذلك عن طريق طرح جملة من النّماذج التّفسيرية :

أ -نموذج (١) : قال تعالى:﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ ﴾[3]

توقفت بنت الشاطئ عند العموم المستفاد من (خلق) وإطلاقها، فأشارت الى موضوع العموم ولم ترتضِ ما تأوله بعض المفسرين من إيجاد مفعولٍ به للفعل، وجاءت برأي الرازي مستغنيةً عنه فنقلت :"في قوله تعالى: الذي خلق، من التمهيد لاعتراف عباد الأوثان به، ما ليس في قوله: الذي لا شريك له. لأنه إن بدأهم بهذه المواجهة لأبوا أن يقبلوا ذلك منه، فقدم تعالى في {الَّذِي خَلَقَ} مقدمة تلجئهم إلى الاعتراف به، فكأنّه

---

(١) التّخصيص المتّصل : هو فيما إذا لحق الخاص العام في كلام واحد، أو في وقت واحد، والتّخصيص المنفصل: هو فيما إذا لحق الخاص بالعام في كلام آخر غير الكلام الأول أو في وقت آخر علم بوجوده. ظ: فاضل الصّفار/أصول الفقه وقواعد الاستنباط، ٢٢/٢

(٢) ظ: الأصفهانيّ/ بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب ،٣٠٦/٢

(٣) العلق :١.

قال: واذكر لهم أنهم هم الذين خلقوا من العلقة فلا يمكنهم إنكاره، ثم: ولابد للفعل من فاعل، فلا يمكنهم أن يضيفوا الخلق إلى الوثن لعلمهم بأنهم نحتوه. فبهذا التدريج يقرون بأني المستحق للثناء"[١]

وعلقت بنت الشاطئ بهذا البيان: "وسياق الآيات صريح في أنه تقرير لربوبية الخالق. وتخصيص خلق الإنسان بالذكر دون سائر المخلوقات، لأن الإنسان هو المختص بالقراءة والعلم، المنفرد بتبعية التكليف، المخاطب بكل ما سوف ينزل به الوحي من كلمات الله"[٢]

يمكن القول : توقفت بنت الشاطئ على ما تأوله بعض المفسرين للفعل الماضي المتعدي (خلق) من تأول مفعولًا للفعل من دون وجه يذكر وأرادت من ذلك ان يبقى الفعل على اطلاقه ليفيد منه العموم ثم لم تذكر لنا أيًا من المفسرين من تبنى هذا الرأي . ثم أشارت إلى التّخصيص الوارد في الآية الثانية من سورة العلق {خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ} [العلق : ٢] كون الانسان هو المقصود من تنزيل القُرآن الكريم دون غيره من الكائنات . ثم نقلت ما نقله الرّازي وصرحت بالاستغناء عن رايه، واحتكمت للسياق في بيان الآيات وتتابعها فما كان عامًا في الآية الاولى فقد خصص بالثانية وأبدت رأيها ببساطة وعلّقت خلق الانسان دون غيره كونه الهدف والمختص بالقراءة والعلم . .. وهذا اللون من الجمع بين الآيات تحت عنوان يصح ان نطلق عليه بالمتصل لاتصال الآيات بعضها مع البعض الاخر بالسورة نفسها والتتابع ، وقد يختلف هذا النوع عن المنفصل فيما اذا كان التّخصيص يلحظ في موطن آخر من سورة أخرى . وبهذا عمد على قاعد تخصيص العام بقرينة السياق القُرآني في السورة .

ب -نموذج (٢) : قال تعالى: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾[٣]

قالت (زينب الغزالي): اللاتي قد دخل بهن أزواجهنّ : عليهنّ العدة، وهي الفترة التّي لا يحلُّ لهنّ الزّواج قبل انقضاءها. وعدّة المطلقة ثلاثة قروء.. والقرء هو: الفترة ما بين الحيضتين من الطهر، أو القرء هو الحيضة . والعرب تسمّي الحيض قرءً وتسمّي الطّهر قرءً[٤]

نلحظ على ذلك: عمدت المفسّرة بإصدار حكم في عدّة المطلقة المدخول بها، وكان خطاب الآية عامًا بلفظ(المطلقات) وهو جمع مؤنث سالم محلّى بـ (الـ)وهو مفهوم عام يشملُ جميع مصاديق المطلَّقة، أي : هو لفظ عام سواء كانت مدخولًا بها أو غير مدخول بها ،فقد فسّرته وخصّصته بالمطلقات اللاتي قد دخل بهنّ أزواجهنّ، ولم نلحظ قرينة التخصيص بإشارة اليه لا من قريب ولا من بعيد وكان لها أن تقيم الدّليل حسب قاعدة (تخصيص العام) في تخصيص هذا النّص القُرآني بنص آخر في قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا

---

(١) بنت الشاطئ/ التفسير البياني للقران الكريم، ١٧/٢ .

(٢) المصدر نفسه، ١٧/٢ .

(٣) البقرة : ٢٢٨ .

(٤) ظ: زينب الغزالي/ نظرات في كتاب الله، ١/ ١٣٦ .

جَمِيلًا ﴿٤٩﴾ ﴾[1] وعدَّ هذا التخصيص تخصيصًا منفصلًا عن العام إلا أنّه من الكتاب لا من خارجه ، كون الآية العامّة في موضع وتخصيصها في موضع آخر لذا حسبوه منفصلًا [2]

وتارة تشير الى العموم في الآية بما يشمل اللفظ من مصاديق، ومثال ذلك في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿٣٧﴾ ﴾[3] قالت: "البخل في الآية عام في البخل في العلم والدّين، وفي البخل بالمال؛ لأنّ اللّفظ عام والكل مذموم، فوجب كون اللفظ متناولًا للكل" [4]

ت -نموذج (٣) : قال تعالى:﴿ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ وَتُدۡلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلۡحُكَّامِ لِتَأۡكُلُواْ فَرِيقٗا مِّنۡ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلۡإِثۡمِ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾[5]

أوضحت (حنان اللحام) : في الآية نهي عام من كل أكل للمال بالباطل (ويشمل السّرقة والغش والربا..) ولكن تتمة الآية تخصص الرشوة في قوله تعالى: ﴿ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتُدۡلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلۡحُكَّامِ لِتَأۡكُلُواْ فَرِيقٗا مِّنۡ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلۡإِثۡمِ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾[6]

لاحظت المفسّرة لمسة بيانيّة أفادت منها في بيان النّهي عن أكل أموال النّاس بالباطل عمومًا وتخصيصها في الآية نفسها بأنّها الرشوة بقوله تعالى (وَتُدۡلُواْ بِهَآ ..)التي تقدم للحكام جراء عمل ما أو قضية خاصة.

وألحظ ان التخصيص بقوله (بِٱلۡبَٰطِلِ) فهي مخصصة لأكل أموال الناس فهو يشمل (الحق والباطل) فالعموم قد خصص اولًا بعبارة (بالباطل) ومن ثم أن هذا الاكل بالباطل يشمل الرشوة وغيرها ... كما أنها لم تبين مورد التخصيص بأي مخصص فاكتفت بظاهر الآية الذي لا يقبل التّأويل . في حين أنّ البيان ملحوظ في الجملة الفعليّة المشتملة على حرفي جر المخصصان (الباء وإلى) فإن الضّمير يعود على الأموال في الجملة السّابقة، واسم المجرور هو(الحكام). والنتيجة عمدت المفسرة الى تطبيق قاعدة (تخصيص العام) وأفادت منها في بيان وتوضيح الآية وقد كشفت لنا عن مورد التّخصيص بلحاظ القُرآن نفسه في التفسير وهو تخصيص متّصل .

---

(١) الأحزاب :٤٩ .

(٢) ظ: الشنقيطي/ شرح الورقات في أصول الفقه ، ١٥/٣ .

(٣) النّساء :٣٧ .

(٤) زينب الغزالي/ نظرات في كتاب الله، ١/ ٣٠٠ -٣٠١ .

(٥) البقرة :١٨٨ .

(٦) ظ: حنان اللحام/ من هدي سورة البقرة ، ٣٧١ -٣٧٢ .

وفي موطن آخر أشارت في بيان قوله تعالى:﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾[1] إلى إنّ الآية تخصّص دور الأم بالعرض وتذكر به خاصة .. فهي التي حملته بمشقة وجهد ، يستمر ويتوالى في حمله ووضعه وإرضاعه وتربيته ... ومهما تكلموا عن دور الام ودورها المقدس والمكانة الجليلة التي ينبغي ان تتبوأها.. فليس هناك مبدأ أو نظام استطاع أن يرفع من مكانة الام ويعظم دورها وحقها كالإسلام [2]

أشارت (حنان اللحام) إلى: أنّ وصيّة القُرآن للإنسان تعمّ الوالدين ثم خصصت الآية الاهتمام بدور الأمّ لما تتكفل به من الرّعاية والحماية له في مرحلته الجنينية والطفولية حتى يبلغ، وانتصرت للإسلام وبما جاء فيه من إعطاء المرأة كيانها ودورها وقدسيتها واحترامها كإنسانة . ومن ذلك ينتج اهتمامها البالغ وعنايتها بهذه القاعدة في توظيفاها وافادت منها في البيان وكشف المقصود من الآية القُرآنيّة وانتصرت للمرأة بما حققه الإسلام صون هذا الكيان وتقديسه .

ث -نموذج (٤):قال تعالى:﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ﴾ [3]

تقول (نائلة صبري): فالحرة البكر يقع عليها الحد وهو إقامة الحد مائة جلدة، وقال تعالى: ﴿ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ﴾[4]والأمة ان زنت عليها نصف عقوبة الحرّة البكر وهي خمسون جلدة [5]

جمعت المفسّرة بين نصّين الأول عام بلفظي(الزّاني والزّانية) كل منهما مفرد محلّى بـ(ال) دل على العموم، والثّاني فيها تخصيص وخلصت منهما إلى أنّ الآية الأولى شملت الحرّة والأمة بالعقوبة إن خليت وحدها، وبجمعها مع أختها تبيّن أن للحرّة من العقاب (مائة جلدة) وإن كانت من الإماء فعليها نصف ما على الحرّة المحصنة وهو (خمسين جلدة) [6] . وهو تخصيصٌ قرآنيٌّ ويسمّى منفصلًا كون الآية الثانية في موضع آخر من القُرآن الكريم .. ويعدّ هذا محل اتفاق بين المفسرين والاصوليين .

جـ - نموذج (٥) :

---

(١) لقمان :١٤ .

(٢) حنان لحام / من هدي سورة لقمان ، ٦٦

(٣) النور :٢ .

(٤) النساء :٢٥ .

(٥) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القران، ٣/ ٢٢/٥

(٦) ظ: الجصاص، الفصول في الأصول، ١٤١/١ ، أبو يعلى القاضي / العدّة في أصول الفقه، ٥٦٥/٢ .،المحقق الأردبيأتي/ زبدة البيان في أحكام القرآن/ ٥٢٠ ، الإيرواني/ دروس تمهيديّة في تفسير آيات الأحكام في القرآن، ٥٧٥/١ .

قال تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾[1]

تقول (ماجدة الفارس) في هذا النّص: يفسد فيها بالمعاصي ويسفك الدماء هذا تخصيص بعد تعميم لبيان شدة مفسدة القتل [2] التفتت المفسرة التي التخصيص المتّصل كما يعبّرون ،أي تخصيص العام في القُرآن بالقُرآن في الآية نفسها.

وفي موطن آخر أشارت ، قال تعالى:﴿ وَلَا تَأۡكُلُوهَآ إِسۡرَافٗا وَبِدَارًا أَن يَكۡبَرُواْۚ وَمَن كَانَ غَنِيّٗا فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡۖ وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ ﴾ [3] وهو تخصيص لعموم النّهي عن أكل أموال اليتامى وهذه الآية نزلت في ولي اليتيم الذي يقوم عليه ويصلحه إذا كان محتاجًا جاز أن يأكل منه كما رواه مسلم من حديث عائشة كما روى أبو داوود أن رجلا سأل رسول الله (صلى اللّهُ عليهِ وآلهِ) فقال: إنّي فقير وليس لي شيء، قال: "كل من مال يتيمك غير مسرف ولا مبادر ولا متأثل" [4]

في بيان المفسرة صرّحت بالتّخصيص الحاصل من عموم النّهي في أكل مال اليتيم من قبل الولي بلحاظ الاسراف والبدار، ثمّ خُصص النّهي عن الأكل إنْ كان فقيرًا فليأكل بالمعروف و وهذا النوع من التّخصيص قرآني متصل، من جملة عموم النّهي عن أكل مال اليتيم في موطن آخر في قوله تعالى :﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ١٠ ﴾[5] ومن الممكن أن تكون الآية السّابقة (٦ من النساء)أكثر توضيحًا في بيان النّهي في هذه الآية الموجزة والملاحظ فيها أن الكلام عن الجزاء والعقاب لمن يأكل مال اليتيم ظلمًا .

---

(١) البقرة :٣٠ .

(٢) ظ: ماجدة الفارس/ التوضيح والبيان في تفسير آي القرآن، ٦٩/١

(٣) النساء :٦ .

(٤) ظ: ماجدة الفارس/ التوضيح والبيان في تفسير آي القرآن، ٤٥٤/٢ -٤٥٥، ظ: مصادره: مسند أحمد: (٧٠٢٢) ، وابو وابو داوود (٢٨٧٢) .

(٥) النساء :١٠ .

المبحث الرّابع : قاعدة حمل المطلق على المقيّد

توطئة :

إنّ مبحث المطلق والمقيّد وقد شغل مساحة عند المفسّرين والأصوليين؛ لما له من علاقة دقيقة في بيان المراد، ومباحث الألفاظ[1] ، ثم إنّ التّقسيم القائم على أساس(المطلق والمقيد) من اللفظ بلحاظ الملابسة والاستقراء هو الكاشف عن ذلك، فاللفظ قد يرد خاليًا عن أي قيد لفظي، فيكون مدلوله شائعًا بين

(١) إنّ الاطلاق والتّقييد من خصوصيات المعاني،وهاته المعاني لا يمكن التّعبير عنها أو ايصالها الى الأذهان إلا عن طريق الالفاظ فاكتسبت هذه الالفاظ أوصاف المعاني ونلاحظ بعض الاصوليين جعلوا المطلق والمقيد من مباحث الالفاظ وبعضهم من المعاني، السبب في ذلك الدلالة على المعاني عبر الالفاظ وإلا فإنّ المقصود أولاً هو المعنى بالذات لا اللفظ . ظ: فاضل الصّفار/ أصول الفقه وقواعد الاستنباط، ٦١/٢ .

أفراده وقد يرد مقيدًا بوصف أو شرط أو نحوهما، فيكون مدلوله محدود الشيوع قاصرًا على بعض الأفراد، فيسمّى عندئذ مقيدًا [1] وهذه القاعدة تُعد من قواعد البيان إذ فيها تضيق الدلالة القُرآنيّة .

والمطلق لغةً: مأخوذ من مادة يدور معناها في وجوه تصاريفها المختلفة ومن معانيها تدلّ على الحَلِّ والإرسال. من غير قيد، والتّباعد الانفكاك والتّخلية[2] والمقيّد لغةً: قيدته أقيده تقييدًا، ويقال فيه : كلّ شيء أسر بعضه إلى بعض [3]

واصطلاحًا: المطلق: هو الدّال على الماهيّة والمقيد: هو الدّال عليها مع صفة . مثال الأول: قوله تعالى:﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾[4]،ومثال الثّاني قوله:﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ﴾[5]فإذا وردَ بينهما تعلق، وجب تنزيل المطلق على المقيد [6] أو المطلق هو ما دلّ على شايع في جنسه،والمقيد خلافه [7] هذا قانون المطلق على ما عرّفه أكثر الأصوليين [8] والفرق بين المطلق والعام على ما ذكره الميرزا القمي عن الشّهيد الثّاني في (تمهيد القواعد) حيث قال: إنّ المطلق: هو الماهية لا بشرط شيء والعام هو الماهية بشرط الكثرة المستغرقة [9]

في ظل قاعدة (حمل المطلق على المقيّد) هناك حالاتٍ متفقٌ عليها، وهناك حالاتٍ اختلفوا فيها، واتفقوا على حمل المطلق على المقيد، في حالة اتحاد الموضوع والحكم معًا [10] وفي ظل ما تقدّم نخلص: المطلق= ماهية + قيد= تخصيص .

والتّفاسير النّسويّة لم تغادر هذه القاعدة وتطبيقها في بيان وتوضيح الآيات ولذا سنعمد إلى أخذ نماذج متنوعة من هذه التّفاسير بغية الوقوف على تعاملها وفق هذه القاعدة وهذا يتجلّى في الجانب (التّطبيقيّ)، وقبيل هذا نقف على الجانب (التّنظيريّ) .

المطلب الأول : بيان الجانب (التّنظيريّ):

إنّ تفسير القرآن بالقرآن والتّفسير الموضوعي إلى حدٍ ما كفيلان ببيان هذه القاعدة وغيرها وبيانها، إذ أنّ الأخير يسعى لجمع الآيات المطلقة بالآيات المقيدة وكل ما له صلة بالموضوع فهو أعمّ ، والعلاقة

---

(١) ظ: الصاعدي/ المطلق والمقيّد/ ١١٢ .

(٢) ظ: الأزهري/ تهذيب اللغة،٩/ باب(ق، ط) ،الجوهري/ الصّحاح تاج اللغة وصحاح العربية،٤ مادة(طلق) ، ابن فارس/ معجم مقاييس اللغة، ٣/مادة (طلق) .

(٣) ظ: ابن فارس/ معجم مقاييس اللغة، ٤/ مادة(قيد)، ابن منظور/ لسان العرب، ٣/ مادة (قيد)

(٤) المائدة :٨٩ .

(٥) النساء :٩٢ .

(٦) ظ: المحقّق الحليّ/معارج الأصول/ ٩١ .

(٧) ظ: العاملي/ معالم الدين وملاذ المجتهدين / ١٥٠ ، البهائي/ زبدة الأصول/ ١٤٣ .

(٨) ظ: الميرزا القمي/ قوانين الأصول/ ٣٢١ .

(٩) ظ: المصدر نفسه / ٣٢١.

(١٠) ظ: د. محمد علي الحسن/ المنار في علوم القرآن مع مدخل في أصول التفسير ومصادره / ١٧٨ .

تضمنيّة إذا جمع المطلق والمقيد من جملة مظان التّفسير الموضوعي، فيلحظ على المفسر بجمعه الآيات ذات الموضوع الواحد كي يتسنى له كشف المراد من تلك الآية تبرز فاعليّة القواعد ودورها، ومن جملتها قاعدة(حمل المطلق على المقيّد) أن كان متّصلًا أو منفصلًا ، هذا ما سنراه في التّفاسير النّسويّة بشكل متفاوت في ضوء التّوظيف.

هذه القاعدة أخذت مساحة واسعة عند بنت الشاطئ من حيث التّوظيف ولم تشر اليها كقاعدة استندت إليها في التنظير لكن في تطبيقاتها كانت حاضرة؛ للمنهج المقرر عندها والآنف الذّكر ،وغابت تمامًا عند (زينب الغزالي) في مدونتها فلم تشر إليها ولم نلحظ توظيفها في شاهد قرآنيّ ولعلّ ذلك تعده من الأمور التي تخرجها عن هدفها ومنهجها القائم على التبسيط والإيجاز، وأحسبه من الأمور التي تدخلها فيما أرادت تجنيب القارئ الدّخول في كثير من القضايا والمسائل التي عنى بها كثيرٌ من المفسرين[1] ، وإلّا فهذا الأمر في غيابه عن التّفسير ينعكس على علمية التفسير سلبًا.

وإذا ما نظرنا لمدونات (حنان اللحام) كان هناك إشارات وتصريحات لملحظ القاعدة ولكن تقدر بعدد الأصابع لكن بجمعها الآيات ذات الصلة بالقاعدة كان حاضرًا نسبيًا ، وهذا يعني أنها ملتفتة. وهذه الموارد القليلة لعل السّبب يعود الى اعتمادها تفسير القُرآن بالقُرآن لم يكن الا على نحوٍ ضيق . .

وطبقت (نائلة صبري) القاعدة ولم تلفت الانتباه اليها صراحةً أو إتيان المصطلح على الأقل لكن من خلال جمعها للآيات لم يكن واضحًا في توظيفها واستفادتها من القاعدة، والسبب في ذلك يعود الى منهجها في التفسير اعتمدًا كثيرًا على النقل والحشو المتكرر ولم نلحظ لها جهدًا برأي أو فكرة فالتّفسير ملئه أسباب النّزول والمرويات كما كثر جمعها للآيات ذات الموضوع الواحد في دائرة (هذه نظيرها) فلم نلحظ اشارة لها للقاعدة. كما سيظهر في التطبيقات .

ولعلَّ أكثر المفسرات حضورًا في ضوء التوظيف والتّصريح لهذه القاعدة هي (ماجدة الفارس) في مدونتها، فكثيرًا ما تنبّه على هذه القاعدة وتستذكرها في طيات بيانها للقرآن الكريم [2]

وعلى ما سلف ذكره يمكن الدّخول الى خضم التّطبيقات التي أفادت منها التَّفاسير النّسويّة وملاحظة هذه القاعدة التّفسيرية بما يمكن القول فيه .

المطلب الثّاني : بيان الجانب(التّطبيقيّ):

أ - نموذج (١) : قال تعالى : ﴿ فَأَرَىٰهُ ٱلْآيَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ ﴾[3]

التفتت (بنت الشاطئ) في سورة النازعات لقوله تعالى(ٱلْآيَةَ ٱلْكُبْرَىٰ)مطلقة بغير تحديد، فقد ترددوا ما بين العصا واليد، ثم رأى بعضهم حسم الموقف باعتبارهما آية واحدة، لأن العصا ملازمة لليد، فقال

---

(١) ظ: زينب الغزالي/ نظرات في كتاب الله، / ٨ .

(٢) ظ: ماجدة الفارس/ التوضيح والبيان في تفسير آي القرآن، ١/ ٣١٥ ، ٣٠٥ ، ٢/ ٤١٢، ٤٦٣، ٣/ ١٣٨ . وغيرها .

(٣) النازعات :٢٠ .

الزمخشري: (الآية الكبرى) قلب العصا حية، والأخرى يعني اليد كالتبع لها أو أرادهما جميعًا، وجعلهما واحدة، لأن الثانية أي اليد كأنها من جملة الأولى لكونها تابعة لها. وقال أبو حيان: الآية الكبرى هي العصا واليد معًا، جعلهما آية واحدة). قالت: والأولى ألا نحدد الآية هنا، ما دام القُرآن نفسه لم ير تعيينها في هذا الموضع، مكتفيًا بوصفها بالكبرى، وهي صيغة تشهد بمبلغ دلالة الآية على صدق موسى، وعلى قدرة ربه، رب فرعون والخلق جميعًا [١]

استطردت المفسرة أقوال المفسرين حول إطلاق (الآية الكبرى) في سورة النازعات كما مرَّ ولم ترجح أيًا منها ورأت أنّ الاولى في ذكر عدم التحديد بنوع الآية إن كانت قلب العصا حية أو اليد أو كلاهما معًا كما ذهب اليه أبو حيان في البحر المحيط، وما ذهبت اليه المفسرة ، من عدم التحديد استندت الى القُرآن الكريم اذ انه لم يعين واكتفت بوصفه للآية بـ(الكبرى) . فعندئذٍ ترى المفسّرة بقاء الإطلاق الوارد في الآية على إطلاقه أولى من أن تقيده، فهي تؤمن ببقاء المعنى مطلقًا من دون تقيد وفق الدائرة القُرآنية التي تدور حولها المفسرة في منهجها ، وهنا يلاحظ عليها : ترى أنه لا داعي للبحث عن تعيين تلك الآية، أهي العصا أم غيرها؟ مع أن ضم الآيات بعضها إلى بعض، وبخاصة ما ورد في سورة الشعراء، يسهل علينا إدراك تلك الآية [٢]

ومن هنا يتضح ان المفسرة كانت بمنأى عن تحديد الآية الكبرى في القُرآن الكريم ، وبالتالي لم تحتكم الى المنهج الاستقرائي وما جاء به ،فالقاعدة لم يعد لها مكانًا في هذا الموطن من التّفسير .

وفي موطن آخر: توقفت بنت الشاطئ على(قاعدة حمل المطلق على المقيّد) في قوله تعالى:﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ ﴾[٣]،قالت: ويلاحظ عليهم هنا، أنهم التمسوا العظمة في الليل، مطلق الليل. مع أنه مقيد في الآية بـ {إِذَا سَجَى} وقد جاء مقيدًا في آيات أخرى بقوله تعالى: {إِذْ أَدْبَرَ} المدثر{إِذَا عَسْعَسَ} التكوير{إِذَا يَسْرِ} الفجر{إِذَا يَغْشَى} الليل {إِذَا يَغْشَاهَا} الشمس . ثم قالت: خلطوا بين الإعظام، والحكمة في خلق المقسم به، وما من شيء من مخلوقات الله لم يخلق لحكمة. ظاهرة أو خفية.. فالقُرآن الكريم في قسمه .. والليل إذا عسعس، وإذا يغشى، وإذا أدبر، يجلو معاني من الهدى والحق، أو الضلال والباطل، بماديات من النّور والظلمة. وهذا البيان المعنوي بالحسي، هو الذي يمكن أن نعرضه على أقسام القُرآن بالواو، فتقبلها دون تكلف أو قسر في التأويل... [٤]

تمكّنت المفسرة من كشف ملحظ بيانيّ لصيغة القسم بالليل المقيد بـ(اذا سجى) في سورة الضحى ووظفت تقييد الاطلاق اللفظيّ والمعنويّ للآية والذي اعترضت به على القائلين بالإطلاق المعنوي بلحظ

---

(١) ظ: بنت الشاطئ / التفسير البياني للقران الكريم، ١/١٤٥.

(٢) ظ:فضل حسن عباس/التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث/١/ ١٨٨.

(٣) الضحى :٢ .

(٤) ظ: بنت الشاطئ/ التّفسير البيانيّ للقرآن الكريم، ١/ ٢٥ -٢٦.

التعظيم للمقسم به، التفتت المفسّرة عن طريق توظيف قاعدة (حمل المطلق على المقيّد) وأشارت الى هذا المعنى في ظل التّقييد المتّصل في النّص نفسه وأكّدت عليه بالمنفصل في مواطن أخرى من تقييدات الليل ، فأفادت من هذه القرائن لتلفت النظر الى المعنى المادي المتّحصل من الآيات والمنسجم مع الموقف المتعلق بانقطاع الوحي عن النبيّ (صلى اللّهُ عليهِ وآلهِ)بوصفها أنّ فترة سكون يفتر فيها الوحي، على نحو ما نشهد من الليل الساجي يوافي بعد الضحى المتألق.

نلحظ عند المفسرة في عموم الأحوال أنّها تقف بالضّد من التقيدات بلحاظ السّنة وما ورد فيها، فلا تعرِ لها أية أهمية وترى بقاء الإطلاق في الآية راجحًا عندها في موارد عدة[1]

ب - نموذج (٢) : قال تعالى : ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ ﴾[2]

قالت (حنان اللحام) في بيان هذا النّص: أطلق العذاب لم يحدده ليشمل الدّنيا والاخرة وذكر سببه الذي قام به الناس ﴿ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ فهو عذاب نفسي أولًا لأن المرض مؤلم .. وهو عذاب العواقب والنتائج الدنيوية لما يقومون به من أعمال ثانيًا.. وهو عذاب الخزي والهون في الآخرة عقابًا لهم ثالثًا [3]

نلحظ في هذا البيان اكتفت ببيان اطلاق الكلمة (عذاب) لم تلحظ سبب الإطلاق أنّ هذه الكلمة لم تحدد وقت العذاب وعلى ما جيء في كلامها شمل عذاب الدّنيا والاخرة الذي قسمته الى ثلاثة أقسام . ولم نلحظ أنها قيّدته، لكن أشارت الى السبب في ذيل الآية نفسها وهو الكذب. والجدير بالذكر أنّ هناك ملحظًا آخر من زاوية أخرى أنّ لفظ(عذاب) اسم جنس جاء موصوفًا بصفة (أَلِيمٌ) وتُعدّ الصّفة من جملة المقيدات أو المخصصات للموصوف ؛ لأن بعضهم لا يفرق بين التّخصيص والتقييد فيعدونهم واحدًا [4]

وفي موطن آخر في قوله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾[5] قالت: فيقول[6] : هي آية مطلقة تقيد بالآيات الاخرى المقيدة.. ذلك لأن المراد بالكفار ونظائرها إذا اطلقت في القتال هم المحاربون المعتدون[7]

---

(١) ظ: المصدر نفسه، ٢٦/١ .

(٢) البقرة :١٠ .

(٣) ظ: حنان اللحام/ من هدي سورة البقرة /٤٧ .

(٤) ظ: الصاعدي/ المطلق والمقيد/ ٤٤٨.

(٥) التوبة :١٢٣ .

(٦) تقصد : عبد الرحمن الحللي في كتابه (حرية الاعتقاد في القران الكريم) ، ١٣٥ -١٣٦.

(٧) ظ: حنان اللحام/ تفسير سورة التوبة/ ٥٩ .

على ما ذكرت المفسرة في نقلها أن لفظ(الكفّار) إذا اطلقت في الآية فإنّها تعني المحاربين المعتدين لا عموم الكّفار وهو ما قيّدته الآيات الأخرى .منها قوله تعالى:﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ١٩٠ ﴾ [1]ولم تذكرها المفسرة ولا غيرها، ومنه قوله تعالى: ﴿ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ ﴾[2] و قوله تعالى:﴿ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْ ﴾[3] وهذا التقييد المشار اليه تقييد منفصل إذ تقييدها في مواطن أخرى متعددة أن قتال المحارب يلزم منه الشدة والخشونة ،ومعاملة العدو المحارب بهما من الشيء في موضعه[4]

ولم يرتضِ سيد قطب أي تقييد لهذا النّص ،الذي عبّر عنه بالنص الأخير للجهاد بقوله: فنجد أمرًا بقتال الذين يلون المسلمين من الكفار. لا يذكر فيه أن يكونوا معتدين على المسلمين ولا على ديارهم.. وندرك أن هذا هو الأمر الأخير، الذي يجعل (الانطلاق) بهذا الدين هو الأصل الذي ينبثق منه مبدأ الجهاد، وليس هو مجرد (الدفاع) كما كانت الأحكام المرحلية أول العهد بإقامة الدولة المسلمة في المدينة.

ويريد بعض الذين يتحدثون اليوم عن العلاقات الدّولية في الإسلام،.. وبعض الذين يتعرضون لتفسير آيات الجهاد في القُرآن.. أن يتلمسوا لهذا النّص النّهائي الأخير قيدًا من النّصوص المرحلية السابقة فيقيدوه بوقوع الاعتداء أو خوف الاعتداء! والنص القُرآني بذاته مطلق، وهو النص الأخير! [5] ثم يرى سيد قطب مقام التّقييد عادةً في النّص نفسه : وقد عودنا البيان القُرآني عند إيراد الأحكام، أن يكون دقيقًا في كل موضع وألا يحيل في موضع على موضع بل يتخيّر اللفظ المحدد ويسجل القيود والتّخصيصات في ذات النّص. إن كان هناك تقييد أو تخصيص[6] وكلام سيد قطب هنا لا يمكن تعميمه على القُرآن كله بما بما جاء فيه من أحكام وتشريعات؛ لأنّه سنصطدم بكثير من الأحكام والموضوعات .منها عدة المطلقة وتحريم الدّم وغيرها .

ت - نموذج (٣):قال تعالى:﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ ﴾[7]

قالت (نائلة صبري) : فرض الله على المستطيع الحج الى بيت الله الحرام، والاستطاعة هنا القدرة الماليّة، بأن يكون لديه ما يكفيه من مال وزاد ويكفي ما يعولهم في ذهابه إلى حجّه، ناهيك عن صحة

---

(١) البقرة :١٩٠ .

(٢) ال عمران :١٩٥ .

(٣) الحجرات : ٩ .

(٤) ظ: محمد رشيد/ تفسير المنار، ٤٧٤/١٠ .

(٥) ظ: سيد قطب/ في ظلال القرآن، ٣/ ١٧٣٧ .

(٦) ظ: سيد قطب/ في ظلال القرآن، ٣/ ١٧٣٧ .

(٧) آل عمران :٩٧ .

البدن وزوال الخوف من عدوّ أو سلطانٍ جائر يمنعه من الخروج، وفي قوله تعالى : (وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ) وأهم شرط في الحجّ هو الإيمان بهذه الفريضة فمن جحدها وأنكرها فالله غني عنه، وبعد فيستدل بالآية : أنّ الحجّ واجب على كل مسلمٍ بالغ عاقلٍ قادرٍ ذكرًا كان أو أنثى [١]

لا شكّ أن (النّاس) اسم جنس عام يشملُ الكلّ، إن كان قادرًا أو لا، كان صغيرًا أو كبيرًا، فهو مطلق يشمل حتى الكافر [٢] ، وبذلك يكون الحجُّ مفروض عليهم جميعًا في أول وهلة، لكن قيّد ذلك بـ(من استطاع اليه...)،وهذا النوع من التّقييد أو التّخصيص يسمى متصلًا (بدل) بنوع بَدَلَ البَعضِ مِن الكُلِّ على أنّ تقديره : ولله حج البيت على من استطاع [٣] وأشارت إلى نوع الإستطاعة ،قالت: هي القدرة الماليّة .لنفسه ولعياله ،وغيرها، وأشارت الى أهمّ شرط هو الإيمان، وبه يخرج الكافر بطبيعة الحال، لأنّه إن تمكّن من الحجّ لكان أن يتمكن من دخول الإسلام أولًا، قال تعالى:﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾ ﴾[٤].

كما أنّ الاستطاعة الموجبة وفق الرّوايات قيّدتها بأمور ثلاثة : (الصحة في البدن وتخلية السرب، ووجود الزاد والراحلة) كما في صحيحة هشام بن الحكم عن أبي عبد الله عليه السلام [٥] أما خروج الطفل والمجنون فلا فرض عليهما لإنّ الْعقل بنظره اقْتضى عدم دُخُول الطِّفْل، وَالْمَجْنُون بالتكليف بِالْحَجِّ؛ لعدم فهمهما، بل هما من جملَة الغافلين الَّذين هم غير مخاطبين بخطاب التَّكْلِيف [٦]

وفي قوله تعالى:﴿ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٥﴾ ﴾[٧] قالت: ينهى الله تعالى أن يدفع المال الى السّفيه الذي لا يحسن التّصرف في المال لخفة عقله، ويشمل الذكر والأنثى صغيرًا أم كبيرًا. ثم قالت: ومن الاحكام في هذه الآية: وجوب الحجر على أموال السّفهاء.. قال تعالى:﴿ وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ﴾[٨] قالت: واختبروا اليتامى

---

(١) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن،٢/٤/١٢ .

(٢) ظ/ الآمدي/ الإحكام في أصول الأحكام، ١/١٤٦ .

(٣) ظ: الزّركشي/ البحر المحيط في أصول الفقه، ٤/٤٦٦ .

(٤) إبراهيم :١٨ .

(٥) ظ: الايرواني/ دروس تمهيديّة في تفسير آيات الأحكام من القرآن ،١/ ١٩٤ .

(٦) ظ: المرداوي/ التحبير شرح التحرير في أصول الفقه ،٦/ ٢٦٤٠ . الشوكاني/ إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول ،١/٣٨٣ .

(٧) النساء :٥ .

(٨) النساء :٦ .

اليتامى فإن تبينتم واحسستم ووجدتم هداية وصلاحًا في دينهم وعقلهم فارجعوا اليهم أموالهم دون تأخير أو مماطلة [١]

اشارت المفسرة إلى: أن النّهي مطلق في الآية من عدم اعطاء السّفهاء اموالهم في أي حال من الأحوال ما داموا على حالهم المذكور في النّص القُرآنيّ، ثم عمدت باسترسال البيان إلى أن وقفت على الآية السادسة من سورة النساء التي تبين مؤانسة الولي[٢] ورشدَ اليتامى[٣] أن تدفعوا لهم أموالهم. وهو ما خرجت به المفسّرة بجمعها الأيتين فحملت المطلق على المقيّد وأفادت من هذه القاعدة في بيان المراد. وملحظ التقييد في حجر اموال السفهاء من اليتامى وغيرهم بعد تحقق شرط (فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا) كان على الوليّ دفع ما لهم من حق بقوله(فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ) فالتقييد بالشرط وجوابه ، ينحل النّهي المطلق في قوله (وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ) ويسمّى التّقييد هنا متّصلًا .

ث - نموذج (٤):قال تعالى: ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ﴾[٤]

تلحظ المفسرة قاعدة الاطلاق التقييد في هذ النص حيث ترى: الحول :سنة، و(الحولين) سنتين، (كاملين) لأن المرء قد يقول: أقمت عند فلان حولين وهو يقصد حولًا وبعض الحول الآخر، فالآية هنا قُيّدت بالكمال وهي صفة توكيد كقوله تعالى:﴿ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾[٥]، وقوله تعالى:﴿ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ﴾ هذه دلالة على أنّ الرضاع حولين ليس حتمًا ، فإنه يجوز الفطام قبل الحولين [٦]

فيه : إنّ المفسّرة أوضحت اطلاق الآية بخصوص الرّضاعة بالحولين، ثم نبّهت الى معنى عند العرب بأن يقال:(حولين) والمقصود: حولًا وبعض الحول الاخر، فخرّجته، ثم قيدت الرّضاعة بالحولين في ضوء تقييد الصفة(كاملين) صفة للكمال، ثم نبّهت الكمال ليس حتمًا وإنّما يجوز قبل الحولين أن يُفطمَ الرّضيعُ، لأنّه قال:﴿لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ﴾والمعنى الرّضاع بحولين كاملين كحد أعلى . فإشارة المفسّرة الى قاعدة(حمل المطلق على المقيّد) و الى نوع المقيّد بالصّفة المؤكدة، ولاحظت ما يُقال عند العرب، وأوضحت المعنى بأمثلة قرآنية مشابهة، دلّ ذلك على وعي المفسّرة بما تقوم به وأفادت من هذه القاعدة في ايضاح المراد.

---

(١) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن،١٩٦/٤/٢ .

(٢) الإيناس : فيما رُئي مرّة بعد أخرى فأُنس به. وقد فسّره ابن عباس بالمعرفة. والخليل فسره بالإحساس. ظ: الاصفهاني/ الاصفهاني/ تفسير الراغب الأصفهاني، ١١٠٣/٣.

(٣) معنى (الرشد): "الطريقة المستقيمة التي تثقون معها بأنهم يحفظون أموالهم، فادفعوا إليهم أموالهم." ظ: الزجاج/ معاني القرآن وإعرابه، ١٤/٢ .

(٤) البقرة :٢٣٣ .

(٥) البقرة :١٩٦ .

(٦) ظ: ماجدة الفارس/ التّوضيح والبيان في تفسير آي القرآن، ٤١٢/١ -٤١٣.

وفي موطن آخر قولها : (من خصصّ أو قيّد أمرًا أطلقه الشّارع فقد أتى ببدعة) مثال ذلك: أن الله شرّع دعاءه و ذكره مطلقًا، فقال سبحانه:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا ﴾[1] ولكن الاجتماع للذكر والدعاء في مكان معين وزمن معين فيه تقييد للذّكر والدّعاء وهذا من الإبتداع في الدّين، إلا ما ورد عن الرّسول تخصيص اذكار معيّنة فيه كيوم (عرفة) (الذكر بعد الصلوات) (عند الطعام ولباس).. الخ[2] فيه نظر: ينبغي أن نفهم ما المقصود بالبدعة أولًا ولحسن الحظ قد عرفتها المفسرة بقولها: "ومفهوم أهل السّنة والجماعة للبدعة أنّها ما ليس له أصل في الدّين"[3] هذا تعريف عام يحتاج الى مقيدات وإلا فهناك كثير من الامور ان حملت على هذا المعنى تعد بدعة من الاطعمة الالبسة وأفعال الخير بناء المدارس لم ينصّ الشارع عليها لذا قيد بعضهم (مالم يكن داخلًا في بعض العموميات)[4] الى ما تمّ ذكره .

وعودًا على القاعدة التي استهلت المفسرة بها القول واستندت الى آية الاطلاق قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا ﴾وقولها: ولكن الاجتماع للذكر والدعاء في مكان معين وزمن معين فيه تقييد للذّكر والدّعاء وهذا من الابتداع في الدّين . إلا ما ورد عن الرّسول تخصيص اذكار معيّنة ..انّ الآية دلّت على الإطلاق لكن تقييده من الرسول (صلى اللّهُ عليهِ وآلهِ)، قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا ﴾[5]،وقوله:﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ ﴾[6]وقوله تعالى:﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٠ ﴾[7]وقال تعالى:﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ ﴾[8] ظاهر النصوص يدعو لدعوة الله جماعة وإفرادًا فما الضير من أن يجتمع المؤمنون في وقت معينٍ وفي مكان معين ويتضرعون الى الله، ألم يرد عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ) قَالَ:"مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَتَغَشَّتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ"[9] ألم يدل هذا الحديث على اطلاق الدعاء جماعة في أيّ وقت من

---

(١) الأحزاب :٤١ .

(٢) ظ: ماجدة الفارس/ التّوضيح والبيان في تفسير آي القرآن، ٣١٥/١.

(٣) المصدر نفسه، ٣١٤/١.

(٤) ظ: المجلسي/ بحار الانوار، ٧٤/ ٢٠٢ .

(٥) النور :٢٦ .

(٦) آل عمران : ٩١ .

(٧) الجمعة :١٠ .

(٨) غافر :٦٠ .

(٩) ظ: ابن حنبل/ مسند الإمام أحمد بن حنبل، ١٨ /٣٨٩ ، الحديث(١١٨٩٢)،السجستاني/ سنن أبي داود، ٧١/٢، الحديث(١٤٥٥)، الطبراني/ الدعاء للطبرانيّ، ٣٥١/١، الحديث(١٨٩٨).

الأوقات وفي أي مكان يصح فيه الدعاء ، أمّا الذي ذكرته المفسرة تخصيص لا حصر فلا يمكن القول : اذا ما جلس جمع من النّاس في مكان ما يدعون اللّه تعالى نحكم على فعلهم أنّه بدعة .بل هو مصداق للآيات ومصداق لسنة النبيّ الأعظم عليه السلام أمّا اذا كان القصد غير ما ورد عنه (صلى اللّهُ عليهِ وآلهِ) فهذا بحث آخر .ولها وقفات مع هذه القاعدة في مواضع كثيرة [1]

المبحث الخامس : قاعدة ردّ المجمل إلى المبيَّن أو(المفسّر) [2]

توطئة :

(١)ظ: ماجدة الفارس/ التّوضيح والبيان في تفسير آي القرآن، ١٣٨/٣ ، ٣٠٥/١ ، ٤١٢/٢ .

(٢) الفارق بين ما قاله الشّيعة وأهل السّنة إنّما هو فيما يقابل المجمل، وهو المبيّن عند الشيعة، والمفسر عند أهل لسنة إذاً النّزاع لفظيّ،ظ: قواعد التّفسير عند الشّيعة والسّنة، ٢١٤.

عنيت التّفاسير عُمومًا والنّسويّة منها بقاعدة الجمع بين الآيات المجملة والمفسّرة لها أو المبيّنة، كونها أحد التّقسيمات التي قسّمها الأصوليّون للألفاظ في دائرة دلالة الألفاظ من حيث الوضوح والابهام[١]، إذ إنّ آيات القُرآن تنقسم إلى المجمل والمبيّن، بحيث لا يمكن فهم القُرآن إلا بتمييز موارد المجمل، واستمداده من الآيات المبيّنة في عملية التّفسير، إذًا المراد بهذه القاعدة: هو العناية بجود المجمل والمبيّن في الآيات القُرآنيّة، والالتفات إلى الفهم الصّحيح منهما، والتّوجه إلى ما أراد الله تعالى من كلامه[٢]

ومفهوم المجمل "فيما يحتاج إلى بيان والضّابط فيه : أن كل مالا يستقل بنفسه في معرفة المراد به (فهو) مجمل"[٣] وأما "المبيّن : يطلق على المستغني عن البيان، وعلى ما ورد عليه بيانه"[٤] والمفسّر: "هو اللفظ الذي دلّ على الحكم دلالةً واضحةً، لا يبقى معها احتمال للتّأويل أو التّخصيص"[٥] إذًا كلّ مجملٍ يصبح (مفسرًا) يُبيّنه القُرآن الكريم أو السنّة، ويكون هذا البيان جزءًا مكمّلًا للنّصوص الواردة في القُرآن على حالة الإجمال، وقد أنيط أمانة البيان للآيات المجملة بالنّبيّ (صلى اللّهُ عليهِ وآلهِ) في قوله تعالى:﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[٦][٧]

كما أن دائرة البيان تكمن في أنّ البيان على نوعين :الأول: مبيّنٌ بذاته وفيه : النّص والظاهر. والثاني: مبيّنٌ لغيره فيه : المجمل والمؤول فبعد ورود البيان يصبح مبيّنًا . وبهذا تكتمل دائرة البيان ولهذه المسألة بيان وتفصيل وتخطيط جدير بالمتابعة في مظنّها[٨]

وانطلاقًا ممّا تقدّم، سيأخذ البحثُ على عاتقه النّظر في التّفاسير النّسويّة لمعرفة مدى توظيف هذه القاعدة ومستوى الإفادة منها ،بلحاظ جمعها لما أُجمل في موضع من القُرآن مع ما فسّر أو بُيّن في موضع آخر، أو ما بيّنته السّنة، وهذا ما سيبدو جليًا في الجانب (التّطبيقيّ) من هذا المبحث

المطلب الأول : بيان الجانب (التّنظيريّ):

---

(١) ظ: الشاشي/ أصول الشاشي، ١٣١/٥. السّرخسي/أصول السّرخسي، ١٦٨/١.الحفناوي، دراسات أصوليّة في القرآن الكريم،البهائي/ زبدة الأصول، العك/أصول التّفسير وقواعده/ ٣٢٦. السلمي/أصُولُ الفِقهِ الذي لا يَسَعُ الفَقِيهِ جَهلَهُ/٤٠١. الشهرستاني/ غاية المسئول في علم الأصول / ٣٨٥.

(٢) ظ: المبيدي/ قواعد التّفسير لدى الشّيعة والسّنة/٢١٣ -٢١٤ .

(٣) المحقق الحليّ/ معارج الأصول / ١٠٦.

(٤) العلامة الحليّ/ مبادئ الوصول الى علم الأصول/١٥٤ .

(٥) العك/ أصول التّفسير وقواعده/ ٣٣٢ .

(٦) النّحل : ٤٤ .

(٧) ظ: العك/ أصول التّفسير وقواعده / ٣٣٣ .

(٨)ظ: د.جبارالملا ، د. سكينة الفتلي / قواعد أصول التفسير في تهذيب الوصول للحليّ وكنز العرفان للسيوري/ ٧١ -٨٠ . ٨٠

اعتمدت بنت الشاطئ مبدأ التّفسير الموضوعيّ الذي سارت فيه على منهج أستاذها أمين الخولي واستنادها طريق الاستقراء بتقصي المفردة وتدبرها في سياقها الخاص في الآية نفسها والسورة، وسياقها العام في القُرآن الكريم كلّه إلتماسًا لسرّه البيانيّ ، وبجمعها الآيات القُرآنية كانت تستنطق الآية بأختها، أو بيان المفردة القُرآنيّة بسياقها أو دلالتها في شواهد قرآنيّة أخرى وبالتالي بصنيعها هذا نلحظ تطبيق قاعدة العناية بالمجمل والمفسّر، دون تصريح لها يذكر، إلا ما أشارت اليه في مقدمة الجزء الثاني بقولها: "فإننا نحاول أن ندرك حسن العربية للألفاظ التي نتدبرها من النّص القُرآنيّ، عن طريق لمح الدلالة المشتركة في شتى وجوه استعمالها لكل لفظ "[١]

وبالنّظر لتفسير (زينب الغزالي)، ظهرت بعض الاشارات في جملة من الشّواهد يُلحظ فيها التطبيق لهذه القاعدة ، ويظهر مدى أهمّيتها لدى المفسّرة في كشف السّتر عن اللفظ المجمل إن كان تفسيرُه بالقُرآن الكريم أو عن طريق السنّة،وبهذا السياق قالت: وقد شرّع الله وبيّن في ذلك الكتاب،ولمّا كان رسول الله هو النذير والبشير: فقد ألهمه الله السنّة ليبيّن لنا به ما غمض من أحكام التشريع وغيرها [٢] .

وإذا ما االتفتنا الى المفسرة (حنان اللحام) فإنّها أوضحت عند قوله تعالى:﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١ ﴾ [٣] قالت: توحي الآية إلى أنّ في الكتاب محكمًا ومفصلًا ،فأمّا المحكم فهو ما نص بإيجاز وقوة في على القواعد الأساسيّة في الدين التي تمثل مقاصد الشريعة فهي محكمة مجملة تحدد قواعد هامّة وعامة... قد فصلته آيات كثيرة تتحدث عن الزواج والطلاق وغير ذلك.. وقالت: يمكن أن نرى في التفصيل فتحًا لباب الاجتهاد .. وأنّ التّفصيل إن لم نجده في آيات الكتاب فإنّه موجود في آيات الآفاق والانفس[٤] وقالت: هذا الكتاب من عند الحكيم الخبير ... ولا يتفاعل معه إلا من مشى في طريق الحكمة وكانت له خبرة في الحياة.. وانتبه الى أبعاد المحكم والمفصل في الكتاب [٥]

أمّا (نائلة صبري) لم تغب عنها القاعدة فقد أوضحت في بيانها المنهج قالت: شرحت ما كان موجزًا في موضع بما جاء في موضعٍ آخر مطولًا كقصة آدم وقصة إبليس فقد جاءت موجزة في مواضع ومفصلة ومطولة في مواضع آخرى، وأشارت الى السّنة أيضًا في شرحها وبيانها للقرآن الكريم[٦] أشارت في معرض تفسيرها لقوله تعالى: ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١ ﴾ [٧]بقولها: وهو كتاب

---

(١) بنت الشاطئ / التّفسير البيانيّ للقرآن الكريم ، ٧٨/٢ .

(٢) ظ: زينب الغزالي/ نظرات في كتاب الله، ١/ ٢٢١ .

(٣) هود :١.

(٤) ظ: حنان اللحام/ تأملات في سورة هود/ ١٥ -١٦

(٥) ظ: المصدر نفسه/ ١٧.

(٦) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن، ١/١/ المقدمة .

(٧) هود :١.

كتاب عظيم نظمت آياته نظمًا محكمًا لا يقع فيه خلل ولا نقص، فجاءت آياته قوية البناء، ثم بيّنت وفصلت فيه الأحكام وكلّ ما يحتاج إليه خلق الله، ثم ذكرت: قول قتادة: (أحكمها من الباطل ثم فصّلها بالحلال والحرام) [القرطبي: ٣/٩][١]

وعند تتبع مدونة (ماجدة الفارس)، تنبري عنايتها الجادة بجمع الآيات المجملة المبهمة بأخواتها الموضّحات والمفسّرات لها، ففي تفسيرها للآية الأولى من سورة هود قالت: أحكمت جملةً ثم بيّنت بذكر آية آية بجميع ما يحتاج اليه من دليل على التّوحيد والنّبوة والبعث وغيرها وهو قول مجاهد[٢] وإن تعذر لها ذلك استعانت بالسنة الشريفة لبيان مجمل القُرآن الكريم، والمحصل :إذ لا غنى للمفسر من أن يأخذ على عاتقه هذه القاعدة وغيرها في خضم هذه المهمة إن قصد الإصابة في بيان المراد، وتحقيق هدف التّفسير وغايته المنشودة .

المطلب الثاني : بيان الجانب (التّطبيقيّ):

أ - نموذج (١) : قال تعالى: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١﴾[٣]

أوردت بنت شاطئ في تفسير لفظ (العاديات) آراء المفسّرين وكانت على قسمين منهم من قال: هي الخيل(تأولها بخيول غزوة بدر) وهو قول روي عن ابن عباس والحسن، وأخذ به جماعة من المفسرين، ومنهم من قال : هي الإبل من عرفة يعني إبل الحاج تعدو من عرفة الى مزدلفة، ثم إلى منى، وتثير الغبار عند وادي خسر، وهذا القول قال به ابن مسعود، وتابعه جماعة من المفسرين، ملتفتين الى معنى الإعظام في كونها إبل الحاج.

ثم قالت : لكن قد يقال الفرسان عادية، لكن الضَّبح يعين على أنّ المقصود بها الخيل لا الفرسان لما أشرنا اليه أن اختصاص الضبح بالخيل فالضبح وهو صوت أنفاسها حين تعدو سريعًا[٤] وقبل عرضها لآراء المفسرين من الطرفين وقبل ملاحظتها المعنى الراجح لديها حكمت على تأويلات المفسرين بقولها: "لا تخلو من غرابة وقسر واعتساف"[٥]

قدّمت المفسرة في بيان (العاديات) آراء المفسرين كل على دليله الذي ركن اليه من السنّة وكان اللفظ متردد بين معنيين (الخيل، والإبل) فهو مجمل كالمشترك[٦] ، لا يفهم من ظاهره المراد[٧] وكان ترجيح ترجيح المفسّرة لمعنى (العاديات) بالخيل وحدها لما أفادت به من القُرآن نفسه حيث أخذت بعين الإعتبار ما

---

(١) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن، ١٩١/١١/٥ -١٩٢.

(٢) ظ: ماجدة الفارس/ التّوضيح والبيان في تفسير آي القرآن، ٦/ ٣٨٤ .

(٣) العاديات :١.

(٤) ظ: بنت الشاطئ/ التّفسير البيانيّ للقرآن الكريم ، ١٠٥/١ -١٠٦ .

(٥) المصدر نفسه، ١٠٦/١ .

(٦) ظ: البصري/ المعتمد في أصول الفقه، ٢٩٢/١، المحقّق الحليّ/ معارج الأصول/ ٧٤ . البهائي/ زبدة الأصول/ ٥٦.

(٧) ظ: ابن حزم / الإحكام في أصول الأحكام، ١٥٤/٣ . الخطيب البغدادي/ الفقيه والمتفقه،٢٣٤/٢.

صرّح به السّياق من الآية بمفردة(الضّبح) زد على ذلك قولها : ولو خلينا فكرة التعظيم بالقسم جانبًا، لبدا لنا بوضوح أنّ جوّ السورة لا يوحي بشيء من بيان عظمة الخيل وفوائدها،....وإنما هو مشهد مثير، لغارة مفاجئة تصبح القوم بغتة على غير انتظار. وموقف المباغتة، يلائمه قصر الآيات بما فيه من حسم، وسرعة الإنتقال، وتلاحق الأحداث ما بين العدو، وإيراء القدح، وإثارة النّقع، إلى توسّط الجمع، فما إن تعدو الخيل ضبحًا، موريات قدحًا، مغيرات صبحًا، حتى تكون قد توسّطت الجمع في النقع المثار[1]. ومن هنا نلحظ المفسرة عمدت إلى تفسير المفردة بما جاء بيانه من السّنة ومؤكّدًا من القُرآن الكريم في ضوء دائرة الجو العام للسورة وسياقها، بيانها كان على أساس كشف الملحظ البياني البلاغي.

والجدير بالذّكر أنها حكمت على آراء المفسرين(بالغرابة والتّعسف ..) قبل مناقشتها وقبل ظهور نتائج بحثها في عمليتها التفسيريّة وهذا من جملة المآخذ عليها والتي التفتت إليها جملة من الباحثين وليس البحث أول من تنبّه لهذه الظاهرة .

ب - نموذج (٢) :قال تعالى:﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾[2]

قالت (زينب الغزالي) : هذه الآية مفصّلة لما أجمل في الآية الأخرى، وهي قوله تعالى:﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾[3]ثم قالت: الذين يعملون الخير، ويتقون، وينفقون، لهم من إحسان الله وعطاءه الحسنة وزيادة، والحسنة الجنّة والزيادة أن يضاعف لهم ما أنفقوا في سبيل الله، فالحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف مضاعفة،.. ومن جاء بالسّيئة فلا يجزى إلا مثلها[4]

جمعت المفسرة بين النّصين المباركين وأوضحت أنّ الآية المجملة من سورة القصص فسرتها الآية المفصّلة من سورة الأنعام ،وذلك ينبي عن حضور القاعدة عند المفسرة في هذا الموطن وتوظيفها في بيان المراد. فالحسنة بعشر أمثالها والسيئة بمثلها وقد أضاف بعض المفسرين : أنّ الآية تامّة في نفسها تكشف عن منّة إلهية يمتن بها على عباده إنه يجازى الحسنة بعشر أمثالها، ولا يجازى السّيئة إلا بمثلها أي يحسب الحسنة عشرة والسيئة واحدة ولا يظلم في الايفاء فلا ينقص من تلك ولا يزيد في هذه ، إن أمكن أن يزيد في جزاء الحسنة فيزيد على العشر كما يدلّ عليه قوله:﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ

---

(١) ظ: بنت الشاطئ/ التّفسير البيانيّ للقرآن الكريم ، ١٠٦/١ .

(٢) الأنعام :١٦٠ .

(٣) القصص :٨٤ .

(٤) ظ: زينب الغزالي/ نظرات في كتاب الله ، ١/ ٤٦٢ .

سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَاللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۗ وَاللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ﴾[1] [2] يذكر الطبرسيّ باسناده، ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال : لمّا نزلت هذه الآية ﴿ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ ﴾ [3]قال رسول الله: رب زدني. فأنزل الله:﴿ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ ﴾ فقال رسول الله: رب زدني . فأنزل الله سبحانه:﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗۚ وَاللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ ﴾[4]. والكثير عند الله لا يحصى[5]

ومهما يكن ما نحن بصدده هو ظهور دور القاعدة عند المفسرة من حيث الجمع بين الآيات خصوصًا قليل إذا ما قورن بجمعها الآيات المجملة بما فسّرتها السنّة من أقوال النّبيّ (صلى اللّهُ عليهِ وآلهِ) والصّحابة والتّابعين .وذلك في مواطن كثيرة[6]

ت - نموذج (٣) : قال تعالى : ﴿ حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ ﴾[7]

ذكرت (حنان اللحام) في تفسيرها النص بصراحة المجمل والمفصّل جمعًا حيث أنّها قد فصلت في أنواع (الميتة) التي حرمها الله في آية محكمة قال تعالى: {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ} [المائدة : ٣] فالآية في أولها محكمة .. ثم يأتي التفصيل .. والله أعلم [8] وقد فصّلت هذه المسألة في مدونتها التّفسيرية (تأمّلات في سورة المائدة) قالت: سبق أن ورد التّحريم في سورة البقرة مع استثناء حالة الضرورة والرّخصة فيها، وأمّا الميتة فهي التي ماتت دون تذكية (ذبح)وستفصل الآية في خمسة أنواع منها ،(وَالْمُنْخَنِقَةُ) بالماء إذا وقعت فيه أو بالحبل، (وَالْمَوْقُوذَةُ) التي تضرب بشيء ثقيل فتموت،(وَالْمُتَرَدِّيَةُ)التي تقع من السطح، أو في وادٍ أو في بئر فتموت، (وَالنَّطِيحَةُ) التي ماتت بسبب التناطح

---

(١) البقرة :٢٦١ .

(٢) ظ: الطباطبائي/ الميزان في تفسير القرآن، ٣٧٠/٧

(٣) القصص :٨٤ .

(٤) البقرة :٢٤٥ .

(٥) ظ: الطبرسي/ مجمع البيان في تفسير القرآن، ١٣٧/٢ .

(٦)ظ: زينب الغزالي/ نظرات في كتاب الله ،١/ ٢٥ وما بعدها ، ١/ ٤٠ . مصادرها: ابن كثير ، ١٣٧/٢ .

(٧) المائدة:٣ .

(٨) ظ: حنان اللحام/ تأمّلات في سورة هود/١٦ .

بين الحيوانات (وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ) التي عدا عليها حيوان مفترس فأكل بعضها .. (إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ)ما أدركتموه حيًا فذبحتموه [١]

يمكن الوقوف على هذه المسألة: أن الآية المجملة التي قصدتها المفسّرة في بداية سورة المائدة ثم أشارت في تفسيرها أنّه ورد التّحريم في سورة البقرة مع استثناء حالة الضرورة والرّخصة فيها في قوله تعالى:﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ ﴾[٢] ففي بداية سورة المائدة قالوا: مثال المستثنى المجهول: قوله سبحانه وتعالى:﴿ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ﴾ [٣]فإنّه قد استثنى من المعلوم ما لم يعلم، فصار الباقي محتملًا، فكان مجملًا [٤]

إنّ التحريم في الآية معناه أي أكلها والانتفاع بها .لأن الذات لا يتعلق بها التحريم، وإنما يتعلق التحريم بفعل المكلف فيقدر المقتضي في كل نص بما يناسبه [٥]. وإنّ الإجمال في لفظ(الميتة) وتفصيلها بالأنواع الخمسة (وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ) وقد بيّنت كل واحد منها .

ث - نموذج (٤) : قال تعالى:﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾[٦]

قالت (نائلة صبري): الكلمات: جمع كلمة وأصل معناها اللفظ المفرد وتستعمل في الجمل المفيدة، وعبّر عنها هنا الوظائف التي كلف الله إبراهيم عليه السلام بها .وقالت: والقُرآن الكريم لم يعيّن هذه الكلمات ولم يذكر تفصيلًا عنها ، لذا فقد اختلف المفسرون فيها [٧] :

- مناسك الحج أي فرائضه وسننه كالطواف والسعي والرميّ والإحرام وهو قول قتادة.
- ابتلاه بالكواكب والقمر والشمس فأحسن فيهما النظر وعلم ربه دائم لا زول كما ابتلاه بالنار صبر عليها وبالختان وبذبح ولده وبالهجرة فصبر عليها و وهو قول الحسن، [السّراج المنير:٩٠].
- عن ابن طاووس عن ابن عباس: ابتلاه الله بالطهارة في الرأس وخمس في الجسد قص الشارب، المضمضة وغيرها... ذكره [القرطبي : ٩٨].

---

(١) ظ: حنان اللحام/ تأمّلات في سورة المائدة/٢٥ .

(٢) البقرة :١٧٣ .

(٣) المائدة :١ .

(٤) ظ: ابن النجار/ شرح الكوكب المنير، ٤١٩/٣ .

(٥) ظ: خلاف/ علم أصول الفقه وخلاصة تاريخ التشريع/ ١٤٢.

(٦) البقرة :١٢٤ .

(٧) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن، ١/١/ ٢٤٩ -٢٥٠ .

وفي ضوء ما تقدّم يمكن القول بجملة من الأمور :

الاول: نلحظ المفسرة أوضحت معنى (الكلمات) في ضوء الجانب اللغوي حيث أنها عرّفت الكلمة(اللفظ المفرد) في حين يعبر عنها بـ(قول مفرد) فيما حده الاشمونيّ(٩٠٠هـ)[١] وقد سبقه في ذلك ابن هشام(٧٦١هـ) وعلّله بالآتي: "فَإِن قلت فَلم عدلت عَن اللَّفْظ إِلَى القَوْل قلت لِأَن اللَّفْظ جنس بعيد لاطلاقه على المهمل والمستعمل كَمَا ذكرنَا وَالْقَوْل جنس لاختصاصه بِالْمُسْتَعْمل وَاسْتِعْمَال الأجناس الْبَعِيدَة فِي الْحُدُود معيب عِنْد أهل النّظر"[٢] وقولها أنها تستعمل في الجمل المفيدة فهي محقة في ذلك فقد تطلق في اللغة على ما ذكرت ومنها قوله تعالى:﴿ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٠٠ ﴾[٣][٤]

الثّاني: القُرآن الكريم لم يعيّن هذه الكلمات ولم يذكر تفصيلًا عنها والسّنة قد تولّت تفسيرها وقد اختلفوا في ذلك حيث تعدّدت الرّوايات باختلافها وتفصيلها هذا ما صرّحت به المفسّرة وغيرها[٥] ، ومن جملة الروايات التي تشير الى بيان هذه الكلمات أنها في سياق الآية بمعنى أنه فسّرت بالقُرآن منها ما يذكره الطبري بإسناده قال تعالى﴿ وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ ﴾ فالكلمات﴿ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ ﴾ ،وقوله: ﴿ وَإِذۡ جَعَلۡنَا ٱلۡبَيۡتَ مَثَابَةٗ لِّلنَّاسِ وَأَمۡنٗا ﴾[٦]،وقوله: ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗى ﴾،وقوله ﴿ وَعَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ ﴾ ، وقوله:﴿ وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ ﴾[٧] قال: فذلك كلّه من الكلمات التي ابتلي بهن إبراهيم.عليه السلام[٨] هذا يدلنا على أنّ للسّنة رأي آخر ومتعدد الوجوه فضلًا عمّا ذكرته المفسّرة، كما يُلمح من ذلك أنّ هذه (الكلمات) فسّرتها نفس الآية على ما ذكره الطّبري في أكثر من رواية واكتفينا بواحدة ،وذكرها الطبرسي في المجمع عن مجاهد أيضًا[٩] ثم أشار إلى أنّ الآية تحتمل هذا القول وغيره[١٠] . وناتج ذلك بيان المجمل من القُرآن ممكن حمله في الآية وفق ما نقل الطبري والطبرسي واحتمال القول فيها. يمكن الاطمئنان لذلك ما يشفعه الجانب اللغوي يقول

---

(١) الأشمونيّ/شرح الأشمونيّ على ألفية ابن مالك، ٢٥/١.

(٢) ابن هشام/ شرح قطر النّدى وبلّ الصّدى / ١٢ .

(٣) المؤمنون :١٠٠ .

(٤) ظ: ابن هشام/ شرح قطر النّدى وبلّ الصّدى/ ١١ .

(٥) ظ: الطوسي/ التّبيان في تفسير القرآن، ٤٤٥/١ . الطبرسي/ مجمع البيان في تفسير القرآن، ١/ ٣٧٣ .

(٦) البقرة :١٢٥ .

(٧) البقرة :١٢٧ .

(٨) ظ: الطبري/ جامع البيان في تأويل القرآن، ١٢/٢ .

(٩) ظ: الطبرسي/ مجمع البيان في تفسير القرآن، ١/ ٣٧٣.

(١٠) ظ: المصدر نفسه ، ١/ ٣٧٤ .

البلاغيّ : سياق الآيات الثّلاث التي بعد هذه الآية وعطفهن عليها يقتضي ان تكون كلمة (إذ) مفعولًا (لأذكر) القولية المقدّرة فتكون الآية وارتباط كلماتها ومعانيها تستلزم ان يكون قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ إلى آخره تفسيرًا للكلمات والفاعل في أتمهنّ هو اللّه " [١] وذكر المشهدي : قد يكون بيان للابتلاء . فتكون الكلمات ، ما ذكره من الإمامة وتطهير البيت وغير ذلك [٢]

الثالث: لم ترجّح المفسرة من بين الآراء والأوجه التي أوردتها إنّما اكتفت بنقلها .

وللمفسرة حضور في توظيف هذه القاعدة في مواطن كثيرة [٣]

ج - نموذج (٥) : قال تعالى:﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴾[٤]

ترى (زينب الغزالي): أن عدة المطلقة ثلاثة قروء.. والقرء هو: الفترة ما بين الحيضتين من الطهر، أو أنّ القرء هو الحيضة. والعرب تسمّى الحيض قرءً وتسمّى الطهر قرءً [٥] وأشارت (حنان اللحام) في موضوع عدّة المطلقة إلى أنّ: القروء جمع: قرء، وفيه قولان: الحيض - الطهر بين الحيضتين[٦] وفصّلت القول في الآية (نائلة صبري) حيث قالت: القرء : الطهر والحيض لأنهما يرجعان إلى وقتٍ معلوم، وذكرت آراء المذاهب واستدلالهم ،وهي على قولين: القول الأول: ثلاثة أطهار وهو قول الشافعي ومالك، اللذان أخذا بقول عائشة، والقول الثاني: ثلاث حيضات، وهو قول أبي حنيفة وأحمد، اللذان أخذا بقول رسول اللّه (صلى اللّهُ عليهِ وآلهِ) لفاطمة بنت أبي حبيش حين أتته [٧]

أمّا (ماجدة الفارس): أضافت على القول الأول أخذًا على المروي عن عائشة وابن عمر وزيد بن ثابت، والقول الثاني أخذًا على المروي عن عمر وابن مسعود وأبي الدرداء وغيرهم ، والرّاجح القول الثاني[٨]

يمكن مناقشة ما تقدّم بالآتي: وجه الاستدلال بالآية هو أنّ لفظ (القرء) مجمل ووصفه العلامة الحليّ بالمشترك ؛ لأنّه دلّ على معاني متعددة مختلفة الدّلالة[٩] فهو أطلق على الطّهر وأطلق على الحيض، نلحظ نلحظ من ذكر التّفاسير النّسوية لموضع الشاهد في الآية من دون ترجيح لمعنى القرء وهذا يعد تعطيلًا للحكم التشريعي، ولعلّ عدم البوح والتّرجيح لأحد المعنيين الآنف ذكرهما هو عدم زجّ التفسير في

---

(١) البلاغيّ، آلاء الرّحمن في تفسير القرآن ، ١٢٢/١ .

(٢) ظ:المشهديّ/ تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب، ١٣٦/٢ .

(٣)ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن ، ٥/٣/ ٢٢٥ -٢٢٦.

(٤) البقرة :٢٢٨ .

(٥) ظ: زينب الغزالي/ نظرات في كتاب الله، ١٣٦/١ .

(٦) ظ: حنان اللحام/ من هدي سورة البقرة/٤٩٦.

(٧) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن، ٢٤٤/٢/١ - ٢٤٥ .

(٨) ظ: ماجدة الفارس/ التوضيح والبيان في تفسير آي القرآن، ٣٩٣/١ -٣٩٤ .

(٩) ظ: المحقّق الحليّ/ معارج الأصول/ ٧٤ . البهائي/ زبدة الأصول/ ٥٦.

الخلاف الفقهي بين العلماء؛ كون هذه المسألة من مختصات الفقهاء لا المفسرين وهذا أمر محمود. لكن (ماجدة الفارس) قد رجّحت من القولين وبالتالي أن المجمل على القسم الاول من المفسرات بقي معلقاً على ما ذكرنَ من معاني دون ترجيح، والقسم الثّاني المتمثّل بالرّأي الذي تمّ فيه التّرجيح عند (ماجدة الفارس) أنّ السّنة بيّنت المعنى المراد وبالتالي تحقق العمل بالقاعدة وبان التّوظيف وانكشفت أهميته في بيان المراد والحكم في هذا النّص القُرآنيّ على ما فيه من خلاف بين المذاهب.

كما نلحظ في بيان الآراء للمذاهب الاسلاميّة لم نجد رأي الاماميّة بين الآراء المساقة في التّفاسير وإذا ما نظرنا لرأيهم فهم يميلون أو يتبنون الرأي القائل بمعنى (القرء) الطهر [١] على ما ورد في الدليل عن أئمة أهل البيت عليهم السلام لا سيما الامام محمد بن علي الباقر عليه السلام [٢] أما ما ورد عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام أنّه أنّه يقول بالقرء هو الحيض (مكذوب) [٣] ؛ ورد بغير طريق مدرسة أهل البيت عليهم السلام [٤] وقد استدّل المقداد السّيوري (٨٢٦هـ) بملحظ لغوي لطيف أنه أراد بـ(القرء) الطهر لا الحيض بقوله : أنّه قال : (ثَلاثَةَ قُرُوءٍ) وإلحاق التاء بالعدد يراد به المذكَّر، والطهر مذكَّر والحيض مؤنّثة [٥]

والمهمُّ في الأمر كله أن ابداء معنى (القرء) على ما ورد من دون ترجيح لأحد معانيه فيه تعطيل لبيان حكم شرعيّ ، ولم نستفد من القاعدة المأمول توظيفها في تحقيق كشف المراد؛ إذ ليس من الممكن بقاء المجمل دون بيان، ولمّا كان المجمل في دائرة الأحكام الشرعية لزم تبيينه بالسّنة إذ لم يرد في القُرآن بيان معنى القرء. كما نلحظ من بين المفسرات أكثر دقةً في توظيف القاعدة في هذا الصدد هي (ماجدة الفارس) التي أوضحت المعاني وبينت اراء المذاهب – وإن خلت من رأي الإمامية - ورجّحت ما ينسجم مع طريقها وبالتالي أفادت من القاعدة في تفسيرها للنّص القُرآني.

والنتيجة معنى(القُرء) جاء مجملًا في القُرآن الكريم قد بينته السّنة واختلف فيه : حيث الاماميّة والمالكية والشافعيّة قالوا : بالطّهر، والحنفية والحنابلة قالوا : بنقيض الطّهر .

---

(١) ظ: المفيد/ تفسير القرآن المجيد/ ٧١، الطوسي/ التبيان في تفسير القرآن، ٢٣٧/٢ .

(٢) ظ: الطبرسي/ مجمع البيان في تفسير القرآن، ٩٩/٢ .

(٣) ظ: المصدر نفسه، ٩٩/٢ .

(٤) ظ: د.جبار الملا ، د. سكينة الفتلي / قواعد أصول التفسير في تهذيب الوصول للحليّ وكنز العرفان للسيوري، ٦٧

(٥) ظ: السيوري/ كنز العرفان في فقه القرآن، ٢/ ٢٥٧ .

القسم الثّاني : قواعد النّصوص

المبحث الأول : قاعدة أسباب النّزول

توطئة:

القُرآن الكريم منه آيات نزلت دون وقوع سبب معين أثار نزولها، كآيات الساعة و القيامة وأحوال النّعيم والعذاب، وأكثر آياته نزلت بسبب مثير وقع في عصر الوحي واقتضى نزول القُرآن فيه، كمشكلة تطلبت حلًا أو سؤالًا استدعى جوابًا عنه، وتسمّى هذه الأسباب بأسباب النزول، وعُرفت بأنّها : أمور وقعت في عصر الوحي واقتضت نزول الوحي بشأنها [١]

وإنّ لمعرفتها أثرًا في فهم الآية، لأن النّص القُرآني المرتبط بسبب معين للنزول تجئ صياغته وطريقة التّعبير فيه وفقًا لما يستدعيه ذلك السّبب، فما لم يعرف ويحدد قد تبقى أسرار الصّياغة والتّعبير غامضة عنه [٢] كما أنّ السّبب يرفعُ الإبهامَ عن وجه الآية ويحل مشكلة تفسيرها على الوجه الأتمّ، قيد أن لا يكون مخالفًا لضرورة الدين أو العقل الرشيد، وممّا يجدر الانتباه له أن الطابع الغالب على شأن النّزول هو الضّعف والإرسال فضلًا عن الوضع والدسّ والتزوير [٣] وحذّر الزركشي حيث قال: "يجب الحذر من الضّعيف فيه والموضوع فإنه كثير" [٤] وعلى أساس هذا يقول معرفة: إنّ رصيدنا بهذا الشأن ضئيل جدًا، ولا يفي بحاجة التّفسير سوى القليل [٥]

والجدير بالذّكر في هذا المقام أن الآية اذا نزلت بسبب خاص وكان اللفظ عامًا فالعبرة بعمومه، لقد اتفق علماء الاصول وجرت السيرة عند المفسرين على أنّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ومعنى هذا أن السبب الذي نزل بعده الوحي لا يقيد التشريع العام وإنّما يكون السّبب مجرد سبب مثير لنّزول الوحي [٦]

---

(١) ظ: الحكيم/ علوم القرآن/ ٣٧ -٣٨ .

(٢) ظ: الصّدر/ المدرسة القرآنية/ ٢٢٩ .

(٣) ظ: معرفة/ تلخيص التّمهيد، ١٠٤/١ .

(٤) الزركشي/ البرهان في علوم القرآن، ١٥٦/٢

(٥) ظ: معرفة/ تلخيص التّمهيد، ١٠٥/١ .

(٦) ظ: حسين صالح حماده / مباحث في علوم القرآن، ٢/ ١٥٤.

وبناءً على ذلك ينبغي النّظر في التّفاسير النّسوية بلحاظ ما ورد فيها من أسباب النّزول تحرّيًا عن صحّة ما نقل ومساحة الأسباب فيها ومدى سلامة التّعامل معها وإفادتها في توجيه المراد وكشفه وبطبيعة الحال لا يمكن النّظر إليها جميعًا لكن يجدر بنا الوقوف على نماذج منها وفق المطلبين الآتيين.

المطلب الأول: بيان الجانب (التّنظيريّ) :

قررت بنت الشاطئ قاعدة(أسباب النّزول) في تفسيرها إذ قالت: " فأسباب النزول لا تعدو أن تكون قرائن ممّا حول النص، وهي باعتراف الأقدمين أنفسهم لا تخلو من وهم، والاختلاف فيها قديم، وخلاصة ما انتهى إليه قولهم في أسباب النزول، أنها ما نزلت إلا أيام وقوعه، وليس السبب فيها، بمعنى السببية الحكمية العلية" [١] وأكدّت ذلك في موطن آخر [٢]وأشارت إلى اعتبار ترتيب النزول وأهميته في فهم السياق العام، قالت:" أن ترتيب النّزول موضع اعتبار كذلك، لفهم السّياق العام لما نتدبر من آيات القُرآن ودلالات ألفاظه وخصائص بيانه في المصحف كله"[٣]

واستعانت (زينب الغزالي) بأسباب النّزول عند بيانها للآية وكانت تلحظ معناها العام وتقيم السّبب الداعي من نزولها وتعمد منه إلى بيان الآية وتصبه في واقعنا الى أن تقول (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب)[٤] منه في تفسيرها: لقوله تعالى:﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ﴿٤٧﴾ ﴾[٥]قالت: إنّ هذه الآية في النّصارى وهو ظاهر من السياق ولكنّ القاعدة الفقهية (أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب) [٦]وفي موضع آخر تشير بقولها: (وإن كانت قد نزلت في قوم لكنَّ العبرة بعموم اللفظ) [٧] وهكذا تعاملت مع بقية أسباب النزول في مدونتها لكن هناك مأخذ عليها في هذا الجانب أنّها في كثير من النّصوص المهمّة التي ورد فيها سبب لنزول نصٍ قرآنيّ وله علاقة أساسية في بيان مرادها لم تشر إليه لا من قريبٍ ولا من بعيد، فلا تكترث له وتكتفي ببيان الآية عمومًا وذلك كثير في مدونتها .. منها آية ٥٥ من سورة المائدة المسماة بآية الولاية [٨] ، وفي بعض الأحيان تحيل السّبب الى موطن آخر منها في بيان سبب نزول آية المباهلة لم تبين السبب وعمدت الى مراجعته في بداية السورة وبالتّالي لم تذكره في موطن الآية [٩]

---

(١) بنت الشاطئ/ التفسير البياني للقرآن الكريم، ٢٣/١ .

(٢) ظ: المصدر نفسه، ٢/ ٤٠.

(٣) المصدر نفسه، ٨/٢.

(٤) ظ: زينب الغزالي/ نظرات في كتاب الله، ١/ ٣٩.

(٥) المائدة :٤٧ .

(٦) ظ: زينب الغزالي/ نظرات في كتاب الله، ١/ ٣٨٢ .

(٧) ظ: المصدر نفسه، ١/ ٦٧٧.

(٨) ظ: زينب الغزالي/ نظرات في كتاب الله، ١/ ٣٨٦ .

(٩) ظ: المصدر نفسه، ١/ ٢٢٣

كما اتضحت أهمية قاعدة(أسباب النّزول) عند (حنان اللحام) في طيات تفسيرها بمواطن متعددة في الآية أو السورة التي كان نزولها بسبب وقوع حادثة ما. كما نلحظ لها بيان في تفسيرها لسورة النساء لمّا قدمت في مستهلها مبحثًا في التّفسير وتعريفه وأنواعه صرّحت تحت عنوان(التّفسير بالرّأي – بالإجتهاد) معزوًا ذلك إلى السّيوطي والزّركشي، قالت: من الأمور التي يجب الاستناد إليها الأخذ بقول الصّحابيّ بخصوص(أسباب النّزول) وهي ممّا لا مجال للرأي فيها [1] ولها رأي في قاعدة(العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السّبب) التي عبرت عنها بأهمية التّمييز بين الصّورة اللفظية والحقيقة الخارجية ، وعبّرت عن الصّورة اللفظيّة : هي انعكاس لما في أذهاننا من إدراك للواقع قد يكون صحيحًا، وقد يكون خاطئاَ، والحقيقة الخارجية وهي: الواقع هو المرجع في فهم قول الله أي النّصوص[2] ولها نقد في أسباب النزول تقول: تقول: علمًا أن أخبار أسباب النزول بحاجة إلى تحقيق أكثر[3]

والمتأمّل لمدونة (نائلة صبري) يلحظ فيها تجليّات قاعدة أسباب النّزول في مستهل كل سُورة أو آية جاء فيها حدثٌ وداعٍ لنزولها، وهذا لا يعني أنّ المفسرة لم تبيّن في منهجها تقرير هذه القاعدة التي حكّمتها في بيانها للقرآن الكريم[4] وقد وصف هنا الدكتور اسماعيل نواهضة في تقديمه لها قال: قد اتبعت المفسرة في تفسيرها أسسًا منها التّعرض لأسماء السّور وأسباب النّزول إذا كان للآية سبب النّزول [5]

لم تقرر (ماجدة الفارس) في مقدمتها مسألة الرّجوع الى أسباب النّزول كقريناتها من المفسّرات ، على الرغم أن الأسباب أخذت مساحة واسعة في تفسيرها وكانت تورد في النّص الواحد أكثر من طريق للرّواية في السبب أو تذكر أكثر من سبب لنازل واحد . ولعلها اكتفت من التّصريح في منهجها أشارتها إلى اعتماد السّنة من الصّحيحين، وغيرهما، ولم تهمل الحكم على الحديث صحةً وحسنًا وضعفًا [6]

وتأسيسًا على ما تقدّم يمكن القولُ إنّ التَّفاسير النّسوية كانت على بيّنة من أمرها اتجاه هذه القاعدة والقاعدة الأصوليَّة والتّفسيريّة القائلة (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السّبب) فكانت على وعيٍ واهتمام بهذه القاعدة حضورًا وتوظيفًا في عملية الكشف عن دلالة النّص القُرآني والمراد منه وإن اختلفت المستويات فيما بينهن .

المطلب الثاني : بيان الجانب (التّطبيقيّ):

---

(١) ظ: حنان اللحام/ من هدي سورة النّساء/ ١٣ .

(٢) ظ: حنان اللحام/ تأمّلات في سورة الأحزاب/ ٢٠ .

(٣) ظ: حنان اللحام/ تفسير سورة التّوبة / ٤٦ .

(٤) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن، المقدمة.

(٥) ظ: المصدر نفسه، مقدمة الطبعة الأولى . هذه العبارة(إذا كان للآية سبب النّزول) ركيكة والسّبب ربما مطبعي، تحتاج الى تصويب ويمكن القول : إذا كان للآية سببٌ للنّزول أو نزولها)

(٦) ظ: ماجدة الفارس/ التّوضيح والبيان في تفسير آي القرآن، ٣/١ (المقدمة)

بعد أن تقدّم الكلام عن أسباب النّزول ولما لها من دور بيانيّ وكشفي للمراد من النص القُرآنيّ بما قرّته التّفاسير النّسوية على اختلاف مستوياتها الآخذ والتّوظيف ومدى الإحتكام لها سنتعرف عليه عن طريق إيراد جملة من النّماذج (التّطبيقيّة)ة تحقيقاً للمبتغى وكشفاً لدورها في التّفسير . ولكن لا يفوتنا أن ننوه إلى أن الأمثلة في أسباب النّزول كثيرة كما ورد في التّفاسير سنعمد إلى انتقاء نموذج واحد ورد ذكره في غالب التّفاسير النّسوية ، دون التفسير البيانيّ لأن النّص لم تتم دراسته فيه فسلطنا الضوء على المطلب عن طريق ما تيسر ذكره من الآيات الأخرى.

أ - نموذج (١) : قال تعالى : ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ ﴾[1]

ذكرت بنت الشاطئ في ردها على بعض المرويات في أسباب النزول على بعض المفسرين منها في اسباب بطأ نزول الوحي: أن الوحي أبطأ، لأن جروًا للحسن والحسين، - رضي الله عنهما ، كان في بيت النبي (عليه الصلاة والسلام)، فقال جبريل: "أما علمت أنا لا ندخل بيتًا فيه كلب ولا صورة؟ " أو أنه كان فيهم من لا يقلم الأظفار... وحكاية الجرو هذه، وردت كذلك في (البحر المحيط لأبي حيان) ولا أدري كيف فاتهم أن الحسن والحسين -رضي الله عنهما -ولدا بعد الهجرة بثلاث سنوات وأربع، وسورة الضحى من أوائل الوحي، نزلت بمكة قبل الهجرة بسنين[2]

استطاعت بنت الشاطئ أن تردّ على أبي حيان في ما نقله من سبب إبطاء نزول الوحي بقصة الحسنين عليهما السلام ومسألة الحيوان. أفادت بنت الشاطئ من ترتيب النزول والمقارنة التاريخية بين نزول السّورة وولادتهما عليهما السلام وبذلك كشفت عن ترتيب النزول وأهميته في فهم السياق العام للسورة وقد أحسنت بنت الشاطئ هذا الصنيع .

ب - نموذج (٢) قال تعالى :﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ۝٦٧ لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ۝٦٨ ﴾[3]

ذكرت (زينب الغزالي): نزلت هذه الآيات عقب انتصار المسلمين في موقعة بدر، ونحن نعلم قصة مشاورة النّبي(صلى اللّهُ عليهِ وآلهِ)،صاحبيه أبى بكر وعمر في أمر الأسرى فكان رأي أبى بكر الفداء ورأي عمر القتل، ولكن رسول الله (صلى اللّهُ عليهِ وآلهِ) مال إلى رأي أبى بكر، ونزلت الآية معارضة لأخذ الفداء وبعد العفو أباح الله الانتفاع بمال الفداء حيث قال:﴿ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمۡتُمۡ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا ﴾[4] [1]

---

(١) الضحى :١ - ٣ .

(٢) ظ: بنت الشّاطئ/ التّفسير البيانيّ للقرآن الكريم، ١/ ٣٥ -٣٦.

(٣) الأنفال : ٦٧ -٦٨ .

(٤) الأنفال :٦٩ .

ونافلة القول: أن أسباب النزول كان من المأمول ان تحل لنا مشكلة وترفع لنا إبهامًا يبدو من النّص لا أن توقعنا في مشكلة أخرى. ثمّ إنّ هذا السّبب يدعو للشّك في الواقع ولا ينسجم مع ظاهر النّص القُرآني ولا ينسجم مع شخصية النبيّ (صلى اللّهُ عليهِ وآلهِ) ولا يمكن للعقل أن يقرّه وينسبه اليه(صلى اللّهُ عليهِ وآلهِ) وهنا سنقف عليه بإيجاز :

ظاهر النّص القُرآني لا ينسجم تمامًا مع ما ورد: إنّ ظاهر الآيات يعالج موضوع أخذ الأسرى في الحرب لا أخذ (الفدية) بعدها، وبذلك يرتفع اللبس بشأن مفهوم الآية . كما أن اللوم والتعنيف يختص بجماعة انشغلت - قبل أن يتم النّصر النّهائي - بأسر العدو لأهداف دنيوية، ولا علاقة لها بشخص النّبي وأصحابه المؤمنين الذين كان هدفهم الجهاد في سبيل الله[٢] كما أن عبارة (تريدون، أخذكم) معناهما إشارة للجمع في النّص كيف يحمل على النّبيّ (صلى اللّهُ عليهِ وآلهِ) ويشمله اللوم والتعنيف والوعيد.

يقول الطبطبائي: ومن قال: إنّ العتاب انّما هو على اخذهم الفداء، أو على استحلالهم الغنيمة قبل الإباحة من جانب الله، والنبي (صلى اللّهُ عليهِ وآلهِ) يشاركهم في ذلك لما أنّه بدأ باستشارتهم مع أن القوم إنّما اخذوا الفداء بعد نزول الآيات لا قبله حتى يعاتبوا عليه، والنّبي (صلى اللّهُ عليهِ وآلهِ)أجل من أن يجوز في حقه استحلال شيء قبل أن يأذن الله له فيه ويوحى بذلك إليه ،وحاشا ساحة الحق سبحانه ان يهدد نبيّه بعذاب عظيم[٣]

كما يثبت بطلان الرواية التي تزعم أن الآية الأولى نزلت في شأن أخذ النّبيّ (صلى اللّهُ عليهِ وآلهِ)وبعض المسلمين الفدية مقابل أسرى الحرب بعد معركة بدر، وقبل أن يأذن الله بذلك . وأن الذي خالف هذا الأمر وطالب بقتل الأسرى هو عمر. فإن جميع ذلك عار من الصحة ولا أساس له ، وإن تلك الرّوايات بعيدة كل البعد عن تفسير الآية[٤]

فالذي ينبغي أن يُقال: إنّ السّنة الجارية في الأنبياء عليهم السلام إذا حاربوا أعداءهم وظفروا بهم ينكلونهم بالقتل ليعتبر به من وراءهم ، وكانوا يأخذون أسرى حتى يثخنوا في الأرض، ويستقر دينهم بين الناس فلا مانع بعد ذلك من الأسر ثم المن أو الفداء كما قال تعالى فيما يوحى إلى نبيه (صلى اللّهُ عليهِ وآلهِ) بعد ما علا أمر الاسلام واستقر في الحجاز واليمن: قال تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ١٥ ﴾[٥][٦]

---

(١) ظ: زينب الغزالي/ نظرات في كتاب الله، ١/ ٥٤٧ - ٥٤٨ .

(٢) ظ: الشيرازي/ الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ١٩٦/٥ .

(٣) ظ: الطباطبائي/ الميزان في تفسير القرآن: ١٣٥/٩ .

(٤) ظ: الشيرازي/ الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٤٩٦/٥ .

(٥) الأنفال :١٥ .

(٦) ظ: الطباطبائي/ الميزان في تفسير القرآن: ١٣٨/٩ .

نهاية المطاف في هذا الصّدد: إنّ الأخذ بروايات أسباب النّزول على ما مرّ من تنبيهٍ وتحذير فيها دون نظرٍ وتفحصٍ ينتج منه بيان الغث والسمين والصّحيح من العليل والمقبول والمردود صعب، فليس هذا من مدارك المفسر الهادي، كما ينبغي الالتفات الى الاسترسال بالأخذ من المفسرين لا يمكن أن يكون على ثقة تامّة بالنقل وللأسف ما نلحظه في غالب هذه التّفاسير النّقل كثيرًا في مرويات أسباب النزول دون تحرٍ، وبالتّالي فهي ظنون تدور حول النّص . لذا حذر السّيد الخوئي من ذلك يقول: إنّه لا يجوز اتباع أحد المفسرين في تفسيره، سواء أكان ممن حسن مذهبه أم لم يكن، لأنه من أتباع الظن، وهو لا يغني من الحق شيئًا [١]

ت - نموذج (٣) : قال تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ ۖ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴿٤﴾ ﴾ [٢]

أخذت قاعدة (أسباب النّزول) مساحة واسعة في مدونات (حنان اللحام) ففي بيان هذا النّص قالت: أن الآية نزلت بشأن زيد ابن حارثة(رضي الله عنه)[٣]مولى النّبي (صلى اللّهُ عليهِ وآلهِ) والنّبي قد تبنّاه فنزلت بإلغاء التّبني، فكان رسول الله (صلى اللّهُ عليهِ وآلهِ) أوّل من أمتثل للأمر الالهي وعاد زيد ليدعى إلى أبيه حارثة، ولكن الآية أعمّ من أن تحدد بهذا السبب[٤]

وأشارت (زينب الغزالي) أيضًا لهذا في سبب النزول وأفادت منه في بيان حكم التبني وإبطاله عن طريق الاسلام [٥] وبهذا يتضح إستفادتهن من هذه القاعدة في كشف الستر عن المراد من القُرآن الكريم .

ث - نموذج (٤) قال تعالى :﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ ﴾ [٦]

تنقل (زينب الغزالي) في تفسير هذه الآية ،عن ابن كثير يذكر: قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، حَدَّثَنَا مَعْمَر، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنِ ابْنِ الْمُسَيَّبِ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: لَمَّا حَضَرت أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ دَخَلَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِنْدَهُ أَبُو جَهْلٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ، فَقَالَ: "أَيْ عَمّ، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. كَلِمَةٌ أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ". فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ، أَتَرْغَبُ عَنْ ملَّة

---

(١) ظ: الخوئي/ البيان في تفسير القران ، ٣٩٧ .

(٢) الأحزاب: ٤ .

(٣) ترجمة : "زيد بْن حارثة بْن شراحيل بْن عَبْد العزى مولى النَّبيّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ[وآله] وَسَلَّمَ)، ويقَالَ أَنَّهُ من كلب من اليمن، قتل فِي عَهْدِ النَّبيّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وقال معلى عَنْ عَبْد العزيز بْن مختار عَنْ مُوسَى عَنْ سالم عَنِ ابْن عُمَر: ما كنا ندعوه إلا زيد بْن مُحَمَّد حتى نزل {ادْعُوهُمْ لابائهم }". ، البخاري/ التاريخ الكبير، ٣٧٩/٣ ، ظ: ابن حبان/ الثقات، ٣/ ١٣٤ .

(٤) ظ: حنان اللحام/ تأملات في سورة الأحزاب/ ٢٠ .

(٥) ظ: زينب الغزالي/ نظرات في كتاب الله ، ٢/ ٢٩٨ -٢٩٩ .

(٦) التوبة :١١٣ .

عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟ [قَالَ: فَلَمْ يَزَالَا يُكَلِّمَانِهِ، حَتَّى قَالَ آخَرُ شَيْءٍ كَلَّمَهُمْ بِهِ: عَلَى [1] مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ] . فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ". فَنَزَلَتْ الآية[2]

قالت (حنان اللحام) : تذكر التّفاسير قصة وفاة أبي طالب وكيف قصده رؤساء قريش عن كلمة التوحيد فقال (صلى اللّهُ عليهِ وآلهِ): (والله لاستغفرن لك ما لم أنه عنك) فأنزل الله ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ .. ﴾ وانزل مخاطبًا رسول الله﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾[3] ورد هذا الخبر عند البخاري ومسلم، لكن هل هذا هو سبب نزول الآيات؟ فالسورة مدنية بينما وفاة أبي طالب كانت في مكة[4]ثم قالت: وثبت عن النّبي(صلى اللّهُ عليهِ وآلهِ) أتى قبر أمّه فبكى ..فسُئل عن ذلك فقال: إنَّ القبر الذي جلست عنده قبر أمّي وإنّي استأذنت ربي في الدعاء لها، فلم يأذن لي فأنزل علي ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ .. ﴾ (اخرجه الحاكم عن ابن مسعود) وتعددت الرّوايات في استغفار بعض الصحابة لابائهم أولي قربهم من المشركين تأسيًا به (صلى اللّهُ عليهِ وآلهِ) حين استغفر لعمه حتى نزل النّهي فكفوا عن ذلك [5]

ذكرت (نائلة صبري) الرّواية نفسها وذكرت أيضًا، حادثة استغفار النبيّ لأمه وهو واقف على قبرها فلم يأذن له ربّه فنزلت الآية [6]

وذكرت (ماجدة الفارس) أيضًا : اختلف المفسرون في سبب هذه الآية فقال الجمهور نزلت في شأن أبي طالب، لمّا دخل عليه رسول الله (صلى اللّهُ عليهِ وآلهِ) [7]وذكرت: إنّ رسول الله (صلى اللّهُ عليهِ وآلهِ) لما فتح مكة أتى قبر أمه فنزلت الآية في ذلك[8] ثم ذكرت ما اخرجه الحاكم وابن حاتم عن ابن مسعود : ان النبي أتى قبر أمه . الى نهاية الرواية [9] ثم عقبت بقولها : يحتمل أن يكون نزول الآية تأخّر وإن كان سببها سببها تقدم، أن يكون لنزولها سببان متقدم وهو أمر أبي طالب ، ومتأخر وهو أمر آمنة ، كما أنّ للآية

---

(١) فقال: أنا على ملة. ظ: ابن كثير/ تفسير القرآن العظيم، ٢٢١/٤ .

(٢) ظ: زينب الغزالي/ نظرات في كتاب الله، ١/ ٥٨٦ .

(٣) القصص :٥٦ .

(٤) ظ: حنان اللحام/ تفسير سورة التوبة / ٢١٩ .

(٥) ظ: المصدر نفسه / ٢١٩ .

(٦) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن، ٥/ ١١ / ٣٦ .

(٧) ظ: ماجدة الفارس/ التّوضيح والبيان في تفسير آي القرآن ، ١٩٤/٦ . مصادرها(البخاري(٣٣٨٤)، ومسلم، (٢٤، ٤٠) ، وأحمد (٢٣٦٧٤).

(٨) ظ: ماجدة الفارس / التّوضيح والبيان في تفسير آي القرآن، ١٩٤/٦ . مصادرها : البيهقي في (شعب الايمان) ، (٨٨٥٠) (٨٨٥٠) .

(٩) ظ: المصدر نفسه، ١٩٤/٦ . مصادرها: ابن كثير في التفسير: (٢٢٢/٤) ، الحاكم(٣٦٦/٢) ، ابن ابي شهبة(١١٩٣٠) شهبة(١١٩٣٠) .

أسباب أخرى لنزولها، منه ما ذكره أهل التفسير : أنّ الآية نزلت بسبب جماعة من المؤمنين لّما رأوا رسول الله (صلى اللّهُ عليهِ وآلهِ) يستغفر لأبي طالب جعلوا يستغفرون لموتاهم [1]

يقول مغنية: تتبعت الروايات والأقوال في صفحات الماضي والحاضر حول سبب النزول فخرجت بأن الرواة والمفسرين افترقوا في ذلك إلى ثلاثة أقوال [2] .

القول الأول : انّ جماعة من المؤمنين قالوا : نستغفر لموتانا المشركين ، كما استغفر إبراهيم عليه السلام لأبيه فنزلت الآيتان ذكر هذا الطبري والرازي وأبو حيان الأندلسي، وصاحب المنار وغيرهم . وهذا القول أرجح من قول الآخرين، لأن في الآيتين كلمات تشعر به .

هذا السبب ذكرته (ماجدة الفارس) في نهاية الرّوايات ولم تحدده ولم ترجحه وعادةً في تقديم الآراء في مسألة خلافية يلزم التّقديم والتّأخير فيه ولا يمكن درجها دون اختيار وترجيح بحسب القرائن والدلائل التي تساعد في تثبيت الرأي الصحيح لان القارئ ما عساه ان يفهم إن بقي في متاهات الآراء واختلافها ؟!! . ثم أنها بوبت السبب وتعدده بقولها: يحتمل أن يكون نزول الآية تأخّر وإن كان سببها تقدم، أن يكون لنزولها سببان متقدم وهو أمر أبي طالب ، ومتأخر وهو أمر آمنة. فهي بأي شكل تحاول باحتمالها اثبات السّبب في نزول الآية وإن كان النّزول متأخر . كما أن (نائلة صبري) ذكرته ولم تقف عنده .وذكرت غيره من الاسباب ولم ترجح أحدهما ولم تحتمل أي منهم فاكتفت بسردها وانتقلت اي بيان معنى الآية والحال عندها كحال ماجدة (ماجدة الفارس).

القول الثاني : ان النّبي (صلى اللّهُ عليهِ وآلهِ) أتى قبر أمّه، وبكى عنده، واستأذن ربّه أن يستغفر لها، فنزلت الآيتان، ذكر هذا القول الذين نقلنا عنهم القول الأول وهذا القول أي ان الآيتين نزلتا حين بكى النبي عند قبر أمه أرجح من القول انّهما نزلتا حين وفاة عمه أبي طالب، لأن أبا طالب مات في مكة عام الحزن، أي قبل الهجرة بثلاث سنوات، وسورة التوبة التي جاءت فيها الآيتان نزلت بالمدينة سنة تسع للهجرة أي بعد وفاة أبي طالب بحوالي ١٢ سنة .

إن الاحتكام الى التأريخ في تصويب السبب عمدت له (حنان اللحام) ولم تعتقد بالسبب ؛ لعدم وجود مقاربة بين السّبب ونزول الوحي، وهنا نلحظ التدبر في النظر بأسباب النزول وهذا الذي ينبغي الالتفات اليه . وأن هذه الرواية عدت من الموضوعات في حق أبي طالب وأن الدلائل والقرائن تدل على كذب ووضع هكذا رواية وحديث في حقه [3]

والقراءة التي تكفر أبي طالب يرى الطوسي فيها: أنّ أسباب النّزول التي حيكت على كفر أبي طالب باطلة، لأنه دلّ الدليل على إيمانه بما ثبت عنه من شعره المعروف وأقاويله المشهورة الدالة على اعترافه

---

(١) ظ: المصدر نفسه، ١٩٥/٦ .ظ: مصادرها (القرطبي: ٢٧٤/٨).

(٢) ظ: مغنية/ التفسير الكاشف، ٤/ ١٠٧ -١٠٨ .

(٣) ظ، الشيرازي/ الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، ١٤٧/٦ .

بالنّبي (صلى اللّهُ عليهِ وآلهِ)[١] وفي موطن آخر قال: إنَّ أبا طالب كان مسلمًا وعليه إجماع الامامية، لا يختلفون فيه، ولهم على ذلك أدلة قاطعة موجبة للعلم[٢]

يكفيه على عظم منزلته عند الله ورسوله أنّ الرسول، اشتدّ وجده وهاج حزنه بعد وفاة عمّه، وسمّي ذلك العام بعام الحزن، ولم يمكنه البقاء بمكّة فاضطر الهجرة الى المدينة، ويكفي ما نقل من أشعاره وأقواله المثبّتة في كتب السّير والتّواريخ والحديث والتي يرويها المخالف والمؤالف، فهي صريحة في اعترافه برسالة محمّد (صلى اللّهُ عليهِ وآلهِ) ونبوّته[٣] يقول الشيخ المفيد(٤١٣هـ): فأمّا قوله المنبّه على إسلامه وحسن نصرته، وإيمانه، فهو ظاهرٌ مشهورٌ في نظمه المنقول عنه على التواتر والإجماع[٤]

ثم يقول المفيد: أفلا ترى الخصوم إلى هذا الجدّ من أبي طالب (رضي الله عنه) في نصرة نبي الله (صلى اللّهُ عليهِ وآلهِ) والتصريح بنبوته، والإقرار بما جاء من عند الله عزّ وجلّ، والشهادة بحقّه ، فيتدبرون ذلك أم على قلوب أقفالها؟![٥]

ومن الشّواهد التاريخية على إسلامه أنّ النّبي محمد(صلى اللّهُ عليهِ وآلهِ) لما نزل عليه قوله تعالى:﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾[٦] جمع أسرته في بيت أبي طالب(ض) وقام يدعوهم لما أمر به، فعارضه أبو لهب كما هو مذكور في السير جمعاء، فقال أبو طالب: اسكت يا أعور ما أنت وهذا، ثم قال للنبي (صلى اللّهُ عليهِ وآلهِ) قم يا سيدي وتكلم بما تحب وبلغ رسالة ربك فإنّك الصادق الصديق[٧]

إنّ التّمسك ببعض الاخبار القائلة بعدم ايمانه واسلامه يلزم منها القدح بشخصية الرسول والبيت الذي تربّى به ومن نافلة القول أنّ جملة من علماء أهل السنة يقولون بنجاته منهم (القرطبي، السبكي، الشعراني) وقول بعضهم عند ذكره: لا ينبغي أن يذكر إلا بحماية النبيّ (صلى اللّهُ عليهِ وآلهِ)، لأنّه حماه ونصره بقوله ولسانه، وفي ذكره بمكروه أذيّة للنّبيّ، ومؤذي النبيّ كافر، وعلى قول بعضهم :أنّ الواقف على ترجمته من العلماء يعلم يقينًا انّه كان على التوحيد[٨]

لعلّ الذي وجه السهم صوب حضرة وساحة أبي طالب هو نفسه الذي خط المسيرة ضد ساحة أبي تراب فدولة بني أميّة وساستها المعادية لبني هاشم وعلي لم ترع حرمة في نقض وقلب فضائلهم وشمائلهم فلا شك

---

(١) ظ: الطوسي/ التبيان في تفسير القرآن، ١٠٦/٤ .

(٢) ظ: المصدر نفسه، ١٦٤/٨ .

(٣) ظ: المفيد / إيمان أبي طالب/ ٣٤ .

(٤) ظ: المصدر نفسه،/ ٣٤ ، ظ: مصادره: سيرة ابن هشام ، ١/ ٣٧٧، شرح النّهج ، ٧٢/١٤، البداية والنهاية ، ٣/ ٨٤، خزانة الأدب ، ٢٦١/١.

(٥) ظ: المفيد / إيمان أبي طالب(رض)، ٢٩ -٣٠ .

(٦) الشعراء :٢١٤ .

(٧) ظ: القبانجي / منية الطالب في حياة أبي طالب(رض)/٣٦ .

(٨) ظ: الطبسي/ منية الراغب في إيمان أبي طالب(رض) /٢١١ -٢١٢ .

من جملة أهدافهم كانت حضرة والد أمير المؤمنين عليعليه السلام فهو أولى بتلك السهام من قبل المخطط الكبير الذي صممته حكومة الطلقاء في الشام، ونفذته مؤسسات اعلامية ورواة، ومؤرخون، منابر مختلفة، في دولة تمتد من المحيط الى المحيط وعلى مدى قرن من الزمن! وقام المخطط على أساس النقاط الآتية بشأن أبي طالب (رض) [1]:

١ -التأكيد على أنّه لم يسلم وقد مات مشركًا بمختلف الوسائل .

٢ -ابتداع احاديث ونسبتها الى رسول الله(صلى اللّهُ عليهِ وآلهِ) تؤكد على كفر أبي طالب.

٣ -الاستعانة ببعض الآيات النازلة في الكفار، وتزييف أسباب نزولها لتكون مختصة بأبي طالب. وغيرها من صور الخداع والتضليل .

لقد قدّم الباحث شواهد متعددة في هذا الصدد لا سيما بشأن الآيات واسباب نزولها الموضوعة والحقيقة لا يسع الكلام لسردها ويمكن الرجوع اليها في مضانها[2]

فدونك التأريخ وما صنع بأمير الزمان يقول ابن ابي الحديد المعتزلي: وأما الذين ليسوا بمعطلة من العرب فالقليل منهم، وهم المتألهون أصحاب التورع، والتحرج عن القبائح كعبد اللّه، وعبد المطلب، وابنه أبي طالب .. " [3]

ذكر فتح اللّه الكاشاني حديثًا ، عن النبيّ الأكرم (صلى اللّهُ عليهِ وآلهِ)أنه قال: "كان قريني في ظهر آدم و آدم في الجنة و كان قريني في ظهر نوح و نوح في السفينة و كان قريني في ظهر ابراهيم حين القى في النار و هذا قريني في ظهر اسماعيل حين اضجع للذبح ثم لم يزل ينتقل من أصلاب الطاهرين الى ارحام الطاهرات الى ان صرنا الى ظهر عبد المطلب فقسم اللّه ذلك النّور والنطفة فجعل نصفه في ظهر ابى طالب فجاء منه علي"[4]

الجدير بالذّكر أن نذكر تساؤل (محمد جواد مغنية) قائلًا: إذا كان أبو طالب يحب محمدًا ، ويؤثره على نفسه، ويستميت في نصرته، ويثق بصدقه واستقامته، وقد رأى ما رأى من كراماته قبل النبوة وبعدها ، إذا كان ذلك كله فلماذا لم يؤمن بنبوته ؟ فإن صح الزعم بأن أبا طالب غير مسلم فينبغي أن يكون هناك سر منعه من الإسلام . . . وما هو هذا السر؟ [5]

والنتيجة المتحصلة: إذا بطل القول بأن الآيتين نزلتا في أبي طالب، ولم تثبت صحة الرواية بأنّهما نزلتا في أم النّبي (صلى اللّهُ عليهِ وآلهِ) تعين قول :انّهما نزلتا في قوم من المؤمنين كانوا يستغفرون أو يحاولون

---

(١) ظ: عبد الزهرة عثمان / ابو طالب الصّحابي المفترى عليه ، ١٠٣ -١٠٤ .

(٢) ظ: عبد الزهرة عثمان / ابو طالب الصّحابي المفترى عليه/١٠٤ -١٠٩ .

(٣) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة، ١/١٢٠ ،

(٤) الكاشاني/ منهج الصادقين في الزام المخالفين ،٤/١٢٥ .

(٥) ظ: مغنية/ التفسير الكاشف ، ٤/١٠٩ .

الاستغفار لموتاهم المشركين . وظاهر الآيتين صريح في ذلك . ومعنى ذلك أن اسباب النزول يلزم التحري في نقلها في ظل تفسير القُرآن الكريم وبالتالي تساعد في الحكم على مراد الله تعالى .

ونلحظ في التّفاسير النّسويّة التبيان والتفاوت في مستوى الأخذ والتوظيف وتشغيل دائرة الفكر ومراجعة ما يتعلق بالنّص القُرآنيّ من قرائن عقلية وأخرى نقلية ، فنلحظ بنت الشاطئ لا تعول كثيرًا على أسباب النّزول ولا تبني عليها آمال البيان ، ونلحظ (زينب الغزالي) أقلت الموارد في ذلك ولها انفرادة في نقل ما كان يخدش بساحة عمّ النّبي (صلى اللّهُ عليهِ وآلهِ) فهذا ملحظ خطير اتجاه دائرتها التّفسيرية. ونرى للحام وقفة جديدة واعية اتجاه الأسباب وناقشت الرّواية وخلصت برأي قارب ساحة الرأي الراجح ، وأمّا (نائلة صبري) و (ماجدة الفارس) اكتفتا بنقل المرويات على تعدد أسبابها ولم تحكمان النّظر والتّدبر فيها في سبيل الحكم .

المبحث الثّاني : قاعدة نسخ النّصوص:

توطئة :

النّسخ في القُرآن الكريم من أبرز علوم القُرآن والتّفسير خصوصًا حيال الأخذ بجمع الآيات النّاسخة والمنسوخة ، وتعدُّ من أبرز أسس التّفسير وقواعده التي يعبأ بها المفسّر ، ولأهميته ذكر جملة من المفسّرين عن أبي عبد الرحمن السلمي:" إنّ عليًا عليه السلام مرّ بقاص يقصّ في جامع الكوفة بباب كندة فقال: هل تعلم النّاسخ من المنسوخ؟ قال: لا. قال: هَلَكْتَ وأَهْلَكت"[1] من هنا تبرز أهميّة النّسخ في العمليّة التّفسيريّة إذ يعوّل المفسّر عليه في بيان المقصود وكشف المراد من النّص القُرآنيّ .

أمّا مسألة ورود النّسخ في القُرآن فقد ولع العلماء والمفسّرون ولوعًا شديدًا حتى انقسموا إلى ثلاثة مذاهب مأخوذة من اثنتين وهي [2] :

الأول: قال بعض العلماء وقوعه في القُرآن بشكل كبير جدًا حتى أنّهم قطعوا الآية الواحدة، فقالوا: أولها منسوخ وآخرها ناسخ .

الثاني: انكار وقوعه في القُرآن وعدّ النسخ تخصيصًا تجنبًا لإبطال حكم قرآني أنزله الله تعالى.

الثالث: من أقرّ بوقوعه في القُرآن ،إلا انّهم قد اقتصروا على عددٍ قليلٍ من الآيات.

والعلم بهذا الباب ضروري للمفسر إذ لا يجوز أن يقدم على تفسير القُرآن إلا بعد الإحاطة بالنّاسخ والمنسوخ، وهو محمول على معنى النسخ في اصطلاحهم، والذي يدخل فيه تقييد المطلق، وتخصيص العام

---

(١) الثعالبي/ الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ٢٥٤/١ . ظ: القرطبي/ الجامع لأحكام القرآن،٦٢/٢ ، النّعمانيّ/اللّباب في علوم الكتاب، ٣٧٥/٢ ، السّيوطي/ الدر المنثور في التّفسير بالمأثور، ٢٥٩/١ .

(٢) ظ: د. حكمت عبيد الخفاجي / الامام الباقر عليه السلام وأثره في التّفسير، ٢٢٧ -٢٢٨ . ومصادره : ابن العربي/ أحكام القرآن ، ٢٠٥/١. الزّركشي/ البرهان في علوم القرآن، ٣٣/٢، السيوطي/ الاتقان في علوم القرآن، ٢٤/٢ – ٢٦ .

وبيان المجمل[1] وهذا عند المتقدمين كانت من جنس النّسخ وهي عند المتأخرين ليس كذلك . نعم التّخصيص نسخ جزئي إلا أنّه يختلف عن النّسخ فهو كلي ببدائل أو من دون بدائل .

المطلب الأول: بيان الجانب (التّنظيريّ) :

عُنيتِ التّفاسيرُ النّسويّة بمسألة النّسخ في القُرآن الكريم لا سيما بلحاظ الجمع بين الآيات النّاسخة والمنسوخة كقاعدة تفسيريّة ، ولم يكن بمستوى واحد فالتّفاوت بائن بينهنّ، فنلحظ الغياب التّام عند بنت الشاطئ لمسألة النّسخ بوصفه قاعدة أو علمًا ؛ وذلك كانت بمنأى عن النّصوص التي قيل في نسخها جعلها بمنأى عنه، لكن نلحظ استعمالها لمفردة النّسخ في ظل دائرة معناها اللغوي (أزال) في أكثر من موطن منها: "حتى نسخ الإسلام بنوره ظلام الوثنية وأبطل السّجود لغير الخالق"[2] وفي موطن آخر قالت: "نورًا ينسخ ظلمة الليل إذا يسرى"[3] . ونلحظ الاقلال الى حدٍ ما في تفسير (زينب الغزالي)، وبان الموقف الحاسم عند (حنان اللحام) في مدوناتها وخلصت إلى عدم وقوع النّسخ فيه الا في موردٍ واحد كما ذكرت في فصلها المخصص له في نهاية سورة التوبة[4] ، مع ما عليه من نقد وتعارض في أقوالها على ما جاء في طيّات تفسيرها كما سيظهر. ويتجلى الاستناد للقاعدة بكثرة في (المبصر لنور القُرآن) فدشّنت صاحبته هذه القاعدة وأفادت منها في التّفسير وفق مبناها في الأخذ بالنّاسخ والمنسوخ القائم على التّمسك بما ورد عن السّنة من روايات وأقوال الصّحابة . ومثلها (ماجدة الفارس) في (التوضيح والبيان في تفسير ي القُرآن) قد اكترثت لهذه القاعدة ووظفتها في بيان المراد من النص القُرآنيّ وقد فصلّت القول في بيان النّسخ، وآراء العلماء فيه ،وأقسامه وأنواعه وإمكان وقوعه ، وهذه المطالب لها حصتها في فصل (علوم القُرآن) إن شاء الله تعالى، أمّا ما يخصّ عملية الجمع بين النّاسخ والمنسوخ كقاعدة تفسيرية كانت لها مساحة واسعة في تفسيرها كما سيأتي في الجانب (التّطبيقيّ) من هذا المبحث .

المطلب الثّاني: بيان الجانب (التّطبيقيّ) :

أ - نموذج (1): قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[5]

ذكرت (زينب الغزالي) في بيان هذا النص: يأمر الله تعالى المؤمنين بتقوى الله حق تقاته، لما فيها من أهميّة في حياة المسلمين، وهي وصيّة الله في الأمم، قال عبد الله بن مسعود: (أن يطاع فلا يُعصى،

(1) ظ: السبت/ قواعد التفسير جمعاً ودراسة، ٧٢٧/١.

(2) بنت الشاطئ/ التّفسير البياني للقرآن الكريم،٣٤/٢ .

(3) بنت الشاطئ/ التّفسير البياني للقرآن الكريم، ١٢٩/٢ .

(4) ظ: حنان اللحام/ تفسير سورة التوبة/ ٢٥٨ - ٢٥٩ .

(5) آل عمران: :١٠٢ .

ويُشكر فلا يُكفر، ويذكر فلا ينسى) ولما نزلت الآية شقّ ذلك على المسلمين وقالوا يا رسول الله: ومن يقوى على ذلك فأنزل الله تعالى:﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ﴾ [1] [2]

نلحظ بجمعها للآيتين واستشهادها بقول عبد الله بن مسعود، دليل على تطبيقها للقاعدة والشّاهد على ذلك ما وظفته وذكرته من قول ابن مسعود القائل بوقوع النسخ في الآيتين وهو عين ما ذكره النّحاس [3] ذكر جملة من العلماء أن آية(١٠٢)من آل عمران منسوخة ، بآية(١٦) من سورة التغابن وهوما ذهب اليه قتادة السدوسي [4] وأنكر ذلك ابن سلّام معزوًا به عن ابن عباس [5] قال النّحاس: "فهذا لا يجوز أن ينسخ؛ لأن الناسخ هو المخالف للمنسوخ من جميع جهذه الرافع له المزيل حكمه" [6]

لذا أوضح مغنية الآية بقوله: كل من فعل الواجبات، وتجنب المحرمات فقد اتقى اللّه حق تقاته. . وعليه يكون معنى الآية مرادفًا لقوله تعالى:{فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ} ، لأن ما لا يستطاع لا يتناوله التكليف، وكل ما لا يمكن التكليف به فهو أجنبي عن التّقوى [7] يقول البلاغي: "ومن المعلوم ان اللّه لا يكلف العبد في مفردات التكاليف بما لا يقدر عليه ولا يجمع عليه منها ما هو فوق ما يقدر عليه ولا يستطيع الإتيان بجميعه . إذن فحق تقاة العبد للّه أن يتقيه في جميع ما الزمه به" [8]

ويمكن أن يكون المعنى بجمع الآيتين: أنّ الآية الثّانية شارحةٌ، وأنّ مراتب التّقوى كمراتب أصل التّكليف، كما أنّ الاخير لا يتعلق إلا بالمستطاع وينحل الى مراتب كثيرة، فكلّ مؤمن لابدّ أن يحظى بالتقوى على قدر استطاعته وطاعته [9] والجدير بالذّكر أنّ ما ذكرته المفسّرة من قولٍ لابن مسعود في تبيان التّقوى في الأصل عائدٌ إلى رسول الله (صلى اللّهُ عليهِ وآلهِ) [10] وفي هذا الجمع بين النصين لم تقرره المفسرة .

---

(١) التغابن : ١٦ .

(٢) ظ: زينب الغزالي/ نظرات في كتاب لله، ١/ ٢٣٧ -٢٣٨ .

(٣) ظ: النحاس/ الناسخ والمنسوخ/ ٦٦ .

(٤) ظ: قتادة/ الناسخ والمنسوخ/ ٣٨ .

(٥) ظ: ابن سلام/ الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز وما فيه من الفرائض والسنن/ ٥ .

(٦) النحاس/ الناسخ والمنسوخ/ ٦٦ .

(٧) ظ: مغنية/ التفسير الكاشف، ١٢٢/٢ .

(٨) ظ: البلاغي / آلاء الرحمن في تفسير القرآن، ٣٢١/١ .

(٩) السبزواري/ مواهب الرحمن في تفسير القرآن، ٢٠٢/٦.

(١٠) ظ: المقري/ الناسخ والمنسوخ/ ٦٢ .

وإذا ما التفتنا إلى بقية التّفاسير النّسويّة في ضوء هذا النّص فلم تقل بوقوع النّسخ في الآية (١٠٢) من سورة آل عمران[١] الا (نائلة صبري) حيث ذكرت جملةً من الرّوايات مفادها : أنّ سورة آل عمران لم ينسخ منها شيء إلا هذه الآية، وذكرت جملة أخرى من الرّوايات التي تقول: بنفي النّسخ منها الا عبارة (حقّ تقاته) قد نسخت ، وذلك عن ابن عباس وابن جرير، ومن المؤاخذات عليها أنّها لم تقف موقفاً يظهر منه رأيها بهذه المسألة من ترجيح أو ردّ أو مناقشة فاكتفت بعرضها[٢]

ب - نموذج (٢) : قال تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ إِن تَرَكَ خَيۡرًا ٱلۡوَصِيَّةُ لِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ ١٨٠ ﴾[٣]

ومن جملة النّصوص التي تجمع وتقرر فيها (زينب الغزالي) هذا النص القُرآنيّ قالت: قبل نزول آيات المواريث، كان من يرث ، هما الوالدان فقط، ويوصي لمن شاء من بقية ذويه، فلمّا نزلت آيات المواريث، كان للوالدين ما فرض الله لهما، كما للأبناء والأزواج والاقرب فالأقرب،أصبحت الوصية مقصورة على من يرث، ولا تكون إلا في الثلث من المال فقط. إذن فوجوب الوصية للوالدين والاقربين الوارثين: منسوخ بالإجماع، بل منهي عنه بالحديث (إنّ الله أعطى كل ذي حقٍ حقّه، فلا وصية لوارث)[٤] فالميراث مفروض مفروض من عند الله لأصحاب الفروض والعصبات. أما الاقارب الذين لا ميراث لهم ، فتجوز لهم الوصية من الثلث استئناساً بآية الوصية وشمولها[٥]

هذا الحديث ينقل عن (شهر بن حوشب) وذكر عنه الترمذي مقولة أحمد بن حنبل : "لا أبالي بحديث شهر بن حوشب"[٦]

وبالنّظر الى بقية التّفاسير النّسوية نلحظ أن (حنان اللحام) لم تصرّح بنسخ الآية لكنّها قالت: كيف نجمع بين الحديث القائل:(لا وصية لوارث) وبين الآية، قالوا: يؤخذ بالحديث إذا كان الورثة متساويين (في القدرة الغنى)، ويؤخذ بالآية إذا كان بينهم عاجزون أو فقراء (كالوالدة المطلقة، العاجز من الكسب من الأخوة،..) [٧] ، الأخذ بالآية فهو توجيه لم تذكر له حجة. لكنّها في ختام تفسير سورة التوبة[٨] عقدت

---

(١) ظ: حنان اللحام/من هدي سورة ال عمران/ ١١٤ -١١٥، ماجدة الفارس/ التوضيح والبيان في تفسير آي القرآن،٢/ ٢٢٢ -٢٢٣.

(٢) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن، ١٨/٤/٢ .

(٣) البقرة :١٨٠ .

(٤) الترمذي/ سنن الترمذي، حديث(٢١٢١) ، ٣/ ٥٢١ .

(٥) ظ: زينب الغزالي/ نظرات في كتاب الله، ١٠٣/١ -١٠٤ .

(٦) الترمذي/ سنن الترمذي، حديث(٢١٢١) ، ٣/ ٥٢١ .

(٧) ظ: حنان اللحام/ من هدي سورة البقرة، ٣٥٦.

(٨) (تفسير سورة التّوبة):هي آخر سورة فسّرتها ضمن سلسلة السّور التي ظهر مدادها الى النّور وبالتالي يعتبر رأيها في المسألة هو آخر ما استقرّت عليه .

عقدت فصلًا حول النّسخ وناقشت جملة من النّصوص منها آية الوصيّة إذ تقول: إنّ الآية غير منسوخة بآية المواريث لأنّها لا تعارضها بل تؤيدها ولا دليل على أنّها نزلت بعدها. ولا بالحديث لأنه لا يصلح لنسخ الكتاب فهي محكمة وحكمها باق..[١] أمّا (نائلة صبري) قالت: بنسخ اية الوصية بآية الميراث[٢]، و(ماجدة الفارس) أيضًا قالت: بنسخ الآية بالحديث[٣]

ما ردّ به السّيد الخوئي كافٍ حيث يقول: والحقّ: أنّ الآية ليست منسوخة أما القول بنسخها بآية المواريث، فيرده أن الآيات قد دلّت على أنّ الميراث مترتب على عدم الوصية، وعدم الدين. ومع ذلك فكيف يُعقل كونها ناسخة لحكم الوصية؟ وقد قيل: في وجه النّسخ للآية: إن الميراث في أول الاسلام لم يكن ثابتًا على الكيفية التي جعلت في الشريعة بعد ذلك ، وإنّما كان الإرث يدفع جميعه للولد، وما يعطى الوالدان من المال فهو بطريق الوصية فنسخ ذلك بآية المواريث . وهذا القول مدفوع[٤] :

- أنّ هذا غير ثابت، وإن كان مرويًا في صحيح البخاري، لان النّسخ لا يثبت بخبر الواحد إجماعًا
- أنّه موقوف على تأخّر آية المواريث عن هذه الآية، وأنّى للقائل بالنّسخ إثبات ذلك؟
- أنّ هذا لا يتم في الأقربين، فإنّه لا إرث لهم مع الولد، فكيف يعقل أن تكون آية المواريث ناسخة لحكم الوصية للأقربين ؟ وعلى كلٍ فإنّ آية المواريث من حيث ترتبها على عدم الوصيّة تكون مؤكّدة لتشريع الوصيّة ونفوذها ، فلا معنى لكونها ناسخة لها .

وأمّا دعوى نسخ الآية بالرّواية المتقدّمة فهي أيضًا باطلة على حد وصف السيد الخوئي وذلك من وجوه[٥] :

- ان الرواية لم تثبت صحتها ، والبخاري ومسلم لم يرضياها ، وقد تكلم في تفسير المنار على سندهما[٦] سندهما[٦] وقد قال رشيد رضا: "ولما كان الخلاف هنا ضعيفًا جدًا احتاج القائلون بنسخ حديث (لا وصية لوارث) لآية الوصية إلى زعم تواتره بتلقي الأمة له بالقبول، وقد علمت أن هذا غير صحيح" [٧]
- أنها معارضة بالروايات المستفيضة عن أهل البيت (عليهم السلام) الدالة على جواز الوصية للوارث . ففي صحيحة محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال : سألته عن الوصية للوارث فقال : تجوز . قال : ثم تلا هذه الآية :{إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ}. وبمضمونها روايات أخرى [٨]

---

(١) ظ: حنان اللحام/ تفسير سورة التوبة، ٢٥٤ .

(٢) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن، ٧٥/٢/١ .

(٣) ظ: ماجدة الفارس/ التوضيح والبيان في تفسير آي القرآن ، ١/ ١٧٩.

(٤) ظ: الخوئي/ البيان في تفسير القرآن، ٢٩٨ .

(٥) ظ: الخوئي/ البيان في تفسير القرآن، ٢٩٨ -٢٩٩ .

(٦) ظ: محمد رشيد رضا/ تفسير المنار، ١٣٨/٢. نقلاً عن : الخوئي/ البيان في تفسير القرآن/ ٢٩٨ .

(٧) ظ: المصدر نفسه ، ١٣٨/٢ .

(٨) ظ: الفيض الكاشاني/ الوافي، ١٧/١٣ . نقلاً عن : الخوئي/البيان في تفسير القرآن/٢٩٩ .

- أن الرواية لو صحت ، وسلمت عن المعارضة بشيء فهي لا تصلح لنسخ الآية ، لأنها لا تنافيها في المدلول . غاية الأمر أنّها تكون مقيدة لإطلاق الآية فتختص الوصية بالوالدين إذا لم يستحقا الإرث لمانع ، وبمن لا يرث من الأقربين وإذا فرض وجود المنافاة بينها وبين الآية فقد تقدم : أن خبر الواحد لا يصلح أن يكون ناسخًا للقرآن بإجماع المسلمين، فالآية محكمة وليست منسوخة .

كما وأنّ الوصية مطلقة بالقُرآن، وتقيدت بـ(الثلث) عن طريق الرّواية وفق مدرسة أهل البيت عليهم السلام ومدرسة الصّحابة . كما يمكن الجمع بين آية (الوصية) وحديث(لا وصية) بأنّه تخصيص النَّفي (لا وصية) جائز أو على الثلث .

ت - نموذج (٣) : قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ ﴾ [١]

ذكرت (حنان اللحام): أنّ ابن كثير يقول: عن الآية أنها منسوخة بآية القصاص : ﴿ وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ ﴾[٢] لكن صاحب الظلال يقول: الذي يظهر لنا أنّ موضع هذه الآية غير موضوع آية النفس النفس بالنفس .. وأنّ لكل منهما مجالًا غير مجال الأخرى، فآية المائدة مجالها الاعتداء الفردي، من فرد على فرد أو من أفرادٍ عل أفراد .أما مجال هذه الآية الاعتداء الجماعي حيث تعتدي قبيلة على قبيلة ..[٣]

نلحظ أن المفسرة قدّمت رأي ابن كثير القائل بوقوع النّسخ في آية القصاص من سورة البقرة بآية المائدة الناسخة ، واستدركت على ذلك بقول سيد قطب الذي اعترض على القول بالنّسخ وبرر لذلك بما تقدم . ومن هذا يظهر أنّ المفسرة لم تعبأ بوقوع النّسخ في الآية استنادا منها على ما تبنّاه سيد قطب ، ويبدو أنّ المفسرة في هذا الموطن مارست النّقد التّفسيري .

أمّا بقية التّفاسير النسويّة لم نلحظ عند (زينب الغزالي) أية أمارة لمسألة النّسخ بلحاظ الجمع، أمّا (نائلة صبري) جمعت بين الآيتين ولم تصرّح بوقوع النّسخ بينهما فقالت: أن يكون قصاصًا متكافئًا عادلًا ومساويًا ، فلا تفاضل في الأنفس، قال تعالى:﴿ وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ ﴾[٤]، ثم قالت: أمر الله الله سبحانه تعالى بالعدل والمساواة وذلك بأنْ يقتل من قتل [٥]

ويبقى أن ننظر الى ما قالته (ماجدة الفارس) : هذه الآية تبيّن: نوع الحكم إذا قتل نوعه أي تبيّن: حكم الحر اذا قتل حرًا ، وحكم العبد إذا قتل عبدًا ، وحكم الانثى إذا قتلت أنثى، ولم تتعرض هذه الآية

---

(١) البقرة :١٧٨.

(٢) المائدة :٤٥ .

(٣) ظ: حنان اللحام/ من هدي سورة البقرة/ ٣٥٠ .

(٤) المائدة :٤٥ .

(٥) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن، ٧٠/٢/١ .

لحكم أحد هذه الانواع إذا قتل الآخر؛ لأنّ الآية المحكمة التي فيها إجمال ذلك قوله تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ ﴾ وقد ثبت أنّ النّبيّ قتل يهوديًا لقتله جارية من الأنصار[١] وهذا الرأي ذكره الرّازي في تفسيره : فالآية محكمة وفيها إجمال يبيّنه قوله تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ ﴾ وبيّنه النّبيّ (صلى اللّهُ عليهِ وآلهِ) بسنته لما قتل اليهودي بالمرأة [٢]

وفي ضوء ما تم ذكره يظهر من التّفاسير النّسوية عدم وقوع النّسخ بين النّصين إذا لا تنافي بينهما وقد أكّد الطّوسي بقوله: إنّ هذه الآية ليست منسوخة، لان ما تضمنته معمول عليه ولا ينافي قوله تعالى:﴿ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ ﴾لأنّ تلك عامّة، ويمكن بناء تلك على هذه ، ولا تناقض ولا يحتاج إلى أن ينسخ إحداهما بالأخرى[٣] وهو ما اطمئنَّ له الخوئي : والحق : أن الآية الأولى محكمة ولم يرد عليها ناسخ ، والوجه في ذلك : أن الآية الثّانية مطلقة، وعلى كل فإن لم تكن الآية في مقام البيان من حيث خصوصية القاتل والمقتول، بل كانت في مقام بيان المساواة في مقدار الاعتداء فقط، على ما هو مفاد

قوله تعالى:﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ [٤] [٥] .

ث - نموذج (٤) : قال تعالى:﴿ وَٱلَّٰتِي يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُواْ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ ۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴾ [٦]

ومن الموارد الوحيدة التي أكّدت (حنان اللحام) بنسخها حيث قالت: فإن تأملنا وجدنا أننا لا تستطيع الجزم بالنّسخ إلا في واحدة وهي الآية التي تنصّ على عقوبة الفاحشة، وقد نسخها قوله تعالى: ﴿ ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ ﴾[٧] و (زينب الغزالي) قالت بذلك أيضًا [٨] وأيضًا قالت به (نائلة صبري)[٩] وأمّا (ماجدة الفارس) لها رأي آخر حيث قدمت تساؤلًا : تساؤلًا : هل آية الحبس منسوخة بآية سورة النور في بيان حد الزانية؟

---

(١) ظ: ماجدة الفارس/ التوضيح والبيان في تفسير ي القرآن، ٢٨٩/١ .

(٢) ظ: الرازي/ مفاتيح الغيب، ٢٤٦/٢.

(٣) ظ: الطوسي/ التّبيان في تفسير القرن، ١٠٢/٢ .

(٤) البقرة :١٩٤ .

(٥) ظ: الخوئي/ البيان في تفسير القرآن/ ٢٩٣.

(٦) النّساء :١٥ .

(٧) النّور : ٢ .

(٨) ظ: زينب الغزالي/ نظرات في كتاب الله ، ٢٨٨ .

(٩) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن، ٢/ ٤/ ٢١٩.

قالت :على قول المحقّقين المتأخرين من الأصوليّين، النّسخ يكون في الأمرين المتعارضين من كلّ وجه، ولا يمكن الجمع بينهما، ولكن الجمع بين الحبس والجلد والتعبير أمر ممكن فالآية ليست منسوخة إنّما هي لغاية نزول آيات النّور، قاله السّعدي والقرطبي في تفسيره[١] وهنا نلحظ تناقضًا واضحًا بين هذا التفسير والرأي الرافض لوقوع النسخ ،وبين ما قالت في موطن آخر بوقوعه [٢] ويمكن مناقشة قول النّسخ النّسخ في هذا النّص القُرآني من جوانب متعددة :

الجانب الاول: حمل المفسرون القائلون بالنسخ أخذ مفردة (الفاحشة) بالزنا دون غيرها من المعاني في حين أنها تدل على الزنا وغيره ، لذا قالوا : إنّ الفاحشة: اسم لكل فعل قبيح، بل لكل ما اشتد قبحه من المعاصي وهي مصدر كالعافية والعاقبة. وهي إمّا تصدر من الذكرين وتسمى باللواط أو تصدر من الأنثيين وتسمى مساحقة أو بين الذكر والأنثى وتسمى بالزنا، وقد استعملت في القُرآن الكريم في جميع تلك الموارد ففي الزنا قال :﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾[٣]وفي اللواط والسّحق قال تعالى:﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾[٤] ، فلا ظهور للفظ الفاحشة في خصوص الزنا لا وضعًا ولا انصرافًا [٥].

الجانب الثاني: يقول الخوئي: ثم إنّ الالتزام بالنّسخ في الآية الأولى يتوقف على أمرين[٦]

أولًا : على أن الامساك في البيوت حد لارتكاب الفاحشة .

ثانيًا: على أن يكون المراد من جعل السّبيل هو ثبوت الرّجم والجلد وكلا هذين الأمرين لا يمكن إثباته، فإنَّ الظاهر من الآية أن إمساك المرأة في البيت إنّما هو لتعجيزها عن الفاحشة مرة ثانية، وهذا من قبيل دفع المنكر ، كما أن الظاهر من جعل السبيل للمرأة هو جعل طريق لها تتخلص به من العذاب، فكيف يكون منه الجلد والرّجم، وهل ترضى المرأة العاقلة الممسكة في البيت مرفهة الحال أن ترجم وتجلد، وكيف يكون الجلد أو الرّجم سبيلًا لها وإذا كان ذلك سبيلًا لها فما هو السبيل عليها ؟ !.

الجانب الثالث: توجيه النّص : المراد من الفاحشة خصوص المساحقة، كما أن المراد بها في الآية الثانية خصوص اللواط، وقد يكون المراد منها ما هو أعم من المساحقة والزنا، وعلى كلا هذين الاحتمالين يكون الحكم وجوب إمساك المرأة في البيت حتى يفرج الله عنها، فيجيز لها الخروج بسبب من الأسباب

---

(١) ظ: ماجدة الفارس، التّوضيح والبيان في تفسير آي القرآن، ٤٩٨/٢ .

(٢) ظ: المصدر نفسه، ١٧٨/١ .

(٣) الإسراء ٣٢ .

(٤) الأعراف :٨٠ .

(٥) ظ: الخوئي/ البيان في تفسير القرآن/ ٣١١، السبزواري /مواهب الرحمن في تفسير القرآن، ٧/ ٣٦٢

(٦) ظ: الخوئي/ البيان في تفسير القرآن/ ٣١١ .

التي يؤمن معها من ارتكاب الفاحشة. وهذا الحكم باق مستمر، وأمّا الجلد أو الرّجم فهو حكم آخر شرع لتأديب مرتكبي الفاحشة، وهو أجنبي عن الحكم الأول ، فلا معنى لكونه ناسخًا له[١] .

وقال صاحب المواهب: ان يكون المراد من الفاحشة في الآية الأولى المعنى الأعمّ من الزّنا والمساحقة وهو احتمال حسن أخذًا بالعموم الوضعي للفظ الفاحشة فيكون الحكم المذكور في الآية الشريفة مجملًا تبينه الآيات التي وردت في الحدود وما ورد في السنة الشريفة . وأمّا الآية الثانية فيجري فيها ما يجري في الآية الأولى أيضًا ،إلا أن المراد بالفاحشة فيها إمّا اللواط أو التّفخيذ أو الزّنا، والأولى هو التّعميم أيضًا ،فيكون الحكم فيها مجملًا تبيّنه السّنة المقدسة وما ورد في سورة النور[٢]

ومن جملة العلل التي ذكرها الشّيرازي في الامثل بنفي النّسخ عن المورد، لأنّ النّسخ إنّما يكون في الأحكام التي ترد مطلقة من أول الأمر لا التي تذكر مؤقتة ومحدودة كذلك، والحكم المذكور (أي الحبس الأبدي)، أي أنّه حكم مؤقت محدود، وما نجده في بعض الروايات من التّصريح بأن الآية الحاضرة قد نسخت بالأحكام التي وردت في عقوبة مرتكبي الفاحشة، فالمراد منه ليس هو النسخ المصطلح، لأن النّسخ في لسان الروايات والأخبار يطلق على كل تقييد وتخصيص[٣]

ج - نموذج (٥) : قال تعالى:﴿ فَمَا ٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهِۦ مِنۡهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةٗۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا تَرَٰضَيۡتُم بِهِۦ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡفَرِيضَةِۚ ﴾[٤]

قالت (ماجدة الفارس) في تفسيرها: سمّى اللّه النّكاح استمتاعًا؛ لأنّ فيه منفعة دنيويّة وجميع منافع الدنيا متاع، قال تعالى:﴿ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٞ ٢٦ ﴾[٥]، ثم قالت: وذكر كثير من المفسّرين أنّها نزلت في(نكاح المتعة) ويؤيد ذلك قراءة أُبيّ بن كعب وابن عباس وسعيد بن جبير: (فما استمتعتم به منهُنّ الى أجلٍ مسمّى فآتوهنّ) ففي صحيح مسلم من حديث سَبرة بن معبد الجهميّ عن النّبيّ(صلى اللّهُ عليهِ وآلهِ)أنه قال يوم فتح مكة: "يا أيّها الناس إنّي كنت أذنت لكم في الاستمتاع من النّساء، واللّه قد حرم ذلك إلى يوم القيامة" هذا هو النّاسخ لنكاح المتعة[٦]

---

(١) ظ: المصدر نفسه، ٣١١

(٢) ظ: السبزواري /مواهب الرحمن في تفسير القرآن، ٧/ ٣٦٢ .

(٣) ظ: الشيرازي/ الأمثل في تفسير كتاب اللّه المنزل، ١٥٠/٣ .

(٤) النساء :٢٤ .

(٥) الرعد :٢٦ .

(٦) ظ: الشيرازي/ الأمثل في تفسير كتاب اللّه المنزل، ١/ ١٤ -١٥ .

آراء التّفاسير النسويّة: (زينب الغزالي) قالت : "فقد أحلّ لكم أن تنكحوا الازواج نكاحًا شرعيًّا بالطّريق الذي رسمه الله من واحدة الى أربع"[١] هذا الكلام لا يصدق إلا على الزّواج الدّائم وذلك بتحديدها من الواحد الى الأربعة، وكذا إشارتها الى المهر والصّداق .

أمّا رأي (حنان اللحام) في تفسيرها الآية: يؤكّد على فرضيّة المهر وحق المرأة فيه. قال بعض المفسرين: بأنّ الآية تتحدث عن زواج المتعة الذي كان معروفًا - وهو زواج مؤقت المدة - ثم حرّمه الرّسول (صلى اللّهُ عليهِ وآلهِ) ونهى عنه. وقد رخّص به ابن عباس [٢] وعن تفسيرها يتّضح ما يأتي:

١ -أنّها فسّرت الآية على أساس الزّواج الدائم وهي تلحظ فيه اهميّة المهر وحق المرأة فيه .كما صرّحت بعدم وقوع النسخ في القُرآن إلا في آية واحدة كما مرّ، لذا لو أنّ في دلالة الآية شيءٌ من معنى (نكاح المتعة) لقالت بنسخها، لكنها لا ترى أصل الموضوع فيها، فهي سالبة بانتفاء الموضوع كما يعبر المناطقة .

٢ -ذكرت رأي بعض المفسرين القائل بدلالته على (زّواج المتعة) وذكرت عن صحيح مسلم نهي الرّسول (صلى اللّهُ عليهِ وآلهِ) عنه في يوم خيبر.

أما (نائلة صبري) تفسيرها للآية تحت عنوان(أحكام فقهيّة) وتحديدًا في النقطة الثامنة قالت: لا يجوز للرجل أن يتزوج إلى أجلٍ مسمّى ليلة أو ليلتين..، فهذا يسمّى (النّكاح المؤقت) وهو باطل، وشبّهته بالزّنى، وفي نقطة أخرى قالت: باطل على رأي جمهور العلماء، وقالت بنسخ الآية بالسّنة على نهي النّبي يوم خيبر[٣] ومن ذلك يظهر :

١ - دلّت الآية عندها على الزّواج المؤقت (نكاح المتعة) .

٢ - وصفته بالزّنى استكراهًا منها وحكمت ببطلانه.

٣ - استدلّت بقول (عمر) بالرّجم لمن يفعله .

٤ - أقرّت به على عهد رسول الله(صلى اللّهُ عليهِ وآلهِ) ثم قالت بنسخه في خيبر وفتح مكة .

وتماشيًا مع ما تقدّم من آراء التّفاسير النّسويّة يتلخص بالآتي:

١ - (زينب الغزالي) و (حنان اللحام) لم يقرّا بدلالة الآية على (نكاح المتعة) وإنّما يدلّان على الزّواج الدّائم كما اتّضح سابقًا.

٢ - (نائلة صبري) و(ماجدة الفارس) قالتا بدلالة الآية على (الزّواج المؤقت) لكن حكمها منسوخًا بالسّنة بما ورد عن النّبي(صلى اللّهُ عليهِ وآلهِ) من نهيّ .

ويمكن مناقشة هذين الأمرين :الأول : اثبات دلالة الآية على (نكاح المتعة):

---

(١) زينب الغزالي/ نظرات في كتاب الله، ١/ ٢٩٣ .

(٢) حنان اللحام: من هدي سورة النساء/ ٩٨ .

(٣) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن، ١٨/٥/٣ -١٩.

النكتة الأولى: دلّت الآية الكريمة على نكاح المتعة وحليته، قال المفيد(٤١٣هـ): مستدلًا بالآية لما سئل عن حليته قال : فأحلّ جلّ اسمه نكاح المتعة بصريح لفظها، وبذكر أوصافه من الأجر عليها والتّراضي بعد الفرض له من الازدياد في الأجل، وزيادة الأجر فيها، ثم إنّ الاستمتاع وإن كان في الأصل هو الالتذاذ فإنّه إذا علّق بذكر النّكاح وأطلق بغير تقييد، لم يرد به إلّا نكاح المتعة خاصّة، لكونه علما عليها في الشّريعة وتعارف أهلها [١] وقال السيوري : "ولا خلاف في أنّ النّكاح المشروط بالأجل والمهر، يسمّى متعة ، وفاعله متمتع"[٢]

إنّ لفظ الاستمتاع إذا أطلق لا يستفاد به في الشّرع إلا العقد المؤجّل، ألا ترى أنّهم يقولون: فلان يقول بالمتعة، وفلان لا يقول بها، ولا يريدون إلا العقد المخصوص .. أنه لو كان المراد به عقد النّكاح الدّائم لوجب لها جميع المهر بالعقد نفسه، لأنّه قال:{فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ} يعني مهورهن، عند أكثر المفسرين، وذلك غير واجب بلا خلاف، وإنّما يجب الأجر بكماله في عقد المتعة[٣] وبمعنى آخر أنّه : لو لم يكن المراد المتعة المذكورة، لم يلزم شيء من المهر من لا ينتفع من المرأة الدائمة بشيء، واللّازم باطل فكذا الملزوم، أمّا بطلان اللّازم، فللإجماع على أنّه لو طلّقها قبل أن يراها وجب نصف مهرها وأمّا بيان الملازمة، فإنّه علّق وجوب إيتاء الأجرة بالاستمتاع ، فلا يجب بدونه [٤]

النكتة الثّانية: المتعين أن الاستمتاع في الآية على نكاح المتعة لدورانه بهذا الاسم عندهم يوم نزول الآية ..، أنّ المفهوم من الآية حكم نكاح المتعة وهو المنقول عن القدماء من مفسري الصحابة والتابعين وهو مذهب أهل البيت عليهم السلام. ومنه يظهر فساد ما ذكره بعضهم في تفسير الآية أن المراد بالاستمتاع هو النّكاح[٥]

والجدير بالذكر أن خاتمة الآية فيها ملحظ مهم أشار اليه السّيوريّ: بقوله : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾﴾ في الأزل بمصالحكم، ومن جملة ذلك نكاح المتعة (حكيمًا) واضعًا للأشياء مواضعها، فوضع عقد المتعة لكم لئلا تقعوا في الزّنا واللواط[٦] كما ذكر الطبري معنى الآية عن مجاهد: قال: يعني نكاحَ المتعة.[٧] وذكر الثعلبيّ: روى شعبة عن الحكم قال: سألته عن هذه الآية: أمنسوخة هي؟ قال: لا. قال الحكم: قال علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه: لولا أن عمر نهى عن المتعة ما زنا إلّا شقي[٨]

---

(١) المفيد ، تفسير القرآن المجيد/ ١٤١ ، ١٤٤ .

(٢) السّيوري/ كنز العرفان في فقه القرآن، ١٤٩/٢ .

(٣) ظ: الطوسيّ/ التّبيان في تفسير القرآن، ١٦٦/٣ .

(٤) ظ: السيوريّ/ كنز العرفان في فقه القرآن، ١٤٨/٢ .

(٥) ظ: الطباطبائي/ الميزان في تفسير القرآن، ٢٧٢/٤ .

(٦) السّيوريّ/ كنز العرفان في فقه القرآن، ١٤٨/٢ .

(٧) ظ: الطبري/ جامع البيان في تأويل القرآن ، ١٧٦/٨ .

(٨) الثعلبيّ/ الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ٢٨٦/٣ .

وممّا تقدم يتّضح أن القول في دلالة الآية بالنّكاح لا يصدق وهذا ما فسّرته بعض التّفاسير النّسوية وهو ما عليه جمع من المفسرين من المدرستين . وقد وصف القائل بدلالة النّص بغير زواج المتعة بالشّاذ . بعد ان اتفق السّنة والشيعة على ان الإسلام شرّع المتعة واختلفوا في نسخها وتحريمها بعد الجواز والتحليل ؟ .قال السّنة : حرمت بعد أن كانت حلالًا . . وقال الشّيعة : كانت حلالًا ، ولا تزال إلى آخر يوم . . وبديهة ان على السّنة أن يثبتوا النّسخ والتّحريم من الرّسول (صلى اللّهُ عليهِ وآلهِ)، لأنّهم يدعون زوال الشيء الثابت بطريق القطع واليقين، أمّا الشّيعة فلا يتكلفون بالإثبات على عدم النّسخ ، لأنّ ما ثبت باليقين لا يزول إلا بيقين مثله [١] .

الثّاني : ردّ وقوع النّسخ في الآية بطريق السّنة :

وأمّا الخبر الذي يروونه أنّ النبي (صلى اللّه عليه وآله) نهى عن المتعة ، فهو خبر واحد لا يترك له ظاهر القُرآن، ومع ذلك يختلف لفظه وروايته فتارة يروون أنّه نهى عنها في عام خيبر، وتارة يروون أنّه نهى عنها في عام الفتح، وقد طعن أيضاً في طريقه بما هو معروف [٢] "فمن ادعى نسخها فعليه الدلالة وبعد فإن كل ما ما يوردونه أخبار آحاد وفيها اضطراب" [٣] يقول الزلميّ: "ثبوت كلّ آية في القُرآن قطعيّ بالتّواتر وما يثبت يثبت وجوده قطعيًا لا يثبت زواله إلا بدليلٍ قطعي، لا بالإجتهادات الظنيّة ولا بأخبار الآحاد" [٤] وعلى سبيل سبيل تأكيد الحكم لا مانع من خبر الواحد، يقول السّيوري:"أنّه إذا لم يثبت قرآنًا فما المانع أن يثبت به الحكم، ونحن نقنع بخبر الواحد في هذه الصّورة، خصوصًا مع تأكّده بإجماع أهل البيت ورواياتهم" [٥] وللشافعي رأي في عدم إمكان وقوع النّسخ في القُرآن بالسّنة [٦]

وفضلًا عمّا تقدّم لخّص الخوئي الجواب على من قال بنسخ الآية بطريق السّنة بالآتي [٧] :

١ - إنّ النّسخ لا يثبت بخبر الواحد .

٢ - إنّ هذه الرّوايات معارضة بروايات أهل البيت عليهم السلام المتواترة التي دلّت على إباحة المتعة ، وأنّ النّبيّ لم ينه عنها أبدًا .

٣ - إنّ ثبوت الحرمة في زمان ما على عهد رسول الله (صلى اللّهُ عليهِ وآلهِ) لا يكفي في الحكم بنسخ الآية، لجواز أن يكون هذا الزّمان قبل نزول الإباحة ، وقد استفاضت الرّوايات من طرق أهل السّنة على

---

(١) ظ: مغنية/ التّفسير الكاشف، ٢٩٦/٢ .

(٢) ظ: الطوسيّ/ التّبيان في تفسير القرآن، ١٦٦/٣ .

(٣) ابن شهر آشوب/ متشابه المختلفه، ١٨٩/٢ .

(٤) الزلمي ، مصطفى ابراهيم / التّبيان لرفع غموض النسخ في القرآن، ٧.

(٥) السيوري/ كنز العرفان في فقه القرآن، ١٥٣/٢ .

(٦) ابن العتائقي/ النّاسخ والمنسوخ، ٥٣ .

(٧) ظ: الخوئي / البيان في تفسير القرآن، ٣١٨ .

حلية المتعة في الأزمنة الأخيرة من حياة رسول الله (صلى اللهُ عليهِ وآلهِ)إلى زمان من خلافة عمر، فإن كان هناك ما يخالفها فهو مكذوب ولا بدّ من طرحه.

ومن نافلة القول : قال صاحب المنار: " إنّ بعض الصّحابة كابن مسعود على هذا الرأي الذي ذهب إليه الإماميّة -ثم قال صاحب المنار -: ولولا ما اختاره الأستاذ الإمام -يريد ان الشيخ محمد عبده اختار غير مذهب الإماميّة -لكان قول الإماميّة أرجح من مذهب جمهور أهل السنة "[1] وعلق مغنية عليه : فالسيد رشيد يعترف بأن قول الإماميّة أرجح من مذهب السّنة، ومع ذلك يرفضه لا لشيء إلا لأن أستاذه لم يقل به . . وغريب هذا من أمثال السّيد رشيد الذي نعى في تفسيره على التّقليد والمقلّدين، حتى أخرجهم من الدين [2]

وعند مراجعة كلام صاحب المنار في الحقيقة لم أظفر على كلامه في التّفسير لكن وجدت أنّ الشيخ الدكتور احمد الوائلي في كتابه (من فقه الجنس في قنواته المذهبية) ينسبه إلى صاحب المنار في تفسيره في طبع (مصر/ دار المنار) في الجزء الاول عند تفسيره الآية ١٦٥ من سورة البقرة [3] وبهذا نطمئن لما جاء في تفسير الكاشف وما يؤيده الدكتور أحمد الوائلي .

يظهر ممّا تقدّم أنّ (النّسخ) بلحاظ الجمع بين آياته الناسخة والمنسوخة كان حاضرًا عند أغلب المفسّرات وقد نوقشت تلك الموارد المختارة ومنها، بان اعتماد التّفاسير النّسويّة على قاعدة الجمع بين النّاسخ والمنسوخ وهي نقطة التقاء عند بعض المفسّرات من (حنان اللحام، ونائلة صبري، ماجد الفارس) وافتراق عند (بنت الشاطئ و زينب الغزاليّ) .

---

(١) مغنية / التفسير الكاشف، ٢/ ٢٩٣ .

(٢) ظ: المصدر نفسه، ٢٩٣/٢ .

(٣) ظ: الوائلي، د. أحمد ، من فقه الجنس في قنواته المذهبية، ٢٠٣ .

المبحث الثّالث : قاعدة الوجوه والنّظائر

توطئة :

تعدّ الوجوه والنّظائر من أهم علوم القُرآن، وصنف فيه قديمًا من أمثال مقاتل بن سليمان وجمع فيه من المتأخرين ابن الزاغوني وأبو الفرج بن الجوزي والدامغاني الواعظ و ابن فارس ،فالوجوه :اللفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معانٍ[١] يطلق عليه في علوم القُرآن بهذا الاسم، وفي قواعد التّفسير بالمشترك[٢] وقد عبّر عنها أيضًا كقاعدة تفسيريّة[٣]

وقد عدّها بعضهم: (الأسماء المشتركة في اللفظ) هي من المتشابه ويسميها أهل التّفسير (الوجوه والنّظائر) وصنفوا فيها كتبًا، فالوجوه في الأسماء المشتركة والنّظائر في الأسماء المتواطئة[٤] وابن الجوزي يقول: "وَأعلم أَن معنى الوُجُوه والنّظائر أَن تكون الكَلِمَة وَاحِدَة، ذكرت فِي مَوَاضِع من القُرآن على لفظ وَاحِد، وحركة وَاحِدَة، وَأُرِيد بكُل مَكَان معنى غير الآخر، هُوَ الوُجُوه"[٥] والطريق في تحديد المراد منها قالوا : ولا شك في جواز استعمال اللفظ المشترك في أحد معانيه بمعونة القرينة المعيّنة[٦] وأمّا النّظائر: هي كلّ كلمة ذُكرت في موضع وذكر نظيرها في موضع آخر[٧]

ولمّا كان علم الوجوه والنّظائر أحد أشكال التّفسير للقرآن الكريم[٨] فقد عمدت التّفاسير النّسويّة الالتفات إليه؛ لتجمع من تلك الألفاظ التي تحمل أكثر من وجه في المعنى في ضوء (الوجوه) وتحيل في بيان بعض النّصوص القُرآنيّة إلى نظيراتها ومثيلاتها من النّصوص القُرآنيّة الأخرى في ضوء(النّظائر). والبحث بهذا الصدد يكمن في أمرين :

الاول: إنّ الوجوه والنّظائر علم يُعتّد به في مباحث علوم القُرآن وفي التّفسير كقاعدة دشنها المفسّرون. كما أنّه علم خاص متفرع على علم التفسير، ومتصل موضوعه بعلوم العربيّة والقُرآن الكريم[٩]

الثاني : أنّ التّفاسير لا سيما النّسويّة منها مليئة بالخلافات في توجيه كثير من الألفاظ ذات تعدد في الدلالة، وتحديد الدلالة من كل موضع أو سياق دون غيره من الوجوه المحتملة لتلك المفردة ، ولنلحظ مدى دور المفسّر في انتقاء تلك الدلالة بهذا الصدد.

---

(١) ظ: الزركشي/ البرهان في علوم القرآن، ١٠٢/١.

(٢) ظ: الميبدي / قواعد التفسير لدى الشيعة والسنة/ ٢٢٠ .العك/ أصول التفسير وقواعده/ ٣٧٩ .

(٣) ظ: هاشم أبو خمسين/ المدخل الى التّفسير الموضوعيّ/ ٦٦.

(٤) ظ: ابن تيمية/ الإكليل في المتشابه والتأويل/١٤ .

(٥) ابن الجوزي/ نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر/٨٣ .

(٦) ظ: الميبدي / قواعد التفسير لدى الشيعة والسنة/ ٢٢١ .

(٧) ظ: الدامغانيّ/ الوجوه والنظائر/ ١٧ . نقلاً عن : أبو خمسين/ المدخل إلى التفسير الموضوعيّ/ ٦٧.

(٨) ظ: أبو خمسين/ المدخل الى التّفسير الموضوعيّ/ ٦٦ .

(٩) ظ: سلوى محمد العوا / الوجوه والنظائر في القرآن الكريم / ١٨ .

وبعد هذه التّوطئة يمكن للبحث بسط الكلام عن هذه القاعدة وفق المطلبين الآتيين :

المطلب الأوّل: بيان الجانب (التّنظيريّ) :

اهتمّت بنت الشّاطئ بإيراد الوجوه للمفردة القُرآنيّة الواحدة بما تحمله من معانٍ، قال بها المفسّرون على اختلافها فيما بينها، وكانت على وعي من هذه المعاني لتلك المفردة ،مناقشةً إيّاها، ثم تَخلُص من ذلك بوجه ترتضيه وتسوق عليه الأدلة والقرائن المطمئنة بطرق مختلفة لا سيما الاستقراء القُرآني والسياق العام للفظة وسياقها داخل السّورة والآية. كما نلحظ تّعاملها مع النّظائر القُرآنية في أكثر من موطن ، حيث تعرض النّص القُرآني بلحاظ وجهٍ ما، ثم تسعفه بنظيراتها من الآيات المماثلة لها . كي تطمئنَّ إلى الوجه الذي انتقته من بين الوجوه التي تعرضها من آراء المفسّرين . ونلحظ لها بيانًا في تقديمها لكتاب الوجوه والنّظائر في القُرآن الكريم لسلوى محمد العوا وصفت لنا الوجوه والنّظائر في دائرة ظاهرة التّعدد الدّلالي في القُرآن الكريم[1]

لا تختلف (زينب الغزالي) عن المفسّرين والمفسّرات في هذا الجانب فلها مع قاعدة(الوجوه والنظائر) علاقة ورحلة في تفسيرها فهي تلحظ المعاني أو الوجوه المتعلقة بالمفردة الواحدة، وعلى قلّتها كانت بعض الأحيان تختار. منها ما رجحته في تفسيرها (الكلمات) التي ابتلى الله بها إبراهيم عليه السلام[2] ، وفي بعضها الأخر تترك الأمر وموارِدها كثيرة، كما ونلحظ تعويلها كثيرًا على النّظائر القُرآنيّة فتأتي للنّص القُرآنيّ توضح ما فيه بقدر المستطاع ثم تتلوه بنصٍّ أو نصّين من نظيراتها المشابهة لها .

تعرّضت (حنان اللحام) في مدوناتها للوجوه والنظائر بشكل موسّع وبارز، فهي تعرض المفردة القُرآنية وتلحقها بوجوهها المتعددة وتدعمها بالشّواهد القُرآنيّة لتستبين معنى كل مفردة في سياق آيتها وموردها، ومرة تورد المفردة وتأتي بوجوهها اللغوية ثم تعمد إلى بيان معناها الشرعي .فعنايتها بهذه القاعدة حاضرة في تفسيراتها، أمّا النّظائر فقلّ استخدامها بهذا المصطلح وإنّما تعبّر في بعض الأحيان بلفظ (شبيه)، ونلحظ للمفسرة أنها تأتي بالنّص وتبيّنه ثم تسوق آية أخرى نظيرة لها ولم تقل بها . وعلى أية حال لم تعبأ المفسرة بالشّكل الواضح لمسألة النّظائر القُرآنيّة في عمليتها التّفسيريّة، بل لم تعوّل عليها بقدر ما تعوّل على الوجوه . وهذا ما سيظهر في الجانب (التّطبيقيّ).

والناظر لمدونة (نائلة صبري) يلمح تجلّيات القاعدة وتوظيفها في التّفسير ،وذلك بإيرادها المفردة ووجوهها المتعددة على طول تفسيرها وفقًا وتطبيقًا لمنهجها السّائد تحت عنوان (تفسير المفردات)، ويلحظ عليها انّها تقلّل من إسنادها الشّاهد القُرآنيّ ،فهي تأتي بالمفردة وبيان معانيها اللغوية أو استعمالاتها القُرآنية دون الشواهد، ولم تصطفِ منها وجهًا محددًا ينسجم مع سياق الآية أو الجملة وإذا ما تحصل فهو

---

(١) ظ: سلوى محمد العوا/ الوجوه والنّظائر في القُرآن الكريم، مقدمة لـ(بنت الشاطئ) .

(٢) ظ: زينب الغزالي/ نظرات في كتاب الله ، ١/ ٧١.

نادر، لذا إفادة المفسرة من هذه القاعدة بلحاظ (الوجوه) عزيز، وإذا ما تتبعنا النّظائر في تفسيرها فلا تكاد تخلو آيةً من أن تحشّد لها نظيراتها . وبهذا لا غرابة أن تكون أكثر المفسّرات استيعابًا للنّظائر القُرآنيّة في تفسيرها .

كما دأبت (ماجدة الفارس) عن اعرابها المكثر للوجوه والنّظائر في مدونتها التّفسيريّة، فتلحظ المفردة القُرآنية وتذكر ما لها من موارد جاءت في القُرآن فتبينها وتسندها الى شاهدها القُرآني، ويلحظ أيضًا أنّها لم تستعمل مصطلح (النّظائر) في التّفسير وإنّما عبّرت عنه (الشبيه والمثل) في كثير من الموارد . وبذلك يتجلى استناد تفسيرها الى قاعدة (الوجوه والنّظائر) .

المطلب الثانيّ: بيان الجانب (التّطبيقيّ) :

أ - نموذج (١): قال تعالى:﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ ﴾ [1]

ذكرت بنت الشّاطئ : جمع الرّازي ستة وجوهٍ في عظمة العصر بمعنى الدهر، وثلاثة أوجه في عظمته بمعنى الوقت المعين من النهار، وستةً في صلاة العصر، ثم بيّن وجه عظمته إن كان مرادًا به عصر النّبوة...، وأكثر المفسرين، أن يكون العصر بمعنى الدهر والزمن، .. ولا تكاد أقوالهم تخرج عمّا استوفاه الرّازي وبعد مناقشة لتلك الآراء قالت: أنّهم حملوا لفظ العصر كل هذه التّأويلات الفلسفيّة والإشاريّة ممّا لا نتصوّر أنّ القُرآن الكريم لفت إليه بلفظ ﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ﴾. وفي البيان القُرآنيّ من آيات الليل والنّهار ما يجلو الحكمة فيهما بما يفهمه النّاس بأيسر ملاحظة وتأمل،.. ونخلص من هذا كله لنتدبر آية العصر ، فنرى في استقراء مواضع استعمال القُرآن لمادة (عصر) ما يهدي إلى ملحظ إطلاق العربية العصر على الدهر، بما يعتصر من خلاصة الإنسان بالضغط والإبتلاء. وبهذا الملحظ المألوف لدى العرب في عصر المبعث، تأتي كلمة العصر في سياقها من السّورة، لافتة إلى إبتلاء الإنسان بالعصر الذي يصهره بالمعاناة ويعصره بالتّجربة والإبتلاء. وبهذا اللفت الموجه إلى ضغطة العصر إبتلاءً، تأتي الآية بعده:﴿ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ ﴾ [2] [3]

ممّا سلف ذكره من تلخيص يجدر القول فيه بالأمور الآتية:

الأوّل: عرضت المفسّرة أقوال العلماء في الآية وهذا ديدنها في التّفسير . وعرضت ما جمعه الفخر الرّازي من تلك الوجوه للمفردة (العصر) وحملت عليها آراء المفسرين الأخرى وناقشتها. منها القول فيه من أجل الفاصلة وهي الملحظ الشّكلي كما وصفته المفسرة وردت هذا الرأي بقولها: والفاصلة بكلا اللفظين،

---

(١) العصر: ١.

(٢) العصر: ٢ .

(٣) ظ: بنت الشّاطئ/ التّفسير البيانيّ للقرآن الكريم، ٢/٧٧ - ٨٠ .

العصر والدّهر، مرعية، عند من يتعلقون ويقفون عند الملحظ الشّكلي[١] ثم ردت على الرّازي القائل : (ولعله تعالى لم يذكر الدهر لعلمه أن الملحد مولع بذكره وتعظيمه) على حين يذهب النيسابورى إلى أن وجه الإقسام بالعصر هنا (لشرف الدهر) ويروى الحديث: (لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر)[٢]

الثّانيّ: لم ترتضِ تلك التّأويلات الكلاميّة والفلسفيّة والاشاريّة بحجّة أنّه ممّا لا تتصوّر أنّ القُرآن الكريم لفت إليه فهي مطروحة إلا ما صرّح به الطبريّ فقد اطمأنت له ورجّحته بقولها : وهو ما نطمئن إليه كما اطمأن الإمام الطبريّ[٣]

الثالث: رجّحت القول بقرينتين: انسجامه مع كلام العرب من جانب ، ومن جانب آخر بسياق الآية في السورة، فأصبح عندها معنى (العصر) ما يعتصر الزمن من خلاصة الإنسان، بالضغط والمعاناة، فيكشف عن خيره أو شره . وهذا الرأي اكثر انسجامًا من غيره مع ما تصبو إليه من ملحظ بيانيٍّ بلاغيّ معجزٍ .

الرّابع : وجهت المفسرة وسط هذا التنوع في وجوه معاني مختلفة لمفردة(العصر)،واستطاعت أن تنتقي منها -بالقرائن الدّالة آنفة الذكر - ما ينسجم ومنهجها البيانيّ وهي بذلك قد خالفت ما ذكر علماء الوجوه والنّظائر أنّ(العصر)في سورة العصر بمعنى الدّهر منهم الدّامغانيّ واسنده الى شاهد سورة العصر[٤] وهو ما عليه جمع من المفسّرين أيضًا فضلًا عمّا ذكرتهم المفسّرة . و يرى مغنيّة المعنى المختار، حيث عدّه الأقرب من الأقوال وهو أنّ المراد بالعصر الدّهر أي الزّمن الذي تقع فيه الحوادث والأفعال، والسّياق يومئ إلى ذلك فإن قوله تعالى بلا فصل : ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ ﴾[٥]يشعر بأن الخاسر هو الإنسان وليس الزمان لأنّه لا يعدّ شيئًا في نفسه يخسر أو يربح ، ويذم أو يمدح![٦] وأيّده السّبحاني كونه بمعنى الدهر: وإنّما حلف به لانّ فيه عبرة لذوي الأبصار من جهة مرور الليل والنّهار، وقد نسب ذلك القول إلى ابن عباس والكلبي والجبائي . والظاهر أن الوجه الأول هو الأقوى، حيث إن الحلف بالزمان وتاريخ البشرية يتناسب مع الجواب، أي خسران الإنسان في الحياة[٧]

ولها صولة في مواضع مختلفة في توظيف قاعدة الوجوه[٨]

---

(١) ظ: المصدر نفسه، ٨٠/٢ .

(٢) ظ: المصدر نفسه، ٨٠/٢ .

(٣) ظ: بنت الشّاطئ/ التّفسير البيانيّ للقرآن الكريم، ٧٧/٢ .

(٤) ظ: الدامغانيّ/ الوجوه والنّظائر لألفاظ كتاب الله العزيز ، ٣٤١.

(٥) العصر: ٢ .

(٦) ظ: مغنيّة / التّفسير الكاشف، ٦٠٦/٧ .

(٧) ظ: السّبحانيّ/ الأقسام في القرآن الكريم / ٧٥ .

(٨) ظ: بنت الشّاطئ/ التّفسير البيانيّ للقرآن الكريم ، ٢٠٤/١ ، ٥٠/٢ .

وخالص الكلام :أنّ مجملَ العمليّة التفسيريّة التي قامت بها بنت الشاطئ ترتكزُ على أساس عرض الوجوه للمفردة القُرآنيّة بغية مناقشتها وترشيح ما ينسجم منها مع قصدها البيانيّ أو تأتي بوجه من غير تلك الوجوه وتقيم له القرائن والدّلائل لإثباته . وأمّا بلحاظ النّظائر فمواردها قليلة لا تتجاوز الأصابع بالتّصريح .

ب - نموذج (٢): قال تعالى:﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ [١]

قالت (زينب الغزالي) : يعني كلموهم كلامًا طيبًا ، كما يدخل في ذلك: الحلم، والصفح، والعفو، وكلّ خلقٍ حسن [٢]

أشارت المفسرة الى بيان (حسنًا) وجهًا واحدًا من وجوهه، وفي هذه الآية تعني كلموهم بكلامٍ طيب، على مقتضى اللفظ. وقد أشار الى ذلك أبو هلال العسكري (٣٩٥هـ)،بقوله : "ويجوز أن يكون المراد أن قولوا لهم قولًا حسنًا ، وهو أولى؛ لأنّه على مقتضى اللفظ" [٣] وقد ورد بمعنى حقًا في أمر محمدٍ (صلى اللّهُ اللّهُ عليهِ وآلهِ) [٤] وهناك للمفردة وجهان آخران وهو بمعنى محتسبًا في قوله تعالى:﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ [٥] وبمعنى الجنّة في قوله تعالى:﴿ أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا ﴾ [٦] [٧]

وفي مورد آخر:﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾ [٨] قالت المقام: قد يكون المقصود به الحرم كلّه، وقد وقد يكون المراد منه المسجد، وقيل هو الحجر الذي وضعته زوجة إسماعيل تحت أقدام إبراهيم حتى غسلت رأسه [٩]

عرضت المفسّرة في بيان وجه (المقام) على اختلاف الآراء إن كان الحرم كله ، أو المسجد أو الحجر، لكنّها تعطي دلالة واحدة وهي المكان أو الاقامة وهو أحد الوجوه للمقام التي ذكرت في القُرآن الكريم ، ذكر العسكري ذلك : والمقام في القُرآن على ثلاثة أوجه [١٠] :

---

(١) البقرة :٨٣ .

(٢) ظ: زينب الغزالي/ نظرات في كتاب الله ، ١/ ٥٦ .

(٣) أبو هلال العسكريّ/ الوجوه والنّظائر لأبي هلال العسكريّ/ ١٧٩ .

(٤) ظ: ابن الجوزي/ نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر/٢٣٦ .

(٥) البقرة :٢٤٥ .

(٦) القصص :٦١ .

(٧) ظ: ابن الجوزي/ نزهة الأعين النّواظر في علم الوجوه والنّظائر، ١٧٩ .

(٨) البقر: ١٢٥ .

(٩) ظ: زينب الغزالي/ نظرات في كتاب الله ، ١/ ٧٢ .

(١٠) ظ: العسكريّ/ الوجوه والنّظائر لأبي هلال العسكريّ/ ٤٦٣ .

الأول: قوله: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ ﴾ [1] قال: معناه مساكن أمن أهلها، والثاني: القيام، قال الله: { يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ} [الأحزاب: ١٣] أي: لا يقومون لهم، ويجوز أن يكون المكان، وقرئ: (لا مُقَامَ لَكم) بضم الميم، أي: لا إقامة لكم، يقال: أقمت بالبلد مقامًا وإقامة ، والثالث: المكان، قال الله: ﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [2] أي: مكان يعبد فيه ربه، والمعنى ما منّا إلا من له مقام معلوم، فحذف (من) .

وفي النظائر تورد المفسّرة (زينب الغزالي) النّص القُرآنيّ بعد تفسيره ،وتلحق به آيةً أو جملة من الآيات ذات الصّلة به أو المماثلة منها : قال تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ [3] وهذه الآية نظير قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [4] [5] ومواضع أخرى [6]

القاعدة عند (زينب الغزالي) تبدو حاضرة، وإن كانت بلحاظ غير مقصود، لكن تفسيرها ينبأ عن ذلك، فعلى منهجها القائم على الايجاز والتبسيط، يلمح دور العناية بالوجوه والنّظائر دون تفصيلات تذكر عندها في الوجوه ، وإذا ما نظرنا للنظائر القُرآنية فهي كثيرة.

ت - نموذج (٣) : قال تعالى:﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ﴾ [7]

قالت (حنان اللحام): والقلب يستعمل في القُرآن بمعنى العقل، وكذلك اللب ، بدليل قوله تعالى:﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا ﴾ [8] والفقه : هو فهم الامور بدقائقها، فالقلب والسمع والبصر هي وسائل للمعرفة أنعم الله بها على الانسان حتى يتمكن باستخدامها من الكشف والفهم والقيام بدوره على الارض [9]

أرادت المفسرة من بيان(القلب) أنّ أحد وجوهه جاء بمعنى العقل، واستدلت على ذلك بآية سورة الأعراف، في حين ذكر الرّازيّ: احتج العلماء بقوله تعالى: لهم قلوب لا يفقهون بها على أن محل العلم هو القلب، لأنّه تعالى نفى الفقه والفهم عن قلوبهم في معرض الذم، وهذا إنّما يصح لو كان محلّ الفهم والفقه

---

(١) الدخان : ٥١ .

(٢) الصافات :١٦٤ .

(٣) الاحزاب :١٧٠ .

(٤) الكهف :٣٠ .

(٥) ظ: زينب الغزالي/ نظرات في كتاب الله ، ١/ ٥١١ -٥١٢ .

(٦) ظ: المصدر نفسه ، ١/ ٥٥٤ -٥٥٥ .

(٧) البقرة :٧ .

(٨) الأعراف :١٧٩ .

(٩) ظ: حنان اللحام/ من هدي سورة البقرة/ ٣٤ .

هو القلب[١] واعتراض الرازي قد لا ينسجم مع ما ذهبت اليه المفسّرة وهي محقة -والله أعلم - فإن التّعبير بـ (القلب) في مصطلح القُرآن الكريم يعني الفكر والرّوح وقوة العقل، أي أنهم بالرغم ممّا لديهم من استعداد للتفكير، إلا أنّهم في الوقت ذاته لا يفكرون في عاقبتهم ولا يستغلون تفكيرهم ليبلغوا السعادة[٢]

والوجه المذكور وهو أحد الوجوه التي ذكرت للقلب ، والتي أعدّها الدمغاني ثلاثة أوجه : العقل في قوله تعالى:﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾[٣]، وبمعنى الرأي، في قوله تعالى:﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾[٤] وبمعنى القلب بعينه الذي في الصدر ، في قوله تعالى:﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾[٥] [٦] فقد جاءت جاءت المفسرة بأحد وجوه القلب التي تعني به العقل واستشهدت بنص قرآني لتوجيه الدلالة . ولها التفافات لهذه القاعدة في مواضع كثيرة منها[٧]

وامّا النظائر القُرآنيّة: كانت تعبر عنها بلفظها الشائع ،وتارة بتعبير (الشبه) منها في قوله تعالى:﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾[٨]قالت: القنوت : هو الطاعة الطاعة والخضوع عن رضى واختيار... وهو شبيه بقوله تعالى:﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾[٩] [١٠]

ث - نموذج (٤) قال تعالى :﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ﴾[١١]

قالت (نائلة صبري) في وجوه : (هدى) : الرشد والبيان والإهتداء والعلم ، الهدى اسم من أسماء النّهار لانّ النّاس يهتدون فيه لمعايشهم . واصطلاحًا : ضد الضّلال[١٢]

---

(١) ظ: الرّازي/ مفاتيح الغيب ، ٤١١/١٥.

(٢) ظ: الشيرازي/ الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٣٠١/٥.

(٣) ق :٣٧ .

(٤) الحشر :١٤ .

(٥) الحج :٤٦ .

(٦) ظ: الدامغانيّ/ الوجوه والنظائر للألفاظ كتاب الله العزيز/ ٣٨٥ .

(٧)ظ: حنان اللحام/ من هدي سورة البقرة / ٦٥ - ٦٦

(٨) البقرة :١١٦ .

(٩) آل عمران :٨٣ .

(١٠) ظ: حنان اللحام/ من هدي سورة البقرة /٢٩٣.

(١١) البقرة :٢ .

(١٢) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن، ١/ ١/ ٥٩ .

اهتمت (نائلة صبري) بإيراد الوجوه أيّما اهتمامٍ وقد تتميز عن نظيراتها في كثرة الإيراد، لكن يلحظ عليها أنها تأتي بالمفردة القُرآنيّة وتدرج لها معانٍ ووجوه متعدّدة، ولم ترفد تلك الوجوه بالشاهد القُرآني، كما تكتفي بالمعاني أو الوجوه فحسب دون أي اختيار ،أو ترجيح يذكر، وهذا لا يتحقق فيه الغرض المأمول، وهذا كثير في مدونتها منها في النص المتصدر .

وهنا قدّمت المعاني اللغوية ثم ردفتها بوجه المفردة في ضوء اصطلاحها الشّرعي وهو أن الهدى ضد الضلال . وعلى ما أوردت أن الهدى يعني الارشاد وهو ليس كذلك لوجود فرق بين اللفظين : والفرق بين الهدى والإرشاد أن الهدى يكون في الخير والشّر يقال: هداه إلى السوء والمكروه، ومنه قوله تعالى:﴿ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ ﴾ [1] ولا يكون الإرشاد إلا إلى الخير[2] هذا من جانب ومن جانب آخر أنّ الوجوه الوجوه التي ذكرتها في (الهدى) قد عدّها المفسرون فِي القُرآن على أَربَعَة وَعشرين وَجهًا: منها ما ذكرت من وجوه وشواهدها القُرآنيّة كما صنفها ابن الجوزي قال منها: البيان، والإرشاد، وبمعنى العلم أو التعليم، ولعلّ أقرب وجه من معنى الاهتداء هو الدّليل في قوله تعالى:﴿ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ ﴾ [3] [4] [4]

وفي بعض الاحيان تذكر المفسرة ما للمفردة جملةً من الوجوه وتسندها الى شواهد تاريخية أو روائية أو بحسب الاستعمال القُرآني . منها (ربّ) [5]

وأمّا النظائر: عمدت المفسرة في مواطن جمّة بعد بيانها الآية ان تلحق بها نظيراتها وشبيهذها من النّصوص القُرآنية الأخرى، منها في قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [6]، قالت: ونظير هذه الآية قوله تعالى:﴿ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا ﴿٣٧﴾ ﴾ [7] وقوله تعالى:﴿ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ﴿١٨﴾ ﴾ [8] [9] وغيرها في موارد أخرى [10]

---

(١) الصافات :٢٣ .

(٢) ظ: أبو هلال العسكري/ الوجوه والنّظائر لأبي هلال العسكري/ ٤٩٧ .

(٣) طه :١٠ .

(٤) ظ: ابن الجوزي/ نزهة الأعين النّواظر في علم الوجوه والنظائر/ ٦٢٦ -٢٦٩ .

(٥) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن، ١/ ١/ ٤٠ -٤١ .

(٦) النّساء :٣٦ .

(٧) الإسراء :٣٧ .

(٨) لقمان :١٨.

(٩) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن، ٣/ ٥/ ٧٠ .

(١٠) ظ: المصدر نفسه، ٧/ ١٦٢/١٨ -١٦٣، ٧/ ١٩/ ٦٧ .

ج - نموذج (٥) : قال تعالى :﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢ ﴾ [١]

قالت **(ماجدة الفارس)**: (الكتاب): القُرآن، يطلق لفظ (الكتاب) في القُرآن بمعان عدة [٢] :

- يطلق على الفرض:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾ [٣]أي فرض.

- تطلق على العقد بين العبد وسيده﴿ وَٱلَّذِينَ يَبۡتَغُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَكَاتِبُوهُمۡ إِنۡ عَلِمۡتُمۡ فِيهِمۡ خَيۡرٗا ﴾[٤]

- تطلق على القضاء والقدر.﴿ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ ﴾ [٥].

ذكرت المفسرة ثلاثة وجوه من أوجه (الكتاب) أو من مادة (كتب) عدّها العسكريّ خمسة وجوه وكان أحدها ما ذكرته المفسرة وهو بمعنى(الفرض) والوجهَينِ الآخَرَينِ لم يذكرهما العسكري وإنما ذكر: بمعنى قضى في قوله ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ٢١ ﴾[٦] وبمعنى الجعل في قوله:﴿ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٥٣ ﴾[٧]وبمعنى الأمر في قوله تعالى:﴿ يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ ﴾[٨]أمركم بدخولها. وبمعنى: الكتب المعروفة قال تعالى:﴿ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُ ﴾[٩][١٠] وقد أورد ابن الجوزي أيضًا لمفردة (كتاب) على ما ذكره بعض المُفَسّرين أَن (الكتاب) فِي القُرآن على أحد عشر وَجهًا [١١]

---

(١) البقرة :٢ .

(٢) ظ: ماجدة الفارس/ التّوضيح والبيان في تفسير آي القرآن، ٣٠/١.

(٣) البقرة :١٨٣ .

(٤) النّور :٣٣ .

(٥) النساء :٢٤ .

(٦) المجادلة :٢١ .

(٧) آل عمران :٥٣ .

(٨) المائدة :٢١ .

(٩) البقرة :٢٨٢ .

(١٠) ظ: أبو هلال العسكريّ، الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري/ ٤٠٧ .

(١١) ظ: ابن الجوزي/ نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر/ ٥٢٦ .

نلحظ أنّ المفسّرة عمدت إلى بيان بعض وجوه مفردة (الكتاب) واختارت ما هو مناسب منها هو انّ الكتاب في الآية الثانية من سورة البقرة يعني القُرآن الكريم . ثم أوردت بعض الوجوه التي ورد ذكرها في القُرآن . ولها في الوجوه موارد كثيرة [١]

وفي مسألة النّظائر كانت **(ماجدة الفارس)** مقلة فهي تجمع بين الآيات في نفس النسق المماثلة كما في بيان قوله تعالى:﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ٩ ﴾ [٢] وقال تعالى:﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزۡجِي سَحَابٗا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيۡنَهُۥ ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ رُكَامٗا فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦ ﴾ [٣] وقال تعالى:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابٗا ثِقَالٗا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ ﴾ [٤] قالت: الرياح والسحب والامطار كلها تتلقى أوامرها من الله تعالى، وهذا يعني أن كل قطرة ماء كتب عليها من سيشر بها ، وهذا المعالم في كونه تشهد بالوحدانية لله سبحانه وتعالى [٥]

المبحث الرّابع : قاعدة السّياق القُرآنيّة

توطئة :

تحتل قاعدة السّياق مساحة واسعة لدى المفسرين فضلًا عن غيرهم من الأصوليين واللغويين والبلاغيين في أبحاثهم ودراساتهم، فقد أخذ أبعادًا في ماهيته وأنواعه وأقسامه [٦] ، وفي خضم قواعد التّفسير له مكانةً ومحورية لدى المفسرين بيد أنّ لدلالة السّياق القُرآني أهميّة بالغة في تفسير كلام الله تبارك وتعالى، فهي قاعدة أصيلة من أصول التّفسير، وبإهمالها يضع المفسّر قدمه على عتبات الزّلل[٧] لذا يرى الزركشي: "ليكن محط نظر المفسّر مراعاة نظم الكلام الذي سيق له وإن خالف أصل الوضع اللغوي لثبوت التجوز" [٨] وقالوا في حدّه : "ما لا يتضح معنى الكلمة إلا بالنظر في سابقه أو لا حقه، أو بهما جميعًا" [٩] وعرف السّياق القُرآني بلحاظ العوامل الدّاخليّة والخارجيّة، بأنّه : "ما يحيط بالنّص من عوامل

---

(١)ظ: ماجدة الفارس/ التّوضيح والبيان في تفسير آي القرآن، ٦٦/١، ٣٤٥/١.

(٢) فاطر :٩ .

(٣) النور :٤٣ .

(٤) الأعراف :٥٧ .

(٥) ظ: ماجدة الفارس/ التّوضيح والبيان في تفسير آي القرآن، ٣٩٣/٦ ، ٣٤٥/١.

(٦) ظ: د. عيد بلبع ، السّياق وتوجيه دلالة النّص / ٢٢.

(٧) ظ: المطيري/السّياق القرآنيّ وأثره في التفسير دراسة نظرية وتطبيقية من خلال تفسير ابن كثير / ٧٥ .

(٨) الزركشي/ البرهان في علوم القرآن، ٣١٧/١ .

(٩) الشهرانيّ/ السّياق القرآنيّ وأثره في تفسير المدرسة العقلية الحديثة/ ٢٥ .

داخلية أو خارجية، لها أثرٌ في فهمه، من سابق أو لاحقٍ به، أو حال المخاطِب، والمُخاطَب، والغرض الذي سيق له، والجو الذي نزل فيه"[١] واعلم فإنّ في حدِّه اختلاف بين العلماء ولك مراجعة تفصيله في مظانّه[٢] ولا شكّ أنّ السّياق يُرشد إلى بيان المجمل، وتعيين المحتمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد[٣] المراد[٣]

ولمّا كان مفهوم السّياق في التفسير: بيان اللفظ أو الجملة في الآية بما لا يخرجها عن السابق واللاحق[٤] نلحظ اهتمام التّفاسير النّسويّة بهذه القاعدة التفسيريّة؛ لما ذكره المفسّرون وطبقوه يقول صاحب المنار: "وإنّ أفضل قرينة تقوم على حقيقة معنى اللفظ موافقته لما سبق من القول، واتفاقه مع جملة المعنى، وائتلافه مع القصد الذي جاء له الكتاب بجملته"[٥] فعندئذٍ قد تكون دلالة الآية أو اللفظة غير ظاهرة المعنى إلا بالرجوع الى السياق في تحديد معناها [٦] ولهذا عمد المختصّون تقعيد هذا الأساس في تفسير القُرآن الكريم حتى جعل(آل سعدي) السّياق القاعدة السّابعة والأربعين في كتابه[٧] كما تعتبر قاعدة عامّة مشتركة بين التّفسير الموضوعيّ والترتيبيّ فهي صالحة للتطبيق في كليهما، وتعتبر قرينة ظنية عند المفسرين في فهم آيات القُرآن [٨] وبالتالي أنّ من أهمّ وظائف المفسر الحفاظ على سياق الآيات الواردة في موضوع واحد ؛ فتقطيع الآية بعضها عن بعض ، والنّظر الى الجزء دون الكل لا يعطي للآية حقها في التّفسير[٩]

وتأسيسًا على ما تقدّم، سيولي البحث عناية التّفاسير النّسويّة لهذه القاعدة، وذلك يلحظ الجانب (التّنظيريّ) والجانب (التّطبيقيّ).

المطلب الأول : بيان الجانب(التّنظيريّ) :

ركنت بنت الشاطئ الى قاعدة السّياق وبدى واضحًا وجليًا على قدرٍ كاد يغطي على منهجها السائد في نقدها لآراء المفسرين، واحتجّت به عليهم، فلا تخرج من بيان آية أو مفردة معينة حتى تنظر ما حول

---

(١) المصدر نفسه ،٢٩ .

(٢) ظ: علي حميد خضير / دلالة السياق في النص القرآنيّ/ ٢٣ -٤٠ . الطلحيّ /دلالة السياق،١/٣٢ -٤٤ ، الشهرانيّ/ السّياق القرآنيّ وأثره في تفسير المدرسة العقلية الحديثة / ٣١ ، الميبدي/ قواعد التفسير لدى الشيعة والسنة/٢٧٧ .

(٣) ظ: السّبت/ مختصر في قواعد التفسير/ ٢٣ .

(٤) ظ:، عبد الحكيم القاسم / دلالة السّياق القرآنيّ وأثرها في التّفسير، ١/٦١ .

(٥) محمد رشيد رضا/ تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، ١/٢٠ .

(٦) ظ: د. عماد حسن مرزوق / أصول التّفسير ومناهج المفسّرين / ٤٧ .

(٧) ظ: آل سعدي/ القواعد الحسان لتفسير القرآن/ ١٢٢ .

(٨) ظ: هاشم أبو خمسين/ المدخل إلى التّفسير الموضوعيّ/٦٣ -٦٤ . المازندراني/ دروس تمهيدية في القواعد التفسيريّة، ١/ ١٨٨ ، رضائي/ دروس في المناهج والاتجاهات التّفسيريّة للقرآن/٨٦.

(٩) ظ: السّبحانيّ، المناهج التّفسيريّة في علوم القرآن/ ٣١ .

النّص القُرآنيّ من سابقٍ أو لاحقٍ في جو سّياق الآية أو السّورة ، أو من الخارج ممّا يكون في سياق القُرآن العام . وقد لاحظ جملة من الناقدين على منهجها هذا الموضوع ، بوصفهم الى منهجها القائم على التدبّر الواعي لدلالة السّياق ، علمًا أنّ هذه السمة قصرتها المؤلفة على منهجها الموضوعي وقطعت السبيل على المناهج الأخرى للإهتداء إلى تفسير القُرآن إن لم تسلك منهجها وإنّهم لم يبلغوا مبلغًا [١] وقالوا أيضًا : أن المفسرة تعرضت للمناسبة بين الآيات وملاحظة السّياق في السّورة الواحدة وذلك في سورة الضحى والبلد والفجر[٢] ولاحظوا لها : قاعدة ترتيب الآيات حسب نزولها امر ضروري في المنهج لفهم السّياق العام لما نتدبر من آيات القُرآن ودلالات ألفاظه، وخصائص بيانه في المصحف كلّه [٣] وقالوا أيضًا: وتدبّر سياقها الخاصّ في الآية والسّورة ثم سياقها العام في المصحف كلّه التماسًا لسّره البيانيّ[٤] ويظهر الأمر أكثر بتصريحها في مقدمتها إذ تقول: حرصت فيها على أن أخلص لفهم النّص القُرآني فهمًا مستشفًّا روح العربية ومزاجها..، بأسلوب القُرآن نفسه، ومحتكمةً إليه وحده، والتّدبر الواعي لدلالة سياقه[٥] وأكدّت ذلك تفصيلًا في مقدمة الجزء الثاني أيضًا [٦]

و قاعدة السّياق تبدو واضحةً عند (زينب الغزالي)، فعادة ما تشير في بيان النّص تذكر مثلًا: وهذا ما يشير إليه السّياق القُرآني، أو تقول : سياق الخطاب القُرآني كذا. أو تقول: يظهر من السّياق كذا . فهي ناظرة الى هذه القاعدة لما فيها من دور أساسي يساعد في كشف المراد أو ما يؤكّد المعنى الذي تستظهره المفسّرة ،فتنظر سابق الآية ولاحقها في الآية الواحدة والآيتين، فتحكيم السّياق القُرآني عند (زينب الغزالي) وإن قلّت موارده إلا أنّه كان حاضرًا .كما سيتبيّن في الجانب (التّطبيقيّ) .

كما دأبت (حنان اللحام) ان تستنطق النّص القُرآني وتقف على دلالاته في ضوء قاعدة السياق فهي تحتكم إليه وتبني عليه الآراء وترجح في بعض الأحيان ، وتعمد في بعض الأحيان أن تبيّن غايات السّياق والغرض منه لا سيما فيما إذا اعترضت جملًا في سياق قرآنيٍ ما تشير إلى غايته منها في قولها: ولنا أن نتأمّل بعض الفوائد من ورود الجمل أو الآيات المعترضة أثناء السّياق القُرآنيّ عامة[٧] :

١ - ففيه تلوين الخطاب وتنويعه لتنبيه الأذهان ومنع السآمة .

٢ - وفي التشويق إلى سماع بقيّة الكلام أو الخبر .

---

(١) ظ: العزاويّ/المنهج البيانيّ في تفسير القرآن في العصر الحديث/ ٢٠١ .

(٢) ظ: حفيد الشاطئ/ موقف (بنت الشاطئ) من اتجاهات التّجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر / ١٩٩ .

(٣) ظ: المصدر نفسه / ٢٠٢.

(٤) ظ:د. خديجة المحمود/ أبرز جهود النّساء في تفسير القرآن الكريم منذ القرن الرابع عشر العجري/ ١٠٥ . ريم صالح عياد/ عائشة عبد الرّحمن ومنهجها في التّفسير/ ١٧٣ .

(٥) ظ: بنت الشّاطئ/ التّفسير البيانيّ للقرآن الكريم، ١/ ١٧ .

(٦) ظ: المصدر نفسه، ٢/ ٧ .

(٧) ظ: حنان اللحام/ تأمّلات في سورة هود/ ٦٠ .

٣ - وفيه التأكيد على أهميّة أمر معين إذ يقطع الموضوع ليذكر به .مثل ما ورد آية : {حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ} [البقرة : ٢٣٨] ضمن الحديث عن أحكام الزواج والطلاق في سورة البقرة.

٤ - تأتي بعض هذه الآيات أحيانًا وكأنها قراءة لخواطر السامع ورد عليها .. وهذا من إعجاز القُرآن وقدرته على اختراق النفس والفكر الإنسانيّ.

وإنّ أكثر ما عليه (نائلة صبري) أنّها تشير الى قاعدة السّياق في ضوء بيان علاقة وارتباط الآية بما قبلها وما بعدها من الآيات ،وتخلص من ذلك إلى بيان المعنى العام للآية بقرينة أختها ، في كثير من المواطن كما سيأتي .

ورعاية قاعدة السياق في مدونة (ماجدة الفارس) بارزة في بيانها مراد النّص القُرآنيّ وذلك بملاحظة السّابق واللاحق للآية أو الجملة المراد تفسيرها ، فتحاول أن تبيّن عن طريق السّياق بتوظيفها إياه أن تلحظ تلك النّكات والمعاني المستترة، فضلًا عمّا تختزله الآيات في جو سياقها العام في السّورة أو عموم القُرآن بما تستعين به من نصوص قرآنيّة أخرى، توضح وتبين تلك الآيات في الموضوع الواحد؛ كون السياق أحد قواعد التفسير الموضوعي والمشتركة بينه وبين التّفسير التّسلسلي، كما نلحظ لها التفاتات لهذه القاعدة في الجانب القصصي في القُرآن كما سيتبيّن إن شاء الله تعالى في المحور (التّطبيقيّ) .

المطلب الثانيّ : بيان الجانب (التّطبيقيّ) :

أ - نموذج (١) : قال تعالى:﴿ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧ ﴾ [١]

قالت بنت الشاطئ: وأصل الشهادة في اللغة من الشهود أي الحضور، والمشاهدة: المعاينة وما شهادة الإنسان على نفسه بكنود، وإقراره بكفران نعمة ربه، إلا من هذا الذي ألفناه في البيان القُرآني، من إلزام بالحجة وتأكيد لفداحة الذنب واعتراف به، في موقف الزجر والوعيد، حيث لا سبيل بعد مثل هذه الشهادة الدامغة، إلى أن تنصل من الذنب أو إدعاء البراءة منه. لكنّ عددًا من المفسرين أضاعوا هذا الملحظ البياني بقولهم: إنّ الضمير في ﴿ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧ ﴾ يعود إلى الله تعالى. مع أن المعنى إنّما يقوى بأن يكون الإنسان شاهدًا على نفسه، وهذا هو ما تؤيده آيات الشهادة. ثم عادوا في آية﴿ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨ ﴾ [٢] فجعلوا الضمير للإنسان، فتمزقت بهذا الصنيع وحدة السياق في الآيات الثلاث [٣] عمدت المفسّرة على ترشيح عود الضمير في النّص القُرآني على الانسان، وقد خالفت بذلك مجموعة من المفسرين ، ويمكن تحليل ذلك بجملة من الامور :

---

(١) العاديات :٧ .

(٢) العاديات :٨ .

(٣) ظ: بنت الشاطئ/ التّفسير البيانيّ للقرآن الكريم ، ١١٢/١ .

الاول : القرينة الاولى : تحشيدها للنّصوص القُرآنيّة التي تدعم ترجيح عود الضمير في (إنّهُ) على الانسان وبذلك يكون المعنى : يشهد على نفسه بكفران نعمة ربه، وليس أقوى منها شهادة.. ومن تلك النّصوص قوله تعالى :﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[1] وقوله تعالى:﴿ مَا كَانَ لِلۡمُشۡرِكِينَ أَن يَعۡمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلۡكُفۡرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ وَفِي ٱلنَّارِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[2] وقالت: بل إنّ البيان القُرآني ينطق بهذه الشهادة، يوم الفصل. جوارح الإنسان وحواسه، وجلده، في مثل آيات:﴿ وَيَوۡمَ يُحۡشَرُ أَعۡدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ وَهُوَ خَلَقَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَتِرُونَ أَن يَشۡهَدَ عَلَيۡكُمۡ سَمۡعُكُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُكُمۡ وَلَا جُلُودُكُمۡ وَلَٰكِن ظَنَنتُمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعۡلَمُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[3][4] وبصنيعها هذا يتجلى أسلوب تفسير القُرآن بالقُرآن في ضوء التّفسير الموضوعيّ الذي تصبو اليه دائمًا في بيان القُرآن الكريم.

الثاني: القرينة الثّانية: وهي قاعدة السّياق القُرآني حيث استندت في ذلك على سياق الآيات التي تضمنت الضمير نفسه فاحتكامها للسّياق جعلها تطمئنّ في بيان المراد، قد ذهب اليه جملة من المفسرين منهم الطبطبائي: قوله تعالى:﴿ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٞ ﴿٧﴾ ﴾[5] ظاهر اتساق الضمائر أن يكون ضمير(وإنّهُ) للإنسان فيكون المراد بكونه شهيدًا على كفران نفسه بكفران نفسه علمه المذموم وتحمله له . فالمعنى وإنّ الانسان على كفرانه بربّه شاهد متحمل فالآية في معنى قوله :﴿ بَلِ ٱلۡإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ بَصِيرَةٞ ﴿١٤﴾ ﴾[6] وقيل : الضّمير لله واتساق الضمائر لا يلائمه [7]

الثالث: النّتيجة : إنّ السّياق القُرآني الذي ركنت اليه المفسرة في بيان الآية سياق خاص في نفس السّورة بتتابع الآيات، ثم عضدت ذلك بتحشيدها الآيات ذات الموضوع الواحد ومن ذلك توضح السياق العام في القرآن الكريم كلّه . وهذا ما أوضحته في منهجها القائم على قاعدة السّياق القُرآني بأنواعه الخاصّ

---

(١) الأعراف :٣٥ .

(٢) التوبة :١٧ .

(٣) فصلت: ١٩ -٢٢ .

(٤) ظ: بنت الشاطئ/ التّفسير البيانيّ للقرآن الكريم ، ١١١/١ -١١٢.

(٥) العاديات :٧ .

(٦) القيامة :١٤ .

(٧) ظ: الطباطبائي/ الميزان في تفسير القرآن، ٣٤٧/٢٠ . السّبحاني/ الأقسام في القرآن الكريم/١٨٥ . الشيرازي/ الامثل الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٣٩٨/٢٠ .

والعام . فأفادت من هذه القاعدة في رفع اللبس من عود الضمير وكشفت عن توهم بعضهم في عود الضمير على لفظ الجلالة الذي لا يتلاءم مع سياق الضمائر في الآيات الأخر . وذلك أيضًا تتجلى أهميّة قاعدة السّياق في التّفسير في مواطن منها[1]

ب - نموذج (٢): قال تعالى:﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾ [2]

تابعت (زينب الغزالي) في تفسيرها قاعدة السّياق، وأفادت منها بلحظ بيان وكشف المعاني بإيجاز واختصار، ولم نلحظ لها ترجيحًا لمعنى دون آخرٍ بلحاظ السّياق، كما ظهر عند بنت الشّاطئ، فهي تأخذه لبيان المعنى العام للآية، وتكتفي به، كما في هذا النّص ،قالت: وإذا كان الخطاب لمحمّد(صلى اللّهُ عليهِ وآلهِ) من الله في هذه الآية: فالمراد منه هو أمته (صلى اللّهُ عليهِ وآلهِ) وما ينبغي لرسول الله(صلى اللّهُ عليهِ وآلهِ) أن يكن من الظالمين، ولا أن يضل عنه أتباع الحق المنزل عليه من الله، والعاقبة تدور على من عده من المؤمنين به وبالحق المنزل عليه من الله، ولذلك فقد جاء السّياق القُرآني فيما بعد موجهًا للمؤمنين، يقول تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ [3] ثم عاد الخطاب مرة أخرى للرسول (صلى اللّهُ عليهِ وآلهِ) بقوله تعالى:﴿ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾ [4] [5]

واضح التماس المعنى العام في خطاب الآية للرّسول الأكرم (صلى اللّهُ عليهِ وآلهِ) والمقصود منه خطاب أمته ، ثم سياق الآية تعرض للمؤمنين وتوجيه ذلك عن طريق اسلوب الخطاب، فلاحظت المفسرة اللاحق للآية (١٤٥) من سورة البقرة بما بعدها بآية (١٤٦) ثم أشارت الى رجوع الخطاب مرة أخرى للنّبيّ (صلى اللّهُ عليهِ وآلهِ) بآية(١٤٧) وهذا ينبي عن نباهة المفسرة لملحظ السّياق القُرآني ودوره في كشف المعنى العام لتنوّع الخطاب بتتابع الآيات . ولها بيان وفق هذه القاعدة في مواضع[6]

---

(١)ظ: بنت الشاطئ/ التّفسير البيانيّ للقرآن الكريم ، ١١٢/٢ .

(٢) البقرة :١٤٥ .

(٣) البقرة :١٤٦ .

(٤) البقرة:١٤٧ .

(٥) ظ: زينب الغزالي/ نظرات في كتاب الله، ١/ ٨٣ -٨٤ .

(٦)ظ: زينب الغزالي/ نظرات في كتاب الله، ١/ ٩٣، ١/ ٣٨٢ .

ت - نموذج (٣) :قال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [١]

قالت (حنان اللحام) : هنا تفاجئنا الآية ضمن سياق قصة نوح.. ونقف أمامها متأمّلين هل هي عن قوم نوح..؟! بعض المفسرين قالوا إنّها من ضمن قصة نوح وصفًا لقومه الذين اتهموه بالكذب والافتراء في دعوته وقال مقاتل: هي معترضة في قصة نوح حكاية لقول مشركي قريش في تكذيب هذه القصص. وهو ما أرجّحه والله أعلم . فالله سبحانه أثناء عرض المشهد التاريخي يلتفت إلى المشاهد – أو السامع - ليذكره قصة محمد (صلى اللّهُ عليهِ وآلهِ) مع قومه هي القصة نفسها لكن مشركي قريش كانوا يقولون عن محمد (صلى اللّهُ عليهِ وآلهِ) عندنا يقرأ عليهم هذه الأخبار أنّه يفترى ويكذب على الله . وأنّه سمع هذه الاخبار من بعض أهل الكتاب فهو يرويها ويدعي أن الله أوحى إليه [٢]

نلحظ للمفسرة وقفة تأمّلٍ في هذا المورد فتلحظ في الآية (٣٥) من سورة هود المبارك أن السّياق الوارد في دائرة قصة نوح والآيات عنها وهذه الآية وصفتها بالإعتراضية وذكرت رأي بعض المفسّرين أنّها من ضمن قصّة نوح وصفًا لقومه الذين اتهموه بالكذب والافتراء في دعوته فلم ترتضيه ، ورجّحت كون الآية تشير إلى حكاية لقول مشركي قريش في تكذيب هذه القصص . ونلحظ أنّ المفسرة غادرت السّياق العام في خطاب الآيات في قصة نوح اعتمادًا على رأي مقاتل وهو ما عليه جملة من المفسرين[٣] . فحضور قاعدة السّياق في التّفسير لهذا الشاهد وارد والتّرجيح واضح على عكس ما أفرزه السّياق.

وإذا ما نظرنا الى بعض الآراء في تحليل السّياق قالوا: ظاهر السّياق يدل على أنّ ضمير (يقولون)عائد إلى قوم نوح ، والهاء في (افتراه) إلى الوحي الذي بلغهم إيّاه، والمعنى قل يا نوح لقومك : إن كنت كاذبًا فيما أقول كما تزعمون فأنا وحدي المسؤول عن ذلك، وعلي إثمه وعقابه، وان كنت صادقًا فأنتم المسؤولون، وعليكم وحدكم يقع عقاب التكذيب، وأنا بريء من أعمالكم وجرائمكم[٤] أمّا قول المفسّرة ذهبت الى أنّ الآية اعتراضية وهي تخصّ مشركي قريش فهي بذلك لم تعبأ لدلالة السّياق ووصف هذا التّفسير بالتضعيف عند بعض المفسرين[٥] ، قالوا : وهذا المعنى جائز في نفسه ، ولكنّه بعيد عن ظاهر السّياق[٦]

---

(١) هود :٣٥ .

(٢) ظ: حنان اللحام/ تأمّلات في سورة هود/ ٥٩ -٦٠ .

(٣) ظ: الطّوسي/ التّبيان في تفسير القرآن ، ٤٨٠/٥ . الطباطبائي/ الميزان في تفسير القرآن، ٢١٨/١٠ .

(٤) مغنية/ التّفسير الكاشف، ٢٢٨/٤.

(٥) ظ: مغنية/ التّفسير الكاشف، ٢٢٨/٤.

(٦) ظ: المصدر نفسه، ٢٢٨/٤.

والمختار من الرأيين هو راي المفسرة على أن تكون جملة اعتراضية لكن ما ذكرته لا يبعث الاطمئنان أكثر ممّا أشار اليه من تحليل وتفصيل قالوا: احتمل بعض المفسرين أن الآية الأخيرة ليست ناظرة إلى نبي الإسلام، بل ترتبط بنوح عليه السلام نفسه، لأن جميع هذه الآيات تتحدث عن نوح عليه السلام، والآيات المقبلة تتحدث عنه أيضًا، فمن الأنسب أن تكون هذه الآية في نوح عليه السلام، والجملة الاعتراضية خلاف الظاهر، ولكن مع ملاحظة ما يأتي [1] :

- إن شبيه هذا التّعبير وارد في سورة الأحقاف الآية (٨) في نبيّ الإسلام .
- جميع ما جاء في نوح عليه السلام في هذه الآيات كان بصيغة الغائب، ولكن الآية جاءت بصيغة المخاطب، ومسألة الالتفات - أي الانتقال من ضمير الغيبة إلى المخاطب -خلاف الظاهر، وإذا أردنا أن تكون الآية في نوح عليه السلام فإن جملة (يقولون) بصيغة المضارع، وجملة(قل) بصيغة الأمر، يحتاجان كليهما إلى التقدير!
- هناك حديث في تفسير البرهان في ذيل هذه الآية عن الإمامين الصادقين الباقر والصادق (عليهما السلام) يبين أن الآية المتقدمة نزلت في كفار مكة. من مجموع هذه الدلائل نرى أن الآية تتعلق بنبي الإسلام، والتهم التي وجهت إليه كان من قبل كفار مكة ، وجوابه لهم . وينبغي ذكر هذه المسألة الدقيقة ، وهي أن الجملة الاعتراضية ليست كلامًا لا علاقة له بأصل القول، بل غالبا ما تأتي لتؤكد بمحتواها مفاد الكلام وتؤيده ، وإنما ينقطع ارتباط الكلام أحيانًا لتخف على المخاطب رتابة الإيقاع وليبعث الجدة واللطافة في روح الكلام، وبالطبع فإن الجملة الاعتراضية لا يمكن أن تكون أجنبية عن الكلام بتمام المعنى، وإلا فتكون على خلاف البلاغة والفصاحة، في حين أننا نجد دائما في الكلمات البليغة والفصيحة جملا اعتراضية .ولها في القاعدة هذه دور في تفسيرها في مواضع [2]

ث -نموذج (٤) :قال تعالى :﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾ [3]

قالت (نائلة صبري) في هذه الآية : في ضوء تفسير المفردات : وقرن: الزمن ، ولا تبرجن: لا تظهرن ولا تبدين الزينة لغير المحارم، الرجس دنس المعاصي، الذنب الإثم . وفي ضوء التفسير أشارت إلى المعنى العام للآية لما تتضمن من توجيهات ودعمتها بالنّصوص الرّوائية من السّنة، الى قالت في قوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ ﴾ إنّما يريد الله عزّ وجل أن يزيل عنكم الذنوب والآثام ، وفي قوله تعالى: {أَهْلَ

---

(١) ظ: الشيرازي، الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٦/ ٥٢٧ .

(٢) ظ: حنان اللحام/ تأمّلات في سورة المائدة/ ٨٤ .

(٣) الأحزاب :٣٣ .

الْبَيْتِ} ياأهل بيت النبوة، وفي قوله تعالى ﴿ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ قالت: ويطهركم من دنس المعاصي... تطهيرًا لا يخالطه شبه [1]

وذكرت : عن أمّ سلمة قالت: في بيتي نزلت: إنما .. وفي البيت فاطمة وعلي والحسن والحسين ، فحللهم رسول الله (صلى اللّٰهُ عليهِ وآلهِ) بكساءٍ كان عليه ثم قال : (هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا) أخرجه الترمذي في التفسير عن عمر ابن أبي سلمة حديث (رقم: ٣٢١٦) ، وعن أنس أنّ النّبيّ (صلى اللّٰهُ عليهِ وآلهِ) كان يمر ببيت فاطمة –ستة أشهر - كلّما خرج الى الصلاة فيقول: الصلاة أهل البيت إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ ..) أخرجه الترمذي في التفسير عن أنس بن مالك (رقم: ٣٢١٧) وقال حسن غريب من هذا الوجه وأخرجه أحمد في مسنده رقم:(١٣٧٣٠) [2] يمكن الكلام عمّا جاء في تفسيرها لهذه الآية المباركة بجملة من الأمور :

- أنّها لم تلحق هذه الآية بالكلام في سياق قريناتها من الآيات السّابقات واللاحقات لها التي تشير إلى نساء النبيّ . فضلًا عن صدر الآية : ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ وهذا باعث عن إدراك المفسرة في أن الخطاب بسياقه قد اختلف .
- أشارت الى المعنى العام للآية بالعصمة بصورة غير مباشرة ولم تصرح بها ، وعمدت إلى بيانها بذكر أسباب النّزول وهي محقّة في ذلك .
- لم تتأثر المفسّرة بما ورد في التّفاسير عن طريق مدرسة الصّحابة التي ترى في الآية حديثها عن نساء النّبيّ لما يظهر من الآية وسياقها ،ومن تلك التّفاسير النّسويّة (حنان اللحام) في تفسيرها سورة الأحزاب [3]
- ذكرت تخريج ما أوردته من نصوص السّنّة عن الترمذي، وأحمد وذكرت أحكامًا بخصوصها (حسن، غريب)،ففي الرواية الاولى عن امّ سلمة ، والثانية عن أنس بن مالك .

وعلى ما تقدّم من نقاط يمكن القول فيها :

- في النقطة الاولى لم تلحظ المفسرة أنّ النص خرج عن دائرة السياق في لحاظ الخطاب عن النساء ولم تشر إليه ، وهو أن الخطاب مختلف بدلالة (عنكم) دون ما يشير إلى عموم النساء من ضمائر من أمثال (عنكن) . وقالوا: وهذا يعطي دلالة أنّ السياق تغيّر مساره من التأنيث إلى غير ذلك ، وهذا ما يقّره البعض ويُسلم به، إلا أنّ البعض وسّع هذا التغبير لم يتأمل في تغيير السّياق عن نون النسوة الذي يثير

---

(١) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن ، ٨/ ٢٢/ ٥٦.

(٢) ظ: المصدر نفسه ، ٨/ ٢٢/ ٧.

(٣) ظ: حنان اللحام/ تأمّلات في سورة الأحزاب/ ٧٩ -٨٠

أمرًا حول بقاء نساء النبيّ (صلى اللّهُ عليهِ وآلهِ) ، لكن يدفع ذلك التوسع من خلال أمرين : الاول: (إنّما) الحصريّة بالسّياق ، والثاني: الروايات الصريحة [١]

- وفي النقطة الثانية أشارت بكلامها الموجز بالعصمة بلا تصريح، حيث إذهاب الرجس لا يكون إلّا بالعصمة من الذنوب، لأنّ الذنوب من أرجس الرجس والخبر عن الإرادة هنا، إنّما هو خبر عن وقوع الفعل خاصة دون الإرادة التي يكون بها لفظ الأمر أمرًا، لا سيما على ما اذهب إليه في وصف القديم بالإرادة ، وأفرق بين الخبر عن الإرادة هاهنا والخبر عن الإرادة في قوله: {يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ} [النساء: ٢٦]،وقوله: {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ}[البقرة: ١٨٥]، إذ لو جرت مجرى واحدًا لم يكن لتخصيص أهل البيت بها معنى، إذ الإرادة التي يقتضي الخبر والبيان، يعمّ الخلق كلّهم على وجهها في التفسير، ومعناها، فلمّا خصّ اللّه أهل البيت عليهم السلام بإرادة إذهاب الرجس عنهم، دلّ على ما وصفناه من وقوع إذهابه عنهم وذلك موجب للعصمة، وفي الاتّفاق على ارتفاع العصمة عن الأزواج ، دليل على بطلان مقال من زعم أنّها فيهنّ، وذلك أنّه لا خلاف بين أهل العربية أنّ جمع المذكر بالميم ، وجمع المؤنث بالنون، ولا يجوز في لغة القوم وضع علامة المؤنث على المذكر، ولا وضع علامة المذكر على المؤنث، ولا استعملوا ذلك في حقيقة ولا مجاز [٢] .
- ويرد على النقطة الثالثة في القول أن ظاهر النص وسياقه يخص نساء النبيّ قالوا: أنّه لا خلاف بين الأمّة أنّ الآية من القُرآن قد يأتي أوّلها في شيء، وآخرها في غيره، ووسطها في معنى وأوّلها في سواه، وليس طريق الاتّفاق في معنى إحاطة وصف الكلام بالآي ، وقد نقل المخالف والموافق ، أنّ هذه الآية نزلت في بيت أمّ سلمة [٣]

كما يلحظ أن السياق قبل هذه الآية يخصّ النّساء بدلالة الضّمير في قوله :﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾[٤]وبعد آية التطهير يرجع مرّة ثانية بالآية للضمير أيضًا في قوله:﴿ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾[٥]، وهذه دلالة على اختلاف المشار إليهم في آية التّطهير حكمة بالغة مقصودة. وما ذهبت اليه (حنان اللحام) كما أشرنا الى رأيها في الآية ، قد ذكرت حِكَمًا في الجمل الاعتراضية وسط السّياق وقد ذكرنا ذلك في الجانب (التّنظيريّ) [٦] :

---

(١) ظ: د. علي العلي / نحو قراءات منهجية آية التّطهير نموذجاً/ ٨٣ .

(٢) ظ: المفيد / تفسير القرآن المجيد/ ٤١١ .

(٣) المصدر نفسه/ ٤١١ .

(٤) الاحزاب :٣٢ .

(٥) الأحزاب :٣٤ .

(٦) ظ: حنان اللحام/ تأمّلات في سورة هود/ ٦٠ .

- وعلى النقطة الرابعة: أن الرواية عن عمر ابن أبي سلمة[١] وهو ربيب النبيّ الاكرم (صلى اللّهُ عليهِ وآلهِ) ومن الصحابة، لا بأس به، وعُدَّ من الثقات[٢] قال عن حديثه الشيخ الالباني أنه (صحيح)[٣] ونص ما ذكرت المفسرة عنه قد أورده الطبري في تفسيره[٤] وزد على ذلك ما أورده عن الامام علي بن الحسين(ع[٥]

وهناك شواهد كثيرة وقفت عندها (نائلة صبري) في ضوء هذه القاعدة[٦]

ث - نموذج (٥) : قال تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ٧٠ ﴾[٧]

(ماجدة الفارس) لها اهتمام بالغ لقاعدة السّياق القُرآني في تفسيراتها، ففي النّص المتقدم تلحظ المعنى العام للنّص القُرآنيّ وترى تتابع الآيات بسياقها الواحد في دائرة التّرغيب او التّرهيب قالت: في نهاية المطاف يعود سياق الآيات التّرغيب واستجاشة القلوب والتلويح للأرواح بمتاع الرفقة التي تطيب لها القلوب ، رفقة النّبيين والصديقين والشهداء والصالحين[٨] وفي هذا السياق شعرت المفسرة بتتابع الآيات بما يرغب القلوب ويلوح لها بأن يكون المطيع للّه والرسول برفقة النّبيين والصّديقين .. بإشارتها هذه تعطي للنّص ارتباطًا بما قبله بما يحقق السّياق المتواصل الذي أفادت منه ببيانها المعنى العام للآية . وفي دائرة الترغيب والترهيب أيضًا تشير المفسرة [٩] وفي شاهدٍ آخر قال تعالى:﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ

---

(١) ترجمته: عمر بْن أبي سَلمَة بْن عَبْد الْأسد بْن هِلَال بْن عَبْد اللَّه بْن عمر بْن مَخْزُوم المَخْزُومِي ربيب رَسُول اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ[واله] وَسَلَّمَ) ولد بِأَرْض الْحَبَشَة توفّي رَسُول اللَّهِ (صلى اللّهُ عليهِ وآلهِ) وَهُوَ بن تسع سِنِين وَهُوَ الَّذِي قَالَ لَهُ النَّبِي (صلى اللّهُ عليهِ وآلهِ)ادن يَا بني كل بيمينك وكل مِمَّا يأتيك توفّي بِالْمَدِينَةِ فِي أمارة عَبْد الْملك بْن مَرْوَان وكنيته أَبُو حَفْص وَأمه أم سَلمَة بنت أبي أُميَّة زَاد الرَّاكِب " ابن حبان/ الثقات، ٢٦٣/٣ .

(٢) ظ: العجلي/ تاريخ الثقات ، ٣٥٨/١ -٣٥٩، (حديث: ١٢٣١) ،

(٣) ظ: الترمذي/ (الجامع الكبير) سنن الترمذي، ٣٥١/٥ . حديث(٣٢٠٥) ، الالباني/ صحيح وضعيف سنن الترمذي، ٢٠٥/٧ .

(٤) ظ: الطبري/ جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٦٦/٢٠ .

(٥) ظ: المصدر نفسه، ٢٦٦/٢٠ .

(٦) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن، ١/١/ ٩٠، ١/١/ ٦٠. وما بعدها .

(٧) النساء :٦٩ -٧٠ .

(٨) ظ: ماجدة الفارس/ التوضيح والبيان في تفسير آي القرآن، ٣/ ٩٣.

(٩) ظ: المصدر نفسه، ٤/ ٣٩٧.

عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ ﴾[1] قالت (ماجدة الفارس) : هذا سياق جديد متصل بها سبق من مقاصد هذه السورة أتمّ الاتصال ، وهو الاحتجاج على مشركي مكة بأنّ الله تعالى سيخذلهم وينصر رسوله كما نصر من قبله من الرّسل على أقوامهم فأنجاهم والمؤمنين وأهلك أقوامهم هذا النبأ بيان لسنة الله في نصر رسله على المكذبين وإنّ هؤلاء الضعفاء سيكونون خلائف الأرض [2]

ويمكن بيان ما لاحظته المفسّرة في هذا الشّاهد ما يأتي :

- ترى المفسّرة في هذه الآية سياقًا جديدًا في الخطاب لما فيه من مقاصد تتصل بالسّورة وما فيها على اتمّ الاتصال، وهذا التفات للسياق العام لما ترشد اليه السّورة عمومًا .
- أفادت منه توجيه المعنى: وهو الاحتجاج على مشركي مكة بأنّ الله سيخذلهم وينصر رسوله كما نصر من قبله من الرّسل على أقوامهم فأنجاهم والمؤمنين وأهلك أقوامهم...
- حضور القاعدة عند المفسرة وأفادت منها في بيان المعنى العام للنّصّ القُرآنيّ ومدى ارتباطه بمقاصد السّورة القُرآنيّة كونها وحدة مترابطة ومتماسكة الموضوع بتنوع الاغراض والمقاصد .

وبها بيان واسع في بيان السياق القصصي وتنوعه ولا يمكن درجه في هذا المطلب يمكن مراجعته [3]

---

(١) يونس :٧١ .

(٢) ظ: ماجدة الفارس/ التّوضيح والبيان في تفسير آي القرآن، ٦/ ٣٣٥.

(٣) ظ: المصدر نفسه ،٨/ ١٧٣ -١٧٤.

ما خلصنا إليه في الفصل الثّاني نوجزه فيما يأتي :

١ - جاءت قواعد التّفسير مستخلصة من التّفاسير النّسويّة بعضها صُرّح بها وبعضها مستنبط من تطبيقاتهنّ وهي على وفق التّقسيم الآتي:

- القسم الأوّل : قواعد المعاني حيث ضمّت : قاعدة ظواهر القُرآن، وقاعدة ردّ المتشابه الى المحكم، وقاعدة حمل العام على الخاص، وقاعدة حمل المطلق على المقيّد، قاعدة ردّ المجمل إلى المبيَّن أو(المفسّر).
- القسم الثّاني: قواعد النّصوص حيث ضمّت: قاعدة أسباب النّزول، وقاعدة نسخ النّصوص، وقاعدة الوجوه والنّظائر ، وقاعدة السّياق القُرآنية .

٢ - التزمتِ المفسّراتُ بـ(قاعدة ظواهر القُرآن) في بعض النّصوص منهنّ بنت الشّاطئ فكانت لا تأخذ بما يخالف ظهور النّص وإن اتفق جمعٌ من المفسّرين على خلافه كما تبيّن لك في الأمثلة السّابقة، وهكذا بقية المفسّرات تعاملت مع الظهور بمساحة واسعة لكن في بعض الموارد وجد مخالفة بعضهن ظاهر النّص تمسّكًا بدليل خارج عنه غير معتبر، وفي ذلك قالوا : ما لم يقم دليلٌ معتبرٌ يدلُّ على خلاف ظاهر النّص فلا يجوز العدول عنه ، وما لمسناه عند ((نائلة صبري) (ماجدة الفارس)) في مسألة خلق حواء من ضلع آدم استنادًا لرأي رواية قد عارضها ظاهر النّص ونصوص أخرى وروايات معتبرة كما تبيّن، فقد لُوحظ عليهنّ التّمسّك بجملة من الرّوايات المخالفة لما ذكر .

٣ - قاعدة (ردّ المتشابه إلى المحكم) قالت بها التّفاسير النّسويّة وصرّحت بها في تفسيرهنّ لآية آل عمران السّابعة وقد سيقت الامثلة في ذلك إلا بنت الشّاطئ ، وكانت هي الاخيرة قد عمدت إلى تطبيق القاعدة في بيان تفسير الآية الاولى من سورة القلم ولم تعبأ بمَنْ قال أنّها من المتشابه، وهنا ينبغي الاشارة إلى أمر جدير بالذّكر وهو أنّ المفسّرات توقفن على بعض النصوص بحجة أنّها من متشابه أو خشية أن يكون قولًا على الله بغير علمٍ فأمسكنَ عن التّفسير سوى ما ورد فيه أثر صحيح، وهذا ما لا يرتضيه القُرآن ولا العقل .

٤ - لم تصرّح التَفاسير النّسوية بـ(قاعدة حمل العام والخاص) ألا أن تتبع البحث رَصَدَ كثيرًا من النّصوص القُرآنيّة التي طبّقت فيها هذه القاعدة وبان مراد تلكم الالفاظ العامّة آيات القُرآن الكريم بمخصصاتها سواء كانت متّصلة أو منفصلة ، وقد حُكّمت في مجالات متعددة من القُرآن كانت شرعية أو أخلاقية أو عقائدية .

٥ - نلحظ في تطبيقات المفسّرات لـ(قاعدة حمل المطلق على المقيّد) بشكل واسع عند بنت الشاطئ و(حنان اللحام) نسبيًا، ولعلّ أكثر المفسّرات حضورًا في ضوء التّوظيف والتّصريح لهذه القاعدة هي (ماجدة الفارس) في مدونتها، فكثيرًا ما تنبّه على هذه القاعدة وتستذكرها في طيات بيانها للقرآن الكريم، كما غاب تمامًا من تفسير (زينب الغزالي)، و(نائلة صبري) لم تلفت النّظر لها ، ولأهمية القاعدة يجدر بالمفسّر الحاذق أن يتسلّح بها قبل الغور في سبر هذا العلم الشّريف ، وجاءت هذه القاعدة بوصفها مرتكزًا أساسيًا في تناول التّفسير الموضوعيّ فعادة ما يُستعان بها في جمع الآيات القُرآنية لا سيما التي تتعلق بالأحكام الشّرعية . وهذا ما وجدناه في تطبيقات بعض المفسّرات .

٦ - إنّ محور الكلام في ضوء قاعدة ردّ المجمل إلى المبيّن أو(المفسّر) في التّفاسير النّسويّة قد انبرى واضحًا في مدار التّنظير فقد صُرِّح بها، و في مدار التّطبيق وظفتها وأفادت منها على نطاقٍ واسع، وذلك في شواهد متّعددة سواء كان التّبيين متحصّلًا لتلك الآيات المجملة بطريق القُرآن جاء تفصيله أو بطريق السّنة وبالتالي تناوش المفسّرات بما تزودت به من مكنة معرفيّة في سبيل بيان وكشف الستر عن الدّلالة القُرآنيّة الغامضة و المجملة . كما أفادت منها في مجال بيان آيات الأحكام وغيرها .

٧ - كثرت الموارد في ظل قاعدة (أسباب النّزول) فالمفسّرات كانت على وعي اتجاهها ولعلّ (نائلة صبري) أكثر من تورد الأسباب أو مروياتها في الموضوع الواحد وهذا ملاحظ عليها ، وكانت بنت الشاطئ لها موقف اتجاهها إذ تعدها قرائن حول النّص لكن لم تهملها البتة، وهكذا بقية المفسّرات قد استفدن ورجعن لهذه القاعدة في بيان المراد وإيضاحه وكشف مصداقه لكن، (حنان اللحام) تقول :علمًا أن أخبار أسباب النّزول بحاجة إلى تحقيق أكثر ،و(ماجدة الفارس) لم تهمل الحكم على الحديث صحةً وحسنًا وضعفًا إلا في مواضع، وعمومًا يلحظ عليهنّ في بعض الشّواهد المهمّة غياب الأسباب كما أشرنا اليه في محلها .

٨ - عُنيتِ التّفاسيرُ النّسويّة بقاعدة نسخ النّصوص بلحاظ الجمع بين الآيات النّاسخة والمنسوخة، ولم يكن بمستوى واحد فالتّفاوت واضح بينهنّ، فنلحظ الغياب عند بنت الشاطئ والاقلال الى حدٍ ما عند (زينب الغزالي)، ويظهر الموقف الحاسم عند (حنان اللحام) في مدوناتها وخلصت الى عدم وقوع النّسخ الا في موردٍ واحد كما ذكرته في نهاية سورة التّوبة، مع ما عليه من نقد وما فيه من تعارض بينه وبين أقوالها في مدوناتها الأخرى،. ويتجلى الاستناد للقاعدة عند (نائلة صبري) بكثرة ؛ تمسكًا بما ورد عن السّنة. ومثلها (ماجدة الفارس) . والسّبب في قولهنّ بوقوع النّسخ أولًا على قول المتقدّمين، وثانيًا لوجود التشابه بين النّصوص فيحسبونه من قبيل النّسخ .

٩ - إنّ (الوجوه والنّظائر) بوصفها قاعدة تفسيرية ظهرت عند المفسّرات ،فقد اهتمّت بها بنت الشّاطئ بإيراد الوجوه للمفردة القُرآنيّة الواحدة بما تحمله من معانٍ، قال بها المفسّرون على اختلافها، وكانت تعي المعاني لتلك المفردة ،تعمد على مناقشتها، ثم تَخلُص من ذلك بوجه ترتضيه وتسوق عليه الأدلة والقرائن المطمئنة بطرق مختلفة لا سيما الاستقراء القُرآني والسياق العام للفظة وسياقها

داخل السّورة والآية وخارجها. كما نلحظ تّعاملها مع النّظائر القُرآنية ،وامّا (زينب الغزالي) لا تختلف في هذا الجانب فلها مع قاعدة(الوجوه والنظائر) علاقة صلة في تفسيرها فهي تلحظ المعاني أو الوجوه المتعلقة بالمفردة الواحدة، وعلى قلّتها كانت بعض الأحيان تختار. تعرّضت (حنان اللحام) و(ماجدة الفارس) للوجوه والنّظائر بشكل موسّع وبارز، فهما تعرضا المفردة القُرآنية وتلحقاها بوجوهها المتعددة وتدعماها بالشّواهد القُرآنيّة لتستبينا معنى كل مفردة في سياق آيتها وموردها، أمّا النّظائر فقلّ استخدامها عند (حنان اللحام) بهذا المصطلح وإنّما تعبّر في بعض الأحيان بلفظ(شبيه) ، والناظر لمدونة (نائلة صبري) يلمح تجلّيات القاعدة وتوظيفها في التّفسير ،وذلك بإيرادها المفردة ووجوهها المتعددة على طول تفسيرها وفقًا وتطبيقًا لمنهجها السّائد تحت عنوان (تفسير المفردات)، ويلحظ عليها انّها تقلّ من إسنادها الشّاهد القُرآنيّ ،فهي تأتي بالمفردة وبيان معانيها اللغوية، ولم تصطفِ منها وجهًا محددًا ينسجم مع سياق الآية أو الجملة وإذا ما تحصل فهو نادر، لذا إفادة المفسرة من هذه القاعدة بلحاظ (الوجوه) عزيز، وإذا ما تتبعنا النّظائر فلا تكاد تخلو آيةً من أن تحشّد لها نظيراتها. وبهذا لا غرابة أن تكون أكثر المفسّرات استيعابًا للنّظائر القُرآنيّة في تفسيرها .

١٠ - أمّا (قاعدة السّياق القُرآنيّة) ، فقد ركنت بنت الشاطئ إليها وبدى واضحًا وجليًا على قدرٍ كاد يغطي منهجها السائد في نقدها لآراء المفسرين، واحتجّت به عليهم، فلا تخرج من بيان آية أو مفردة حتى تنظر ما حول النّص القُرآنيّ من سابقٍ أو لاحقٍ في جو سياق الآية أو السّورة ثم في المصحف كلّه التماسًا لسّره البيانيّ ، وهذا ما يُحمد عقباه ولا غرو أن قلنا أنّها رائدة في هذا المجال من بينهنّ، وتحكيم السّياق القُرآني عند (زينب الغزالي) وإن قلّت موارده إلا أنّه كان حاضرًا في مدونتها وأفادت منه في بيان المراد، وكذا (حنان اللحام) فهي تعمد في بعض الأحيان أن تبيّن غايات السّياق والغرض منه لا سيما فيما إذا اعترضت جملًا في سياق قرآنيٍ عادة تشير إلى غايته، وقد انفردت من دونهنّ في مدار التنظير لهذه القاعدة كما أشرنا له في محلها . وإنّ أكثر ما عليه (نائلة صبري) أنّها تشير الى قاعدة السّياق في ضوء بيان علاقة وارتباط الآية بما قبلها وما بعدها من الآيات ،وتخلص من ذلك في بيان المعنى العام للآية بقرينة أختها، و(ماجدة الفارس) بارزة في بيانها مراد النّص القُرآنيّ وذلك بملاحظة السّابق واللاحق للآية أو الجملة، فتحاول أن تبيّن عن طريق السّياق بتوظيفها إياه أن تلحظ تلك النّكات والمعاني المستترة، فضلًا عمّا تختزله الآيات في جو سياقها العام في السّورة أو عموم القُرآن بما تستعين به من نصوص قرآنيّة أخرى .

الفَصلُ الثّالث

النَّقدُ في مجال (تأريخِ القرآنِ):

- المبحثُ الأوّل : النَّقد في مجال (الوحي)
- المبحثُ الثّاني : النَّقد في مجال (نزول القرآن)
- المبحثُ الثّالث : النَّقد في مجال (المكيّ والمدنيّ)
- المبحثُ الرّابع : النَّقد في مجال (القراءات)
- المبحثُ الخامس : النَّقد في مجال (سلامة القرآن)

الفَصلُ الثّالث: النَّقدُ في مجال (تأريخِ القرآن)في التّفاسير النّسويّة

مدخل :

تتبّع البحث في طيات التّفاسير النسويّة فتمخضت جملة من الموضوعات التي ترتبط بتأريخ القرآن الكريم، حيث أفادت منها المفسرات في بيان وتوضيح الآيات القرآنيّة وشهدت تلكم الموضوعات بحجمها مادة قيّمة جديرة بإثباتها في فصل متفردٍ من هذا البحث، ولما كان لمباحث تاريخ القرآن من أهميّة في الدّراسات القرآنيّة الخاصة بالنّساء التي قلّ مثلها، آل البحث إلى أن يصنفها في المباحث بغية تحليلها ومناقشتها حسب ما يستدعيه مقتضى الحال .

كما وأنّ مباحث تاريخ القرآن واسعة تناثرت في التّفاسير النّسويّة وعلى هذا اقتضى الجهد اتجاهها أن يكون على سبيل الإيجاز والانتقاء سعيًا للبحث صوب إخراج ما لها من قيمة معرفيّة ذات علاقة بالنّص القرآني، فجاءت الموضوعات على وفق المباحث الآتية :

المبحثُ الأوّل : النَّقد في مجال (الوحي) .

المبحثُ الثّاني : النَّقد في مجال (نزول القرآن) .

المبحثُ الثالث : النَّقد في مجال (المكيّ والمدنيّ) .

المبحثُ الرّابع : النَّقد في مجال (القراءات) .

المبحثُ الخامس : النَّقد في مجال (سلامة القرآن) .

المبحثُ الأوّل : النّقدُ في مَجالِ (الوَحي) :

توطئة :

الكلام في مجال الوحي يُعدّ من المسائل المهمّة التي تخصُّ القرآن الكريم ومباحثه التّاريخية ولا تكاد أن تنفصم عنه، إذ الوحي يُعدُّ الوسيلة الرابطة بين السماء والأرض وله حساسيّة في إثبات القرآن الكريم وصدوره عن الذات المقدسة، وقد أخذ مساحة واسعة في القرآن الكريم ووقف عنده العلماء والمفسرون وجعلوه نقطة البداية في بحوثهم في تاريخ القرآن الكريم. ومن هنا ينبغي الوقوف على التّفاسير النّسوية نظرًا لمعانيها و دلالاتها أولًا ، ومن ثم معرفة الدّور الذي تلعبه هذه المفردة وصيغها المتنوعة في كلام الله تعالى ، وما يتجلى من الآيات في تناولها ، وإرادة معناها الشرعي في التّبليغ وهو الغالب ذكره في القرآن ، دون المعاني البسيطة التي جاءت في بعض الشواهد كما سيتبيّن إن شاء الله .

دأبت التّفاسير النّسويّة بأن تتناول مسألة الوحي وما يتعلق بها في طيات تلك الصّفحات، فنلحظ لهنّ اهتمامًا بالغًا بهذا الصّدد وبعد التّتبع لزم النّظر لتلك المادة وعرضها في هذا المبحث للوصول الى ما هو جديد في الموضوع أو هو تكرار ما كان موجود . كما وقد عصفت بهذا الموضوع آراء ووجهات نظر من هنا وهناك، وعلى هذا الاساس سيقف البحث على الموضوعات وفق جملة من المطالب تحليلًا ومناقشة .

المطلب الأول: تعريف الوحي :

أ -الوحي لغةً:

لوحظ في التفاسير النسويّة اهتمامًا لبيان الوحي في ضوء اللغة : عرضت بنت الشاطئ جملة من الاقوال في مفهوم الوحي واختارت بقولها : و(الراغب) كان أقرب إلى حس العربية وهدى القرآن حين قال: "الوحي الإشارة السريعة مع الخفاء، فإن كان الموحي إليه حيًا فهو إلهام، وإن كان جمادًا فهو تسخير". فالعربية

قد استعملت الوحي بمعنى السرعة، فقالت: الوحي الوحي، أي البدار البدار. ومن أمثالهم: الموت بالسيف أوحى، أي أسرع وأحسم. ولحظ مع السرعة الخفاء، فقيل وحي إليه، أشار وكلمه سرًا. ومن الخفاء والسرعة الملحوظين في المادة، جاء الوحي بمعنى الإلهام بملحظ من خفاء مصدره وسرعة حدوثه [١]

و(حنان اللحام) في تفسيرها قالت: وتستعمل كلمة الوحي بمعنى الإعلام الخفي السّريع [٢]

وذكرت (نائلة صبري) بصريح القول الوحي لغةً: الإيماء والاشارة والإلهام [٣] وذكرت (ماجدة الفارس) صراحةً: الوحي لغة: "هو الاعلام بسرعة وخفاء" [٤] وقالت في موطن آخر: "الوحي الكلام الخفيّ والاشارة الدّالة على المعنى الكلامي، ومنه سمّي ما يلقي الملك الى الرّسول وحيًا، لأنّه خفيّ عن أسماع الناس" [٥]

يكمن النّقد على مّا تقدّم بالآتي:

١ - ما قامت به بنت الشاطئ من اختيار الأقرب من بين آراء العلماء حيث استعمال الكلمة في حس اللغة العربيّة والقرآن الكريم جاء بمعنى أنّ الوحي: هو الإشارة السريعة مع الخفاء، وهذا ما لاحظته عند الراغب، وعند غيره من العلماء أيضًا [٦] وقد قسّمت الوحي بلحاظ الموحى إليه إن كان حيًّا فالوحي له إلهامًا وإن كان جمادًا فالوحي اليه تسخيرًا .

٢ - (حنان اللحام) و(ماجدة الفارس) تعرضتا لمعنى الوحي بلحاظ (الإعلام بالسّرعة والخفاء) هو ما جاء عن الرّاغب والذي اختارته بنت الشاطئ وهنا محل اتفاق بينهنّ . وأمّا (نائلة صبري) اختلفت حيث تقول به على نحو: الإيماء والاشارة والإلهام . وهذه من استعمالات القرآن لهذا اللفظ [٧]

٣ - إنّ الوحي هو إلهام على ما ذكرته ((نائلة صبري)) فيه نظر عند الجرجاني يقول أنّه: "قد كان على سبيل الإلهام، وكالشيء يلقى في نفس الإنسان، ويهدى له من طريق الخاطر والهاجس الذي يهجس في القلب، فذلك مما يستعاذ بالله منه، فإنه تطرق للإلحاد" [٨] ويمكن حمل الوحي على الالهام على أساس ما ذهب اليه ابن فارس من الالهام بقوله: "الالهام كأنه شيء ألقي في الروع فالتهمه" [٩] أو

---

(١) بنت الشاطئ/ التفسير البيانيّ للقرآن الكريم، ٨٩/١.

(٢) ظ: حنان اللحام/ من هدي سورة النّساء/ ٤١٦ .

(٣) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن، ٦/٣/ ٢٠ .

(٤) ماجدة الفارس/ التوضيح والبيان في تفسير القرآن، ٤/ ١٦٥ . وأيضاً: ٦/ ٢٣٥ .

(٥) المصدر نفسه ، ٨/ ٤١٤.

(٦) ظ: الازهري/ تهذيب اللغة، ١٩٣/٥ .

(٧) ظ: الانباري/ الزاهر في معاني كلمات الناس، ٣٤١/٢.

(٨) الجرجاني/ الرسالة الشافية، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن/ ١٥٦ .

(٩) ابن فارس/ مقاييس اللغة، ٢١٧/٥ .

أو من قبيل أنّ الإلهام ما يبدو في القلب من المعارف بطريق الخير ليفعل وبطريق الشر ليترك[١] وهنا يمكن حمل الالهام على أنّه طريق من طرق الوحي بالمعنى الذي ذكره الجرجاني.

٤ - كما لا يمكن إنكار الوحي في معنى الاشارة السريعة والخفاء.. إلا أنه في الوقت نفسه لا يمكن قبول لزوم التمسك بهذه الخاصّية في كل استعمالات الكلمة ففي الإستعمال القرآني هناك حالات تخلو من هاتين الصفتين[٢] إذ لا يمكن حصر معناه بما ذكر؛ لأنّ القرآن وسّع دلالته بأكثر ممّا قيل عنه. وبذلك أصبحن عيال على ما ذُكره العلماء . ولم يكن لهنّ تعريفاً لغويًا للوحي .

٥ - كما لا تخرج دلالة الوحي ممّا تقدّم ذكره أن يلخص بما يأتي : الاشارة والايماء قال تعالى :﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾ ﴾[٣] والامر : قال تعالى :﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ ﴾[٤] والالهام : قال تعالى:﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ﴾[٥] والخفاء : قال تعالى: يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾[٦]

ب - الوحي اصطلاحًا :

وردت تعريفات لمفردة الوحي في التّفاسير النّسوية: ترى بنت الشّاطئ في تعريفه: جاء الوحي بمعنى الإلهام بملحظ من خفاء مصدره وسرعة حدوثه. والقرآن استعمل الوحي في خفي الإلهام في قوله:﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ ﴾[٧][٨] على أن أكثر استعمال الوحي في القرآن، فيما يلقيه الله إلى أنبيائه[٩]

وفيه: إنّ بنت الشاطئ مالت الى ما أفاده الرّاغب في بيان الوحي على معنى السرعة والخفاء وبذلك ينحدر المعنى الاصطلاحي من المعنى اللغوي وهو ما عليه أغلب العلماء وقد أيدوه[١٠] لكن حصر الوحي

---

(١) ظ: أبو هلال العسكري/ الفروق اللغوية/ ٨٣ .

(٢) ظ: جوان حسين آرسته / دروس في علوم القرآن (تعريب: خليل العصامي)/ ٥٦ .

(٣) مريم :١١.

(٤) الزلزلة :٤ -٥ .

(٥) النحل :٦٨ .

(٦) الأنعام :١١٢ .

(٧) الشورى :٥١ .

(٨) ظ: بنت الشّاطئ/ التّفسير البيانيّ للقرآن الكريم، ٨٩/١ .

(٩) ظ: المصدر نفسه، ٩٠/١ .

(١٠) ظ: د. حكمت الخفاجيّ / التّفسير الموضوعيّ للقرآن الكريم وموضوعاته/ ٢٤٤ .

وتقيده بالإلهام فيه نظر لأنّ هناك فرقًا بين اللفظين . قال بعضهم: ويتجلّى الفرق بين الإلهام والوحي، أنّ مصدر الإلهام باطني، وأنّ مصدر الوحي خارجي بل الإلهام من الكشف المعنوي، والوحي من الواقع الشهودي، لأن الوحي إنّما يتحصل بشهود الملك وسماع كلامه، أمّا الإلهام فيشرق على الإنسان من غير واسطة[١] الإلهام: ما يلقى في الروع بطريق الفيض. وقيل: الإلهام: ما وقع في القلب من علم، وهو يدعو إلى العمل من غير استدلال بآية، ولا نظر في حجة، وهو ليس بحجة عند العلماء، إلا عند الصوفيين[٢] كما أشارت بنت الشاطئ إلى أنّ الوحي إعلام ويقول الجرجاني :أنّ الإلهام أخص من الإعلام[٣] وقيل: الإلهام يحصل من الحق تعالى من غير واسطة الملك. والوحي: من خواص الرسالة، والإلهام من خواص الولاية. وأيضًا الوحي مشروط بالتبليغ، كما قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾[٤] دون الإلهام. ومنهم من جعل الإلهام نوعًا من الوحي[٥] .

وجاء عند (حنان اللحام) مفهوم الوحي بقولها : وحي الأنبياء: هو العلم الذي يأتيهم من الله سبحانه ليبلغوه النّاس، وقد يكون الوحي بواسطة ملائكة أو بغير واسطة –وجدانيًا -[٦] وعند (ماجدة الفارس) الفارس) في الاصطلاح: قالت: الوحي: "هو إعلام الله لمن اصطفاه من عباده بكل ما أراد اطلاعه عليه من ألوان الهداية والعلم بطريقة سريّة خفيّة غير معتادةٍ للبشر"[٧] وفي موطن آخر قالت الوحي: "تكليم الله لأحدٍ من عباده بواسطة أو بغير واسطة بشريعة يبلغها للناس"[٨] .

وعلى التّعريفات يمكن النّقد: إنّ المفاهيم متقاربةٌ من حيث الدلالة وإن اختلفت في ألفاظها وهي قريبة للمشهور بين العلماء من تعريف الوحي اصطلاحًا او شرعًا وهن عيال على ما ذكره المتقدّمون. لكن يبقى أن نشير إلى : أنّ تعريف الوحي عند (حنان اللحام) فيه تقسيم للوحي بواسطة أو دونها (وجدانيًا) . القسم الثاني من الوحي الذي وصفته بـ(الوجداني) يجعل الوحي في دائرة علم النفس ويدور في أروقة (التفكير والمكاشفة والوجدان) وهذا لا ينسجم حتمًا مع وحي الرّسالة والتّبليغ الذي لا يقبل التفكير ولا يوجده الوجدان ولا المكاشفة، قالوا : وإذا كان الوحي فعلا متميزًا، فهو صادر عن فاعل مريد، وهذا الفاعل المريد هو الله تعالى، وليس الإلهام والكشف كذلك، وهذا ما يميز الوحي عن المكاشفة، والوحي

---

(١) ظ: د. محمد حسين الصّغير/ تاريخ القرآن/ ١٦.

(٢) ظ: الشريف الجرجاني/ كتاب التعريفات/٣٤ .

(٣) ظ: المصدر نفسه/ ٣٤ .

(٤) المائدة : ٦٧ .

(٥) ظ:أبو هلال العسكري/ معجم الفروق اللغوية/٦٩ .

(٦) ظ: حنان اللحام/ من هدي سورة النّساء/ ٤١٦ .

(٧) ماجدة الفارس/ التّوضيح والبيان في تفسير القرآن، ٣/ ٢٦٢ .

(٨) المصدر نفسه، ٤/ ١٦٥ .

النفسي، والإلهام، إذ إنّ مردّ الإلهام يعود عادة إلى الميدان التجريبي لعلم النفس، ونزعة الوحي النّفسي في انقداحها تعتمد على التفكر في الاستنباط، والمكاشفة تتأرجح بين الشك واليقين[١].

وأمّا تعريف (ماجدة الفارس) الأول الذي ذكرته هو تعريف عبد العظيم الزرقاني[٢] قالت به ولم تنسبه الى قائله. ويبقى التعريف الذي له انحدار من المعنى اللغوي والذي يأخذ بنظر الاعتبار المعنى الشرعي في القرآن المتعلق بوحي الأنبياء وبذلك يكون المعنى الاصطلاحي أخصّ من اللغوي .

والجدير بالذكر أن وحي الرّسالة والتّبليغ حقيقة لا يمكن إدراكها والتّوصل الى كنهها من قبل الإنسان إلا من اختصّت به وممّن اصطفاهم الله تعالى واختارهم لها. يبقى ما قيل هو في دائرة الوصف وأروقة الخصائص والسّمات، ومما أنف ذكره يمكن صياغة مفهومٍ تقريبيّ أنّ الوحي : هو حلقة وصل خفيّة بين الله وأنبياءه بطرق مختلفة، والتي من خلالها يتمّ إيصال ألوان الهداية الالهيّة للبشريّة .

المطلب الثاني: الوحي في القرآن:

جاءت مادة (وحى) ومشتقاتها في القرآن الكريم بكثرة، فقد وردت لفظ(أوحينا) في خمسة وعشرين موضعًا، ولفظة (نوحي) تسع مرات، ولفظ (يوحي) عشر مراتٍ ، ولفظ (وحي) ثلاث مرات[٣] وما جاء منها بمعنى وحي الرّسالة في أكثر من سبعين موضعًا ، معبّرًا عن القرآن أيضًا بأنّه وحي ألقي على النبيّ (صلّى اللهُ عليهِ وآلهِ)[٤]

فكل كلمة لها وجه يظهر معناه وسط سياقها ، ومن هنا لزم البحث لينظر ما للتّفاسير النّسويّة من توجيه لهذا اللفظ واستعمالاته في القرآن الكريم . فدونك بنت الشاطئ اولًا تقول: والقرآن استعمل الوحي في معانٍ متعددة :

١ - بمعنى الوسوسة، وفيها السّر والخفاء، في قوله تعالى﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾[٥] [٦]

---

(١) ظ: د. محمد حسين الصّغير/ تاريخ القرآن/ ١٩.

(٢) ظ: الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ٦٣/١ .

(٣) ظ: مصطفى محمد/ الفهرس الموضوعي لآيات القرآن/ ١١٦ -١١٧.

(٤) ظ: معرفة/ التّمهيد في علوم القرآن، ٧٠/١ ،د. نذير الحسني / دروس في علوم القرآن/ ٤٣ .

(٥) الأنعام :١١٢ .

(٦) ظ: بنت الشاطئ/ التفسير البيانيّ للقرآن الكريم، ٨٩/١ .

٢ - الوحي :في خفي الإلهام في قوله تعالى:﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ ﴾[١] . وقوله تعالى:﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِى ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ ﴾[٢] وذكرت ما قاله الطبرسي في مجمع البيان في بيان آية الزلزلة: "أوحى لها، أي ألهمها وعرفها بأن تحدث أخبارها"[٣]

٣ - الوحي بمعنى التّسخير في آية:﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ﴾[٤] . وفي قوله تعالى:﴿ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ ﴾[٥] قالت: وفي آية الزلزلة، إنّما الوحي يكفى منه إيداع القوة فيها، ممّا هو أنسب لجو التّسخير والمطاوعة المسيطر على الموقف[٦] وهذا المعنى الذي أرادت به أن تجره لبيان معنى معنى مفردة(أوحى لها) أي للأرض، في سورة الزّلزلة.

٤ - الوحي : همُّ الأمر: ذكرت ما قاله: الشيخ محمد عبده: "الوحي هم الأمر الإلهي الخاص، قال لها: كوني خرابًا، كما قال لها عند إيجادها: كوني أرضًا. فهذا أمر من الأوامر التّكوينية التي هي تعلق القدرة الإلهية بما هو أثر لها"[٧]

عمدت بنت الشاطئ في ربوع بيانها لمعنى (الوحي) في سورة الزلزلة إلى استعراض آراء العلماء في بيان وجوه ومعاني (الوحي) وآل البحث على عرضها في هذا المطلب ليُعد جهدًا يحسب للمفسرة في مجال مباحث تأريخ القرآن الكريم، وفيه قد استطاعت المفسّرة ان تردّ الآراء التي قيلت في معنى إيحاء الارض ووجهت معنى المفردة في سياق سورة الزلزلة بمعنى التّسخير ودعمته بالنصوص التي جاءت على غرارها كما في النّقطة الثالثة . وفي ظل هذا التّفسير البيانيّ يظهر الاستعمال القرآني لمعاني ووجوه الوحي في القرآن الكريم.

وبالنّظر الى تفسير (زينب الغزالي) نلحظ لها اهتمامًا عابرًا لمسألة الوحي واستعمالاتها القرآنية، وتكاد لا تعطي معنًا للمفردة بسياق آياتها غالبًا ،فهي تختصر فتعبّر عن الكلمة بنفسها على كثرة استعمالها وتنوع معانيها، وبعد النّظر والتّتبع انتقينا بعض الاستعمالات القرآنية ل المفردة ترد بجملة من النّقاط:

---

(١) الشورى :٥١

(٢) القصص :٧ .

(٣) ظ: بنت الشاطئ/ التفسير البيانيّ للقرآن الكريم، ٨٨/١ .

(٤) النحل :٦٨ .

(٥) الزلزلة :٥ .

(٦) ظ: بنت الشاطئ/ التفسير البيانيّ للقرآن الكريم، ٩٠/١ .

(٧) ظ: المصدر نفسه ٨٩/١ .

- الإلهام، والهدى،والإرشاد: في قوله تعالى:﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ ﴾[1]قالت : ألهمت الحواريين فآمنوا بك واتبعوك ونصروك[2]

في قوله تعالى:﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ ﴾[3] أي ألهمها وهداها وأرشدها، وغرس في فطرتها[4].

١ - القرآن ، قال تعالى:﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾[5]قالت: هو مقول القول في الآية لمحمد(صلّى اللّهُ عليهِ وآلهِ) أي قل يا محمّد قد أوحيّ إليّ هذا القرآن وأيّدني به ربي لأنذركم به ومن بلغ[6].

١ - الكتاب والسّنة في قوله تعالى:﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا ﴾[7]قالت: يقرر الحق سبحانه وتعالى أن حرم برأي البشر في الجاهلية لا عبرة فيه، حيث لا عبرة في التّحريم إلا بما يحرمه اللّه تعالى فيما يوحيه إلى رسول اللّه(صلّى اللّهُ عليهِ وآلهِ) من كتاب أو سنة[8]

- الواسطة جبرائيل في تفسير قوله تعالى:﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾[9]قالت: إنّ الذي أنزل عليك جبريل بالقرآن إنّما هو اللّه تبارك وتعالى[10].

- العلم والتّعليم قال تعالى:﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾[11] قالت: اصنع الفلك بعين اللّه وعلمه وقدرته هذه هي سفينة النجاة[12].

ويمكن جمع دلالة مفردة (الوحي) عند (زينب الغزالي) (الالهام، القرآن، جبريل، التعليم، الكتاب والسنة) ومن ذلك يعرف أن لفظة الوحي في الاستعمالات جميعها تنطوي تحت الوحي التّبليغيّ الخاصّ

---

(١) المائدة :١١١ .

(٢) ظ: زينب الغزالي/ نظرات في كتاب اللّه، ١/ ٤٠٩.

(٣) النحل : ٦٨.

(٤) ظ: زينب الغزالي/ نظرات في كتاب اللّه، ٢/ ٣١ .

(٥) الانعام :١٩ .

(٦) ظ: زينب الغزالي/ نظرات في كتاب اللّه، ١/ ٤١٧.

(٧) الانعام: ١٤٥.

(٨) ظ: زينب الغزالي/ نظرات في كتاب اللّه، ١/ ٤٥٧.

(٩) البقرة :٩٨.

(١٠) ظ: زينب الغزالي/ نظرات في كتاب اللّه، ١/ ٦٢.

(١١) هود:٣٧.

(١٢) ظ: زينب الغزالي/ نظرات في كتاب اللّه، ١/ ٣٦٠.

بالأنبياء إلا إلهام الحواريّين .كما يلحظ لها جمعت بدلالة (الوحي) في النّقطة الثّالثة الكتاب وهو القرآن الكريم والسنّة. وفي الرّابعة خصّت جبريلعليه السلام بنزول القرآن .

أمّا (حنان اللحام) فقد ذكرت استعمالات القرآن الكريم لمفردة (الوحي) بوجوه ومعانٍ متعدّدة حسب تتبع البحث في مدوناتها التّفسيريّة -وهي اثنتا عشرة مدونة: وهي حسب ترتيب المصحف كالآتي: من هدي سورة البقرة، من هدي سورة آل عمران، من هدي سورة النّساء، تأمّلات في سورة المائدة، تفسير سورة التّوبة، تأمّلات في سورة هود، أضواء وتأمّلات في سورة طه، ومضات من سورة النّور، من هدي سورة لقمان، تأمّلات في سورة الأحزاب، أضواء على سورة يس، أضواء حول سورة الطّلاق. -ويمكن جمعها بالآتي:

١ - الالهام : في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ ﴾[١]قالت: الوحي اليهم :قد يكون إلهامًا أن يؤمنوا ..أو ما أُنزلَ على أنبياءهم من الوحي والله أعلم [٢] وفي قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾[٣] ﴾[٣] اي ان الله ألهمها [٤] وأيضًا ذكرته في بيان قوله تعالى:﴿ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ ﴾[٥][٦]

٢ - وقد يكون الايحاء بشكل أصبح في غريزة الكائن الحي وفطرته، ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ ﴾[٧][٨]

٣ - التأثير والتوجيه : وتأتي بمعنى التأثير على النفس وتوجيهها نحو وجهة معينة مثل:﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾[٩][١٠]

٤ - الإشارة والإيماء : في قوله تعالى:﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾ ﴾[١١] وذلك أنّ زكريا كان قد نذر أن يصوم عن الكلام[١]

---

(١) المائدة :١١١ .

(٢) ظ: حنان اللحام/ تأملات في سورة المائدة/ ١٨٦.

(٣) القصص :٧ .

(٤) ظ: حنان اللحام/ من هدي سورة النّساء/ ٤١٦ .

(٥) طه: ٣٨.

(٦) ظ: حنان اللحام/ أضواء وتأمّلات في سورة طه/ ٢٩ .

(٧) النحل : ٦٨.

(٨) ظ: حنان اللحام/ من هدي سورة النّساء/ ٤١٦ .

(٩) مريم: ١١.

(١٠) ظ: حنان اللحام/ من هدي سورة النّساء/ ٤١٦ .

(١١) مريم :١١.

- الوحي الكشفي: تقول: "لقد كانت آيات الكتاب وحيًا تتنزل على الأنبياء لتسعف البشرية وتعينها على السداد. ولكنّ الله ختم النبوة بمحمدٍ (صلّى اللّهُ عليهِ وآلهِ) وانتهى نزول الوحي بالآيات من السماء وكان هذا إيذانًا بدخول الإنسان عهد الرشد، إذ أصبح مهيأ لكشف آيات الله في الأنفس والآفاق .. وعند هذا الوحي الجديد سيجد حلًا لمشكلاته ويصل إلى الاستخلاف والتّمكين في الأرض لإقامة الحق الذي نزل به الدين " [٢]

- الأمر الالهي في قوله تعالى: ﴿ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾[٣]قالت: اصنعها بأمرنا معلَّمًا بوحينا لك كيف تصنعها.. وقد يكون الوحي هنا بالإلهام نتيجة لإعمال الفكر والاجتهاد .. كل ذلك واردٌ والله أعلم.[٤]

والنّقد في ما ذكر من وجوه الوحي في استعمالات القرآن الكريم : قد ذكره أغلب العلماء وهو مألوف في معانيه منها: (الإلهام، والإيحاء الغريزي الفطري، التّأثير والتّوجيه النّفسي، والأمر) وما يلفت النّظر عند المفسرة ويمكن أن يُقال هذا المعنى فيه نوع من الاجتهاد هو (الوحي الكشفي) في النقطة الخامسة التي عدّته (وحي جديد) يأتي بعد ختم النّبوة وهذا المبنى قريب من رأي محمد اقبال اللاهوري في تفسيره لمسألة ختم النّبوة .

وإنّ هذه الفكرة التي تتبنّها (حنان اللحام) من القول بالوحي الكشفي الذي تبيحه للإنسان عمومًا فيه كلام : إن الوحي وشيوع الاستعمال القرآني وأكثره خاص بالتّبليغ والرسالة للأنبياء، فمن الأدب الدّيني في الإسلام يقتضي ألّا نستعمل هذه الكلمة لغير الانبياء (عليهم السلام)[٥] مع أنّ الاستعمال القرآني قد ذكره ووظّفه في غير الإنسان والانسان من غير الانبياء: .وذلك حفاظًا ما للوحي وطريقه وخصوصيته من قدسيّة .

وإذا ما التفتنا الى المدونة التّفسيريّة ل(نائلة صبري) فقد يتجلى اهتمامها بهذه المفردة ودلالتها الخاصة في سياق آياتها وسورها فقد تعددت المعاني والوجوه لها، ومن جملة تلك الدلالات :

---

(١) ظ: حنان اللحام/ من هدي سورة النّساء، ٤١٥ -٤١٦ .

(٢) حنان اللحام/تأملات في سورة الأحزاب/ ١٥ .

(٣) هود :٣٧.

(٤) ظ: حنان اللحام/ تأمّلات في سورة هود/ ٦١.

(٥) ظ: آراسته/ دروس في علوم القرآن/ ٥٨ .

- الإلهام والارشاد: ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ ﴾[1][2] وفي قوله تعالى﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ ﴾[3]قالت: اوحى الله تعالى الى النحل :الهمها وارشدها إلى بناء بيوتها[4] وقالت في قوله تعالى:﴿ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ ﴾[5]قالت: إذ ألهمنا أمك ما يثلهم، وجعلنا في قلبها العزيمة الصادقة[6] ومنه في قوله تعالى:﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾[7][8]

- الوسوسة في قوله تعالى:﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾[9][10]

- وحي الملائكة في قوله تعالى:﴿ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ﴾[11] قالت: يوحي ربك للملائكة آمرًا آمرًا إياهم ان يثبتوا قلوب المؤمنين[12]

- الوحي التّعليم، في قوله تعالى: ﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾[13][14] و في قوله تعالى:﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾[15] قالت: نوحيها اليك: نعلمك بها[16]

---

(١) المائدة :١١١ .

(٢) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن، ٣/ ٧/ ٥٠ .

(٣) النحل : ٦٨.

(٤) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن، ٦/ ١٤/ ١١٦ .

(٥) طه: ٣٨.

(٦) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن، ٦/ ١٤/ ١٢٤ .

(٧) القصص :٧ .

(٨) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن، ٨/ ٢٠/ ٣٩ .

(٩) مريم: ١١.

(١٠) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن، ٤/ ٨/ ١٦ .

(١١) الانفال :١٢.

(١٢) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن، ٤/ ٩/ ١٣٠ .

(١٣) هود :٣٧.

(١٤) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن، ٥/ ١٢/ ٣٣ .

(١٥) هود:٤٩.

(١٦) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن، ٥/ ١٢/ ٤٢ .

- الوحي بوسطة(جبرائيل) في قوله تعالى:﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ١١٤ ﴾[1] قالت: الخطاب لسيدنا محمد(صلّى اللّهُ عليهِ وآلهِ) إذا أقراك جبريلعليه السلام القرآن فلا تعجل بالقرآن معه، بل استمع وانصت وعندما يفرغ من قراءته وتلاوته حينئذ تقرأه، والله سبحانه يجمعه في صدرك، ونظيره قوله تعالى:﴿ لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ١٦ إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ١٧ ﴾[2][3].

والنّقد : نلحظ للمفسرة توجهًا صوب قراءة دلالة المفردة في مواضعها المتعدّدة: فمنها ما جاء عامّا مستعملًا في قاموس اللغة العربيّة وتداولها وهي(الإلهام والارشاد، والوسوسة، والأمر، والعلم) منها ما كان خاصًا بوحي التّبليغ الخاص بالأنبياء والرّسل بطريق الأمين جبرائيلعليه السلام كما في النقطة الخامسة .او عن طريق غيره . وهذا الأخير عُبِّرَ عنه بالوحي شرعًا أو اصطلاحًا .

وقد تعدّدت المعاني أيضًا لمفردة (الوحي) في تفسير (ماجدة الفارس) وما تمّ تتبّعه يمكن عرضه بجملة من النّقاط هي:

- إخبار وإعلام وعلم ،في قوله تعالى:﴿ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ١٦٣ ﴾[4] قالت: الوحي إخبار واعلام الله لمن اصطفاه من عباده بكل ما أراد إطلاعه عليه من ألوان الهداية والعلم بطريقة سرية خفيّة غير معتادة للبشر[5]
- الالهام القذف في القلب، قال تعالى: ﴿ وَإِذۡ أَوۡحَيۡتُ إِلَى ٱلۡحَوَارِيِّـۧنَ ﴾[6]ألهمتهم وقذفت في قلوبهم. وهذا الوحي (وحي إلهام) : وهو خطاب يلقيه الله في قلب المؤمن يخاطب به الملك روحه كما قال تعالى:﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِ ﴾[7][8].

---

(١) طه:١١٤

(٢) القيامة :١٦ -١٧ .

(٣) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن، ٦/ ١٦/ ١٦٨..

(٤) النساء :١٦٣ .

(٥) ظ: ماجدة الفارس، التّوضيح والبيان في تفسير آي القرآن، ٣/ ٢٦٢ .

(٦) المائدة :١١١ .

(٧) القصص :٧ .

(٨) ظ: ماجدة الفارس، التوضيح والبيان في تفسير آي القرآن، ٤/ ٧٧

١ - التعليم،والأمر: قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ ﴾[١]قالت واطلق الوحي على التكوين الخفي الذي أودعه الله في طبيعة النّحل بحيث تنساق الى عمل منظم بعضه على بعض يشبع عمل المتعلم بتعليم المعلم أو المؤتمر بإرشاد الآمر الذي تلقاه سرًا ، فكان ذلك الالهام دليلًا على عظمة الله تعالى وقدرته[٢] وقال وقال السّعدي: تعليم الله لها وهدايته لها[٣]

٢ - رؤيا الانبياء، قال تعالى:﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ ﴾[٤] قالت: الإراءة إراءة رؤيا أسندت إلى الله، لأنّ رؤيا الانبياء وحي كما دلّ عليه قوله تعالى حكاية عن إبراهيم وابنه:﴿ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ﴾[٥][٦]

والنّقد : تأتي وجوه دلالة (الوحي) عند (ماجدة الفارس) بالآتي: (الوحي الإخبار والإعلام بالخفاء، وهذا الوحي بالرّسالة والتّبليغ الذي ساد على جميع الانبياء، والوحي بمعنى الالهام وقد عبّرت عنه بالقذف في القلب، والتعليم والامر والهدى، ورؤيا الأنبياءعليهم السلام الصادقة) وهذا الأخير ينحدر من الاول الذي عرضناه في النقطة الأولى إذ يُعدُّ لونًا من ألوانه . أبدت (ماجدة الفارس) معاني الوحي على وفق ما ورد في النّصوص بتعدد دلالاته وفق سياقه ،وبان عندها وحي التبليغ من الوحي العام .

المطلب الثالث: صور الوحي:

عُهد على المختصين أن يبيّنوا صور الوحي في قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾[٧][٨]

ذكرت بنت الشاطئ الوحي الخاص بالأنبياء: الوحي :في خفي الإلهام في آية الشورى . وقوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾[١] [٢] يأتي بوحي إلهام أو يكون رسول بواسطة الملائكة[٣] وفي بيانها

---

(١) النحل : ٦٨.

(٢) ظ: ماجدة الفارس، التوضيح والبيان في تفسير آي القرآن، ٨/ ٤١٤.

(٣) ظ: المصدر نفسه، ٨/ ٤١٤.

(٤) الانفال :٤٣ .

(٥) الصافات :١٠٢ .

(٦) ظ: ماجدة الفارس، التوضيح والبيان في تفسير آي القرآن، ٥/ ٤٠٩.

(٧) الشورى:٥١.

(٨) ظ: الصالح/ مباحث في علوم القرآن، ٢٥، القطان/ مباحث في علوم القرآن، ٣٥، عبد الجواد/ مدخل إلى التفسير وعلوم القرآن، ٢٣ ، الحمد، غانم قدوري/ محاضرات في علوم القرآن، ٢٢ . الرومي/ دراسات في علوم القرآن الكريم ، ٨١ . النبهان/ المدخل إلى علوم القرآن الكريم، ٣٥ .

بيانها لسورة العلق ذكرت : عن (السيدة عائشة) قالت: كان أول ما ابتدئ به رسول الله (صلّى اللّهُ عليهِ وآلهِ) من الوحي، الرّؤيا الصادقة، كانت تجيء مثل فلق الصبح . [٤]

أما (زينب الغزالي) فمرت على آية صور الوحي مرور الكرام ولم تقف عندها بشيء من التفصيل فقالت هذه مقامات الوحي بالنسبة إلى جناب الله عزّ وجلّ ، فلم يكن لأحد ﴿ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ ﴾ لم يستطع البشر أن يحتمل جلال التّجلي الأعلى، حتى الانبياء والرسل أرسل الله لهم رسولًا هو جبريل عليه السلام فأوحى جبريل إليهم ما أذن الله به ليقوموا عن الله مبشرين ومنذرين، وقد أوحى جبريل إلى رسولنا الكريم بإذن ربّه ما شاء الله العليّ الحكيم [٥]

أمّا (حنان اللحام) فأشارت إلى الصور بقولها في بيان قوله تعالى:﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾ [٦]يذكر الله بميزة لموسى على الأنبياء حتى ينتبه البشر إلى أن الله إذا ميز محمدًا (صلّى اللّهُ عليهِ وآلهِ) على غيره ببعض الصفات، فقد ميز غيره من الانبياء بصفات أخرى . يكفي أن نتذكر قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [٧]حتى نعرف الفارق فالأنبياء كلهم قد أوحي إليهم ، بينما موسى قد كلّم من وراء حجاب [٨]

ول(نائلة صبري) بيان لهذه الآية تحت عنوان أنواع الوحي في تفسيرها لآية(٥١) من سورة الشورى .

١ -﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا ﴾ وما يصح لأحد من البشر أيًا كان، أن يكلمه الله مباشرة إلا بطريق الالهام والوحي والقذف في القلب في المنام كما حدث لإبراهيم عليه السلام . حينما رأى في المنام أنّه يذبح

---

(١) القصص :٧ .

(٢) ظ: بنت الشاطئ/ التفسير البيانيّ للقرآن الكريم، ٨٨/١ .

(٣) ظ: المصدر نفسه، ٩١/١.

(٤) ظ: المصدر نفسه، ١٣/٢.

(٥) ظ: زينب الغزالي/ نظرات في كتاب الله، ٢/ ٤٣٣ .

(٦) النساء :١٦٤.

(٧) الشورى:٥١.

(٨) ظ: حنان اللحام/ من هدي سورة النّساء، ٤١٧ .

ولده إسماعيل.﴿ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ﴾[1] وكما أوحى إلى أمّ موسى بإلقاء ابنها وهو صغير في اليم[2]

٢ -﴿ أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ ﴾ أي ستر كما كلّم الله موسى عليه السلام في طور سيناء فهو كليم اللهو وكما حدث لمحمد (صلّى اللّهُ عليهِ وآلهِ) ليلة الاسراء .عن عائشة قالت: من زعم أنّ محمدًا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية أخرجه مسلم في الايمان عن مسروق عن عائشة (٣٤٨) البخاري في التفسير مختصرًا (٤٦١٢٩) (٤٨٥٥) والترمذي في التفسير (٣٠٦٨)[3]

٣ -﴿ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ ﴾ أو يرسل ملكًا فيبلغ الى الرسول بأمره سبحانه وتعالى ما يشاء تبليغه كما أنزل جبريل على محمد (صلّى اللّهُ عليهِ وآلهِ) فبلغه رسالة الله فأمره أن يدعو الناس إليها[4] . ونوع : في قوله تعالى:﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾[5] قالت: خص الله موسى بالتّكليم دون واسطة لهذا سمّي بالكليم[6]

نوع آخر: في قوله تعالى:﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾[7] قالت: اقرأ آيات القرآن الكريم التي نزلت عليك بواسطة الوحي من الله سبحانه وتعالى[8]

و(ماجدة الفارس) : قالت: ذكر الله تعالى في القرآن لوحي الانبياء ثلاثة مقامات بيان آية(٥١) من سورة الشورى :

المقام الأول: وحيًا بأن يلقي الوحي في قلب الرّسول (صلّى اللّهُ عليهِ وآلهِ) من غير ارسال ملك ولا مخاطبة منه شفاهًا بحيث لا يشكّ النّبيّ بأنّ هذا الذي ألقى في قلبه من الله تعالى وابن الجوزي المقصود بالوحي هنا

---

(١) الصافات :١٠٢ .

(٢) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن ، ٩/ ٢٥/ ٨١ .

(٣) ظ: المصدر نفسه، ٩/ ٢٥/ ٨١ .

(٤) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن، ٩/ ٢٥/ ٨١ .

(٥) النساء :١٦٤ .

(٦) ظ: المصدر نفسه، ٣/ ٦/ ٢٢.

(٧) العنكبوت: ٤٥.

(٨) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن، ٨/ ٢٠/ ١٣٤.

(الوحي في المنام) كما جاء في صحيح ابن حبان عن رسول الله (صلّى اللّهُ عليهِ وآلهِ) أنّه قال: إنّ روح القدس نفث في روعي أن نفاص لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها فاتقوا الله واجملوا في الطلب[1]

المقام الثاني: تكليم الله لرسله من وراء حجاب وهو قوله تعالى: ﴿ أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ ﴾ كما حصل لموسى عليه السلام وممّن كلمه الله تعالى آدم عليه السلام[2]

المقام الثالث: الوحي الى الرّسول بواسطة الملك وهو الذي عناه الله تعالى بقوله :﴿ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا ﴾ كجبريل أو غيره من الملائكة وهذا الملك إما أن يراه الرسول على صورته التي خلقها الله عليها أو يأتيه في مثل صلصلة الجرس فيفصم عنه وقد وعى ما قال أو يتمثل له الملك رجلًا فيكلمه ويخاطبه وهذه أخف الاحوال[3]

ويمكن نّقد ما تقدّم : يظهر من تتبع أنواع الوحي وصوره في التّفاسير النّسويّة على قسمين: القسم الأول: بعضهنَّ يُعمّمنَ خطاب الآية ما كان للنّبيّ أو غير النّبيّ كما ذهبت إليه بنت الشّاطئ حيث أنّها في مفهوم الوحي الذي جعلته إلهامًا للأنبياء أو لغيرهم كأمّ موسى، وبعضهنّ عمَّمت النّوع الأوَّل في الآية في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا ﴾ وما يصح لأحد من البشر أيًا كان، وهذا ما ذهبت إليه (نائلة صبري)، والقسم الثاني : يتمثّل برأي (ماجدة الفارس) حيث ترى في الآية أنّها تشير إلى تكليم الله تعالى خاصّ بأنبيائه . كما ويظهر عند بنت الشّاطئ و(نائلة صبري) أنّ الرّؤيا الصّادقة ضمن صور الوحي أيضًا . وبالآتي لم تخرج المفسّرات عن دائرة ما قاله المفسرون في صور الوحي.

المطلب الرابع: رؤية الوحي وتمثله :

ذكروا أن الوحي للرسول الخاتم محمد(صلّى اللّهُ عليهِ وآلهِ) يكون بطريق مباشرًا وغير مباشر، والمباشر هو أصعب أنواع الوحي إن يكون بلا واسطة مما يثقل على النبيّ (صلّى اللّهُ عليهِ وآلهِ) ذلك﴿ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ۝٥ ﴾[4] وهذا ما يستفاد من جملة الروايات التي نصّت على ذلك:[5] وذكرت هذا هذا التنوع أيضًا (ماجدة الفارس) : وهذا الملك إما أن يراه الرسول على صورته التي خلقها الله عليها أو

(١) ظ: ماجدة الفارس، التوضيح والبيان في تفسير آي القرآن، ٣/ ٢٦٢ .

(٢) ظ: المصدر نفسه، ٤/ ٢٦٣ .

(٣) ظ: ماجدة الفارس، التوضيح والبيان في تفسير آي القرآن، ٤/ ٢٦٣ .

(٤) المزمل : ٥.

(٥) ظ: جوان حسين آرسته / دروس في علوم القرآن/ ٦٣، ٦٧ .

يأتيه في مثل صلصلة الجرس فيفصم عنه وقد وعى ما قال أو يتمثل له الملك رجلًا فيكلمه ويخاطبه وهذه أخف الاحوال [١] فالحالة الأولى تتمثّل بالوحي المباشر وفي الثانية غير المباشر كما وصفوه .

نقلت (نائلة صبري) في تفسيرها: عن عائشة أنّ الحارث بن هشام سأل رسول الله (صلّى اللّهُ عليهِ وآلهِ) فقال : يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله (صلّى اللّهُ عليهِ وآلهِ) أحيانًا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده عليّ فيفصم عنّي وقد وعيت عنه ما قال وأحيانًا يتمثل لي الملك رجلًا فيكلمني فأعي ما يقول . قالت عائشة : لقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وأن جبينه يتفصد (يسيل عرقًا) أخرجه البخاري عن عائشة في كتاب بدء الوحي حديث رقم (٢) [٢]

أما غير المباشر: لم يكن عليه عسيرًا إذ يتمثل على هيئة رجل ويمثل بين يديه وفق ما رود في الروايات .لذا قالوا : يتجلى الملك جبرائيل عليه السلام لحضرة النّبيّ الاكرم بمظهره الخارجي بصورتين الصورة الحقيقيّة وقد نزل عليه (صلّى اللّهُ عليهِ وآلهِ) مرتين حتى غطى الافق، والصورة الأخرى يتمثل بأحد الشّخصيات المعاصرة للنّبيّ (صلّى اللّهُ عليهِ وآلهِ) والمصاحبة له ألا وهو شخصية (دحية الكلبي)، وكانت هذه الشخصيّة كما تشير النصوص أجمل شخصيّة في زمان النّبيّ (صلّى اللّهُ عليهِ وآلهِ) [٣]

أشارت (نائلة صبري) في بيان قوله تعالى:﴿ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ ﴾[٤] قالت: الخطاب هنا للمشركين أتجادلونه وتكذبونه على ما رأى من ليلة الاسراء والمعراج معاينة ، وكذلك رؤياه لجبريل عليه السلام على خلقته الحقيقية، قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ ﴾[٥] نزلة أخرى: مرّة أخرى، لقد رأى سيدنا محمد (صلّى اللّهُ عليهِ وآلهِ) جبرائيل عليه السلام مرّة ثانية ، عند سدرة المنتهى التي هي في السماء السابعة قرب العرش [٦]

ترى (ماجدة الفارس) في بيان قوله تعالى:﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾ ﴾[٧]قالت : لو ارسلنا إليهم ملكًا ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا ﴾في صورة رجل آدمي لأنهم لا يستطيعون النّظر إلى الملائكة، وكان جبريل عليه السلام يأتي إلى النّبيّ (صلّى اللّهُ عليهِ وآلهِ) في صورة (دحي الكلبي) وجاء الملكان الى داوود في صورة رجلين، وكذلك أنزل الله الضيف من الملائكة على إبراهيم

---

(١) ظ: ماجدة الفارس/ التوضيح والبيان في تفسير آي القرآن، ٤/ ٢٦٣ .

(٢) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن ، ٩/ ٢٥/ ٨١ -٨٢ .

(٣) ظ: د. محمودالبستاني/ دراسات في علوم القرآن، ١٩ .

(٤) النجم :١٢ .

(٥)النجم :١٣ .

(٦) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن، ١٠/٢٧/٦٨ -٦٩.

(٧) الانعام:٩.

عليه السلام في صورة رجال، فلمّا قرب إليهم العجل ورأى أيدهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة، وكذلك مريم عليها السلام أنزل عليها الملك يبشرها بعيسى:﴿ فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ ﴾[1] إلا أنّ الله امتن على محمد (صلّى اللهُ عليهِ وآلهِ) فرأى جبريل مرتين في صورته الحقيقيّة عند نزوله بالقرآن وعند سدرة المنتهى قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ ﴾[2][3]

وتأتي الحكمة من التمثل في صورة البشر : وذلك من أجل التّناسب وذلك : لأن مشاهدة الملك على صورته الحقيقية لا يطيقها البشر لأن الملائكة لا تتلائم مع البشر لكن بعض الارواح البشرية تصل بطهارتها الى قابلية التلقي كالملائكة مثل (الانبياء) أو لمن هم دون الانبياء ممّا سلمت فطرتهم، وصفت سريرتهم وزكت بالعمل الصالح أنفسهم حتى غلبت عليهم الصفات الملكية، فغلبت على النّزعات الحيوانيّة والشّيطانية وهي تستفيد من أرواح الملائكة[4]

المطلب الخامس: شبهات حول الوحي:

موضوع الشبهات التي وجهت طعنًا بمصدرية الوحي قائمة منذ نزول القرآن وقد كتب فيه الكثير من قبل العلماء لا سيما المتأخرين - منهم على سبيل المثال : شبهات وردود حول القرآن الكريم، للشيخ محمد هادي معرفة، وشبهات حول القرآن وتفنيدها، للدكتور غازي عناية -. ولا يمكن تناولها في هذا المطلب الموجز بما ورد في التّفاسير النسويّة لكن يبقى أن نلفت الانتباه إلى أنّ التّفاسير كانت على دراية في هذا الصّدد وقد أولته اهتمامًا لذا سنسلط الضوء ولو بالشيء اليسير كيلا نتجاهل هكذا جهد للمفسرات، واعلم أنّ هذا الموضوع كان بمستويات متفاوتة بين المفسّرات سنورد نموذجًا واحدًا لكل تفسير لألّى يطول المقام في المطلب .

(زينب الغزالي) تقول : من كان يشك في أنّ القرآن منزل من عند الله، فيمكن له أن يزيح هذا الشك عن صدره بأن يأتي بسورة مثل القرآن، فإن استطاع ذلك، فهو على حق في أنّ هذا القرآن ليس منزلًا من عند الله، والله سبحانه يتحدّى الذين يشكّون ويشككون في رسالة محمّد(صلّى اللهُ عليهِ وآلهِ) يتحداهم إلى يومنا هذا، وإلى أن تقوم الساعة. جاء بيانها عقب قوله تعالى:﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾[5][6]

---

(١) مريم:١٧.

(٢) النجم:١٣ -١٤.

(٣) ظ: ماجدة الفارس/ التوضيح والبيان في تفسير آي القرآن، ٤/ ١٣٦ .

(٤) ظ: ماجدة الفارس/ التوضيح والبيان في تفسير آي القرآن، ٤/ ١٣٦ -١٣٧.

(٥) البقرة :٢٣ .

(٦) ظ: زينب الغزالي/ نظرات في كتاب الله، ١/ ٣١ ، ٢/ ٤١.

و(حنان اللحام) : قالت وإلى الذين ينكرون نزول الوحي على محمد(صلّى اللّهُ عليهِ وآلهِ) ليرد عليهم .﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾ [1]وهم يعلمون أنّ محمدًا (صلّى اللّهُ عليهِ وآلهِ) كان امّيًا لم يقرأ الكتب السابقة ولم يخالط أهل الكتاب حتى يعرف منهم هذه الأخبار، فكيف يحدثهم بهذه القصة؟ هل كان حاضرًا عندما جرت هذه الاحداق كلها؟ قال تعالى:﴿ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [2] والأقلام هي السهام التي كانوا يقترعون بها لكفالة مريم، كان المشركون يقولون: إنّ محمدًا (صلّى اللّهُ عليهِ وآلهِ) كان يقف على حداد أعجميّ ويتعلم منه هذا الكلام فردّ عليهم ، بقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [3] [4]

ول(نائلة صبري) وقفة عند جملة من الآيات التي تدلّ بمضمونها ردًا قاطعًا على من يقول بأن القرآن كان صنع محمدٍ(صلّى اللّهُ عليهِ وآلهِ) وليس مصدره الله تبارك وتعالى منها في قوله تعالى:﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [5] قالت: الخطاب لرسول الله (صلّى اللّهُ عليهِ عليهِ وآلهِ) ما كنت تقدر أن تقرأ كتابًا قبل إنزال الكتاب، ولا تخطه بيمينك لأنك أمّيّ، لو كان العكس لأرتاب المشركون وشكّوا ، فتدل الآية على أنّ القرآن من عند الله وأن رسول الله(صلّى اللّهُ عليهِ وآلهِ) لم يكن يقرأ ولا يكتب قبل نزول القرآن عليه [6] و(ماجدة الفارس) تقول في تفسير قول الله سبحانه:﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [7] يقول تعالى مخبرًا عن المشركين ما كانوا يقولونه كذبًا وافتراءً وبهتانًا. أنّ محمدًا إنّما بشر يعلمه هذا الذي يتلوه، ويشيرون إليه أنّه أعجميّ لا يعرف العربيّة إلا اليسير وإنما كان رسول الله يكلّمه بعض الشيء . .. ثم قالت: فكيف يتعلم من جاء بهذا القرآن في فصاحته وبلاغته ومعانيه التامة والشاملة.. كيف يتعلم كل ذلك من رجلٍ أعجميّ ؟ هل هذا القول ممكن؟ أو له حظ من

---

(١) آل عمران :٤٤.

(٢) آل عمران :٤٤.

(٣) النّحل:١٠٣.

(٤) ظ: حنان اللحام / من هدي سورة آل عمران/ ٦٧ -٦٨.

(٥) العنكبوت:٤٨.

(٦) ظ: نائلة صبري، المبصر لنور القرآن، ٥٦/٢١/٨ .

(٧) النحل:١٠٣.

الإحتمال؟ ولكن الكاذب يكذب ولا يفكر ما يؤول اليه كذبه فيكون في قوله من التناقض والفساد ما يوجب ردّه ، بمجرد تصوره[1] .

المبحثُ الثّاني : النَّقد في مجال (نُزُول القرآن)

توطئة :

اهتمّت التّفاسير النسويّة بشأن نزول القرآن الكريم؛ إذ يعدّ من أهمّ موضوعات تاريخ القرآن الكريم التي تناولها العلماء والمفسرون، والتي تتعلق بتاريخ نزول الوحي وبعثة النّبيّ الأعظم (صلّى اللّهُ عليهِ وآلهِ) طيلة نبوّته(صلّى اللّهُ عليهِ وآلهِ) ابتداءً بمكة المكرمة وانتهاءً بالمدينة، وعند تتبع المدونات التّفسيريّة يتجلى للبحث جملةً من الموضوعات منها: نزول القرآن بأنواعه المتمثلة بـ(نزوله جملة واحدة)، و بـ(النّزول التدريجيّ) وحكمه، وبيان أول ما نزل منه، وآخر ما نزل ،وذلك بالنّظر الى جملة من النّصوص القرآنية التي كانت محلّ اهتمام المفسرات في هذا الصّدد ، وهذا الجهد يعدّ زاوية مهمة في حقل تاريخ القرآن الكريم، ولما له علاقة بالوحي وكيفية نزوله قد يقدح في الذهن تساؤلًا كيف كان نزول الوحي (القرآن) دفعة واحدة؟ أم كان نزوله تدريجيًا ؟ الجواب ورد في بعض التّفاسير النّسويّة، يمكن بيانه بالمطالب الآتية :

المطلبُ الأوّل : نزول القرآن الكريم وأنواعه :

لم تطلعنا بنت الشاطئ بشيء حول موضوع نزول القرآن في تفسيرها البيانيّ و(زينب الغزالي) ترى في قوله تعالى:﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴾[2]بعد ما

---

(١) ظ: ماجدة الفارس/ التوضيح والبيان في تفسير آي القرآن، ٥٠٣٥٠٤/٨ .

(٢) البقرة :١٨٥ .

بينت بإيجاز ما يخص الآية وفضل الشهر.. الى أن قالت: وممّا رفع شأن شهر رمضان كذلك أنّه كان شهر مراجعة المنهج بكل تفصيلاته، وبيانه بيانًا متكاملًا، فقد كان جبريل عليه السلام يراجع القرآن مع رسول الله (صلّى اللّهُ عليهِ وآلهِ) مرة كل عام، في شهر رمضان [1]

تذكر (زينب الغزالي): في بيان قوله تعالى: ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ ﴾ [2] (فَرَقْنَٰهُ) اي فصلناه من اللوح المحفوظ إلى بيت العزّة من السماء الدنيا ثمّ نزل مفرقًا منجّمًا على الوقائع إلى رسول الله (صلّى اللّهُ عليهِ وآلهِ) في ثلاث وعشرين سنة ، وقد نزل مفرقًا منجمًا تبعًا للحوادث ولمّا يصدر عن الخلق وما يقع بك فيهم من خير وجعلناك تقرأه (عَلَىٰ مُكْثٍ) أي بتؤدة واطمئنان ومهلٍ لعلّهم يفقهونه ويحفظونه في صدورهم فيقيموا به أحكامهم ومعاشهم فيسعدوا بنوره ومعارفه (وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا) شيئًا بعد شيء [3] وذكرت في نزول القرآن في تفسيرها لسورة القدر حيث تقول: هذا إخبار بأنّه تعالى أنزل القرآن ليلة القدر، وهي الليلة المباركة ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [4] وهي من شهر رمضان {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ القرآن} [البقرة : ١٨٥] فسبحان الذي أنزل كتابه جملةً واحدةً في بيت العزّة في السماء الأولى، ثم جاء منجّمًا مجزّءًا حسب ما شاء الله على يدي جبريل عليه السلام إلى محمّد (صلّى اللّهُ عليهِ وآلهِ) [5]

وأما (حنان اللحام) في تفسيرها لسورة البقرة، قالت في بيان قوله تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾، ابتداء نزوله في ليلة القدر منه [6]

و(نائلة صبري) في معرض تفسيرها قول الله تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴾ قالت: قد مدح الله تعالى هذا الشهر العظيم وفضله على سائر الشهور، فأنزل الله عز وجل كتبه السماوية على أنبيائه ، روي عن ابن عباس أنه قال: في نزول القرآن : (

---

(١) ظ: زينب الغزالي/ نظرات في كتاب الله، ١/ ١٠٧ .

(٢) الإسراء :١٠٦ .

(٣) ظ: زينب الغزالي/ نظرات في كتاب الله ، ٢/ ٦٨ .

(٤) الدخان :٣ .

(٥) ظ: زينب الغزالي/ نظرات في كتاب الله ، ٢/ ٦٥١ .

(٦) ظ: حنان اللحام/ من هدي سورة البقرة/ ٣٦٤ .

نزل في جملة إلى السماء الدنيا ثم نزل منجمًا إلى الارض في ثلاث وعشرين سنة) (روح المعاني : ٢/ ٦١) [١] وذكرته في موطن آخر أيضا [٢]

وفي موطن آخر في تفسير قوله: ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ ﴾[٣] قالت: الليلة المباركة : ليلة القدر من شهر رمضان المبارك، لقد أنزل الله تعالى هذا القرآن العظيم في ليلة مباركة وعظيمة وهي ليلة القدر من شهر رمضان المبارك، قال تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾، وقال تعالى:﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ ﴾[٤][٥]

وأشارت (ماجدة الفارس) في بيان قوله تعالى﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾: قالت: لما سئل ابن عباس عن هذه الآية، وقول الله:﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ ﴾[٦]، وقوله:﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ ﴾[٧]و قال: إنّه أنزل في شهر رمضان في ليلة القدر جملة واحدة ثم أنزل على مواقع النّجوم رسلًا في الشّهور والأيّام[٨] ولها تفصيل بهذا الصّدد إذ ترى: أنّ نزول القرآن الكريم كان على ثلاثة تنزلات[٩] :

الاول: الى اللوح المحفوظ وقد وجد في اللّوح المحفوظ بطريقة ووقت لا يعلمه الا الله﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾ ﴾[١٠] وكان جملة لا مفرقًا .

التّنزل الثاني: إلى بيت العزة في السماء الدنيا، والدليل من القرآن ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ ﴾[١١] وصفت بأنها مباركة .

---

(١) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن، ١ /٩٦/٢.

(٢) ظ: المصدر نفسه، ٦ /١٢٥/١٥.

(٣) الإسراء :١٠٦ .

(٤) القدر :٤.

(٥) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن، ٩ /١٧٢/٢٥.

(٦) القدر :١.

(٧) الدخان :٣ .

(٨) ظ: ماجدة الفارس/ التّوضيح والبيان في تفسير آي القرآن، ١/ ٣٠٠ .

(٩) ظ: المصدر نفسه، ١/ ٣٠٠

(١٠) البروج :٢١ -٢٢.

(١١) الدخان :٣ .

التنزل الثالث: كان بواسطة أمين الوحي جبريل على قلب النبيّ (صلّى اللّهُ عليهِ وآلهِ) واستغرقت هذه المدة ثلاثًا وعشرين سنة لانّ بعثته (صلّى اللّهُ عليهِ وآلهِ) كانت ثلاث عشرة سنة بمكة وعشر سنوات في المدينة.

وفي معرض كلامها للتفريق بين(نزل) و(أنزل) ولماذا قال الله تعالى عن القرآن بأنه نزله على محمد(صلّى اللّهُ عليهِ وآلهِ)وعن التوراة والانجيل أنزلهما؟ والجواب أن القرآن تنزل شيئًا فشيئًا، أما التوراة والانجيل فقد نزلا دفعة واحدة[1]

وفي موضعٍ آخر ذكرت (ماجدة الفارس) في قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝١ ﴾[2]وقال تعالى: ﴿ وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا ۝١٠٦ ﴾[3] قالت: وهذا يعني أنّ القرآن نزل جملة واحدة الى السماء الدنيا ليلة القدر، ثم كان الله ينزله على رسوله (صلّى اللّهُ عليهِ وآلهِ) بعضه في إثر بعض كما ذكر ابن عباس. وقال السيوطي: السر في انزله جملة الى السماء تفخيم أمره وأمر من أنزل عليه. فجعل الله له الامرين: إنزاله جملة واحدة ثم مفرقًا تشريفًا للمنزل عليه، فكان من تشريفه أن أمر سبعين ألفًا من الملائكة أن تشيع سورة الانعام[4]

ومحصلة النّقد لما تقدّم يمكن عرضه بجملة من المسائل:

الأولى: لم نلحظ إشارة لمسألة نزول القرآن الكريم عند بنت الشاطئ. و(زينب الغزالي) أشارت لمعنى نزول القرآن في شهر رمضان هو مراجعة القرآن على النبيّ في كل عام مرة وأشارت الى نزوله في ليلة القدر من شهر رمضان المبارك دفعة واحدة الى السّماء الأولى ثم نزل تدريجيًّا. و لكن عند (حنان اللحام) أشارت الى نزول القرآن في شهر رمضان ابتداءً وهذا لا يعني نزوله كله في شهر رمضان المبارك ، وإنّما يدلّ على أنّ جنس القرآن (معظمه أو بدء شروعه) نزل في هذا الشهر، لا نزول جميعه فيه[5]

وعلى هذه المسألة يرد إشكال : من جانب إنّ هذا يتعارض أساسًا مع ما ذاهبٌ إليه غالبيّة العلماء القائلين أنّ القرآن نزل مع بداية البعثة النّبويّة في السّابع والعشرين من شهر رجب كما هو واضح. ومن جانب آخر أنّ الاتجاه الذاهب بنزول القرآن في ليلة القدر من شهر رمضان ابتداءً مردود أساسًا لأنه لا شاهد له من النصوص من جهة، ومن جهة أخرى يتعارض مع الظاهر القرآنيّ والتعبير البلاغي حيث يفهم

---

(١) ظ: ماجدة الفارس/ التوضيح والبيان في تفسير آي القرآن،٢/ ٦ .

(٢) القدر :١.

(٣) الإسراء :١٠٦ .

(٤) ظ: ماجدة الفارس/ التوضيح والبيان في تفسير آي القرآن،٣/ ٢٤٢.

(٥) ظ: معرفة/ التّمهيد في علوم القرآن، ١/ ١٥٤ .

القارئ من خلال الظهور اللفظي الواضح أنّه نزل جملة واحدة ،و لا يمكن أن يؤول بأنّ نزوله كان كذلك [١]

الثانيّة : إنّ (نائلة صبري) و(ماجدة الفارس) يقولان بالرأي القائل بنزول القرآن على وجهين الدّفعي جملةً واحدة وتدريجي على مواقع النّجوم، وهذا القول جاء معتمدًا على أمرين أولهما : القرآن نفسه مرة عبّر عنه بجميعه في شهر رمضان في الليلة المباركة وهي ليلة القدر، وما سيق على ذلك ما ذكرتا من قولٍ عن ابن عباس .

وهذه المسألة فيها : المفسرتان تشيران إلى نزول القرآن دفعة واحدة في شهر رمضان في ليلته المباركة وهي ليلة القدر إلى بيت العزّة في السماء الدنيا، وهذا ينسجم مع ما نصّت عليه الآيات القرآنية الواردة، والنّزول الثّاني هو التّدريجي حسب الأحداث والوقائع كذلك نصّت عليه الآيات ..

وقالوا نزول القرآن الكريم أوضحه الامام الصادق عليه السلام بقوله : " نزل القرآن جملةً واحدةً في شهر رمضان إلى البيت المعمور ثم أنزل من البيت المعمور في طول عشرين سنة " علق البستاني على هذه الرواية واليك مفاده : إن إشارة (٢٠) سنة مهمة في الرواية ، فمن المعروف استغرقت بعثة النبي (صلّى اللّهُ عليهِ وآلهِ) ثلاثة وعشرين سنة ، والامام يقرر (٢٠) سنة، أنه نزل متفرقًا ، فذا يعني أنّه اختزل ثلاثة أعوام من البعثة وطواها عن نزول القرآن ، فماذا يعني هذا؟ يعني أن القرآن لمّا نزلت منه خمس آيات من سورة العلق في السابع والعشرين من شهر رجب بعد بعثة النبيّ محمد(صلّى اللّهُ عليهِ وآلهِ) قد أُمر أن يمارس مهمته الرّساليّة على نطاق خاص به وبمن يحيط حوله دون أن يؤمر بتبليغ الرسالة إلى المجتمع البشري آنذاك . لذلك بعد مرور ثلاث سنوات بلّغ رسالته بشكلٍ عام عبر آيات المطالبة بإنذار عشيرته الأقربين.. [٢] بمعنى انّ القرآن الكريم نزل منه الآيات البادئة ببعثة الرسالة، ثم انطوت ثلاث سنوات، وبعدها نزل القرآن جملة واحدة في الشهر والليلة المباركة ومن هنا لا تعارض في نزوله دفعة واحدة ونزوله تدريجيًا [٣]

الثالثة : أضافت (ماجدة الفارس) وجهًا آخر وهو نزوله إلى اللوح المحفوظ دفعة واحدة، بطريقة ووقت لا يعلمه الا الله، وهذا الوجه استمدته من القرآن الكريم، من سورة البروج .وأشارت (ماجدة الفارس) إلى مبدأ التّفريق الوارد بنزول القرآن باللفظ (نَزَلَ)مرّة وأخرى(أنزل) لا سيما في المقارنة بينه وبين بقية الكتب السماوية فخصته بالتّدريج والكتب الأخرى بالجملة الواحدة .اعتمادًا على صيغة الفعل بين النزولين فقد

---

(١) ظ: د. محمود البستانيّ/ دراسات في علوم القرآن/ ٣٦.

(٢) ظ: محمود البستانيّ/ دراسات في علوم القرآن، ٣٨ .

(٣) ظ: المصدر نفسه، ٣٨ -٣٩ .

ورد فيه الجمع في قوله تعالى:﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [1] [2]

المطلبُ الثّاني: الحكمة من نزوله منجّمًا :

لنزول القرآن الكريم تدريجيًّا جملة من الحِكَم بعضها متعلقة بالنّبيّ الأكرم(صلّى اللّهُ عليهِ وآلهِ) وبعضها تتعلّق بالقرآن الكريم نفسه، وبعضها تتعلّق بالمنزَل لأجلهم، وهم العباد، وقد كشف البحث عن بعضها في طيّات التّفاسير النّسويّة منها :

تقول (حنان اللحام) : إنّ أول ما نزل من القرآن: في التوحيد والوعد والوعيد كما جاء في كلام عائشة : "إنّما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنّة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر، لقالوا: لا ندع الخمر أبدًا ، ولنزل: لا تزنوا، لقالوا لا ندع الزنى أبدًا " فينبغي على الآمر أن يراعي هذا الترتيب ويتنبه إلى الأساسيات قبل الفرعيات [3]

والملاحظ على ما مرّ: أن المفسرة، ولم تخرج الحديث من مصدره، وقد ذكره البخاري. في صحيحه، في الجزء (٦) صحيفة(١٨٥) حديث(٤٩٩٣) .

وفي موطن آخر قالت: إنّ حكمة الله تقتضي أن ينزل التشريع عند الشعور بالحاجة إليه، وعند ذلك يتحقق إدراك الناس لما فيه من حكمة ورحمة.. فإن من يخوض المحنة يدرك نعمة الإنقاذ أكثر.. وهذه بعض الحكمة من نزول القرآن منجمًا [4]

وذكرت (نائلة صبري) في بيان قوله تعالى: ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ ﴾[5]، وقرآنًا نزله تعالى مفرقًا منجّمًا ليقرأه رسول الله (صلّى اللّهُ عليهِ وآلهِ) على الناس بعضه على إثر بعض مفرقًا منجمًا بأناة وعلى مهل وتأن، فإنّه أيسر للحفظ وأهون على الفهم، ونزله الله (عزّ وجل) شيئًا بعد شيء حسب الأحوال والاحداث والمصالح [6]

---

(١) النحل:٤٤.

(٢) ظ: معرفة/ التّمهيد في علوم القرآن، ١٥٦/١ -١٦٧ .

(٣) ظ: حنان اللحام/ من هدي سورة لقمان/ ٨١،

(٤) ظ: حنان اللحام / من هدي سورة النّور/ ٣٧ .

(٥) الإسراء :١٠٦ .

(٦) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن، ٦/ ١٥/ ١٢٥.

وفي موضعٍ آخر بيّنت حكم التّنجيم أكثر عند تفسيرها قوله تعالى:﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ٣٢ ﴾ [1] ويمكن عرضها بجملة من النّقاط [2] :

١ - كذلك أنزلناه مفرقًا لتقوية قلبك فتستطيع حفظه وتعمل بما فيه تفهم معانيه .

٢ - وفصلناه تفصيلًا وبيّناه على مهل بعضه في إثر بعض بتمهل أناة ، ليكون حفظه أكمل.

٣ - لو نزل جملة واحدة على الخلق لنزلت الشرائع كلها دفعة واحدة ولثقل على الناس ذلك .أما وقد نزلت التكاليف قليلًا قليلًا فتحملها أسهل.

٤ - كان القرآن ينزل حسب الوقائع والأحداث فيزداد الناس بصيرة، ورسول الله (صلّى اللّهُ عليهِ وآلهِ) كان يتحدى الكافرين بالقرآن بإعجازه .

ولم يفت (ماجدة الفارس) حكم وأسرار نّزوله تدريجيًّا على قلب النّبيّ الأكرم(صلّى اللّهُ عليهِ وآلهِ) [3] :

١ - تثبيت فؤاد النبيّ(صلّى اللّهُ عليهِ وآلهِ) وتقوية قلبه، وهذه من عدّة وجوه: ليملأ قلب الرّسول(صلّى اللّهُ عليهِ وآلهِ) سرورًا ، ولتيسير فهمه وحفظه ومعرفة أحكامه ولتهوين الشدائد، فكلما أحرجه خصمه سلّاه ربُّه بذكر قصص القرآن .

٢ - تربية هذه الامّة الناشئة عِلمًا وعملًا ، وهذا من عدّة وجوه أيضًا : ليتم تخليهم عن عاداتهم الباطلة، وليتم تحلّيهم بالعقائد الصّحيحة، وهذا لا يكون الا بالتّدريج.

٣ - مسايرة الحوادث والطوارئ في تجددها وتفرقها (قصة الافك والمجادلة) .

٤ - الارشاد إلى مصدر القرآن أنه من الله وحده : فالملاحظ فيه قوي الاتصال متآلف البدايات والنهايات، رغم الانفصال الزماني: ﴿ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ٨٢ ﴾[4].

وقد كررت الحكم في موضع آخر [5] وذكرت أيضًا منها إنّ نزول القرآن منجّمًا هو مما يدلّ على عظمة الله سبحانه وعنايته برسوله(صلّى اللّهُ عليهِ وآلهِ) [6]

وتأسيسًا على ما تقدّم يمكن جمع حكم وأسرار نزول القرآن تدريجيًّا وتصنيفها حسب الآتي: منها ما يخصّ القرآن نفسه :

---

(١) الفرقان :٣٢ .

(٢) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن، ٧/ ١٩/ ١٥.

(٣) ظ: ماجدة الفارس/ التوضيح والبيان في تفسير آي القرآن، ١/ ٣٠١

(٤) النساء :٨٢ .

(٥) ظ: ماجدة الفارس/ التوضيح والبيان في تفسير آي القرآن، ٣/ ٢٤٣.

(٦) ظ: المصدر نفسه ، ٣/ ٢٤٣.

- الإرشاد إلى مصدر القرآن أنه من الله وحده .
- كان ينزل القرآن حسب الوقائع والأحداث ورسول الله (صلّى اللّهُ عليهِ وآلهِ) كان يتحدى الكافرين بالقرآن وإعجازه .
- إنّ نزوله منجّمًا هو مما يدلّ على عظمة الله سبحانه وعنايته برسوله(صلّى اللّهُ عليهِ وآلهِ) .

منها ما يخص النّبيّ المصطفى (صلّى اللّهُ عليهِ وآلهِ) :

- تثبيت فؤاد النبيّ(صلّى اللّهُ عليهِ وآلهِ) وتقوية قلبه .
- ليملأ قلب الرّسول(صلّى اللّهُ عليهِ وآلهِ) سرورًا ،
- لتيسير فهمه وحفظه ومعرفة أحكامه ولتهوين الشدائد.
- سد المواقف الحرجة من خصمه ، فيأتي التدريج تسلية له بذكر قصص القرآن .

منها ما يخص النّاس :

- تربية هذه الامّة الناشئة عِلمًا وعملًا .
- لو نزل جملة واحدة لنزلت الشرائع كلها دفعة واحدة ولثقل على الناس ذلك.
- إنّ حكمة الله تقتضي أن ينزل التشريع عند الشعور بالحاجة إليه.

المطلبُ الثّالث : أوّل وآخر ما نزل من القرآن:

ذكرت بنت الشّاطئ بعد عرضها لآراء العلماء في أول ما نزل من القرآن من سورة الفاتحة والمدّثر وقد رجّحت غير ذلك حيث قالت : وسياق الآيات قد يرجّح هذا القول بأن صدر سورة العلق، أول ما نزل من القرآن، ثم لا يبدو مخالفًا لما في تفسير الطبري والسّيرة النّبوية، حيث يقف الحديث فيهما عن اول ما نزل من الوحي، عند الآية الخامسة: ﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾[1][2] ترى (زينب الغزالي) أنّ أول سورة نزلت مكتملة هي الفاتحة بقولها : " فاتحة الكتاب هي أول سورة نزلت مكتملة بآياتها السّبع" [3] وفي سورة العلق تقول : إنّها قصة أوّل لقاء بين الأمين محمد (صلّى اللّهُ عليهِ وآلهِ) والأمين جبريل عليه السلام جاء جبريل أول ما جاء بالوحي إلى رسول الله في غار حراء وقال له: (إقرأ) وكرر ذلك ثلاث مرات، والنبيّ يقول له : ما أنا

---

(١) العلق:٥.

(٢) بنت الشاطئ/ التّفسير البيانيّ للقرآن الكريم، ١٥/٢ .

(٣) زينب الغزالي/ نظرات في كتاب الله، ١/ ١٥ .

بقارئ ، ثم قال جبريل:﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ ﴾ [1] وانطلق رسول الله (صلّى اللّهُ عليهِ وآلهِ) بالقراءة مع جبريل إلى آخر السّورة وكان ذلك أول ما نزل من الوحي [2]

نلحظ على (زينب الغزالي) في بيان أول ما نزل من القرآن أنّها: ترى في سورة الفاتحة هي الأولى باعتبارها مكتملة ، ونلحظ في سورة العلق نزولها كاملةً وقرأها رسول الله(صلّى اللّهُ عليهِ وآلهِ) مع جبريلعليه السلام إلى آخر السورة وقالت بأنها أول ما نزل من الوحي . كيف ذلك ؟!!

وأما آخر ما نزل القرآن الكريم ف(حنان اللحام) قالت: في بيان قوله تعالى:﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا ﴾ [3] فالآية من أواخر ما نزل ولم ينزل بعدها حلال ولا حرام[4] وفي موضع آخر قالت: قد تكلم المفسرون عن هذه الآية فمنهم من قال أنها نزلت في أول الاسلام.. أمرًا للنبيّ بإعلان الدعوة.. فلم وضعت ضمن هذه السورة – التي فيها آيات من أواخر ما نزل -؟! وضمن الحديث عن أهل الكتاب؟! بعضهم : للتأكيد على تبليغ أهل الكتاب.. وقد تكون الآية مدنيّة [5]

وذهبت (ماجدة الفارس) إلى أنّ في قوله تعالى: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا ﴾[6] فالآية لم ينزل بعدها حلال ولا حرام، ويروى أنّ آية الربا نزلت بعدها وآية الكلالة[7]

ومحصلة النّقد على ما تقدّم : إنّ أول ما نزل من القرآن الكريم أوائل سورة العلق المباركة وهناك رأي قائل بسورة الفاتحة وآخر سورة المدثر، والأول هو ما رجح عند بنت الشاطئ، وان الاراء الاخرى قامت عليها أدلة من السنّة يمكن مراجعتها في مظانها [8] كما يبقى الكلام في هذه المسألة قائمة على الترجيح بين المنقول من الروايات لذا قالوا: "مدار هذا المبحث على النقل والتوقيف. ولا مجال للعقل فيه إلا بالترجيح بين الأدلة أو الجمع بينها فيما ظاهره التعارض منها"[9]

---

(١) العلق:١.

(٢) ظ: زينب الغزالي/ نظرات في كتاب الله، ٢/ ٦٤٩ .

(٣) المائدة :٣.

(٤) ظ: حنان اللحام/ تأملات في سورة المائدة/ ٢٨ -٢٩ .

(٥) ظ: المصدر نفسه، ١١٦ .

(٦) المائدة :٣.

(٧) ظ: ماجدة الفارس/ التوضيح والبيان في تفسير آي القرآن، ٣/ ٣١٣.

(٨) ظ: الباقلاني/ إعجاز القرآن للباقلاني، ٢٩٣ ، الواحدي/ أسباب نزول القرآن، ١٠، الزركشي/ البرهان في علوم القرآن، ١/ ١٩٣ ، السيوطي/ الإتقان في علوم القرآن، ٩١/١.

(٩) الزّرقاني/ مناهل العرفان في علوم القرآن، ٩٢/١.

وأنّ أول ما نزل من القرآن كسورة كاملة هي سورة الفاتحة عند (زينب الغزالي) وانتقض كلامها في قولها عن سورة العلق نزلت كاملة كما مرّ . يقول معرفة : ومن هنا صحّ التّعبير عن سورة الحمد بسورة الفاتحة أي اوّل سورة كاملة نزلت بهذه السمة الخاصّة . وهذا الاهتمام البالغ بشأنها في بدء الرسالة، واختصاص فرضها في الصلوات جميعًا ، جعلها من حيث الفضيلة عدلًا للقرآن العظيم:﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [1] فقد امتن اللّه على رسوله بهذا النّزول الخاصّ تجاه سائر القرآن [2]

وإنّ الرأي بآخر ما نزل من الكتاب العزيز والذي وقفت عنده المفسّرات مع ما ذُكر من آراء أخر فقبالها مجموعة من الآراء ذكرها المختصون في علوم القرآن حتى أوصلوها إلى عشرة أقوال في آخر ما نزل من القرآن [3] وفي هذا لا جديد يذكر عندهنّ حيث أنّ المتأخر يرجع إلى المتقدّم .

المبحثُ الثالث : النَّقد في مجال(المكيّ والمدنيّ) :

توطئة :

تقدم أنّ نزول القرآن الكريم على النّبيّ محمّد(صلّى اللّهُ عليهِ وآلهِ) امتدّ طيلة ثلاث وعشرين سنة، ثلاثة عشر منها في مكة، وعشرة سنوات في المدينة، وقالوا : الواقع أنّ لفظ المكيّ والمدنيّ ليس لفظًا شرعيًا حدد النّبيّ مفهومه لكي نحاول اكتشاف ذلك المفهوم، وانّما هو مجرد اصطلاح تواضع عليه علماء التّفسير[4] وقد تواضع العلماء على إقامة مباحث لنزول الوحي المكي والمدنيّ لما له من أهميّة متعلقة ومرتبطة بمضمون النّص القرآني ولا شك أن يفيد منها المفسر والآتي للقرآن الكريم . وقد سطّر العلماء في أهميّته صفحات يمكن مراجعتها في أمّات المصادر، ومن هنا كان للبحث أن يقف على هذا الموضوع قدر المكنة وفق ما ورد في التّفاسير النسويّة تأتي على المطالب.

المطلب الأول: المكي والمدني :

---

(١) الحجر:٨٧ .

(٢) ظ: معرفة / التمهيد في علوم القرآن ، ١/ ١٢٧ .

(٣) ظ: محمد عبد السلام كفافي، عبد الله الشريف /في علوم القرآن (دراسات ومحاضرات) /٣٩ -٤١ .

(٤) الحكيم / علوم القرآن / ٧٤ .

دأبت بنت الشاطئ على وصف السّورة المراد تفسيرها أن تستهلها بالقول كونها مكيّة أو مدنية فلا تكاد تسهو عن واحدة من السّور التي فسرتها [١] وكان تحديد المكي والمدني عند بنت الشاطئ بلحاظ الهجرة فكثيرًا ما تركن إلى هذا الملحظ منها في بيان سورة الضحى تقول: " وسورة الضحى من أوائل الوحي، نزلت بمكة قبل الهجرة بسنين" [٢]

وهذا المنحى في التعريف بين المكي والمدني هو المشهور في تحديد النازل يقول الزركشي:" والمشهور أن المكي ما نزل قبل الهجرة وإن كان بالمدينة والمدني ما نزل بعد الهجرة وإن كان بمكة" [٣] ويُعدُّ هذا الملاك في التعيين هو ملاك زماني قباله ملاكين آخرين يمكن عن طريقهما تعيين المكي والمدني وهما المكان بالنظر إلى النزول في مكة والمدينة ، والثاني توجيه الخطاب إن كان لأهل مكة أو لأهل المدينة والأشهر والمعتمد هو الملاك الزمانيّ المتعلق بالهجرة النبوية .

كما نلحظ لبنت الشاطئ نقدًا في السّور المختلَف فيها بناءً على جو السّورة وما تحمل من مضامين ترتبط بالعهد المكي أو العهد المدني واليك نموذجًا ففي سورة الشرح ذكرت: إنّما مكيّة عند الجمهور، يشعر بأن من المفسرين من ذهب إلى كونها مدنية، وقد قال (البقاعى)إنّها مدنيّة بناء على (ما يفهم من التّقرير بشرح الصدر وما بعده. وهذا إنما كان بعد ظهور القوة، وبعد أن فتح اللّه على المسلمين ما فتح عليهم، وأكمل لهم النعمة بغلبة حقهم على باطل خصومهم). ويرد على هذا، أن في كثير من السّور المكية، ما يقرر قوة المسلمين، وغلبة حقهم على باطل خصومهم [٤] كما نلحظ انّ السّور القصار التي ورد تفسيرها في مدونتها كلها مكيّة .

أمّا (زينب الغزالي) اكتفت أن تذكر الوصف للسّورة مكيّة أو مدنيّة في مفتتح تفسير كل سورة كما في سورة الفاتحة ذكرت: أنّها مكيّة [٥] أو تشير لوصف السّورة وتذكر إن كان فيها استثناء كما في سورة البقرة فقد قالت عنها أنها مدنيّة الا آية (٢٨١) فقد نزلت في منى في حجة الوداع [٦] وفي سورة المائدة

---

(١) ظ: بنت الشاطئ/ التّفسير البيانيّ للقرآن الكريم، ٢٣/١ ، ٥٧/١ ، ٧٩/١ ، ١٠٣/١ ، ١٢٣/١ ، ١٦٥/١ ، ١٩٥/١ . ١٤/٢ ، ٢/ ٣٩ ، ٢/ ٧٥ ، ٩٧/٢ ، ١٢٥/٢ ، ١٦٧/٢ ، ١٨٣/٢ .

(٢) المصدر نفسه، ٣٦/١ .

(٣) الزركشي/ البرهان في علوم القرآن، ١٨٧/١ . السيوطي/الاتقان في علوم القرآن، ٣٧/١ . الزرقاني/ مناهل العرفان في علوم القرآن ، ١٩٤/١ . معرفة/ تلخيص التمهيد ، ١/ ٨٧.

(٤) ظ: بنت الشاطئ/ التّفسير البيانيّ للقرآن الكريم، ٥٧/١ .

(٥) ظ: زينب الغزالي/ نظرات في كتاب اللّه، ١/ ١٥ ، ١٨٩/١ ، ٢٨١/١ .

(٦) ظ: المصدر نفسه، ١/ ١٩ .

المائدة قالت فيها: مدنيّة إلا آية (٣) نزلت بعرفات في حجة الوداع[١] وهكذا في غيرها من السّور[٢] ويبدو من هذا الصنيع أنّها تتعامل في تعيين المكيّ والمدنيّ وفق الملاك المكانيّ .

امّا (حنان اللحام) فإنّها: تأتي السّورة فتصفها بالمكيّة أو المدنيّة في جميع ما فسّرت، ونلحظ في بعض الاحيان تقيم الدليل عليها من السّنة كما في سورة النّساء قالت فيها : مدنيّة . روى البخاري عن عائشة ما نزلت سورة النّساء الا وانا عند رسول الله (صلّى اللّهُ عليهِ وآلهِ) والمتفق عليه أنّ رسول الله (صلّى اللّهُ عليهِ وآلهِ) بنى [العائشة] في المدينة[٣] ويجدر الذّكر أنّها لما تعمد على تعيين السّورة إن كانت مكيّة أو مدنيّة تربطها بجملة من المحاور المهمّة التي تعد خصائص ومميزات الخطاب القرآنيّ إن كان للمجتمع المكي أو المدني .وهذا ما يظهر في الخصائص المكيّة والمدنيّة .

وامّا (نائلة صبري) فتعنون كل سورة قرآنيّة مكيّة كانت أو مدنيّة وتشير الى استثناءاتها إن وجدت منها في سورة الانفال قالت: هي مدنيّة عدا الآيات السبع من آية (٣٠) إلى آية (٣٦) مكيّة[٤] وفي غيرها[٥] وهناك ملحظ مهم يجدر الإشارة غليه وهو أنّها تعتمد على مبدأ المكان لا الزمان في تعيين المكي والمدني من السّور القرآنية في أكثر من موطن منها في سورة المائدة تقول: هي مدنيّة غير

آية واحدة وهي قوله تعالى:﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[٦]نزلت عشيّة عرفة في حجة الوداع[٧] وفي بعض الأحيان تختار في مسألة المكي والمدني وبذلك تخالف آراء بعض بعض العلماء المفسرين كما في سورتي الفلق والناس تقول أنهما مكيّتان[٨] وذكر السيوطي: "المعوذتين: "المعوذتين: المختار أنهما مدنيتان لأنّهما نزلتا في قصة سحر لبيد بن الأعصم كما أخرجه البيهقي في الدلائل"[٩]

---

(١) ظ: المصدر نفسه، ١/ ٣٦٠ .

(٢) ظ: المصدر نفسه، ١/ ٤١٢ .

(٣) ظ:حنان اللحام/ من هدي سورة النساء/ ١٩ .

(٤) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن، ٤ /٩ / ١١٢ .

(٥) ظ: المصدر نفسه ، ٤ / ٨ / ٩٣ ، ٤/ ١٠/ ٤٦، ٥/ ١١/ ٦٠ . ٥/ ١١/ ١٩٠. ٥/ ١٢/ ١٢٣ .

(٦) المائدة :٣ .

(٧) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن، ٣ /٦/ ٤٣ ، ٨/ ٢٠/ ٣٣ .

(٨) ظ: المصدر نفسه، ١١ /٣٠ / ٦٥٨ .

(٩) السيوطي/ الاتقان في علوم القرآن، ٥٥/١ . الرازي/ مفاتيح الغيب، ٣٧٦/٣٢ . البغوي/ معالم التنزيل في تفسير القرآن، ٥٩٧/٨ . الخازن/ لباب التأويل في معاني التنزيل، ٥٠٣/٤ .

وأمّا (ماجدة الفارس) تصف السّورة بالمكيّة أو المدنيّة وفي بعض الأحيان تورد موارد الإختلاف فيها مثل ما جاء في سورة الرعد قالت: وهذه السّورة مكيّة في قول مجاهد وعلي بن طلحة وابن عباس، وعن ابن جريح وقتادة في رواية عنه، وعن ابن عباس أيضًا أنّها مدنيّة، وجمع السيوطي وغيره بين الروايات بأنها مكيّة إلا آيات منها نزلت في المدينة. قال ابن عطيّة والظاهر أن المدني فيها كثير، وكل ما نزل في شأن عامر وأربد بن ربيعة فهو مدني[١] وايضًا في غيرها تورد موارد الاختلاف وتذكر الاستثناءات من السّورة كما في سور النحل[٢].

المطلب الثاني: خصائص المكي :

يعرف المكّيّ والمدنيّ بواحد من طريقين: الأوّل: النّقل .والثّاني: الاجتهاد عند عدم النّقل، وذلك بتمييز خصائص المكّيّ والمدنيّ وإلحاق ما لم يرد النّقل به أنّه مكّيّ أو مدنيّ، بجامع تلك الخصائص[٣] أو كما يعبّر عنها بالطريق السّماعيّ والقياسيّ[٤]

لذا سنعرض من التّفاسير النّسوية بعض الضوابط والخصائص التي جاءت عند بعض المفسرات التي ترتبط بالسّور المكية أو المدنيّة ، ولا شك أن الخصائص تأتي في الغالب على السّورة ليس قانونًا ثابتًا وخاصًا فيها بحيث لا يمكن أن يتعداها لغيرها، وبالآتي هي اجتهادية في المبنى والحكم ولأنها قائمة على التتبع والاستقراء وبالآتي هي قياسيّة .

وبالنّظر إلى التّفاسير النّسويّة نلحظ لها استقراءً للسّور المكيّة والسّور المدنيّة، حيث أنّها استنبطت مجموعة من الضّوابط القياسيّة لكلٍ من المكيّ والمدنيّ، وغالب تلكم الضوابط قد أقرّها المتقدّمون، ولم نلحظ فيها الجديد . إذ تبين خصائص الأسلوب والموضوعات التي يتناولها. وخرجت من ذلك بقواعد ومميزات. فيمكن تحصيل خصائص العهد المكي لبنت الشاطئ بجملة من النقاط:

- معروف أن عناية القرآن الكريم اتجهت في العهد المكي إلى تقرير أصول الدعوة وفي العهد المدني إلى التشريع وبيان الأحكام. ولا يعني هذا أن تخلو السّور المكية من أحكام تشريع، ولا أن تخلو المدنية من أصول عامة للعقيدة، مثل سورة الزلزلة التي نستأنس لها بنظائرها من السّور المكية في اليوم الآخر، مثل سور: الذاريات، التكوير، الإنفطار، الإنشقاق، الغاشية، القارعة، التكاثر، العاديات، الفجر، النازعات، النبأ، المرسلات، القيامة، المعارج، الحاقة، الواقعة..[٥]

---

(١) ظ: ماجدة الفارس/ التّوضيح والبيان في تفسير آي القرآن، ٧/ ٣٠١ .

(٢) ظ:المصدر نفسه، ٨/ ٢٧١ .

(٣) ظ: الجديع/المقدمات الأساسية في علوم القرآن/ ٥٨ .

(٤) ظ: أبو شهبة/المدخل لدراسة القرآن الكريم/ ٢٢٦ .

(٥) ظ: بنت الشاطئ/ التّفسير البيانيّ للقرآن الكريم، ١/٧٩ .

- أنّ آياتها قصار، وهذا القصر ملحوظ فيه القوة والجزم، بما يلقى في نفس السامع من جدية الموقف الحاسم وخطره، بحيث لا يحتمل الإطالة والتأني.[١]
- وفيها ظاهرة التّكرار. والتكرار مألوف في مواقف الإطناب والإطالة، لكنه حين يأتي في مواقف الإيجاز الحاسمة، يكون لافتًا ومثيرًا، ففي سورة الزلزلة، على إيجازها وقصر آياتها، نجد التكرار. وهذه ظاهرة أسلوبية في القرآن الكريم، يعمد لآيها إلى التّكرار مع الإيجاز والقصر، ترسيخًا وتقريرًا وإقناعًا. [٢]
- العهد المكي فيه توجه إلى تحرير البشرية من أوضاع فاسدة، وتقرر مسئولية الإنسان عنها، فتصل في رياضته إلى المدى الذي يصير فيه أداء حق الجماعة دينًا وعقيدة، وتكون طمأنينة النّفس هي الزاد الذي يتزود به الإنسان لمصيره[٣]
- أغلب السّور المستهلة بالحروف المقطعة، ذكرت: منها سورة القلم وبعدها نزلت ثمان وعشرون سورة مفتتحة بهذه الحروف، منها ست وعشرون سورة مكية، وثلاث سور من أوائل العهد المدني: البقرة وآل عمران، والرعد [٤]
- ولا يخطئ الحس فيها - تقصد سورة التّكاثر - سيطرة جو الوعيد والإنذار، يعمد فيه البيان القرآني إلى الإيجاز الحاسم مع التأكيد الجازم، تقوية للردع وبلاغًا للوعيد [٥]

ونلحظ أنّ (حنان اللحام) لفتت صوب بعض الخصائص التي جُمعت من مدوناتها التّفسيريّة وليس فيها الجديد بل ما هو غالب عند المتقدّمين ، وهي على وفق النّقاط الآتية. حيث ترى :

- ركزت السّور المكيّة على: الله والكون واليوم الآخر [٦]
- حديث السّور المكيّة عن الاعداء اقتصر على المشركين غالبًا، لأنهم هم الذين جابهوا الاسلام والمسلمين في مكة، فجاء الآيات المكيّة تحاجهم وتشنع مواقفهم وتتواعدهم بعذا ب الله إن لم يرجعوا عن غيهم .. [٧]
- إنّ القرآن المكيّ عرض المثل الأعلى ٠ الجانب العقائدي والأخلاقي من الإسلام على عقل الانسان، فاقتنعت به فئة من الناس فآمنوا به وأخلصوا .

---

(١) ظ: المصدر نفسه ، ٧٩/١ .

(٢) ظ: بنت الشاطئ/ التّفسير البيانيّ للقرآن الكريم، ٧٩/١ .

(٣) ظ: المصدر نفسه، ١٦٣/٢ .

(٤) ظ: المصدر نفسه، ٤٠/٢ -٤١ .

(٥) ظ: المصدر نفسه، ١٩٥/١ .

(٦) ظ: حنان اللحام/ من هدي سورة البقرة/ ٩ .

(٧) ظ: حنان اللحام/ من هدي سورة النساء/ ٢٠ .

- كرّست الآيات المكيّة لبناء نظام فكري جديد يعتمد البرهان العلمي المرتبط بالواقع ويؤسس قواعد الإيمان بالله .[١]
- بدا الاسلام بمعالجة الأمراض المجتمعيّة منها الزنى في وقت مبكرٍ، منذ المرحلة المكيّة .. فالآيات المكيّة تنهى عن الزنى وتنفر المؤمن منه ، تصف المؤمنين بالطهارة والعفة والبعد عن الفواحش .أمّا العقوبة فلم تشرع الا في المدينة وكان فيها تدرج [٢]
- تناولت السّور المكيّة موضوع توحيد الله واليقين بالآخرة بأساليب متنوعة بحيث تصبح كل سورة ذات طابع معين وشخصيّة محددة برغم تشابهها مع أخواتها [٣]

و(ماجدة الفارس) في تفسيرها أيضًا ذكرت جملة من المميزات والخصائص التي لم يُعهد فيها ما هو جديد وما جمع من تلك الخصائص التي تعبّر عن صبغة السّور المكيّة هي:

١ - الآيات المكيّة جاءت لتثبت القلة المؤمنة عندما عرضت تجارب الدعوة [٤]

٢ - الغالب في موضوع السّور المكيّة هو: العقيدة في أصولها الكبيرة ، الوحي والرسالة والتوحيد والبعث والجزاء [٥]

ينبري النّقد فيما تقدّم : نلحظ لبنت الشاطئ الدّقة في توجيه خصائص العهد المكيّ إذ إنّها لم تطلق في كلامها في ما تحمله السّور المكيّة من خصائص إنما تستدرك عليها وتستثني منها ، ولم نلحظ ذلك عند المفسّرات الأُخَر، كما أفادت من بعض تلك الخصائص بما ينسجم وحال المقال والمقام ، تقول: وهذا القصر –قصر الآيات -ملحوظ فيه القوة والجزم، بما يلقى في نفس السّامع من جدية الموقف الحاسم وخطره، بحيث لا يحتمل الإطالة والتّأني ، فيما نلحظ على ما جاء من آراء قريناتها الإطلاق دون استثناء ولا تحليل يذكر .

وما يجدرُ ذكرُه : إنَّ هذه الفروق لا تشكل حدًا فاصلًا بين هذين القسمين في القرآن الكريم ، وإنّما هي طابعٌ عامٌّ لكلٍ من القسمين، وإلا فنحن نلاحظ إنَّ كلًا من القسمين تناول بعض أو كل الجوانب الأخرى للقسم الثّاني بشكل أو بآخر انسجامًا مع الأسلوب القرآني العام[٦]

---

(١) ظ: حنان اللحام/ تأمّلات في سورة هود/ ٣٣ .

(٢) ظ: حنان اللحام/ من هدي سورة النّور/ ١٤ -١٥.

(٣) ظ: حنان اللحام/ من هدي سورة لقمان/ ١٣ .

(٤) ظ: ماجدة الفارس/ التوضيح والبيان في تفسير آي القرآن ، ١/ ٨١ .

(٥) ظ: المصدر نفسه، ٧/ ٤٤٣ ، ٨/ ٢٧١ ، نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن، ٥/ ١١/ ١٩٠.

(٦) ظ: الحكيم/ علوم القرآن/ ٩٣.

المطلب الثالث: خصائص المدني :

موقف بنت الشاطئ مع خصائص العهد المدنيّ : ينبي عدم ذكر المفسرة لخصائص العهد المدني في تفسيرها ربما يكون السّبب أن السّور التي عمدت إلى تفسيرها كلها مكيّة مما جعلها بمنأى عن تناول السّور المدنيّة وما يتعلق بها من خصائص ومميزات، وبالآتي لم نقتنص سوى هذا الميزة في العهد المدني أنّ يدعو إلى التّشريع وبيان الأحكام، ولا يعني هذا أن تخلو السّور المكيّة من أحكام تشريع(١) ويمكن أن نستشف أيضًا أنّ السّور المدنيّة في أغلبها لم تفتتح بالحروف المقطعة إلا سورة البقرة وآل عمران، والرعد (٢)

ذكرت (حنان اللحام) مجموعة من المميزات والخصائص التي تعتري السّور المدنيّة جمعت في النّقاط :

١ - ركزت السّور المدنيّة على الانسان وتعلمه كيف يؤدي دوره ويحقق الامّة الراشدة المستخلفة في الأرض (٣)

٢ - عرض العقيدة الصحيحة ومناقشة أهل الكتاب ونقدهم فكرًا وسلوكًا، ونقد أخطاء المؤمنين وتوجيههم لفهم سنّة الحياة والأخذ بأسبابها (٤)

٣ - في السّور المدنيّة ترى المحاجة تتناول طائفتين ظهرتا بعد الهجرة هما : المنافقون وأهل الكتاب تفضحهم وتعرض أمراضهم وعللهم، وتذكرهم سنة الله في أمثالهم عبر الاجيال فتهددهم بالعذاب وترغبهم بالتوبة قبل فوات الأوان (٥)

٤ - جاء القرآن المدني يعلمهم كيف يحققون مجتمعًا ربانيًا (٦)

و(نائلة صبري) ذكرت جملة من مميزات النّزول المكيّ بقولها: من ميزات المكي أنّه نزل لبيان أسس الدّين من الإيمان ، بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنّبيين وفعل الخيرات وترك المنكرات . ومن مميزات المدنيّ أنّه جاء بأحكام العبادات والمعاملات الشخصيّة والمدنيّة والسلم والحرب وأصول التّشريع، وإسهاب في الأسلوب وبسطة في القول ولا سيما عند محاجّة أهل الكتاب والنعي عليهم بتحريف ما أنزل إليهم ودعوتهم الى التّوحيد (٧)

---

(١) ظ: بنت الشاطئ/ التّفسير البيانيّ للقرآن الكريم، ٧٩/١ .

(٢) ظ: المصدر نفسه، ٤١/٢ .

(٣) ظ: حنان اللحام/ من هدي سورة البقرة/ ٩ .

(٤) ظ: حنان اللحام/ من هدي سورة آل عمران/ ١٠ .

(٥) ظ: حنان اللحام/ من هدي سورة النساء/ ٢٠ .

(٦) ظ: حنان اللحام/ من هدي سورة البقرة/ ٨٨ .

(٧) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن، ١/١/ ٢٠ .

وعلى هذا الأساس رجّحت ((نائلة صبري)) في تصنيف سورة الفاتحة بنزولها مرّتين: مرّة بمكة ومرّة بالمدينة اعتمادًا على ما احتوت السّورة من مميزات المكيّ والمدنيّ[١] وهذا المبنى لا يمكن الركون إليه في تحديد نزول الفاتحة، إذ لا دليل على نزول سورة الفاتحة مرّتين ، والمعروف أنّها مكيّة وهو الصّحيح والدّليل كما قدّمه السّيد الخوئي في أمرين[٢] :

الأول: إنّ فاتحة الكتاب هي السّبع المثاني وقد ذكر في سورة الحجر أنّ السّبع المثاني نزلت قبل ذلك، فقال تعالى:﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ ﴾[٣] وسورة الحج مكيّة بلا خلاف و لابد أن تكون فاتحة الكتاب مكيّة أيضًا .

الثاني: إنّ الصلاة شرعت في مكة ، وهذا ضروري لدى المسلمين ولم تعهد في الاسلام صلاة بغير فاتحة الكتاب .

و(ماجدة الفارس) أيضًا أوردت جملة من خصائص السّور المدنيّة حيث ترى :

١ - الآيات المدنيّة جاءت لتكشف حقيقة نيات اليهود ووسائلهم وتحذير الجماعة المسلمة منهم [٤]
٢ - ذكرت جملة من الضوابط للسور المدنيّة ومميزاتها الموضوعية[٥]واعزة ذلك لمناع الكطان في كتابه (مباحث في علوم القرآن) :
- كل سورة فيها فريضة أو حدٍ فهي مدنيّة .
- كل سورة فيها ذكر المنافقين فهي مدنيّة سوى العنكبوت فهي مكيّة .
- كل سورة فيها مجادلة أهل الكتاب فهي مدنيّة .
- بيان العبادات والمعاملات والحدود ونظام الاسرة والمواريث وفضيلة الجهاد وقواعد الحكم ومسائل التشريع .
- مخاطبة اهل الكتاب من اليهود والنصارى ودعوتهم الى الاسلام وبيان تحريفهم لكتب الله تعالى .
- الكشف عن سلوك المنافقين وتحليل نفسيتهم .
- طول المقاطع والآيات .

---

(١) ظ: المصدر نفسه، ١/١/ ٢٠ .

(٢) ظ: الخوئي/ البيان في تفسير القرآن/ ٤١٨ .

(٣) الحجر:٨٧ .

(٤) ظ: ماجدة الفارس/ التوضيح والبيان في تفسير آي القرآن ، ١/ ٨٢ .

(٥) ظ: المصدر نفسه ، ٢/ ٣ .

ومحصلة النّقد عمّا تقدم في هذا المبحث : نلحظ اهتمام التّفاسير النّسويّة بمسألة المكي والمدني بتفاوت بيّن من حيث المشتركات والمختلفات ، فالمشترك: كل التّفاسير النّسوية عينت بما للسّور من وصف إن كانت مكيّة أو مدنيّة ، ونلحظ أيضًا بيان مورد الاختلاف في السّورة من كونها مكيّة أو مدنيّة الا (زينب الغزالي) ، وبيان محاور السّورة التي تتجسّد فيها خصائصها في العهدين المكيّ أو المدنيّ خصوصًا بنت الشاطئ و(حنان اللحام) و(ماجدة الفارس) .

وفي مجال إيراد الضوابط والمميزات الخاصة بالسّور المكيّة والمدنيّة فقد ذكرت بنت الشاطئ ما للسور المكيّة من خصائص ولم يلحظ فيها الجديد؛ وذكر الخصائص المكيّة فقط السّبب السّور القصار المختارة كلها مكيّة، لكنّها تميزت عن قريناتها أنّها لما تذكر خاصية ما لا تبقيها على إطلاقها وإنّما تستثني وتستدرك عليها ،وتعمد على توظيفها واستخلاص ما لها من قيمة بيانيّة في أسلوب خطابها . وتتجلى الخصائص أيضًا عند (حنان اللحام) متناثرة في طليعة كل سورة مفسَّرة عندها لكن كانت تذكر ما للسّورة من مميزات ومنها تنطلق وتعمم على غالب السّور المكيّة أو المدنيّة . و(ماجدة الفارس) ايضًا تبيّن في مستهلات السّور جو السّور العام وخطابها بما ينسجم مع نزولها المكي أو المدنيّ، وقد ذكرت بصورة قاعديّة كليّة من ضوابط بقولها: (كل سورة كذا ..) وهذا غير ملحوظ عند بقية المفسّرات ، والخصائص غائبة تمامًا عند (زينب الغزالي) ؛ لمنهج تفسيرها المختصر. والجدير بالذّكر أنّ مَن تناولت وأوضحت شيئًا من تلكم الخصائص والمميزات في تفسيرها لا ينكر جهدها وتصبح إضافة جديدة في رفوف التّفاسير النّسوية وهي لاشك لمسة معرفيّة تضاف إلى سجلها، وإن لم يظهر فيها الجديد على أنّ أغلب ما ذُكر قد تناوله المتقدّمون .

المبحثُ الرابع : النَّقد في مجال (القراءات) :

توطئة :

القراءات جمع قراءة :والقراءة -وتعنى وجهًا من محتملات النّص القرآني –وهو مصطلح قديم يرجع عهدها إلى عهد الصحابة الأولين، حيث عمد جماعة من كبار صحابة رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله)

بعد وفاته، إلى جمع القرآن في مصاحف، كعبد اللّه بن مسعود وأبى بن كعب ومعاذ بن جبل والمقداد ابن الأسود واضرابهم، وربما اختلفوا في ثبت النّص أو في كيفية قراءته ، ومن ثم اختلفت مصاحف الصّحابة الأولى، وكان كل قطر من أقطار البلاد الاسلاميّة يقرأ حسب المصحف الذي جمعه الصّحابي النّازل عندهم [١]

ونلفت النّظر في هذا المبحث أنّه قد اختلف (منهجيّاَ) عن أقرانه في هذا الفصل حيث كان قائمًا على بيان الجانب النّظري والجانب التّطبيقي؛ اقتضاء لضرورة الموضوع إذ يتطلب التّطبيق لسعته وكثرة موارده ، ولا يمكن إبقاءه على جانب التّنظير فحسب ولأنّ مطلبه ذو صلة مع النّص القرآنيّ مباشرة لذا اقتضى أن يكون على مطلبين .

المطلب الأول: بيان الجانب (النَّظري):

بعد تتبع البحث للتّفاسير النّسويّة لم نلحظ قولًا في القراءات في ضوء التّنظير سوى ما ذكرته (ماجدة الفارس) في مدونتها وهو سبب وجود القراءات بقولها : وجدت القراءات السّبع لاختلاف لغات العرب ومشقة نطقهم بغير لغتهم فقد اقتضت التّوسعة عليهم فأذن لكل منهم أن يقرأ على حرفه أي طريقته وفي الصّحيحين عن ابن عباس أن رسول اللّه (صلّى اللّهُ عليهِ وآلهِ) قال : أقرأني جبريل على حرف فرجعته ثم لم أزل أستزيده فيزيدني حتى انتهى سبعة أحرف ، قال ابن شهاب إنّما هي في الأمر الذي لا يختلف في حلال ولا حرام ، وانظر البرهان في علوم القرآن للزركشي . [٢]

تُعدُّ اللهجات من أهمّ أسباب تعدد القراءات كما أشارت (ماجدة الفارس) يقول معرفة: لا شكّ أنّ كل أمّة - وإن كانت ذات لغة واحدة - فإنّ لهجاتها تختلف حسب تعدد القبائل والافخاذ المتشعبة منها وهكذا كانت القبائل العربيّة تختلف مع بعضها في اللهجة وفي التعبير والاداء [٣]

إنّ ما ذهبت إليه المفسرة : أنّ من أسباب وجود القراءات هي اللهجات واختلافها، وأول من ذهب إلى هذا الرأي ابن قتيبة في كتابه (تأويل مشكل القرآن) وما بدا للفضلي [٤] يقول طه حسين: إنّما أشير إلى اختلاف القراءات يقبله العقل، ويسيغه النقل، وتقتضيه ضرورة اختلاف اللهجات بين قبائل العرب التي لم تستطع أن تغير حناجرها وألسنتها وشفاهها لتقرأ القرآن كما كان يتلوه النبيّ وعشيرته قريش فقرأته كما كانت تتكلم، فأمالت حيث لم تكن تميل قريش ومدّت حيث لم تكن تمد، وقصرت حيث لم

---

(١) ظ: معرفة: التّمهيد في علوم القرآن، ٢/ ٩.

(٢) ظ: ماجدة الفارس/ التّوضيح والبيان في تفسير آي القرآن، ٥/ ١٠٩ (الهامش)

(٣) ظ: معرفة/ تلخيص التّمهيد/ ٢٤٢/١ .

(٤) ظ: د. عبد الهادي الفضلي، / القراءات القرآنيّة تاريخ وتعريف/١٠٧ .

تكن تقصر، وسكّنت حيث لم تكن تسكّن، وأدغمت وأخفت ونقلت حيث لم تكن تدغم ولا تخفي ولا تنقل" [١]

نلحظ (ماجدة الفارس) في بيانها تربط بين القراءات ومسألة الأحرف السّبعة على ما جاء عن ابن عباس في الصحيحين ثم أعقبت ذلك بقول ابن شهاب، ارجعت الأمر في ذلك للزركشي، والحال أن القراءات لا علاقة ولا صلة لها بالأحرف السّبعة وقد تكلّم العلماء في هذه المسألة، وسنورد ما ذكره (محمد هادي معرفة) ونحيل التّفصيل عليه يقول: لم نجد من علماء الفنّ من يرى أي صلة بين حديث (انزل القرآن على سبعة أحرف) و (القراءات السّبع) المعروفة ، نعم سوى تداوله على ألسنة العوام وغوغاء الناس، لا عن مستند معروف، وقد رد على هذه المزعومة الشائعة كثير من الأئمة النقاد، كابن الجزري وأبى شامة والزركشي وأبى محمد مكي وابن تيمية واضرابهم . ونسب ابن الجزري هذا الوهم إلى الجهلة العوام ومن لا علم له من الغوغاء الطغام - وعلى سبيل المثال نذكر قولين مما ذكر [٢] :

قال أبو شامة : (ظنّ قوم أنّ القراءات السّبع الموجودة الآن هي التي أريدت في الحديث ، وهو خلاف اجماع أهل العلم قاطبة ، وإنّما يظنّ ذلك بعض أهل الجهل) .

وقال ابن تيمية :(لا نزاع بين العلماء المعتبرين أن الأحرف السّبعة التي ذكرها النبي (صلّى اللّه عليه وآله) إنّ القرآن أنزل عليها، ليست قراءات القراء السّبعة المشهورة، بل أول من جمع ذلك ابن مجاهد، ليكون ذلك موافقا لعدد الأحرف التي انزل عليها القرآن، لاعتقاده واعتقاد غيره من العلماء : أنّ القراءات السّبع هي الحروف السّبعة، أو أنّ هؤلاء السّبعة المعينين هم الذين لا يجوز أن يقرأ بغير قراءتهم).

المطلب الثاني : بيان جانب (التّطبيق) :

عنيت بنت الشّاطئ بالقراءات القرآنيّة، وأولت لها اهتمامًا في تفسيرها، وجاء ذلك في مواطن كثيرة ، وقد أفادت منها في توجيه المراد، وكانت تورد القراءة وتنسبها الى قارئها تارة وتارة أخرى لا تعبأ بذكرها، وغالبًا ما تناقش أوجه القراءات وتتلمّس المعاني المتوخاة منها، ونلحظ لها ترجيحًا في بعض الأحيان، ويمكن عرض ما جاء في تفسيرها بالآتي :

نموذج أوّل: لا تنسبها الى قارئها ولا ترجّح : في قوله تعال:﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ ﴾ [٣]قالت: والقراءة بالدّال المشّددة هي قراءة الجمهور، وقرأ بعضهم: (مَا وَدعَكَ) بالتّخفيف [١]

(١) طه حسين / في الأدب الجاهلي / ٩٥ .

(٢) ظ: معرفة/ التّمهيد في علوم القرآن، ٢/٨٥ -٨٦ . و ظ مصادره: السيوطي/ الاتقان في علوم القرآن، ١/٨٠ ، وفتوى سجّلها ابن الجزري في النشر ، ١/ ٣٩ .

(٣) الضحى :٣.

وعلى هذا الشاهد يمكن القول: ذكر ابن جني الموصلي عن القراءة بالتخفيف، قال أبو الفتح: هذه قليلة الاستعمال. وقال سيبويه: استغنوا عن وذر وودع بقولهم: ترك[٢] وتحقيق القراءة في قوله :(مَا وَدَّعَكَ) قرئت خفيفة عند حمصي، وابن أبي عبلة أبو حيوة، والباقون مشدّد، وهو الاختيار من التّوديع[٣]

وذكر الطوسي : روي أن عروة ابن الزبير قرأ ﴿ مَاوَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ بالتّخفيف من قولهم : ودع يدع أي ترك يترك، وهو قليل، لأنّ سيبويه قال: استغنوا بـ(ترك) عن(ودع) فلم يستعملوه. والباقون بالتّشديد[٤]

يُلحظ أنّ المفسّرة لم توضح الفرق بين القراءتين من حيث التّوجيه الدّلالي وإنّما اكتفت ببيان التّوديع وساقت عليه الآراء والأقوال ، وتوجيه القراءتين كما ذكر الماوردي(٤٥٠هـ) : "وفي (وَدَّعَك) قراءتان: أحدهما: قراءة الجمهور ودّعك ، بالتّشديد ، ومعناها: ما انقطع الوحي عنك توديعًا لك. والثّانية: بالتّخفيف ، ومعناها: ما تركك إعراضًا عنك"[٥]

وفي قوله تعالى:﴿ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٢٠﴾ ﴾[٦] . القراءة بنصب ابتغاء، هي قراءة الجمهور. والنصب فيه عندهم، إمّا على الاستثناء، أو مفعولًا لأجله كما ذهب إليه (الفراء) و(الزّمخشري) في الكشاف. وهو ما يؤنس إليه؛ لغالب مجيء ابتغاء، مفعولًا لأجله في الآيات التي استعملت هذه الصيغة على النصب. وأمّا القراءة بالرفع، فتأويله فيها على البدل من نعمة، وهي من الصّنعة الإعرابية في موضع رفع، وحرف الجر قبلها زائد[٧]

يلحظ للمفسرة بيان القراءة(ابتغاء) على النّصب إما على الاستثناء أو مفعول لأجله قراءة الجمهور والرفع القراءة الثانية، أيضًا لم نلحظ تعريف قراء القراءة الثانية ولا توجيه الدلالة من القراءتين. وعلى هذا يمكن القول: في تعيين القراءة ذكر القرطبي: "وقرأ يحيى بن وثاب (إلا ابتغاء وجه ربه) بالرفع، على لغة من يقول: يجوز الرفع في المستثنى"[٨] وما ركنت اليه من ترجيح النّصب على المفعولية على رأي الفراء والزمخشري والاستعمال القرآني لـ(ابتغاء) مفعولًا لأجله، وهذ الرأي قد حسَّنه الدرويش حيث يقول :" والأحسن أن يعرب ابتغاء مفعولًا لأجله لأنّ المعنى لا يؤتي ماله إلا لابتغاء وجه ربه لا لمكافأة نعمة وقُرئ ابتغاء بالرفع على لغة من يقول ما في الدار أحد إلا حمار فتكون بدلًا من محل من نعمة"[٩]

---

(١) ظ: بنت الشاطئ/ التفسير البياني للقرآن الكريم، ٣٢/١ .

(٢) ظ: ابن جني/ المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ٣٦٤/١ .

(٣) ظ: الهذلي/ الكامل في القراءات والأربعين الزائدة عليها/ ٦٦٢ .

(٤) ظ: الطّوسي/التّبيان في تفسير القرآن، ٣٦٧/١٠ .

(٥) الماوردي/ النّكت والعيون، ٢٩٢/٦ .

(٦) الليل :٢٠ .

(٧) ظ: بنت الشاطئ/ التفسير البياني للقرآن الكريم،١١٨/٢ .

(٨) القرطبي/ الجامع لأحكام القرآن، ٨٩/٢٠ .

(٩) درويش/ إعراب القرآن وبيانه، ٥٠٤/١٠ .

نموذج ثاني: لا تذكر صاحب القراءة وترجّح : وقرأ الجمهور {زِلْزَالَهَا} بكسر الزاي وهي قراءة الأئمة السبعة، وفي قراءة بفتحها، والفرق بينهما أن المكسور مصدر، والمفتوح اسم، وليس في الأبنية - كما قالوا - فعلال بالفتح إلا في المضاعف. والمصدرية أولى بالمقام، لما فيها من تأكيد يلائم السياق. ويؤيده تعين المصدرية في الآية الأخرى التي استعمل فيها القرآن هذه الصيغة :﴿ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ ﴾ [1] [2]

يلحظ على هذا الشاهد أنّها لم تسمِّ القارئ الذي قرأ بفتح (الزّاي) في قوله(زِلْزَالَهَا)، ففرقت بين القراءتين ورجحت الأولى على قراءة الجمهور لدلالة المصدريّة أولى لتأكيد يلائم السّياق وبه الاستعمال القرآنيّ. من قرأ بالفتح لم أعثر في كتب القراءات من قرأها بهذا الشكل لكن ذكر الثعلبي في تفسيره –وغيره - بإسناده عن : أحمد بن موسى صاحب اللؤلؤ قال: سمعت عاصم الجحدري يقرأ:﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ ﴾ [3] الزّاي مفتوحة [4] وذكر القرطبي: "وقراءة العامة بكسر الزاي من الزلزال. وقرأ وقرأ الجحدري وعيسى بن عمر بفتحها" [5]

نموذج ثالث: تذكر القارئ وترجّح وتناقش : قال تعالى:﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ [6] قالت: قراءة الجمهور بكسر الذال والثاء في الفعلين، على البناء للمعلوم، وهي التي أجمع عليها قراء الأمصار الأئمة، عدا (الكسائي) فإنّه قرأهما بالفتح، على البناء للمجهول، اعتلالًا منه بخبر روى عن الرّسول (صلّى اللّهُ عليهِ وآلهِ) أنّه قرأه كذلك. وقال (الطّبري) فيه: إنّه واهي الإسناد [7] وغالبًا ما تورد القراءة وترجح من بينها بما ينسجم مع ظاهرة السّياق وغيره بما يخدم مقاصدها البيانيّة [8]

وتحقيق القراءة: ذكرت المفسرة قراءة الجمهور بكسر(الذّال والثّاء) في الفعلين وهما (يُعَذِّبُ) و(يُوثِقُ) وعلى هذا هما فعلان مبنيّان للمعلوم وفاعلهما هو الله سبحانه وتعالى وهذه حجة من كسرهما [9] وتوجيه وتوجيه المعنى في حال الفتح للفعلين يكون الفعلان مبنيين للمجهول وبه يكون (أَحَدٌ) نائب للفاعل، يقول

---

(١) الأحزاب:١١ .

(٢) ظ: بنت الشاطئ/ التفسير البياني للقرآن الكريم، ٨٣/١ .

(٣) الزلزلة :١.

(٤) ظ: الثّعلبي/ الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ١٠/ ٢٦٤ . القيرواني/ الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، ١٢/ ٨٣٩٠. ابن عطية/ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ٥١٠/٥ .

(٥) القرطبي/ الجامع لأحكام القرآن، ٢٠ / ١٤٧ .

(٦) الفجر:٢٥ -٢٦ .

(٧) ظ: بنت الشاطئ/ التّفسير البيانيّ للقرآن الكريم، ١٥٨/٢ -١٥٩ .

(٨) ظ: المصدر نفسه، ٩٦/١ ، ١٤٣/١، ١١٨/٢، ١٥٩/٢ ، ١٧٠/٢ .

(٩) ظ: ابن خالويه/ الحجّة في القراءات السّبع/ ٣٧١ .

ابن خالويه: والحجة لمن فتح: أنّه جعلهما فعلين لم يسم فاعلهما، ورفع: (أحدًا) لأنه أقامه مقام الفاعل [١] [١] وأمّا القراءة بالفتح فليس الأمر كما ذكرت بنت الشّاطئ فليس الكسائيّ هو الوحيد من قراءها بهذا الشّكل بل قرأ بها الحضرميّ وكذلك روى المفضل عن عاصم. فقد ورد ذلك في أكثر من مصدر [٢] وذكر أبو بكر النّيسابوري : قراءة الكسائي ويعقوب [٣]

المطالع لمدونات (حنان اللحام) التّفسيريّة يلحظ أنّها لم تعبأ لمسألة القراءات القرآنية وحسب تتبع البحث لم يظفر لها ذكر للقراءات سوى في موطن واحد وهو في سورة آل عمران المباركة ، قال تعالى:﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾[٤] قالت: إنّ هذا الكلام لا يليق بالحواريين..!! ولهذا وقف المفسرون عندها.. فمنهم من قال إنّها مأخوذة من الطاعة والاستجابة.. بمعنى: هل يستجيب لنا إن طلبنا من ذلك؟ وليس بمعنى القدرة والاستطاعة . وذكرت قراءة ثانية للآية عن علي وعائشة وابن عباس ومعاذ(هل تستطيع ربَّك) وفيها محذوف يقدر بـ(هل تستطيع سؤال ربك) [٥]

نلحظ للمفسرة في تحكيمها القراءة في هذا الموطن جاء ليرفد المعنى المنسجم مع النّص القرآني الذي أولته من الآية ظاهرًا حيث لا ينسجم أن يكون الكلام للحواريين بهذا الاسلوب وفق رأيها، وذهبت الى تفسير الاستطاعة في النص بمعنى الطاعة والاستجابة لا بمعنى القدرة والاستطاعة، قدرت للنّص معنى وعلى تقديرها اسندته بتقدير القراءة التي ذكرتها عن عليّ وعائشة وابن عباس ومعاذ .

وتحقيق القراءة ليس كما ذكرت المفسرة إنّما جاءت القراءة ان صيغة الفعل بالمخاطب جاء عن الكسائي وحده أو معه والأعشى ولم نلحظ غير هذين القارئين حسب تتبّع جملة من المصادر فمنها ما ذكر بن مجاهد البغدادي(٣٢٤هـ) وغيره يقولون: وَاختلفُوا في اليَاء وَالتَّاء من قَوله (هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ) فَقَرَأَ الكسائي وَحده (هَل تَسْتَطِيع رَبك) بِالتَّاءِ وَنصب الْبَاء وَقَرَأَ البَاقُونَ (هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ)بِاليَاءِ وَرفع

---

(١) ظ: محمد سالم محيسن/ القراءات وأثرها في علوم العربيّة، ١/ ٣٧٠ .

(٢) ظ: الأزهري/ معاني القراءات للأزهري، ٣/ ١٤٥ . ابن زنجلة/ حجة القراءات/ ٧٦٣ .

(٣) ظ: النّيسابوري/ المبسوط في القراءات العشر/ ٤٧١ ، محيسن/ القراءات وأثرها في علوم العربية، ١/ ٣٧٠ .

(٤) المائدة :١١٢.

(٥) ظ: حنان اللحام ، تأمّلات في سورة آل عمران/١٨٦ -١٨٧ .

الْبَاء[1] وذكر الأزهري(٣٧٠هـ): قرأ الكسائي والأعشى عن أبي بكر (هَلْ تَسْتَطِيعُ رَبَّكَ) بالتاء ونصب الباء من (رَبَّكَ)[2]

ومهما يكن من أمر فقد أحسنت المفسّرة في هذا المورد من توظيفها القراءة في سبيل تبيان وتوجيه دلالة النّص القرآني . وفي توجيهه هناك وجوه ثلاثة أخرى ذكرها الطوسي[3] :

احدها: هل يقدر وكان هذا في ابتداء أمرهم قبل أن تستحكم معرفتهم بالله تعالى، وما يجوز عليه وما لا يجوز من الصفات، ولذلك أنكر عليهم نبيهم﴿ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾[4]، لأنّه لم يستكمل ايمانهم في ذلك الوقت .

الثاني : هل يفعل ذلك قاله الحسن، كما يقول القائل: هل تستطيع أن تنهض أي هل تفعل ، لانّ المانع من جهة الحكمة أو الشهوة قد يجعل بمنزلة المنافي للاستطاعة .

الثالث: هل يستجيب لك ربك. قال السدي هل يطيعك ربك ان سألته ، فهذا على معنى استطاع وأطاع كقولهم استجاب بمعنى أجاب، وإنّما حكى سيبويه استطاع بمعنى أطاع على زيادة السين .

المتتبع لتفسير (المبصر لنور القرآن) ل(نائلة صبري) يلحظ أنّها مقلة الإيراد في هذا الصّدد فتكاد مواردها لا تتجاوز عدد الأصابع؛ والسّبب في ذلك ربما انّها لا تريد أن تقحم تفسيرها في هذا المجال الواسع مما يخرج تفسيرها عن الوضوح والتّبسيط والمستوى العام للقراء، فبعض الاحيان تورد القراءة دون نسبتها لصاحبها وتارة أخرى تنسبها، وأحيانًا أخرى ترجّح من بين القراءات، كما انّه في التفسير قد اعتمدت على رواية حفص عن عاصم الكوفي ومن ذلك يمكن عرض ما جاء في القراءات في تفسيرها بهذا النحو : تذكر القراءة دون ذكر صاحبها في مواطن[5] منها: قال تعالى:﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ ﴾[6] قالت: كيفيّة كيفيّة قراءتها: من القراء من قرأ (مالك) بالألف، ومنهم بغير الألف (ملك) أو تقديرًا واحتمالًا تقرأ (مالك) فتكتب بالخط العثمانيّ به المصاحف في عهد عثمان بن عفان مع انّ مالك (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ)

---

(١) ظ: بن مجاهد/ كتاب السبعة في القراءات/ ٢٤٩ ، ابن زنجلة/ حجة القراءات/ ٢٤٠ ، ابن الجزري/ النشر في القراءات العشر، ٢٥٦/٢ ، البناء/ إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر/ ٢٥٧ ، القاضي، عبد الفتاح/ البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدُّرة/ ٩٩ ، النويري/ شرح طيبة النشر في القراءات العشر، ٢٩٢/٢ ، النّشار/ المكرر في ما تواتر من القراءات السبع وتحرر ويليه / موجز في ياءات الإضافة بالسور/ ١١٠ ، محمد سالم محيسن/ الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر، ١٨٢/٢ . الطوسي/ التبيان في تفسير القرآن، ٥٨/٤ .

(٢) ظ: الازهري/ معاني القراءات للأزهري، ٣٤٣/١ .

(٣) ظ: الطوسي/ التبيان في تفسير القرآن، ٥٩/٤ .

(٤) المائدة :١١٢ .

(٥) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن، ١٩/٧/ ١٧٩ .

(٦) الفاتحة :٤.

مكتوبة في المصاحف العثمانيّة بدون ألف إلا أنّ القراءة بإثبات الألف يحتملها رسم المصحف العثمانيّ فهو حرف منطوق بألف خنجرية صغيرة فلا بد من نطقها [١]

وفي مقام بيان صاحب القراءة ممّا ذكرت المفسرة: أنّ من قرأ بالألف (مَالِكِ)هو عاصم الكسائي[٢] بالألف كما لفظ به عاصم ويعقوب والكسائي وخلف، والباقون قرأ (ملك) بغير ألف وكلاهما صفة من صفات الله، وللناس في ترجيح إحداهما على الأخرى كلام كثير[٣]

وتذكر موارد القراءة وقارئها في مواطن كثيرة [٤] منها : قال تعالى:﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ ﴾[٥] قالت: (فَأْذَنُوا) عامة قراء اهل المدينة (فَأْذَنُوا) بقصر الألف وقرأه آخرون وهي قراءة عامة الكوفيين فآذنوا بمد الألف وكسر ذالها بمعنى : فآذنوا غيركم ، وأولى القراءتين بالصواب من قرأها (فَأْذَنُوا) بقصر ألفها وفتح ذالها [٦]

الملاحظ على هذا الشّاهد أنّها جاءت بالقراءة وذكرت قارئها ورجّحت بين القراءتين وهو أمر يحسب للمفسرة وإن كان من الأولى ان تبيّن المبرر من ترجيحها وفق الفرق بين اللفظين واختلاف دلالتهما في المعنى، وملحظ آخر أنّها ذكرت : أنّ من قرأ بالمد هم عامّة الكوفيين وهذا فيه نظر، حيث أن من قرأ بالمد هو حمزة وشعبة فقط وبالقصر هم الباقون[٧] بمعنى : قراءة شعبة وحمزة في (فأذنوا) بألف بعد الهمزة المفتوحة وكسر الذال – تكون (فَآذِنُوا). والباقون بإسكان الهمزة وفتح الذال (فَأْذَنُوا) [٨]

وعودًا على الملحظ الأول : ان الفرق بين القراءتين من حيث الدلالة : فالآية تدلّ على معنى كونوا على علم. ويقال: (أذنه الامر، وآذنه به): (علمه) وقد قرئ (فآذنوا بحرب): بمد الهمزة: أي أعلموا كل من لم يترك الرّبا بأنّه حرب من الله ورسوله [٩]

والتتبع لمدونة (ماجدة الفارس) التّفسيريّة يكشف البحث أنّ المفسّرة في هذا الصّدد : تذكر القراءة دون ذكر القارئ : قال تعالى:﴿ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ

---

(١) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن، ١/١/ ٤٢ -٤٣ .

(٢) ظ: المقرئ/ العنوان في القراءات السبع، ٧٩.

(٣) ظ: ابن الجوزي/ شرح طيبة النّشر في القراءات ، ٤٩ . النوَيْري/ شرح طيبة النشر في القراءات العشر ، ٣٠٣/١ .

(٤) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن، ٢٧/١٠/ ١١٦ .

(٥) البقرة :٢٤٩ .

(٦) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن، ٣/٢/ ٩٧ .

(٧) ظ: محيسن، محمد سالم / الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر، ٩٧/٢ .

(٨) ظ: سالم، محمد ابراهيم/ فريدة الدهر في تأصيل وجمع القراءات، ٣٤٤/٢ .

(٩) ظ: محيسن، محمد سالم/ القراءات وأثرها في علوم العربية، ٤٨٣/١ .

أُخۡرَىٰكُمۡ ﴾[1] قالت:(تُصْعِدُونَ) اختلفت بعض قراءات القراء (تَصْعِدُونَ) من الصعود، و(تُصْعِدُونَ): من الإصعاد. فما الفرق بينهما؟ العود الارتفاع على الجبال والسطوح والسلالم والدُّرج. والإصعاد السير في مستوٍ من الأرض وبطون الأودية والشعاب . فيحتمل أن يكون صعودهم في الجبل بعد إصعادهم في الوادي ، فكلتا القراءتين صواب[2]

قال تعالى:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓ ﴾[3] فيها سبع قراءات أشهرها[4] :

- قراءة نافع وأبي عمرو وابن كثير (نشرًا) بضم النون والشين وجمعها نشور ، وهي الرياح المتفرقة التي تهب من كل ناحية وتتفرق في الجهات حتى ينشا بها السحاب ولذلك تجمع لتعدد مهابها .
- وقراءة حمزة والكسائي (نشرًا) بالنون وفتحها والريح اللينة الطيبة لأنها تنثر السحاب أي تبثه وتكثره في الجو وقال تعالى:﴿ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا ۝٣ ﴾[5]
- وقراءة عاصم (بشرًا) جمع بشير أي مبشرًا للنّاس باقتراب الغيث ودليله قوله تعالى:﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرۡسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٖ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَلِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ بِأَمۡرِهِۦ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ۝٤٦ ﴾[6] فحصل من مجموع هذه القراءات أنّ الرياح تنشر السحاب وأنها تأتي من جهات مختلفة تتعاقب فيكون ذلك سبب امتلاء السحاب بالماء وأنّها تبشر الناس بهبوبها فيدخل عليهم بها سرور .

أوردت المفسرة في هذا الشاهد تعدد القراءات ونسبتها الى قارئيها وبيّنت وجه الدلالة من كل قراءة ، ثم حكمت بمجموعها المعنى المتقارب .

قال تعالى:﴿ أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَأۡخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٠٤ ﴾[7]

قالت: قال ابن عطيه في التّفسير: قرأ جمهور النّاس (أَلَمْ يَعْلَمُوا) على ذكر الغائب، وقرأ الحسن بن أبي الحسن – بخلاف عنه (أَلَمْ تعْلَمُوا) على معنى: قل لهم يا محمد: ألم تعلموا!؟ وكذلك هي في مصحف أبي بن كعب بالتّاء من فوق.[8]

---

(١) آل عمران :١٥٣ .

(٢) ظ: ماجدة الفارس/ التّوضيح والبيان في تفسير آي القرآن، ٢/ ٣٢٧ -٣٢٨ .

(٣) الأعراف:٥٧ .

(٤) ظ: ماجدة الفارس/ التّوضيح والبيان في تفسير آي القرآن، ٥/ ١٠٩ - ١١٠.

(٥) المرسلات :٣.

(٦) الروم :٤٦ .

(٧) التوبة :١٠٤.

(٨) ظ: ماجدة الفارس/ التوضيح والبيان في تفسير آي القرآن، ٥/ ١٦٩ -١٧٠ .

في هذا الشاهد ذكرت المفسرة ما أورده ابن عطيه في تفسيره من قراءتين للنّص (أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ) للغائب هي قراءة الجمهور و(أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ) للمخاطب قراءة الحسن، وذكرت توجيه الدلالة من هذه القراءة، إلا أنّها لم تخترْ من هاتين القراءتين من توجيه .لذا يجدر ذكر تفصيل القراءة لهذا النّص عند الهذلي حيث قال : قراءته بالتاء الحسن في رواية عمرو بن عبيد، وعباس في اختياره وعبد الوارث، ومحبوب، وخارجة عن أَبي عَمْرٍو، وأَبُو حَاتِمٍ عن المفضل، وهارون عن عَاصِم كروايته عن أَبي عَمْرٍو، وزاد أَبُو حَاتِمٍ، وهارون ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ ﴾ [1] بالتاء، الباقون بالياء، وهو الاختيار؛ لقوله: (سَكَنٌ لَهُمْ) [2] [2]

وما خلصنا إليه من نقدٍ في هذا المبحث يمكن عرضه بإيجاز : نلحظ أن التّفاسير على الرغم من كونها معاصرة إلا أنّنا نلحظ تأثّرها بالمناهج التّفسيريّة القديمة على أنّ غالب المفسرين من المتأخرين قد غادروا هذه المباحث؛ السبب أن فيها أقوال بين الرفض والقبول بين المدارس التفسيريّة ومع ذلك لا ينكر دور القراءات وما تؤول إليه الدّلالة ففي كثير من الأحيان يستشفع المفسّر بالقراءة في ردّ أو إثبات حجة أو ردّ إشكال. كما إنّ هذا المبحث منهجيّاً قد اختلف عن أقارنه في هذا الفصل حيث كان قائمًا على بيان الجانب النّظري والتّطبيقي؛ اقتضاءً لضرورة ماسة للموضوع، لم نلحظ للمفسّرات قولًا في القراءات في ضوء التّنظير سوى ما ذكرته (ماجدة الفارس) في مدونتها وهو سبب وجود القراءات ، كما أنّها تربط بين القراءات ومسألة الأحرف السّبعة على ما جاء عن ابن عباس في الصّحيحين، والحال أنّ القراءات لا علاقة ولا صلة له بالأحرف السّبعة وقد بان النقدُ في محلّه، أمّا في جانب التّطبيق أخذت القراءات مساحة واسعة عند المفسّرات عدا (زينب الغزالي) لم نلحظ لها في القراءات إشارة والسبب يعود إلى منهجها الدعوي وأسلوبها الموجز في ذلك . وقد نُقدت أغلب النّماذج المذكورة عندهنّ .

المبحثُ الخامس : النَّقد في مجال (سلامة القرآن) :

توطئة:

يُعدُ مبحث سلامة القرآن من التّحريف هو من جملة المباحث التاريخية للقرآن الكريم التي وقف عندها العلماء سابقًا ولاحقًا ولا زالت الأقلام تنضب مدادها، وأحسب أن كثيرًا من الشّبهات أثيرت صوب النّص القرآني في الماضي والحاضر وذلك لما واكبت هذه لمسألة أنّ كتبًا سبقت القرآن نزولًا فمثل تلكم الدعاوى

(١) التوبة :٧٨ .

(٢) الهذلي/ الكامل في القراءات والأربعين الزائدة عليها/ ٥٦٤ .

المجوفة أثاروها تلقاء القرآن الكريم وأنّى يكون ذلك وقد تكفّل بحفظه الله تعالى كي يكون خير مسك ختام للكتب وجامعها ولقد مرّ عليها المفسرون في مدوناتهم والمفسّرات أيضًا ، بيد أن هناك جملةً من النّصوص القرآنيّة صرّحت بهذا الصّدد وتوقّفت عنده التّفاسير النسويّة كدليلٍ نقلي، فضلًا عن مقتضى العقل الذي لا يرتضي أن يكون القرآن قد امتدت يد التّلاعب والتّغيير والتّبديل إليه ذلك بأن يكون ما في القرآن ليس منه ، أو ما لم يكن فيه يعد منه . ولأجل ذلك سيقف البحث على هذا الموضوع بما سطرته التّفاسير النّسويّة تحليلاً ومناقشة على المطالب الآتية :

المطلب الأول : التّحريف لغة واصطلاحًا :

التّحريف لغةً : ذكرت (نائلة صبري) معانٍ عدّة لمفردة (التّحريف) ترجع إلى أصلها اللغوي وتعني: التّبديل والتّغيير[١] وفي موطن آخر قالت: يحرّفون : يبدّلون ويزيلون [٢] وفي آخر قالت: يحرفون : يغيرون ،يؤولون [٣] و(ماجدة الفارس) ذكرت (التّحريف) لغة : التّغيير والتّبديل[٤]

إذًا(التّحريف) بمعناه اللغوي وفق ما جاء عند (نائلة صبري) و(ماجدة الفارس) تدور حول: التّبديل والتّغيير والإزالة والتأويل . وهذه المعاني جاءت في معاجم اللغة وذكرها العلماء في استعمالها في اللغة كجزءٍ منها وبعضها في الاستعمال القرآنيّ[٥] وقد ذكر ابن فارس لمادة (حرف) ثلاث أصول: الأول: حد شيء، فأما الحد فحرف كل شيء حده، كالسيف وغيره والثاني: العدول: الانحراف عن الشيء، وذلك كتحريف الكلام،وهو عدله عن جهته. قال الله تعالى: ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾[٦] والثالث: تقدير الشّيء المحراف، حديدة يقدر بها الجراحات عند العلاج[٧]

أمّا التّحريف اصطلاحًا: ذكرت بعض التّفاسير النّسويّة جملة من التعريفات لمصطلح (التّحريف) في سياق تفسيراتهن لجملة من النّصوص القرآنيّة التي ورد فيها ذكر لهذا المصطلح:

---

(١) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن، ١٦٩/١/١ .

(٢) ظ: المصدر نفسه، ١٠٠/٥/٣ .

(٣) ظ: المصدر نفسه، ٣ / ٦/ ٧٩ ، ٣/ ٦/ ١٢٠ .

(٤) ظ: ماجدة الفارس/ التّوضيح والبيان في تفسير القرآن، ٣٥٢/٣ .

(٥) ظ: الفراهيدي/ كتاب العين، ٢١١/٣، الازهري/ تهذيب اللغة، ١٠/٥ ، الزبيدي/ تاج العروس، ١٣٤/٢٣

(٦) النساء :٤٦ .

(٧) ظ: ابن فارس/ معجم مقاييس اللغة، ٤٣/٢ .

قالت (حنان اللحام) في تعريف التّحريف : "تغيير معاني الآيات"[١] وقد فرقت بينه وبين التّبديل حيث تقول التّبديل: : تغيير نصوصٍ أو الفاظٍ منه[٢] وقالت في موطن ثانٍ ، التّحريف :هو تغيير اللفظ أو المعنى [٣]وقالت أيضًا : التّحريف: هو تغيير معنى الكلام وفهمه على غير وجهه وقالوا: إنّ المقصود هو تحريفهم لعبارات التّوراة وتأويلها بغير المقصود منها لإخفاء ما فيها من دلائل على صدق نبوّة محمد (صلّى اللّهُ عليهِ وآلهِ) [٤]

جاء عند (حنان اللحام) مفهوم التّحريف من وجوه متداخلة تارة يتعلق بالمعني واعتبرته حاصل في الآيات القرآنيّة، وتارة في المعنى واللّفظ، ثم فرّقت بينه وبين التبديل الذي جعلته متعلّق بالألفاظ، وأشارت الى التّحريف عند اليهود بتحريفهم التّوراة بمعنى التأويل بغير المقصود منها، ونلحظ أيضًا من تعريفاتها هذه أنها منحدرة من الأصل اللغوي لمصطلح (التّحريف) حيث نلحظ (التغيير والتأويل) . فلنسأل هنا سؤالًا . وهو أيٍ من معاني التّحريف المتقدّمة واقع في النّص القرآني . أهو على مستوى اللفظ أم على مستوى المعنى؟ يمكن الجواب من خلال تعريفاتها أنّه واقع في لحاظ المعنى لا في لحاظ اللفظ لأنّه مستحيل على القرآن الكريم المحفوظ . بينما تحريف القرآن من جهة المعنى حاصل فقد حرفوه وأولوه وبدلوه على غير وجهه وخير شاهد على ذلك تلك المذاهب والفرق المنحرفة . وقد بيّنت المفسرة هذا الموضوع في المطالب القادمة .

ذكرت (ماجدة الفارس) التّحريف اصطلاحًا بقولها: إمّا بتغيير اللفظ أو تغيير المعنى أو هما جميعًا ومن ذلك التّحريف تنزيل الصفات في كتبهم عن محمّد (صلّى اللّهُ عليهِ وآلهِ) أن المقصود بها غيره وهذا المعنى جاء بيانها لقوله تعالى: ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾[٥] [٦]

لم تبتعد (ماجدة الفارس) بتعريفها هذا عمَّا ذكرته (حنان اللحام) ، كما يلحظ فيه الانحدار اللغوي في معناه هذا من جهة، ومن جهة أخرى يلحظ شماله على (اللفظ والمعنى) فيا ترى أيّهما واقع في القرآن؟ .

ذكر السّيد الخوئي جملة من معاني التّحريف التي وقعت في القرآن الكريم منها: "نقل الشيء عن موضعه وتحويله إلى غيره ومنه قوله تعالى : ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾[٧] ولا خلاف بين المسلمين في وقوع مثل هذ

---

(١) حنان اللحام/ من هدي سورة لقمان/٢٠ .

(٢) ظ: المصدر نفسه/ ٢٠ .

(٣) ظ: حنان اللحام/ تأمّلات في سورة المائدة/ ٨٤ .

(٤) ظ: حنان اللحام/ من هدي سورة النّساء/ ١٦٥ -١٦٦ .

(٥) النساء :٤٦ .

(٦) ظ: ماجدة الفارس/ التّوضيح والبيان في تفسير القرآن، ٦٣/٣ .

(٧) النساء :٤٦ .

هذا التّحريف في كتاب الله فإن كل من فسّر القرآن بغير حقيقته، وحمله على غير معناه فقد حرفه . وترى كثيرًا من أهل البدع، والمذاهب الفاسدة قد حرّفوا القرآن بتأويلهم آياته على آرائهم وأهوائهم"[١]

المطلب الثاني: التّحريف في الاستعمال القرآني:

يتّضح الاستعمال القرآني حسب ما جاء في التّفاسير النّسويّة أنّ لمصطلح (التّحريف) له معانٍ كثيرة سنعرضها بين يديك وفق هذه النقاط :

-التأويل والتّبديل والتّغيير بزيادة ونقصان: ذكرت (زينب الغزالي) بتفسيرها لقوله تعالى:﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴾[٢] من اليهود من يحرفون النّصوص والمعاني عن مواضعها قصدًا منهم وافترا: ويقولون لقد سمعنا يا محمد ولكننا لا نطيعك، ويتأولون القرآن حسب عللهم وأمراضهم النّفسيّة والقلبيّة، يحقدون على رسول الله(صلّى اللّهُ عليهِ وآلهِ) ويبغضون أمّته[٣]

وقالت (نائلة صبري) في بيانها: اليهود أخذوا يبدلون كلم الله عزّ وجلّ الذي ورد في التوراة ، ويؤولونه كما شاءت أهوائهم يأخذون كلمة من كلم ويضعونه في موضع آخر، يبدلون لفظًا بلفظ، فقد غيّروا صفة محمد (صلّى اللّهُ عليهِ وآلهِ) كما وردت في التوراة، وأنّه ربعة وقالوا: انّه آدم طويل، وحرّفوا الرجم بوضعهم بدله الحد، وقالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمنًا قليلًا ، ولم يقتصر تحريفهم لكتاب التوراة، بل يحرفون كلام رسول الله (صلّى اللّهُ عليهِ وآلهِ) كانوا يدخلون عليه (صلّى اللّهُ عليهِ وآلهِ) فيسألونه عن شيء فيخبرهم به ، فإذا خرجوا من عنده حرفوا كلامه[٤]

وفي قوله تعالى:﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾[٥]قالت: لقد ساء تصرفهم في آيات الله، وأوّلوا وحرّفوا كتابه على غير ما أنزله الله على موسى عليه السلام فحرفوه بزيادة الكثير وفق أهوائهم ومصالحهم، ونقصان وإهمال أوامر ربهم وعدم تنفيذها وتركوا العمل به رغبة عنه[٦]

---

(١) الخوئي/ البيان في تفسير القرآن/ ١٩٧ .

(٢) النساء:٤٦ .

(٣) ظ: زينب الغزالي/ نظرات في كتاب الله، ١/ ٣٠٣ -٣٠٤ .

(٤) ظ: نائلة صبري / المبصر لنور القرآن، ٣ / ٥/ ١٠١ .

(٥) المائدة :١٣.

(٦) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن، ٣ / ٦/ ٧٨ -٧٩ . .

-التّغيير أو التّبديل عن تعمّد بزيادة ونقصان ، وتأويل : قال تعالى:﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾[1] قالت: قال مجاهد والسّدي: هم علماء اليهود الذين يحرفون التوراة فيجعلون الحرام حلالًا والحلال حرامًا واتباعًا لأهوائهم (مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ)عرفوه وعلموه (وَهُمْ يَعْلَمُونَ) وهذه الفرقة هم الأحبار والربانيّون وهم أعلم اليهود وأعرفهم بالحقيقة المنزلة عليهم في كتابهم، والتّحريف لا عن جهل ولكن عن تعمّد فمن باب أولى أن ينحرفوا عن الحق الذي جاء به محمد(صلّى اللهُ عليهِ وآلهِ)[2] وفي موطن آخر قالت في قوله تعالى:﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ﴾[3] قالت: يتأولون كلام الله على غير تأويله والمحرّفون هم اليهود [4]

قال تعالى:﴿ فَمَن بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾ ﴾[5] قالت: من بدل الوصية وحرفها فغير حكمها وزاد فيها أو نقص ويدخل في ذلك الكتمان فقد قال ابن عباس وغير واحد : وقع أجر الميّت على الله وتعلّق الإثم بالذين بدّلوا ذلك [6]

على ما مرّ من وجوه متعددة للإستعمال القرآني طبقًا لما صرّحت به التّفاسير النّسوية -خصوصًا (زينب الغزالي) و(نائلة صبري) و(ماجدة الفارس) - في بيانها لجملة من النّصوص القرآنيّة التي تتمحور حول (مسألة التّحريف) فإذا ما قورنت تلكم المعاني مع الدلالات اللغوية يمكن اختيار ما ذهب اليه الشيخ معرفة بهذ الصّدد إذ يقول : لم يستعملِ القرآن الكريم لفظ التّحريف في سوى معناه اللغوي، أي التّصرف في معنى الكلمة وتفسيرها على غير وجهها المعبّر عنه بسوء التأويل أو التّفسير بالرأي وهو تحريف معنويّ ليس سواه، أمّا التّحريف بمعنى الزيادة أو النّقصان أو تبديل الكلم إلى كلمات غيرها - الذي هو معنى اصطلاحي - فلم يعهد استعماله في القرآن حسبما عرفت [7]

المطلب الثالث: أدلة سلامة القرآن من التّحريف:

---

(١) البقرة :٧٥ .

(٢) ظ: ماجدة الفارس/ التّوضيح والبيان في تفسير القرآن، ١٢٢/١ .

(٣) المائدة :٤١.

(٤) ظ: ماجدة الفارس/ التّوضيح والبيان في تفسير القرآن، ٤٠٥/٣ .

(٥) البقرة :١٨١.

(٦) ظ: ماجدة الفارس/ التّوضيح والبيان في تفسير القرآن، ٢٩٦/١ .

(٧) ظ: معرفة/ التّمهيد في علوم القرآن، ٨/ ٢٣ -٢٤.

التفتت التّفاسير النّسويّة لمسألة سلامة القرآن من التّحريف وإن كان ما يستدعيه العقل اللبيب كافيًا بحفظه وسلامته، بيد أنّه الرّسالة الخالدة والخاتمة فاللطف الالهي حاضرٌ مسايرٌ لهذا الكتاب العظيم الى يوم القيامة، فقبالة ما يدعو إليه العقل في سلامته وحفظه، فقد وردت بيانات واستدلالات في هذه التّفاسير نعرض منها : إليك ما أوردته (زينب الغزالي) حيث قالت: فقد تعهد سبحانه بحفظ هذا الكتاب فلا يستطيع أحد أن يحرف منه شيئًا ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾[1] فهو الكتاب الوحيد الباقي على مر الزمان حتى يرث الله الأرض ومن عليها، وذلك بحفظ الله له، وبقيام المؤمنين به في العالمين يبلغون ويدعون إلى هَدْيه[2] واستدلت أيضًا بقوله تعالى:﴿ ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ ﴾[3] إنّ هذه الآيات التي نتلوها عليك يا محمّد من أخبار زكريا وبشارته ومريم وابنها، وموقف اليهود منه، ذلك كله من الآيات الدالة على صدق نبوتك وكذلك: دليل على أنّ هذا القرآن محكم معصوم من تطرق الخلل إليه [4]

وأشارت (نائلة صبري) في بيان قوله تعالى:﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾[5] إلى أنّ القرآن لا يأتيه الباطل من أي جهة ولا ناحية من الجهات والناحي ولا يجد سبيلا اليه لا يستطيع احد يغيره أو يزيد فيه أو ينقص منه أو يعارضه، فهو تنزل من حكيم في تشريعه واحكامه [6]

وعلى ما تقدّم يمكن تأسيس الكلام على أنّ آية الحفظ التي استدلت بها (زينب الغزالي) - وهي محقة - أنّها كفيلة بالحفظ الالهي الدائم بمقتضى الوعد الإلهي حيث قال بعضهم: آية الحفظ ضمان للرّسول وعهد من الله على أن يبقى هذا القرآن سليمًا ومحفوظًا عن تناوش الأيدي ، سلامةً دائمةً وبقاءً مع بقاء الإسلام[7]

إنّ حصانة القرآن الذاتيّة تعني أنّ أيَّ تحريفٍ أو تزوير، بإضافة أو حذفٍ، سيكون مفضوحًا ، لذا لن يكتب له النّجاح، لأنّ ردّة الفعل الطبيعيّة تجاههُ: النبذ والرفض، تمامًا كما ينبذ الذّهب المُصفى الشّوائب، وكما ينبُذُ الماءُ النقيُّ الزَّبَد [8]

---

(١) الحجر:٩ .

(٢) ظ: زينب الغزالي/ نظرات في كتاب الله، ١/ ١٩١ .

(٣) آل عمران :٥٨ .

(٤) ظ: زينب الغزالي/ نظرات في كتاب الله، ١/ ٢٢٢ .

(٥) فصلت :٤٢ .

(٦) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن، ٩ / ٢٤/ ١٨٦ .

(٧) ظ: معرفة/ التّمهيد في علوم القرآن، ٨/ ٤٢ .

(٨) ظ : مرتضى فرج / محطات في تاريخ القرآن مبررات الايمان بسلامة النّص القرآنيّ/ ٤٦ .

ثم أنّ آية نفي الباطل عنه التي ذكرتها (ماجدة الفارس) في تفسيرها أيضًا من جملة النّصوص التي يُستدل بها على صيانته من الضياع وسلامته من التّبديل والتّغيير . كما يضم عديد من الأمور والدّلائل التي تدعم موقف سلامة القرآن الكريم من التّحريف قد فصلّ العلماء فيها القول منها: ضرورة التّاريخ، جانب تواتر القرآن، مسألة الإعجاز، آية الحفظ، آية نفي الباطل عنه، العرض على الكتاب، نصوص أهل البيت (عليهم السلام) [١]

المطلب الرابع : (التّحريف) بين القرآن والكتب السّماويّة :

اقتضت الحكمة الإلهية واللّطف أن يكون القرآن محفوظًا سالمًا من أي تغيير أو تبديلٍ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، دون الكتب السّماويّة التي سبقته والتي نالتها أيدي التّلاعب، حتى فقدت واقعيتها وأحقيتها، فيما بقى القرآن الكريم نورًا يُستضاء به فشقّ طريقه ليكون الدّستور الحق والسّفر الدّائم إلى يوم القيامة . وتأتي حاكميّة القرآن الكريم على سائر الكتب السّماويّة أنّه لا يعتريه التحريف؛ كونه حاكمًا على ما كان محرّفًا بعد نزوله .

قد كشف تتبّع البحث عن موضوع سلامة الكتب السّماويّة إذا ما قوبلت بالقرآن الكريم، فدونك رأي (زينب الغزالي) في ذلك حيث تقول: وإذا كانت جميع الكتب السّماوية – قبل القرآن -لم تسلم من التّحريف والتّبديل، فإنّ القرآن يبقى وحده، فريدًا سالمًا من أي تبديل أو تحريف. يقول الشيخ محمد (زينب الغزالي)، في معنى ذلك: (نحن نوقن بأنّ القارات الخمس لا تحوي سجلًا للوحي الأعلى إلا في هذا الكتاب العزيز) [٢] .

وإذا ما تصفّحنا مدونات (حنان اللحام) التّفسيريّة فسرعان ما ينبري رأيها في معرض تفسيرها لسورة النّساء المباركة حيث تقول : لقد تعرّضت الكتب السّماويّة لثلاث آفات [٣] :

١ - التّبديل: وهو تغيير النّصوص .

٢ - التّحريف : وهو تأويل النّصوص بغير المقصود منها .

٣ - الكتمان: أي تعطيل عملية التّبليغ والدّعوة، وترك التّعلم والتّعليم لآيات الله .

وقالت (حنان اللحام) : لقد تعرّضت كتب اليهود والنّصارى للتّبديل والتّحريف والكتمان.. حتى انحرفت العقيدة وخالطها الشّرك. أمّا القرآن فقد تعهّد الله بحفظه من التّبديل .. ولكن ترك التّعلّم والتّعليم للقرآن أدّى إلى الكتمان.. وحصل التّحريف (تغيير المعنى) لبعض آيات القرآن.. حتى دخل على المسلمين من الجهل والتّخلف عن أوامر الله ما جعلهم في مؤخرة الأمم [٤]

---

(١) ظ: معرفة/ التّمهيد في علوم القرآن،٨/ ٣٥ – ٥٠ .

(٢) ظ: زينب الغزالي/ نظرات في كتاب الله، ١/ ٢٠ .

(٣) ظ: حنان اللحام/ من هدي سورة النساء/ ١٦٦ .

(٤) ظ: حنان اللحام/ من هدي سورة آل عمران/ ٧١ .

وأشارت (حنان اللحام) برأيها إلى موقف القرآن من هذه الآفات قالت: ولقد سلم القرآن الكريم من آفة التّبديل صدق الله العظيم: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾[1] امّا ظاهرة التّحريف: فقد أصابت العالم الاسلاميّ منذ انحطاطه، والفكر المنحط يعميّ عن رؤية الاشعاعات الحقيقيّة لكثير من الآيات، وحين يذهب العلم تعجز الأمة عن الاستفادة من آيات كتابها السّماويّ [2] وأشارت الى سبب آفة التّحريف غالبًا ما تكون نتيجة لانتشار الآفة الثّالثة وهي: الكتمان، وإهمال واجب البيان والتّعليم.. فحين يسود الجهل يمكن أن يحدث سوء الفهم والتّلاعب والتّحريف وإضلال النّاس . امّا المجتمع الذي يمشي في طريق العلم، فإن الخرافات والضّلالات تنزوي فيه وتتقوقع [3]

وفي معرض تفسيرها لقوله تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ ﴾ [4] قالت: وحين ننظر في أحوال المسلمين نجد أنّ الكتاب لم يعد (مبينًا) بالنّسبة لهم فلقد خالط التحريف وإهمال البيان، واتباع الكتاب لا يأتي إلا بعد المعرفة والبيان، ولهذا تعطّلت وظيفة القرآن فلم يعد يهديهم إلى سبل السلام [5] ومن جملة الأمثلة التي وقع فيها التحريف(تغيير المعنى) قوله تعالى :﴿ وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [6] قالت: فهي من الآيات التي تعرضت للتحريف.. وهم يفهمون منها ترك الدعوة إلى الله إذا عرضك ذلك للأذى.. ترك بذل النّفس والمال.. ولا غرابة فإنّ المسلمين في زمن ضعفهم قد فهموا الآيات بشكل معكوس، والقرآن محفوظ من التّبديل لكنّه معرض للتّحريف في المعنى من قِبل البعض ، والكتمان وإن علينا أن نصحّح المفهوم الخاطئ للآيات في أذهان الناس، ونعلّم الآيات ونبلّغها [7]

ونبلّغها [7]

وممّا تقدّم نخلص بالآتي: أنّ (زينب الغزالي) ترى عدم مساس القرآن الكريم بأي تحريف أو تغيير ، بيد أنّه سالمًا منه على عكس بقيّة الكتب السماويّة الأخرى ، وركنت لرأي محمد (زينب الغزالي) في ذلك . وكما أشرنا في بداية المطلب أن نص القرآن سالمٌ من التّحريف ، والقول بتحريفه بلحاظ التّفسير لأنّها (فهم بشري)

---

(١) الحجر:٩ .

(٢) ظ: حنان اللحام/ من هدي سورة النّساء/ ١٦٦ .

(٣) ظ: المصدر نفسه/ ١٦٧ .

(٤) المائدة :١٥.

(٥) ظ: حنان اللحام/ تأمّلات في سورة المائدة/ ٤٩ -٥٠ .

(٦) البقرة :١٩٥ .

(٧) ظ: حنان اللحام، من هدي سورة البقرة/ ٣٨٩ .

وهو متفقٌ عليه . ثمّ أنّ (حنان اللحام) عمدت إلى بيان ما طرأ على الكتب من تبديل وتحريف وكتمان، وأشارت الى وقوع التّحريف بلحاظ المعنى في القرآن ، ووقوعه بلحاظ الكتمان، وهذه إضافة جيدة ثمّ أشارت إلى سلامة القرآن الكريم من آفة التّبديل، مع وقوعه في بقيّة الكتب ، ثم بيّنت سبب آفة التّحريف وهي كامنة وراء تفشي آفة الكتمان غالبًا فبإهمال واجب البيان والتّعليم.. يسود الجهل إمكان حدوث سوء الفهم والتّلاعب والتّحريف وإضلال النّاس نتيجة لذلك .

ما خلصنا إليه في الفصل الثّالث نوجزه بما يأتي :

- نتج من تتبع البحث في المدونات التّفسيريّة النّسوية مباحث تتعلق بالنَّقد في مجال (تأريخ القرآن) وهي: (النَّقد في مجال (الوحي)، والنَّقد في مجال (نزول القرآن) ،والنَّقد في مجال (المكيّ والمدنيّ)، والنَّقد في مجال (القراءات) ، والنَّقد في مجال (سلامة القرآن) .
- النَّقد في مجال (الوحي) ظهر أن مفهومه اللغوي عند المفسّرات لم يخرج عمّا قيل عنه عند اللغويين ، والاصطلاحي بعضهن كررن ما قاله العلماء ولم يأتينَ بشيءٍ جديد في هذا الصّدد ، كما تناول البحث موارده في القرآن وتعدد دلالته ونقدها في موطنها، إلا أنّ (حنان اللحام) أضافت على ما ذكرنَ من معاني معنى جديد تسمّيه بـ(الوحي الكشفيّ) جاء بعد ختم النّبوة ، وجاء بيان لهنّ لصور الوحي إلا أنّ (زينب الغزالي) لم تبسط الكلام فيه إذ إنّها مرّت مرور الكرام، وذكر بعضهنّ أنّها خاصة بالأنبياء وبعضهن عممنا ذلك في غيرهم، وأشرنَ إلى مسألة رؤية الوحي وتمثله .
- ذكرت المفسرات نزول القرآن بنوعيه الدّفعي والتّدريجي وحكمه وبيان مدى توجيه الاختلاف الحاصل بكيفية نزوله ووقته ، أمّا الكلام في أوّل ما نزل قد ذكرت بنت الشّاطئ بعد عرضها لآراء العلماء في أول ما نزل من القرآن من سورة الفاتحة والمدّثر، قد رجّحت سورة العلق واستدلت على ذلك، وترى (زينب الغزالي) أنّ أول سورة نزلت مكتملة هي الفاتحة وانتقض هذا بذكرها سورة العلق أول ما نزل كسور مكتملة ، وإنّ الرأي بآخر ما نزل وقفت عنده المفسّرات و ما ذُكر من آراء فقبالها آراء ذكرها المختصون أوصلوها الى عشرة أقوال وفي هذا لا جديد يذكر عندهنّ حيث أنّ المتأخر يرجع إلى المتقدّم.
- إنّ محور الكلام عن المكي والمدني تذكر المفسّرات إن كانت السّورة مكيّة أو مدنيّة وبعضهنّ يذكرن موارد الاختلاف أو يذكرن إن كان فيها استثناءات الا (زينب الغزالي) ، وبنت الشاطئ تناقش موارد الاختلاف وتقيم الدّليل على رأيها، كما أنّها تذكر مكان نزول السورة و جميع ما فسّرت سور مكيّة مما جعلها بمنأى عن تناول السّور المدنيّة وما يتعلق بها من خصائص ومميزات ، وعمومًا ما جاءت به هي ومَن معها من خصائص للعهد المكيّ أو المدنيّ لم يكن بالشّيء الجديد فأغلبه قد قاله المفسّرون لكن تميزت بنت الشاطئ عن قريناتها بالتّحليل والدّقة بعدم القول بالإطلاق عل بعض الخصائص، ونمازت الأُخريات عنها أنّهنّ عمدنَ على إبراز بعض الخصائص المكية و المدنيّة وهي اكتفت بالمكيّة للسّبب المذكور آنفًا.
- النَّقد في مجال (القراءات) هذا المبحث منهجيّاً قد اختلف عن المباحث الاخرى في هذا الفصل حيث كان قائمًا على بيان الجانب النّظري والتّطبيقي؛ اقتضاءً للموضوع، كما لم نلحظ للمفسّرات قولًا في القراءات في ضوء التّنظير سوى ما ذكرته (ماجدة الفارس) في مدونتها وهو سبب وجود القراءات ، كما الأخيرة تربط بين القراءات ومسألة الأحرف السّبعة على ما جاء عن ابن عباس في الصحيحين، والحال أن القراءات لا علاقة ولا صلة له بالأحرف السّبعة وقد بان في محلّه، أما في الجانب التطبيقي أخذت القراءات مساحة

واسعة عند المفسّرات عدا (زينب الغزالي) لم لها في القراءات من إشارة والسبب يعود إلى منهجها الدعوي وأسلوبها الموجز في ذلك . وقد نُقدت أغلب النّماذج المذكورة عندهنّ ، لكن نلحظ أن التّفاسير على الرغم من كونها معاصرة إلا أنّنا نلحظ تأثّرها بالمناهج التفسيريّة القديمة على أنّ غالب المفسرين من المتأخرين قد غادروا هذه المباحث .

- أمّا في المبحث الأخير من هذا الفصل كان عنوانه النَّقد في مجال (سلامة القرآن) وجاء فيه: إنّ أغلب م جاء في هذا الموضوع لم يكن بالشيء الجديد فالكل يرى عدم مساس القرآن الكريم بأي تحريف أو تغيير ، بيد أنّه سالم منه على عكس بقيّة الكتب السماويّة الأخرى ،والملفت أنّ (حنان اللحام) نبّهت علو بيان ما طرأ على الكُتب من تبديل وتحريف وكتمان، وأشارت الى وقوع التّحريف بلحاظ المعنى في القرآن ، ووقوعه بلحاظ الكتمان، -وهذه إضافة جيدة - ثمّ أشارت إلى سلامة القرآن الكريم من آفة التّبديل، مع وقوعه في بقيّة الكتب ، ثم بيّنت سبب آفة التّحريف كامنة وراء تفشي آفة الكتمان غالبًا فبإهمال واجب البيان والتّعليم.. يسود الجهل وإمكان حدوث سوء الفهم والتّلاعب والتّحريف وإضلال النّاس نتيجة لذلك .

الفَصلُ الرَّابع

النَّقدُ في مجالِ (عُلُوم القُرآنِ وقَصَصه):

- المبحثُ الأوّل : النَّقدُ في مجالِ (القرآن وأسماءه وسوره وآياته)
- المبحثُ الثّاني : النَّقدُ في مجالِ (المحكم والمتشابه)
- المبحثُ الثّالث : النَّقدُ في مجالِ (النّاسخ والمنسوخ)
- المبحثُ الرّابع: النَّقدُ في مجالِ (إعجــاز القُرآن)
- المبحثُ الخامس : النَّقدُ في مجالِ (تفسير القرآن)
- المبحث السّادس: النَّقد في مجال (قصص القرآن)

الفَصلُ الرَّابع: النَّقدُ في مجالِ (عُلُوم القرآن وقصصه) في التّفاسير النّسويّة

مدخل:

في خضّم تتبّع البحث للتّفاسير النّسويّة ظهرت جملة من المفردات التي تتعلق بمباحث علوم القرآن وقصصه، وقد تضمنت محتوى علميًّا قيمًا جديرًا بأن يوضع له فصلٌ وقد أخذ البحث على عاتقه النظر والتأمّل في طيات تلكم التّفاسير بغية الوصول إلى تحديد موضوعات علوم القرآن وعرضها وتحليلها ومناقشة ما يمكن مناقشته ، كما يثمر البحث من ذلك إضافة جهد للدراسات القرآنية خاصة بالنساء أو التّفاسير النّسويّة، ولما تشغله تلكم العلوم من أهميّة بالغة وتعددٍ في الآراء بين المدارس التّفسيريّة ولما لها من أثر في معطيات توجيه النّص وتحديد المراد منه فلا يمكن أن يمرّ عليها مرور الكرام ، فلزم البحث أن يعرض ذلك حسب جملة من المباحث وهي كالآتي :

المبحثُ الأوّل : النَّقدُ في مجالِ (القرآن وأسماؤه وسوره وآياته)

المبحثُ الثّاني : النَّقدُ في مجالِ (المحكم والمتشابه)

المبحثُ الثّالث : النَّقدُ في مجالِ (النّاسخ والمنسوخ)

المبحثُ الرّابع: النَّقدُ في مجالِ (إعجــاز القرآن)

المبحثُ الخامس : النَّقدُ في مجالِ (تفسير القرآن)

المبحثُ السادس : النَّقدُ في مجالِ (قصص القرآن)

المبحثُ الأوّل : النَّقدُ في مجالِ (القرآن وأسماءه وسوره وآياته)

توطئة :

دأبت الدّراسات القرآنيّة لا سيما المختصة منها بمباحث علوم القرآن أن تقدم مبحثًا يتناول ما يتعلق بالقرآن الكريم كأوليات معرفيّة ينبغي الإلمام بها وهي تخص تعريف القرآن وبيان أسمائه وسوره وآياته وما إلى ذلك ، وفي خضم تتبع التّفاسير النّسويّة تكوّنت مادة جدير بها أن تكون في طليعة فصل علوم القرآن حيث جمعت وصنفت حسب موضوعاتها ستناقش بالقدر الممكن وبما تستدعيه الفكرة ، وعلى هذا الأساس يمكن أن يكون هذا المبحث قد تناول جملة من المطالب هي :

المطلب الاوّل: تعريف القرآن لغةً واصطلاحًا:

ذكرت حنان (حنان اللحام) : القرآن مصدر من القراءة[١] ،نائلة (نائلة صبري): القرآن لغةً : بمعنى المقروء : مصدر قرأ يقرأُ قَرءًا وقرآنًا[٢] وذكرت (ماجدة الفارس) : القرآن لغةً: (لفظ قرآن) مصدر لفعل قرأ ، يقال لغةً: قرأ الكتاب قراءة وقرآنًا: أي تتبع كلماته نظرًا ونطق بها ، وشاع في الاستعمال: إطلاق قراءة القرآن على تلاوة المحفوظ، ولو لم يصاحب ذلك تتبّع المكتوب من في الصُّحف[٣]

المفسرتان تقولان بأصل لفظ(القرآن) جاء من الفعل المهموز قرأ بمعنى المكتوب المنطوق به ، وهذا الوجه في معنى القرآن هو احد الوجوه المذكورة ولتفصيلها مراجعة كتب المعاجم واللغة وعلوم القرآن.

قبل المضيّ في بيان تعريف القرآن اصطلاحًا عند المفسّرات، يجدر بنا الاشارة إلى أنّ القرآن الكريم أسمى وأشهر من أن يُعرَّف ، ولكن جرت سنّة المعنيين به، أن يعرفوه تعريفًا جامعًا مانعًا[٤] وقد تساءل العلماء عن إمكان تعريف القرآن بالأجناس والفصول والخواص، لأنّ مثل هذه التعّاريف لا تكون الا للكليات العامّة، والقرآن جزئي مشخص، والمشخص لا يتأتى معرفته إلا عن طريق الإشارة إليه حاضرة في الحس أو معهودة في الذهن، وما هو محلّ اتفاق من تعريف القرآن إنّما هو من قبيل التّقريب لا التّحقيق، وانّه يقصد به تمييز القرآن عن غيره ممّا قد يشاركه في بعض صفاته ولو توهّمًا[٥] وعلى هذا الأساس سنلحظُ ما للتّفاسير النّسويّة من بيان بهذا الصّدد.

---

(١) ظ: حنان اللحام/ أضواء وتأمّلات في سورة طه/ ٧١ .

(٢) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن، ٩٦/٢/١ .

(٣) ظ: ماجدة الفارس/ التّوضيح والبيان في تفسير آي القرآن،٨/ ١٢٠.

(٤) ظ: العطّار/ موجز علوم القرآن/ ١٦ .

(٥) ظ: فرحات/ في علوم القرآن عرض ونقد وتحقيق/ ٢٥ ، ظ: دراز/ النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم/ ٤٣ . ٤٣

فبنت الشاطئ : قالت في وصف القرآن: (القرآن الكريم) الذي لا جدال في أنه كتاب العربية الأكبر، ومعجزتها البيانيّة الخالدة، ومثلها العالي الذي يجب أن يتصل به كل عربي أراد أن يكسب ذوقها ويدرك حسها ومزاجها، ويستشف أسرارها في البيان وخصائصها في التّعبير والأداء"[١] نلحظ في هذا الوصف الذي قدمته بنت الشاطئ للقرآن الكريم يمتاز بنظرة خاصة لهذا الكتاب الكريم في ضوء اللغة والبيان هو الأكبر والخالد لما يمتاز به من خصائص التّعبير والاداء . فالقرآن هو المثل الاعلى للغة بما تحمل من أسرار البيان . فخلود هاته اللغة من خلوده . ونلحظ أهمّ قيدين وردا في تعريفها وهو الإعجاز والخلود . ومعنى قيد الاعجاز قالوا:"القرآن هو معجزة الرسول الكبرى، وقد أعجز العرب وهم أهل الفصاحة بما تضمّنه من فصاحة وبلاغة، وأنباء الغيب، وأخبار الأمم السابقة، وما حواه القرآن من إعجاز علمي وتشريع محكم دقيق صالح لكل زمان ومكان، ومن الثابت أنّ النبيّ (صلى اللّهُ عليه وآله) تحدّى به وأنهم عجزوا عن الإتيان بمثله"[٢]

ولزينب (زينب الغزاليّ) وصف أيضًا للقرآن الكريم بقولها:" إنّ كتاب الله هو كلمة الله الأخيرة على خاتم رسله محمد(صلى اللّهُ عليه وآله) "[٣] ونلحظ للمفسّرة في تعريفها أو وصفها للقرآن أنه كلامه تعالى وليس من كلام الملائكة أو النّاس أو من عند النبيّ (صلى اللّهُ عليه وآله). وهو آخر الكتب السّماوية وليس بعده كتاب، وهو المنزل على النّبيّ الأكرم (صلى اللّهُ عليه وآله) وهذا القيد خرّج به جميع الرّسالات والأديان السّابقة ، كالتّوراة والإنجيل والزّبور، لأنّها نزلت على سائر الأنبياء[٤]

وإذا ما نظرنا لمدونات (حنان اللحام) التّفسيرية نلحظ لها تعريفات موجزة عديدة للقرآن الكريم منها قالت: "القرآن: وحيٌ منزلٌ من الله، الخالق المبدع لهذا الكون"[٥] وفي موطن آخر، قالت :"هو كلام الله الذي أحاط علمه بكل شيء "[٦]

قد أشارت المفسّرة في وصفها للقرآن إلى جملة من القيود (الوحي، المنزل، وأنّه كلام الله) فقيد الوحي أشار القرآن الكريم إليه بقوله تعالى:﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾[٧] وقيد (المنزّل) يخرج من التعريف كلام الله غير المنزل، إذ ليس كل كلام الله منزلًا ، وقد قال تعالى في كتابه

---

(١) بنت الشاطئ/ التّفسير البيانيّ للقرآن الكريم ، ١/ ١٣ .

(٢) ظ: مصطفى ديب البغا ، محيى الدين ديب مستو/ الواضح في علوم القرآن/ ١٥ .

(٣) زينب الغزاليّ/ نظرات في كتاب الله، ١/ ١١ .

(٤) ظ: العطّار/ موجز علوم القرآن/ ١٧ .

(٥) حنان اللحام، أضواء على سورة يس/ ١٠ .

(٦) حنان اللحام / من هدي سورة النّساء / ٢٦٣.

(٧) الشعراء :١٩٣ -١٩٤.

:﴿ قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ١٠٩ ﴾ [1]، فكلمات الله إذن ليست محدودة، والمنزل منها قليل من كثير [2]

أمّا (نائلة صبري) قالت في تعريفه: القرآن اصطلاحًا "الكتاب الكريم الخالد، الذي نزل على سيدنا محمد (صلى اللّهُ عليه وآله) وهو كلام الله تبارك وتعالى" [3] قيود التّعريف عند (نائلة صبري) تتمثل:(الكتاب، الخالد، المنزل على النبيّ (صلى اللّهُ عليه وآله)، الكلام)

وأما (ماجدة الفارس) فقد اكتفت بتعريف موجزٍ هو: القرآن : هو كلام ربِّ العالمين [4] وفي موطن آخر قالت: "القرآن كلام الله المتعبد بتلاوته، المعجز في آياته كلام واحد، واضح وضوح الشمس لأناس، وكالليل البهيم، وكالطلاسم لأناس آخرين" [5] في تعريفها الثاني أشارت لأهم قيود التعريف -المشهور كما سيأتي - وهي: أنه كلام الله ، المتعبد بتلاوته، المعجز.

وخلاصة ما تقدّم: أن التّفاسير النّسوية لم تطلعنا على تعريفٍ جامع مانع للقرآن الكريم بلحاظ التقريب فكلها منقوصة إذا ما قارناها بالتعريف الذي عليه جمهور العلماء واتفقوا عليه على حد قول صبحي الصالح وهو : والقرآن : "هو الكلام المعجز المنزل على النّبيّ (صلى اللّهُ عليه وآله) المكتوب في المصاحف، المنقول عنه بالتّواتر، المتعبّد بتلاوته، وتعريف القرآن على هذا الوجه متفق عليه بين الأصوليين والفقهاء وعلماء العربية." [6]

المطلب الثانيّ: أسماء القرآن الكريم:

اهتمّت التّفاسير النّسويّة بشأن أسماء القرآن الكريم وصفاته التي عدّها العلماء منهم الزركشي: وقد صنف في ذلك الحرالي [7] جزءًا وأنهى أساميه إلى نيف وتسعين وقال القاضي أبو المعالي عزيزي بن عبد الملك [8]، واعلم أنّ الله تعالى سمّى القرآن بخمسة وخمسين اسمًا [9] وتأتي كثرة الأسماء لحكمة قالوا:

---

(١) الكهف: ١٠٩ .

(٢) ظ: فرحات/ في علوم القرآن عرض ونقد وتحقيق/ ٢٦.

(٣) نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن، ٢/١/ ٩٦ .

(٤) ظ: ماجدة الفارس/ التّوضيح والبيان في تفسير آي القرآن،٨/ ١٢٠

(٥) المصدر نفسه، ٨/ ١٤٠.

(٦) صبحي الصالح ، مباحث في علوم القرآن/ ٢ . ظ: عدنان محمد زرزور/ مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه/٤٦ .

(٧) الحرّالي، أبو الحسن الأندلسي،علي بن أحمد بن الحَسَنِ بن إبراهيم التجيبي (٦٣٧ هـ/١٢٣٩م) هو نحوي، ومفسر،ومصنف، من علماء المغرب، ولد في مراكش، وتوفي في حماة سافر طويلاً، وصنف كثيراً أخذ العربية من ابن خروف.

(٨) *أبو المعالي عبد الملك* بن عبد الله بن يوسف بن محمد *الجُوَيْني* الشافعي الأشعري (٤١٩ -٤٧٨هـ / ١٠٢٨ -١٠٨٥م)، ١٠٨٥م)، فقيه وأصولي ومتكلم شافعي .

(٩) ظ: الزركشي/ البرهان في علوم القرآن، ٢٧٣/١ .

إنَّ كثرة الأسماء تدلّ على شرف المسمَّى، أَو كمالِه في أَمر من الأمور،.. وكثرة أَسماء القرآن دلَّت على شرفه، وفضيلته [١] وفي هذا المقام سنوجز الكلام على أشهر الأسماء التي ذُكرت في التّفاسير النّسويّة:

أ - القرآن:

سمّى الله تبارك وتعالى كتابه العزيز بـ(القرآن) وهو أشهر اسم لكلامه تبارك وتعالى وقد وردت جملة من الآيات منها قوله تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴾ [٢] أشارت التّفاسير النّسوية جميعها لهاته التسمية [٣]

يتّضح ممّا تقدّم من تعريف القرآن في المطلب الأول، حيث اكتفت التّفاسير النّسوية ببيان جملةٍ من التعريفات الموجزة المعبّرة عن بعض قيوده التّي تُعدّ خصائص ومميّزات لم تتجلّ في غيره من الكتب، وقبل هذا تبيّن شيئًا من معنى القرآن في دلالته اللّغوية .

وللعلماء أراء في تسمية القرآن بهذا الاسم فقد أورد الزركشي منها : "قال الرّاغب لا يقال لكل جمع قرآن ولا لجمع كل كلام قرآن، وقال الهروي: كل شيء جمعته فقد قرأته، وقال أبو عبيدة: سمّي القرآن قرآنًا لأنه جمع السّور بعضها إلى بعض، وقال الرّاغب: سمّي قرآنًا لكونه جمع ثمرات الكتب المنزلة السّابقة وقيل: لأنّه جمع أنواع العلوم كلها بمعان كما قال تعالى ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾ [٤]" [٥]

ب - الذّكر :

ذكرت المفسرة بنت الشاطئ في معرض استقراءها لمادة (ذكر) في سياق تفسيرها لسورة الشرح قالت : ما رأينا من كثرة إقتران الذّكر في القرآن بالله جل جلاله، واطراد استعماله معرفًا بأل علمًا على القرآن الكريم والوحي المنزل [٦]

وأشارت (زينب الغزاليّ) لتسمية القرآن بالذكر في قولها : ولكي يكون القرآن لا ريب فيه على مرّ العصور: تكفل الله تعالى وحده بحفظه حيث قال: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [٧] [١] واشارت [٧] [١] واشارت (حنان اللحام) إلى هذا الاسم في قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْـَٔايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾

---

(١) ظ: الفيروز آبادي/ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، ٨٨/١ .

(٢) البقرة :١٨٥ .

(٣) ظ: زينب الغزاليّ/ نظرات في كتاب الله، ١٠٧/١ ، ظ: حنان اللحام/ من هدي سورة البقرة/ ٣٦٤ .

(٤) الأنعام :٣٨ .

(٥) الزركشي/ البرهان في علوم القرآن، ٢٧٧/١ .

(٦) ظ: بنت الشاطئ، التّفسير البيانيّ للقرآن الكريم، ٦٨/١ .

(٧) الحجر: ٩ .

﴾ [٢] فالقرآن ذكر لله وذكر للأفكار والأحكام الصحيحة، وهو حكيم : يضع الحكم المناسب في المكان المناسب[٣] وذكرت (نائلة صبري) تسمية القرآن بالذّكر في قوله تعالى:﴿ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ ٦ ﴾[٤] وفي قوله:﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩ ﴾[٥][٦] وعلّقت (ماجدة الفارس) على الآية التاسعة من سورة الحجر بقولها: اي القرآن الذي فيه ذكرى لكل شيء من المسائل والدلائل الواضحة، وفيه يتذكر من أراد التذكر[٧]

تكشف التّفاسير النّسويّة من تسمية القرآن بـ(الذّكر) من فائدتين : الأولى: أنّ ورود اسم (ذكر) محلّى بـ(أل) علمًا للقرآن الكريم وهذا ملحظ لغوي بيانيّ أشارت إليه بنت الشاطئ . الثانية: جاءت تسمية القرآن بالذكر؛ لما يحمل من ذكرى لكل شيء من مسائل ودلائل لمن أراد التّذكر .

ت - الكتاب :

ذكرت بنت الشاطئ اسمًا للقرآن في تعبيراتها وسياق كلامها في التّفسير (الكتاب) وتصفه بالمحكم تارة فاستعمالها لهذا الاسم دالًا على القرآن الكريم، هو واضحٌ، ومن جملة تعبيراتها الكثيرة : "وأن يكون (الكتاب) معجزة هذا النّبيّ المصطفى لختام رسالات الدين منذ أربعة عشر قرنًا من الزمان"[٨] وفي موضع آخر: "وهذه هي آيات الكتاب المعجز معروضة عليهم بلغتهم وحروفهم، فليقابلوها على ما لديهم مما كانوا يسطرون"[٩] ولا تقصد من الكتاب الا القرآن الكريم . وللغزالي وقفة على تسمية القرآن بـ(الكتاب) بتفسيرها لقوله تعالى:﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢ ﴾[١٠] قالت: بعد أن قال الحق تبارك وتعالى (الم) للإعجاز ابتداءً : يعقب ذلك بالإشارة إلى موطن الاعجاز ألا وهو القرآن الكريم ، فيقول: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢ ﴾[١١] وفي موضع شاهد قالت في قوله تعالى:﴿ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ

---

(١) ظ: زينب الغزاليّ/ نظرات في كتاب الله ، ١/ ٢٠ .

(٢) آل عمران :١٥٨ .

(٣) ظ: حنان اللحام / من هدي سورة آل عمران/ ٧٦ .

(٤) الحجر: ٦ .

(٥) الحجر: ٩ .

(٦) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن، ٦/١٤/ ٨ ، ٦/ ١٤/ ١٠ ، ٩ / ٢٣ / ٥٥ ، ٧/ ٣٧/١٧.

(٧) ظ:ماجدة الفارس/ التوضيح والبيان في تفسير آي القرآن، ١٣٢/٨.

(٨) ظ: بنت الشاطئ/ التّفسير البيانيّ للقرآن الكريم، ١٥/٢.

(٩) ظ: المصدر نفسه، ٤٤/٢.

(١٠) البقرة :٢.

(١١) ظ: زينب الغزاليّ/ نظرات في كتاب الله، ١/ ٢٠، ١/ ٧٤، ١/ ٨٤، ١٠٧/١.

بِٱلۡحَقِّ ﴾[1]قالت: تقرير من الله أنّ القرآن هو الكتاب، كأنّه هو الحقيق أن يطلق على اسم الكتاب دون سواه، فهو الكتاب الذي لا يعلوه كتاب وهو فوق كل ما سبقه من كتب ..[2] وتبيّن (حنان اللحام) في أكثر من موطن تسمية القرآن بـ(الكتاب) ففي تفسيرها لقوله تعالى: ﴿ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ ﴾[3]ذكرت: فكل ما نصّ عليه القرآن حقّ[4] و(نائلة صبري) أيضًا نلحظ لها رعاية خاصّة لأسماء القرآن القرآن لا سيما (الكتاب) في مواضع متعدّدة منها في بيان قوله تعالى:﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ۝١ ﴾[5]قالت: الحمد لله والتعظيم لله الذي أنزل على عبده كتابه العزيز(القرآن الكريم) على رسوله محمد (صلى اللهُ عليه وآله)نعمة عليه وعلى سائر الخلق[6] ونلحظ لـ(ماجدة الفارس) التفاتًا الى تسمية القرآن الكريم بـ(الكتاب) أيضًا في مواطن عدّة منها في قوله تعالى:﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ﴾[7] قالت: الكتاب: القرآن الكريم [8] وقالت في موطن آخر: قال الطاهر بن عاشور: (الكتاب) علم غالب على (القرآن) وسمّي كتابًا: للدلالة على وجوب تدوينه بالكتابة ، وأنّهم مأمورون بكتابة ما ينزل منه لحفظه ومراجعته وجعله بين الناس كتابًا محررًا يرجعون إليه ، فقد سمّي القرآن كتابًا قبل أن يكتب ويجمع ، بحيث يكون كتابًا [9]

نلحظ على المفسرات في إيراد تسمية القرآن الكريم بالكتاب في بعض موارد القرآن لم تكشف عن حكمة أو غرض من تسميته في موضع بالكتاب دون موضع آخر، سوى ملاحظة البيان والتّعريف ، وكان من المأمول معرفة الغرض والعلّة من اختيار التسمية او الصفة للقرآن بما ينسجم وواقع الخطاب وكشف غاية التّعبير والإطلاق، كما أن تسمية القرآن بـ(الكتاب) إن جاء مطلقًا أمّا إن أريد به غيره لابدّ

---

(١) آل عمران :٣.

(٢) ظ: زينب الغزاليّ/ نظرات في كتاب الله، ١/ ١٩١ .

(٣) آل عمران :٣.

(٤) ظ: حنان اللحام/ من هدي سورة ال عمران/ ٢٥، من هدي سورة البقرة/ ٢١،من هدي سورة النساء/ ٣٢٧، من هدي سورة لقمان/ ١٨، تأمّلات في سورة هود/ ١٥،تأملات في سورة الاحزاب/ ٢٤.

(٥) الكهف:١.

(٦) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن، ١٥/٦/ ١٣٦ ، ١٦/٦/ ٤٩ ، ١٦/٦/ ٦٨ ، ١٦/٦/ ٧٤ ، ١٦/٦/ ٧٩ ، ١٦/٦/ ٨١، ١٩/٧/ ٥٤ ، ٢٠/٨/ ٩٣، ٢٠/٨/ ١٣٤، ٢١/٨/ ٥، ٢١/٨/ ٨، ٢١/٨/ ٧٦، ٢١/٨/ ١١٨، ٢٢/٨/ ١٧٦، ٢٢/٨/ ١٧٧، ٢٣/٩/ ٢١٥،

(٧) البقرة :٢.

(٨) ظ: ماجدة الفارس/ التوضيح والبيان في تفسير آي القرآن، ١/ ٣٠، ١/ ٢٠٥ ، ٢/ ٦ ، ٢/ ١٥، ٣٥٤/٢، ٣/ ١٦٤، ٣/ ٤٢٧، ٣٧٣/٤، ٢٣٣/٦.

(٩) المصدر نفسه ، ٨/ ١١٩ .

له من قرينة تصرفه عنه مثال ذلك قوله تعالى : ﴿ يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖ ﴾[1] وقوله تعالى :﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ ﴾ [2]وتتجلّى غاية تّسمية القرآن بـ(الكتاب) على ما أورده الرّاغب بقوله : عن أحد العلماء: تسمية هذا الكتاب قُرآنًا من بين كتب الله لكونه جامعًا لثمرة كتبه، بل لجمعه ثمرة جميع العلوم[3] وهذه غاية من الغايات. ويصدق أيضًا : لأن الله تبارك وتعالى كتب أحكامه وتكاليفه على عباده، أي أوجبها عليهم[4]

ث - الفرقان :

لم نلحظ لبنت الشاطئ أية أمارة لتسمية القرآن بالفرقان في مدونتها. أمّا (زينب الغزاليّ) ذكرت من أسماء القرآن هو(الفرقان) في جملة من المواطن ومنها في معرض تفسيرها لقوله تعالى:﴿ وَإِذۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡفُرۡقَانَ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ٥٣ ﴾ [5] والكتاب هنا التوراة، وهو الفرقان، والانجيل كذلك فرقان، والقرآن فرقان، ذلك أنّ الله سبحانه وتعالى يفرق به بين الحقّ والباطل[6] وأشارت (حنان اللحام) أيضًا لهذه التسمية كونها وصفًا للقرآن الكريم:﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِ ﴾ [7] قالت: (هُدًى لِلنَّاسِ) وصف للقرآن، (وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِ)، وصف لآياته لآياته فهي حجج ودلائل واضحة فيها صلاح الناس وتفرق بين الحق والباطل[8] وفي سورة ال عمران قوله: ﴿ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَ ﴾ [9]قالت: الذي يفرق بين الحق والباطل. وهو اسم من أسماء القرآن، والآية تؤكّد مرّة ثانية ثانية أنّ الله هو الذي أنزل القرآن توحي بضخامة التّكذيب الذي قوبل به من أهل الكتاب[10] ولا يختلف رأي (نائلة صبري) في تسمية القرآن بالفرقان في تفسير لآية سورة البقرة(١٨٥) حيث قالت: والفرقان: كل ما يفرق بين الحق والباطل[11] أطلقت العبارة لصلاحها مع غير القرآن ففي تفسير ها

---

(١) مريم :١٢.

(٢) آل عمران : ٦٤ ، ٦٥ ، ٧٠ .

(٣) ظ: الاصفهاني/ المفردات في غريب القرآن/ ٦٦٩ .

(٤) ظ: سلامة/ أضواء على القرآن الكريم (بلاغته وإعجازه)/٩٠ .

(٥) البقرة :٥٣.

(٦) ظ: زينب الغزاليّ/ نظرات في كتاب الله، ١/ ٤٢ . ١٠٧/١ ، ١٩١/١ .

(٧) البقرة :١٨٥ .

(٨) ظ: حنان اللحام/ من هدي سورة البقرة/ ٣٦٤ .

(٩) آل عمران :٤.

(١٠) ظ: حنان اللحام/من هدي سورة آل عمران/٢٦ .

(١١) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن، ٩٦/٢/١ .

لقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [1] [2] حيث كتاب موسى(التّوراة) يصدق عليه هذا الاسم. ومن هنا يعرف أنّ (الفرقان) لفظ مشترك قد يصدق على القرآن الكريم وغيره، وقالت في تكرار ذكر القرآن باسم الفرقان في سورة ال عمران بقولها: فالفرقان هو القرآن كرَّره تعظيمًا لشأنه فهو الفاصل بين الحق والباطل ومبينًا الرّشد من الغيّ والهدى من الضلال [3] كما يتبيّن نباهة المفسّرة لورود اسم(الفرقان) لغير القرآن في مواردها [4] وأيضًا (ماجدة الفارس) قالت في قوله تعالى: ﴿ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴾ نزل القرآن الكريم للنّاس ليبيّن لهم سبيل الهدى وطريق الفوز والنجاة، فارقًا لهم بين الحقّ والباطل في كلّ شؤون الحياة [5] وهذا المعنى اشارت اليه في كتاب موسى(التوراة) [6] موسى(التوراة) [6]

و من الجدير بالذّكر فيما تقدّم: أن المفسّرات لم يغفلْنَ هذا الجانب إذ تتجلّى غاية الاسم بما أشارت اليه المفسّرات من كون القرآن الكريم فرقانًا لتفريقه بين الحق والباطل وهذا جلّ ما اتّفق عليه المفسرون ولا جديد في الأمر عندهنَّ. وسياق الآية يحدد إن كان اسم (الفرقان) يطلق على القرآن أو غيره من الكتب السّماوية . ويظهر أن الفرقان اسم مشتركٌ يطلق على القرآن وغيره من الكتب السّماويّة.

المطلب الثالث: تقسيم سوره وأسماءها وعدد آياتها:

أ - تقسيم سوره:

لم نلحظ لبنت الشّاطئ في مدونتها التفسيريّة اشارة الى تقسيم السّور إن كانت : من الطُول أو المئين أو المثاني أو المفصّل، ولعلّ السّبب أنّ تفسيرها للسّور القصار من الجزء الأخير جعلها بمنأى عن تناول هذا الموضوع . أمّا (زينب الغزاليّ) على الرّغم من تفسيرها الذي يبدأ من أوّل المصحف الشريف إلى آخره إلا أنّها لم تشر إلى هذا المقصد بشيء .

وامّا حنان (حنان اللحام) فقد أشارت الى هذا المقصد في سورة البقرة حيث عدّتها أطول سورة في القرآن الكريم وهي محقة في ذلك [7] وكذلك أشارت الى سورة النّساء : هي من أطول سور القرآن بعد

---

(١) البقرة :٥٣.

(٢) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن، ١٣٨/١/١ .

(٣) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن، ٢/ ٣/ ١٣٣ .

(٤) ظ: المصدر نفسه، ٧/ ١٧/ ٣٦.

(٥) ظ:ماجدة الفارس/ التّوضيح والبيان في تفسير القرآن، ١/ ٣٠١ ، ٦/٢.

(٦) ظ: المصدر نفسه، ١/ ٩٦ .

(٧) ظ: حنان اللحام / من هدي سورة البقرة / ١٠ .

البقرة[١] ومن نافلة القول تشير المفسرة في طليعة تفسيرها لسورة الطلاق تقول: القرآن يكرم الانوثة ويكتسح كل تجاهل لخطورة دورها.. أنظر مثلا كيف تأتي السورة الثالثة من القرآن من حيث الطول فهي تحمل عنوانًا فريدًا (النّساء) وتفتح السّورة بـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾.. وتختتم بـ :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ ماذا تفهم من ذلك؟ ألا نفهم من ذلك أنّ اللّه يقلب مفاهيم الذّكورية راسًا على عقب[٢]

وأمّا (نائلة صبري) فقد أشارت الى أطول سورة في القرآن هي سورة البقرة [٣] وذكرت أيضًا قسمًا في في معرض وصف سورة البقرة من السّبع الطوال وهي: (البقرة، وآل عمران والنّساء والمائدة والانعام والأعراف ويونس)[٤] وبعدد تتبع السور القرآنيّة في تفسيرها نلحظ أنّها لم تعبأ لهذا الجانب.

وأمّا بالنّسبة الى (ماجدة الفارس) فقد أشارت الى هذا المبدأ في مطلع سورة البقرة وقد قررت أن أطول سورة في القرآن على الاطلاق سورة البقرة، والسور الطوال لم تنزل آياتها متوالية[٥] وقد فصلت القول في تقسيم القرآن الى[٦] :

-السّبع الطوال : البقرة وآل عمران و النّساء والمائدة والأنعام والأعراف والأنفال وبراءة معًا.

- المئين: التي تزيد آياتها على مائة .

- المثاني: هي التي تليها في عدد الآيات، سميت بذلك لأنّها تثنى في القراءة وتكرر أكثر من الطوال والمئين، وأمّا السبع المثاني في قوله:﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ ﴾[٧] فهي الفاتحة لأنها لأنها سبع آيات تثنى في كل ركعة .

-المفصّل: من أوّل سورة(ق) إلى آخر القرآن .

وحريٌ أن يُقال: إنّ عزوف المفسّرات -سوى (ماجدة الفارس) - عن بيان تقسيم السّور أنّه لمّا قسّم العلماء القرآن الكريم إلى أربعة أقسام: الطّول، والمئين، والمثاني، والمفصّل. كان مستندهم في هذا التّقسيم حديث ضعيف أخرجه أبو عبيد من جهة سعيد بن بشير عن قتادة عن أبي المليح عن واثلة بن الأسقع عن النبي (صلّى اللّه عليه وسلم): قال: (أعطيت السبع الطوال مكان التوراة، وأعطيت المئين مكان الإنجيل، وأعطيت المثاني مكان الزبور، وفضّلت بالمفصّل) وإنما اعتبر هذا الحديث ضعيفًا لضعف أحد رواته وهو سعيد بن بشير، ولعل الذي جعل العلماء يأخذون به مع ضعفه أنّه لا يتعلق بمضمونه

---

(١) ظ: حنان اللحام/ من هدي سورة النّساء/ ١٩ .

(٢) ظ: أضواء حول سورة الطلاق/ ١١.

(٣) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن، ١/ ١/ ٥١.

(٤) ظ: المصدر نفسه، ١/١/ ٥١٥٣ .

(٥) ظ: ماجدة الفارس/ التّوضيح والبيان في تفسير آي القرآن، ١/ ٢٥ .

(٦) ظ: المصدر نفسه، ٣/ ٤٢٨.

(٧) الحجر:٨٧ .

حكم شرعي، كما أنّ الصّيغة التي جاء بها (مكان التوراة) و(مكان المئين) و (فصلت بالمفصل) تشير إلى أن هذا لا يمكن أن يكون من قبيل الرأي [١]

ب - أسماء سوره وسببها:

اهتمّت التّفاسير النّسويّة بأسماء السّور اهتمامًا بالغًا، ولنبدأ ببنت الشاطئ حيث ترى في سورة الشرح ،ذكرت: وجاءت السّورة في بعض التّفاسير مثل الطبري باسم (ألم نشرح) وفي تفاسير أخرى: سورة الإنشراح. وأكثر المفسرين على أن الشرح هنا هو الفسحة والبسط والتوسعة، وهو قريب من الأصل اللغوي للفظ الشرح[٢] وأيضًا في تسمية سورة العلق ذكرت: المشهور في اسمها: (سورة العلق) ويذكرها بعض المفسرين، كالطبري باسم (سورة اقرأ) أو (اقرأ باسم ربك) وجاء بها (الرازي) في تفسيره الكبير باسم (سورة القلم) هذا الاسم يلتبس بالسورة بعدها: {ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ} واسمها في تفسير الرازي (سورة ن)[٣]

بعد تتبع طلائع السور القرآنية التي فسرتها بنت الشاطئ نلحظ أنها تتعرض إلى أسماء السورة التي جاء فيها تعدد واختلاف أمّا السّور البقيّة لم تذكر شيئًا فيها من هذا القبيل سوى ما ذكرناه .لأنّها لم يرد فيها اختلاف .

وإذا ما نظرنا الى مدونة (زينب الغزاليّ) التّفسيرية نلحظ لها اهتمامًا نسبيًّا، ففي سورة الفاتحة ذكرت لها عدة أسماء منها: أم القرآن، الشافية، الواقية، الراقية، الكنز، التّفويض، المناجاة، النور، كل ذلك أسماء للسورة العظيمة أمّ الكتاب[٤] ولسورة البقرة وآل عمران بالزهراوين (المنيرين) على ما جاء عن رسول الله في تسميتهما[٥] وسورة يوسف سمّيت بأحسن القصص نسبة لما علّله القرطبيّ بقوله :لأنّه (ليست قصّة في القرآن تتضمّن من العبر والحكم ما تتضمّن هذه القصّة)[٦]

والنّاظر لمدونات (حنان اللحام) يلحظ: في اسمي سورة البقرة وآل عمران بالزهراوين مثل ما تمّ الاعتماد عليه عند (زينب الغزاليّ) من رواية عن رسول الله [٧] وذكرت في سبب تسمية سورة المائدة بهذا الاسم تقول: واسمها (المائدة) مأخوذة من قصة عيسى مع أصحابه الذين طلبوا مائدة من السماء وهي في آخر السورة ، يمكن أن يكون: لما فيها من بيان لكثير من الحلال والحرام في الطعام والله أعلم [٨] وذكرت

---

(١) ظ: فرحات /في علوم القرآن عرض ونقد وتحقيق، ٢٩

(٢) ظ: بنت الشاطئ، التّفسير البيانيّ للقرآن الكريم، ٥٨/١ .

(٣) ظ: المصدر نفسه، ١٣/٢ .

(٤) ظ: زينب الغزاليّ/ نظرات في كتاب الله، ١/ ١٥ .

(٥) ظ: المصدر نفسه، ١/ ١٨٩ .

(٦) ظ: المصدر نفسه، ١/ ٦٥١ ،وانظر مصدرها: القرطبي: ١٢٠/٩ .

(٧) ظ: حنان اللحام/ من هدي سورة آل عمران، ٩ .

(٨) ظ: حنان اللحام/ تأمّلات في سورة المائدة، ١١.

وذكرت لسورة التوبة أسماء وألقاب بقولها : وقد وردت لها أسماء كثيرة منها: الفاضحة؛ لما فضحت من سرائر المنافقين ، لكن أشهرها ما هو ثابت: التوبة وبراءة وسائر الاسماء ألقاب لبيان معانيها. وتأتي كالمتمّمة لسورة الانفال في مواضيعها. وهذا ما جعل بعضهم يعد الانفال والتوبة سورة واحدة [١] وفي تسمية سورة النور قالت: اسم السورة مأخوذ من قوله تعالى:﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ [٢] وذلك أنّ تطبيق أحكام السورة يمنح قلب المؤمن النور .. ويخرج حياة الإنسان من الظلمات الى النور وذلك لما فيها من آداب فردية وعائلية واجتماعيّة .. [٣] وسورة الأحزاب مأخوذة من غزوة الأحزاب أو معركة الخندق[٤] وأخيرا تقول تسمية سورة الطلاق: وإنّ أوّل ما يلفت النّظر في هذه السّورة : اسمها (الطلاق) فهو أمر واقعيّ، ومشروع ولا مجال لنسخه أو منعه[٥]

وتعدّ (نائلة صبري) في هذا الجانب من المفصّلات ، حيث أنّها تورد ما للسورة من أسماء وتشرحها بالتفصيل وتبيّن سبب تسميتها ، ومن ذلك ما جاء في أسماء سورة الفاتحة فقد أوردت لها خمسة عشر اسمًا وهي : (الفاتحة لأنّه يبدأ بها المصحف، ويفتتح بها قراءة القرآن لفظًا وكتابة ، وأم الكتاب لأنّها جامعة وشاملة من حمد وربوبيّة مطلقة، ورحمة وعقيدة كاملة وعبوديّة خالصة، .. وقد استنبطت هذه التّسمية من القرآن، أم القرآن لأنّها جامعة لكثير من الأحكام وشاملة لمقاصد القرآن ومتقدمة على جميع السّور وتحتوي على المعاني في كتاب الله، الصّلاة لأنّها لوجوب قراءتها في الصلاة، الحمد لأنّ فيها ذكر الحمد، السّبع المثاني لانّ الحمد تعد من السبع المثاني .. في تسميتها بالمثاني وأم الكتاب ما يمنع تسمية غيرها ،لأنها سبع آيات بإجماع القراء والعلماء، القرآن العظيم سميت بذلك لأنها تحتوي وتجمع علوم القرآن، الشفاء لورود حديث عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله(صلى اللّهُ عليه وآله) أنه قال: (فاتحة الكتاب شفاء من السّم)أخرجه الدارمي، الرقية تقول عرفناها من حديث لرسول الله عن أبي سعيد الخدري، الأساس لأنها أصل القرآن وذلك عن الشعبي شكى له رجل ألم الخاصرة فقال له عليك بأساس القرآن، الوافية لانّ المصلي يقرأها في الصلاة كلها في الركعة فلا يجوز له ان يترك شيئًا منها ،والكافية لأن المصلّي لا يستطيع أن يستعيض بسورة أخرى في صلاته بدل الفاتحة، الكنز سميت بذا الاسم لأنها نزلت من كنز تحت العرش، عن علي ابن بي طالب قال: قال رسول الله فاتحة الكتاب أنزلت من كنز تحت العرش، تعليم المسألة، النور؛ لظهورها بكثرة وتنوير القلوب بها)[٦] وقالت لسورة البقرة

---

(١) ظ: حنان اللحام/ تفسير سورة التّوبة، ١٩ .

(٢) النور :٣٥ .

(٣) ظ: حنان اللحام/ من هدي سورة النور، ٥ .

(٤) ظ: حنان اللحام/ تأمّلات في سورة الأحزاب، ٨.

(٥) ظ: حنان اللحام/ أضواء حول سورة الطلاق/ ١٥ .

(٦) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن، ١/١/ ١٠ -٢٠ .

أسماء عديدة منها:: (سنام القرآن أي أكبر سورة وأخذ أسمها من حديث لرسول الله (صلى اللهُ عليه وآله)، وفسطاط القرآن اي بيت القرآن، السّبع الطوال؛ تعد سورة البقرة من السّبع الطوال وهي: (البقرة، وال عمران والنساء والمائدة والانعام والأعراف ويونس)، وتسمّى البقرة نسبة لقصة بني إسرائيل وذبح البقرة على عهد موسى عليه السلام وعللت تسميتها بهذه الأسماء تفصيلًا [١] وذكرت لآل عمران أسماء عديدة منها: (الزّهراء، الأمان، الكنز، المعينة، المجادلة ، طيبة ، وسورة الاستغفار[٢] وذكرت علّة تسمية سورة النّساء بهذا الاسم؛ لكثرة ما ورد فيها من أحكام تتعلق بها وتسمى بسورة النّساء الكبرى وسورة الطّلاق بالنّساء الصّغرى [٣] ولسورة المائدة ذكرت أسماءً لها : المائدة، العقود، المنقذة، المبعثرة[٤] ولم تذكر لها معانيَ ولا أسباب لتسميتها، ولسورة التوبة أسماء كثيرة أيضًا منها : التوبة وبراءة والمقشقشة، البحوثة، المبعثرة المنقرة ، المثيرة، الحافرة، المخزية، الفاضحة المنكلة، والمشردة، المدمدمة سورة العذاب، وقد بيّنت وجه التّسمية لكل اسم [٥] وأما سورة يونس ذكرت لها علة في تسميتها بهذا الاسم وهو ذكر قصة يونس عليه السلام فيها وما تضمنته من العظة والعبرة برفع العذاب عن قومه حين آمنوا بعد أن كاد يحلّ بهم البلاء والعذاب[٦]

وهكذا دأبت المفسرة (نائلة صبري) على هذه الشاكلة تأتي بأسماء السّور ففي بعض الاحيان تبيّن معانيها وسبب تسميتها ، وفي بعضها الاخر توردها من غير بيان . ونلحظ عليها التلف في كثرة اسماء السورة الواحدة وقد خرجت عن مألوف الاسماء المشهورة .

في حين ذكرت (ماجدة الفارس) ثلاثة أسماء لسورة الفاتحة وتورد مناسبتها لها، في ظلّ كثرتها . فقد ذكرت أسماءها وعللها، سنذكرها بإيجاز: الفاتحة لافتتاح الكتاب العزيز فيها، وأمّ الكتاب لاشتمالها على المقاصد الأساسية للكتاب، والسّبع المثانيّ لأنها سبع آيات تثنى في الصّلاة[٧] واختيارها الثلاثي هذا هذا ينبأ عن عدم تكلفها ، كما يلحظ لها أنّها اكتفت باسم سورة البقرة دون غيره[٨] ونلحظ لها في إيرادها اسماء سورة (ال عمران والبقرة)أقوال العلماء في معنى تسميتها بـ(الزهراوين) استنادًا على وصف النبيّ الاكرم (صلى اللهُ عليه وآله) قالت للعلماء في تفسير معناها ثلاثة أقوال[٩] :

---

(١) ظ: المصدر نفسه، ١/١/ ٥١ -٥٣ .

(٢) ظ: المصدر نفسه، ٢/ ٣/ ١٢٩.

(٣) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن، ٢/ ٤/ ١٨١.

(٤) ظ: المصدر نفسه، ٣/ ٦/ ٣٩.

(٥) ظ: المصدر نفسه، ٤/ ١٠/ ٤٦.

(٦) ظ: المصدر نفسه، ٥/ ١١/ ٦٠.

(٧) ظ: ماجدة الفارس/ التّوضيح والبيان في تفسير آي القرآن، ٩/١ .

(٨) ظ: المصدر نفسه، ٢٥/١ .

(٩) ظ: المصدر نفسه، ١/٢ .

الاوّل: إما لهدايتهما على قارئهما بما يزهر له من أنوارهما؛ أي: من معانيهما .

الثّاني : لما يترتب على قراءتهما من النّور التام يوم القيامة.

الثّالث : لأنهما اشتركتا في تضمن اسم الله الأعظم :﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾[1]

وسورة النّساء لا يعرف لها اسم آخر وعللت تسميتها بأنها بيّنت أحكام النّساء أكثر مما نزل في غيرها من السّور، وأنّها افتتحت بأحكامها واختتمت أيضًا [2]

وذكرها لاسم سورة المائدة الوحيد وأشارت إلى سببها وهو قصة المائدة التي سألها الحواريّون عيسى عليه السلام وقد اختصت بها [3]

تكشف متابعة البحث لمدونة ماجدة (ماجدة الفارس) التّفسيريّة بهذا الصّدد عن تعاملها الشفاف مع أسماء السّور القرآنية؛ فلم تعبأ بكثرة إيرادها في السّور متعدّدة الأسماء واكتفاءها بالمشهور دون تكلف ورعايتها السّبب من تسميتها بالتوضيح والبيان .

ونخلص من ذلك أن التّفاسير النّسوية بهذا الصدد كانت على تفادت في تعاملها مع اسماء السور القرآنيّة فمنها ما كان واحدية الاسم ، ومنها الثنائية والثلاثية والرباعية والاكثر من ذلك حتى وصلت بعض السور الى خمسة عشرة اسمًا هذا من جانب . ومن جانب آخر نلحظ أنّ الأسماء لها ارتباط وتناسب مع المضمون التي تتضمنه السّورة من حيث الافتتاح كاختيار الحمد اسمًا لسورة الفاتحة، ومرة مضمونها كسورة النّساء، ومنها ما اختص الموضوع فيها دون غيرها كسورة المائدة .وهذا التقسيم يرى فيه عبد الحميد الفراهي أنّه لما كان اسم الشيء عنوانًا لمعناه ، وقد اشتهر من الأسماء ما لا يخبر عن معناها فإنّ أسماء السّور على أربعة وجوه[4] :

الأول : تسميتها بلفظ من أوائلها : سورة الحمد ، وبراءة، وطه وغير ذلك .

الثاني : تسميتها بلفظ اختصّ بها كالزخرف، والحديد، والماعون، وغير ذلك . فهذه الأسماء لا تنبئ عن مقصد السورة ولكنها كالشامة والسّمة تتميز بها مسمياتها.

والثالث : تسميتها بلفظ يخبر عن بعض المعاني العظيمة ، كتسمية سورة النور ، لاشتمالها على آية النور ، وتسمية سورة آل عمران ، وسورة إبراهيم ، وسورة يونس ، وكثير من الأسماء على هذا الأسلوب .

والرابع : تسمية السورة بما ينبئ عن المقصد الذي بنيت له السورة، فمنها تسمية الفاتحة بسورة الصلاة ، وتسمية براءة وسورة بني إسرائيل ، وسورة محمد بسورة القتال، وسورة الإخلاص، والمعوذتين، فهذا الوجه الرابع يخبر عن فهم من سمّى السورة به

---

(١) البقرة :٢٥٥ .

(٢) ظ: ماجدة الفارس/ التّوضيح والبيان في تفسير آي القرآن، ٤٢٣/٢ .

(٣) ظ: ماجدة الفارس/ التّوضيح والبيان في تفسير آي القرآن، ٢٨٧/٣ .

(٤) ظ: الفراهي/ تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان/ ٦٢ -٦٣ .

ت - عددها وعدد آياتها:

يضمُّ القرآن أربع عشرة ومائة سورة تبدأ بسورة الفاتحة وتنتهي بسورة النّاس ، ولا خلاف بين العلماء في ذلك[١] إلا ان هناك من يضم بعض السّور مع بعضها لتكون سورة واحدة، وهذا ممّا يخل بنظام القرآن المتعارف عليه، وهناك من ناقش هذه الاقوال، ولأهمية الموضوع لننظر ما للتّفاسير النسويّة من دور في الموضوع ومدى تعاملها بهذا الخصوص .

نلحظ لبنت الشاطئ التفاتة لهذا المقصد فقد ذكرت : في رواية تقول إن الضّحى والشّرح سورة واحدة لما يبدو من المناسبة في سياق تعدد النعم، بين قوله تعالى في سورة الضحى: ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧ ﴾[٢] وقوله في الشرح:﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ ﴾[٣].ورده (النّيسابوري) قائلًا: "وفيه ضعف، لأنّ القرآن كله في حكم كلام واحد. . على أن الاستفهام في الضحى وارد بصيغة الغيبة، وفي الشّرح بصيغة المتكلّم، وهذا ممّا يوجب المباينة لا المناسبة". ولم يشر الطبري والزمخشري والقرطبي إلى موضوع اقتران السّورتين، كما لم يشر إليه علماء القراءات[٤]

وكأنّ بنت الشاطئ تتبنى الفصل ومبدأ عدم الاقتران بين السورتين والحال يقتضي أنّهما سورتان لا واحدة والدّليل إيرادها ردّ النيسابوري ثم ردفته بعدم إشارة أحد من المفسّرين مثل الطبري والزمخشري والقرطبي.

وللعلماء رأي برد هذا المضمون عمومًا لا بخوص سورتي الضّحى والشّرح . منهم الفراهي يقول: أنّ اللّه تعالى جعل جملة من الآيات في سورة وسماها سورة ، كأنه تعالى ضرب بسور حول مدينة، فكيف يجمع مدنًا في سورة والتشابه في المعنى يجمعها، فإنّ المعوذتين مع شدة مناسبتهما جعلتا سورتين، وكذلك سورة التّكوير، والانشقاق، والمرسلات، والنازعات، والذاريات متحدات في المعنى لكنّ النّظم واسلوب الكلام مختلف فيها [٥]

وقال الطوسي: روى أصحابنا أنّ ألم نشرح من الضحى سورة واحدة لتعلق بعضها ببعض ولم يفصلوا بينهما بـ ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ وأوجبوا قراءتهما في الفرائض في ركعة وألا يفصل بينهما[٦] وأضاف

---

(١) ظ: فرحات /في علوم القرآن عرض ونقد وتحقيق/٣٠

(٢) الضحى: ٧.

(٣) الشّرح :١.

(٤) ظ: بنت الشاطئ/ التّفسير البيانيّ للقرآن الكريم، ٥٧/١ .

(٥) ظ: الفراهي/ تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، ٤٦ .

(٦) ظ : الطوسي/ التبيان في تفسير القرآن، ٣٧١/١٠ .

الطبرسي تأكيدًا دلالة السّياق [١] والطباطبائي يقول: وليس كذلك لان الأول كان نزوله حال اغتمام الرسول (صلى الله عليه وآله)من إيذاء الكفار فكانت حال محنة وضيق صدر، والثاني يقتضي أن يكون حال النزول منشرح الصدر طيب القلب فأنى يجتمعان[٢] في بيانه سورة قريش ناقش الروايات التي تجمعهما في الصّلاة وقال في الروايات التي تفصل ورجحها : عن ابن أبي عمير عن بعض أصحابنا عن زيد الشحام قال : صلى بنا أبو عبد الله عليه السلام فقرأ في الأولى الضحى وفي الثانية ألم نشرح لك صدرك . وهذه أعني صحيحة ابن أبي عمير صريحة في قراءة السورتين في ركعتين ولا يبقى معها لرواية العلاء ظهور في الجمع بينهما [٣] وما يميل إليه البحث رأي بنت الشاطئ وما يدعمه الروايات القائلة بالفصل كما يرى صاحب الميزان .

و(زينب الغزاليّ) في تفسيرها سورة التّوبة جعلتها سورة ذاتها وتسلسلها (٩) في ترتيبها بعد سورة الانفال، وأشارت الى خلوها من البسملة لسبب جريان عدة العرب أذا نقض أحد الطرفين المتعاهدين عهدًا أو أرادوا ذلك أرسلوا إليهم كتابًا ولم يكتبوا فيه (البسملة) [٤] وتعليلها من عدم وجود البسملة في بداية السورة بما اقتضته عادة العرب جعلها تفصل بين السورتين ولم تقل بتبعيتها، وكونها إتمام لسورة الانفال على من قال به . ومن هذا نستدل على عدد سور القرآن عندها ١١٤ سورة.

وإذا ما التفتنا الى حنان (حنان اللحام) فقد أشارت إلى الرأي القائل من عدم وجود بسملة لاتصالها وربطها بسورة الانفال ، ذكرت ذلك كوجه من وجوه عدم تواجد البسملة في طليعتها . وذكرت الرأي القائل بخلوها من البسملة لعدم انسجام معنى الآية الاولى بمعنى البسملة . ثم أشارت الى أن الزمن كفيل بظهور سر أعمق وراء هذا الغياب[٥] يبدو من عرضها للآراء دون اختيار رأي لا يتبيّن ترجيح عندها لا سيما أنّها تركت الأمر الى الناس بكشف سر غير ما ذكرت. وإن كان وقع تفسيرها في مدونة واحدة بحد ذاته دليل على قولها في الفصل .

وقد أشارت نائلة (نائلة صبري) لرأي الجمع بينها(التوبة) وبين الانفال للسبب نفسه وهو عدم وجود البسملة، بضمها معها تكن الانفال من السبع الطوال وأنها ذكرت عن ابن عباس سأل علي بن أبي طالب عليه السلام: عن عدم جواز قراءة كتابة البسملة في أول براءة فقال: لأنّ بسم الله أمان، وبراءة ليس فيها أمان .. [٦]

---

(١) ظ: الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ٣٧٩/١٠ .

(٢) ظ: الطباطبائي/ الميزان في تفسير القرآن، ٢٠/ ٣١٤ .

(٣) ظ: الطباطبائي/ الميزان في تفسير القرآن، ٣٦٥/٢٠ .

(٤) ظ: زينب الغزاليّ/ نظرات في كتاب الله، ٥٥٠ .

(٥) ظ: حنان اللحام/ تفسير سورة التوبة : ١٩ .

(٦) ظ: نائلة صبري، / المبصر لنور القرآن، ٤/ ١٠ /٤٦ .

ذكرت (ماجدة الفارس) ضمن أسباب عدم وجود البسملة في بدايتها قالت: فكتبة المصاحف تركوا فرجةً بين السّورتين ، مراعاةً لقول من عدّهما سورتين، ولم يكتبوا البسملة بينهما ، مراعاةً لقول من جعلهما سورة واحدة. وذكرت رواية علي بن ابي طالب في سبب خلوها من البسملة [١]

وقد جاء بفصل الخطاب الطباطبائي في تفسيره قال: " وقد اختلفوا في كونها سورة مستقلة أو جزءًا من سورة الأنفال ، واختلاف المفسرين في ذلك ينتهى إلى اختلاف الصحابة ثم التابعين فيه ، وقد اختلف في ذلك الحديث عن أئمة أهل البيت عليهم السلام غير أنّ الارجح بحسب الصناعة ما يدل من حديثهم على انّها ملحقة بسورة الأنفال. والبحث عن معاني آياتها وما اشتملت عليه من المضامين لا يهدى إلى غرض واحد متعين على حد سائر السور المشتملة على أغراض مشخصة تؤمها أوائلها وتنعطف إليها أواخرها، فأولها آيات تؤذن بالبراءة وفيها آيات القتال مع المشركين ، والقتال مع أهل الكتاب، وشطر عظيم منها يتكلم في أمر المنافقين، وآيات في الاستنهاض على القتال وما يتعرض لحال المخلفين، وآيات ولاية الكفار، وآيات الزكاة وغير ذلك" [٢]

أمّا عدد الآيات أولت التفاسير النسوية بيان عدد آيات كل سورة من القرآن الكريم هذا منهج ثابت دائم عند كل المفسرين لكن نلحظ عند المفسرة نائلة هاشم (نائلة صبري) أنها تبيّن عدد كلماتها وحروفها وهذا يُعدَ ميزة تتميز بها (نائلة صبري) عن غيرها من المفسرين والمفسرات .فمثلًا تقول في سورة الفاتحة عدد آياتها سبع آيات، وعدد كلماتها (٢٩)كلمة ، وعدد حروفها(١٤٣) حرفًا [٣] . وسورة البقرة عدد آياتها(٢٨٦) آية، وعدد كلماتها (٦٢٢١) ، وعدد حروفها(٢٥٥٠٠) حرف [٤] . وهكذا في جميع السور .

المطلب الرابع: فضائل السّور والآيات:

بالنّظر للتفاسير النّسويّة نلحظ اهتمام المفسرات بفضائل السّور والآيات متفاوت فنرى بنت الشاطئ يغيب عندها هذا المطلب تمامًا - بحسب تتبع البحث - والسّبب ربّما يكون منهجها جعلها بمنأى عن تناول الفضائل كونها من مورد الرواية.، وأيضًا يقلّ عند (زينب الغزاليّ) فذكرت من فضائل سورة الفاتحة أنّها أعظم سورة وفق ما ورد عن رسول الله (صلى اللّهُ عليه وآله)، وذكرت في فضل سورة آل عمران روايتين أيضًا، ولا يسع البحث ذكرهن. ولم تتعرض لفضائل بقية السور [٥] ولعل ذلك من متطلبات منهجها القائم على أساس الايجاز والاختصار . و(حنان اللحام) لها اهتمام بذلك فقد أوردت في

---

(١) ظ: ماجدة الفارس/ التّوضيح والبيان في تفسير آي القرآن، ٨٩/٦.

(٢) الطباطبائي/ الميزان في تفسير القرآن، ٩/ ١٤٦ .

(٣) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن، ١٥/١/١ .

(٤) ظ: المصدر نفسه ، ٥١/١/١ .

(٥) ظ: زينب الغزاليّ/ نظرات في كتاب الله، ١٨٩/١ .

بيان فضل سورة البقرة رواية واحدة بعد أن قالت: ورد في فضلها احاديث عدة منها : "لا تجعلوا بيوتكم قبورًا ، فإن البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة لا يدخله الشيطان" [١] قالت: رواه مسلم ولم تخرجه[٢] وذكرت في فضل سورة ال عمران أيضًا [٣] وسورة النّساء أيضًا [٤] وسورة المائدة وغيرها [٥] وبقية السّور السّور لم تتعرض لفضائلها، وهذا يعني أنها مقلة بهذا الصدد على الرغم من قلة عدد السور التي فسرتها، ولعلّ عزوفها عن هذا الأمر هو تحفظها على الأحاديث المأثورة فقد نبهت عليها في المقدمة التّفسيرية لتفسيرها لسورة النّساء [٦] وقد مرّ ذكر ملاحظاتها في فصل أصول التفسير.

ونلحظ لـ(نائلة صبري) و(ماجدة الفارس) اهتمامًا بالغًا في شأن بيان فضائل السّور القرآنية فلا تكاد تخلو سورة من ادراج جملة من الأحاديث في فضلها، وقد عمدت (نائلة صبري) إلى درجها تحت عنوان (فضائلها) في جميع التّفسير .

---

(١) ظ: حنان اللحام/ من هدي سورة البقرة/ ١٠ .

(٢) وعند الرجوع لصحيح مسلم وجد هذا النّص عن أبي هريرة عن رسول الله (صلى اللهُ عليه وآله) قال:" لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ" مسلم/ صحيح مسلم، ٣٥٩/١ . حديث(٧٨٠) ويبدو ان المفسرة نقلت الحديث أعلاه بالمعنى لكنّها نصصته .

(٣) ظ: حنان اللحام/ من هدي سورة آل عمران/ ٩.

(٤) ظ: حنان اللحام/ من هدي سورة النّساء/ ١٩.

(٥) ظ: حنان اللحام/ تأملات في سورة المائدة/ ١١، أضواء على سورة يس/ ٩.

(٦) ظ: حنان اللحام / من هدي سورة النّساء/ ١١ .

المبحثُ الثّاني : النَّقدُ في مجالِ (المحكم والمتشابه)

مرّ كلامٌ عن المحكم والمتشابه في التّفاسير النّسويّة في فصل قواعد التّفسير في ضوء (إرجاع المتشابه الى المحكم) كقاعدة، في سبيل إيضاح الآيات المتشابهة ورفع اللّبس عنها، ومدى الاستفادة منها، وكان ذلك بلحاظ التّطبيق، وقد بُسِطَ الكلامُ عنها بالقدر الممكن، وهنا في هذا المبحث سنعرض ما يتعلق بالمحكم والمتشابه بلحاظ التّنظير في دائرة بيان تعريفه لغةً واصطلاحًا، و الوقوف على معانيه تحليلًا ومناقشةً، ثم تسليط الضوء على دلالتهما في الاستعمال القرآني، ثم التعريج على حِكَم وأسرار حضور المتشابه في القرآن الكريم . كلّ ذلك يأتي عبر هاته المطالب الآتية :

المطلب الأوّل : المحكم والمتشابه لغةً واصطلاحًا :

أ - المحكم والمتشابه لغةً :

تطلعنا التّفاسير النّسوية على جملة من المعاني اللغوية لمفردة (المحكم والمتشابه) بتصريفاتها منها : فالمحكم ما أشارت إليه (حنان اللحام) من معاني لهاته المفردة : الإحكام في البناء: الانقان والمتانة[١] وذكرت (نائلة صبري) تحت عنوان(تفسير المفردات) المحكمات: بينات واضحات ومفصّلات، ثابتات الاحكام[٢] ، وقد فصلّت (ماجدة الفارس) أنّ من معاني (محكم) [٣] :

---

(١) ظ: حنان اللحام/ تأمّلات في سورة هود/ ١٥ .

(٢) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن، ٢/ ٣ / ١٣٦ .

(٣) ظ: ماجدة الفارس، التوضيح والبيان في تفسير آي القرآن: ١٥/٢

-الحكم : هو الفصل بين الشيئين ، فالحكم يمنع الظالم ويفصل بين الخصمين، ويميز بين الحق والباطل والصدق والكذب.

- وإحكام الشيء : إتقانه، والمحكم المتقن. فإحكام الكلام : إتقانه بتمييز الصدق من الكذب في إخباره والرشد من الغي في أوامره . وقد وصف القرآن بهذا المعنى:﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١ ﴾ [1]

أمّا المتشابه : قالت: (نائلة صبري): المتشابهات: غامضات[2] وصرّحت (ماجدة الفارس): والمتشابه لغةً من التّشابه، هو أن يشبه أحد الشيئين الآخر، وتشابه الكلام: هو تماثله وتناسبه بحيث يصدق بعضه بعضًا وقد وصف القرآن أنّه متشابه كلّه بهذا المعنى قال تعالى:﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ٢٣ ﴾ [3] [4]

وخلاصة ذلك : المحكم من معانيه - بما سلف ذكره -هي : الإتقان، البيّن الواضح ، والحكم وهو الفصل بين الشيئين، والمنع. وهاته المعاني ورد ذكرها في جملة معاجم اللغة العربية [5] والمتشابه من معانيه: الغموض، والتّشابه أي يشبه بعضه بعضًا وتشابه الكلام تماثله وتناسبه . وهذه المعاني أيضًا ورد ذكرها في جملة معاجم اللغة العربية [6]

ب - المحكم والمتشابه اصطلاحًا :

لتعريف (المحكم والمتشابه) في الاصطلاح عدّة معانٍ جاء منها في التّفاسير النّسويّة، لذا سنعرضها ونبيّن أهمّها وفقًا لما ساد عند المختصّين ،مناقشين ذلك بالممكن. وهي كالآتي:

الأول: (زينب الغزاليّ) قالت: المحكمات: واضحة الدّلالة، المتشابهات: هي ما استأثر الله بعلمها دون خلقه[7] : وذكرت ما قاله القرطبي في كتابه الجامع لأحكام القرآن في هذا الموضع ما نصه[1] :

---

(١) هود :١.

(٢) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن، ٢/ ٣ / ١٣٦ .

(٣) الزمر :٢٣.

(٤) ظ: ماجدة الفارس/التوضيح والبيان في تفسير آي القرآن ، ١٥/٢

(٥) ظ: الفراهيدي/ كتاب العين، ٦٦/٣ (حكم)، الازدي/ جمهرة اللغة، ٥٦٤/١ (حكم)، الأزهري/ تهذيب اللغة، ٧٠/٤(حكم)، الجوهري/الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ١٩٠٢/٥ (حكم). ابن فارس/ معجم مقاييس اللغة،٩٢/٢ (حكم) .

(٦) ظ: ابن سيده/ المحكم والمحيط الأعظم،١٩٣/٤ (شبه) ، ابن منظور / لسان العرب، ١٣/ ٥٠٣ (شبه)، الزبيدي/ تاج العروس من جواهر القاموس، ٤١١/٣٦ (شبه) .

(٧) ظ: زينب الغزاليّ/ نظرات في كتاب الله، ١/ ١٩٣.

اختلف العلماء في المحكمات والمتشابهات على أقوال عديدة، منها: أنّ المحكمات من آي القرآن ما عرف تأويله وفهم معناه وتفسيره . والمتشابه ما لم يكن لأحد إلى علمه سبيل مما استأثر الله تعالى بعلمه دون خلقه... وذلك مثل وقت قيام الساعة، وخروج يأجوج ومأجوج، والدجال، وعيسى، ونحو الحروف المقطعة في أوائل السور. قلت: هذا احسن ما قيل في المتشابه. الى غير ذلك من الاقوال [٢]

الثاني: ذكرت (حنان اللحام): المحكمات:" الواضحات التي نصّت على الحلال والحرام والحدود والأحكام وفيها إشارة إلى القواعد والسّنن وهذه الآيات هي أصل الكتاب والمرجع فيه، والمتشابهات : ففيها غموض واشتباه ويمكن أن تحمل على أكثر من وجه "[٣] وفي تفسير سورة هود قالت: المحكم فهو ما نصّ بإيجاز وقوة على القواعد الاساسيّة في الدين . التي تمثل مقاصد الشريعة [٤]

الثالث: ذكرت (نائلة صبري) :المحكمات: بيّنات واضحات لا غموض فيها ولا التباس ولا اشتباه، ناسخة ، المتشابهات: هي منسوخة يشبه بعضه بعضًا [٥] وذكرت قال زيد: المحكم : ما أحكم من قصص الأنبياء والأمم، والمتشابه: ما لم يكن لأحد إلى علمه سبيل مما استأثر الله تعالى بعلمه دون خلقه وذلك مثل: قيام الساعة وخروج مأجوج ويأجوج ، والدّجال ونزول عيسى [٦]

الرابع: ذكرت (ماجدة الفارس) جملة من الأقوال في المحكم والمتشابه التي وقع فيها الاختلاف بين العلماء نوردها بالآتي [٧] :

- المحكم: ما عُرف المراد منه، والمتشابه : ما استأثر الله فيه بعلمه .
- المحكم ما لا يحتمل إلا وجهًا واحدًا ، المتشابه: ما احتمل أوجهًا .
- المحكمات هي التي فيها حجة الرّب وعصمة العباد ليس لها تصريف ولا تحريف، والمتشابهات لهنّ تصريف وتحريف وتأويل ابتلى الله بها العباد .وهذا رأي محمد بن جعفر ابن الزبير [٨].
- قال النّحاس: المحكمات ما كان قائمًا بنفسه لا يحتاج أن يرجع فيه الى غيره مثل:﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾ [١] والمتشابهات نحو﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾[٢] يرجع فيه إلى قوله تعالى:

---

(١) ظ: القرطبي، تفسير القرطبي: ٩/٤ ، نقلًا عن : زينب الغزاليّ/ نظرات في كتاب الله، ١/ ١٩٤.

(٢) ظ: المصدر نفسه: ٩/٤ ١٠، نقلًا عن : زينب الغزاليّ/ نظرات في كتاب الله، ١/ ١٩٤.

(٣) ظ: حنان اللحام/ من هدي سورة آل عمران، ٢٧ .

(٤) ظ: حنان اللحام/ تأمّلات في سورة هود ، ١٥ .

(٥) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن، ٢/ ٣/ ١٣٧ .

(٦) ظ: المصدر نفسه، ٢/ ٣/ ١٣٧ .

(٧) ظ: ماجدة الفارس، التوضيح والبيان في تفسير آي القرآن: ١٦/٢ -١٨ .

(٨) هو محمد بن جعفر بن الزبير بن العوام بن خويلد. وأمه أم ولد ، واولاده : إبراهيم. وزينب. وأمهما أم ولد. وقد روى محمد بن إسحاق عن محمد بن جعفر. وروى عنه أيضا ابن جريج. والوليد ابن كثير. وكان عالما وله أحاديث. ظ: ابن سعد / الطبقات الكبرى / رقم الترجمة (١٠١٢) ، ٥ /٣٣٩ .

﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ﴾ [٣] والى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ ﴾ [٤] [٥]

- ذكر القرطبي في تفسيره عن ابن عباس: المحكم الناسخ والحلال والحرام والحدود والفرائض . والمتشابه : المنسوخ وأسماء الله وصفاته وفواتح السّور والأقسام والأمثال .

تحليل ومناقشة ما تقدّم : إنّ القول في (المحكم والمتشابه) من انّ المحكم ما عرف تأويله وفهم معناه وتفسيره ، والمتشابه ما لم يكن لاحد إلى علمه سبيل ممّا استأثر الله تعالى بعلمه دون خلقه... وذلك مثل وقت قيام الساعة ... وهذا ما أوردته ((زينب الغزاليّ) و(نائلة صبري) و(ماجدة الفارس)) و(زينب الغزاليّ) أوعزت ذلك على القرطبي بما اورده من آراء وعلى ما يبدو هو الرّاجح لديها .بعد المراجعة تبيّن أنّ القرطبي اختاره مستندًا إلى قول جابر بن عبد الله ومقتضى قول الشعبي وسفيان الثوري وغيرها وذلك ما اشارت اليه (زينب الغزاليّ) في الهامش رقم(٢) [٦]

وهذا النوع من المتشابه يطلقه المفسّرون على الآيات المتشابهة التي تبقى في دائرة المتشابه وهي مختصة بالله تعالى ولا مجال لأحد في معرفتها وهذا الذي تميل اليه المفسرات((زينب الغزاليّ) و(نائلة صبري) و(ماجدة الفارس)). بينما هناك متشابه يطلقه المفسّرون وهو نفسه عند الأصوليين ينبري منه المؤول والمجمل [٧]، وهناك نوع آخر وهو متشابه (باطن) قبالة الظاهر وهذا النوع يرجع به الى المعصوم لكشفه وبيانه حتى يصبح مفسّرًا كتأويل (سبع بقرات) بـ(سبع سنين) وغيرها .

ولفاضل لصّفار إشارة جديرة بالذكر حيث علق على قول الإمام الصادقعليه السلام : "المحكم ما يعمل به، والمتشابه ما اشبه على جاهله" ، حيث قال : لا يخلو من إشارة إلى ان التشابه أمرٌ نسبيّ وليس بثابت؛ لاختلاف العارفين فيه ، فما يكون متشابهًا عند بعضهم يكون محكمًا عند البعض الآخر؛ لإحاطته بالقرائن الرافعة للإشتباه ، لذا وصف الإمام عليه السلام يشتبه على جاهله لا على الجاهل[٨]

الرأي المختار عند (زينب الغزاليّ) وما أوردته (نائلة صبري) و(ماجدة الفارس) وقف عنده جملة من العلماء منهم الطباطبائي وناقش هذا الرأي بقوله : أن الاحكام والتشابه وصفان لآية الكتاب من حيث

---

(١) الإخلاص:٤.

(٢) الزمر:٥٣.

(٣) طه :٨٢.

(٤) النساء :٤٨ .

(٥) ظ: ماجدة الفارس/ التوضيح والبيان في تفسير آي القرآن، ١٨/٢ .

(٦) ظ: زينب الغزاليّ: نظرات في كتاب الله، ١٩٤/١ .

(٧) ظ: د. جبار الملا، د. سكينة الفتلي/ قواعد أصول التّفسير في تهذيب الوصول للعلامة و كنز العرفان للسيوري/ ٥٨.

(٨) ظ: فاضل الصفار/ قواعد فهم القرآن وتفسيره وتأويله/ ٢٣١. و ظ: مصادره : العياشي/ تفسير العياشي، ٨٧/١ .

أنّها آية أي دالة على معرفة من المعارف الإلهية والذي تدلّ عليه آية من آيات الكتاب ليس بعادم للسّبيل ولا ممتنع الفهم إمّا بنفسه أو بضميمة غيره وكيف يمكن أن يكون هناك أمر مراد من لفظ الآية ولا يمكن نيله من جهة اللفظ مع أنّه وصف كتابه بأنّه هدى وأنّه نور وأنّه مبين ، فما تعرّضت له آية من آيات الكتاب ليس بممتنع الفهم ولا الوقوف عليه مستحيل وما لا سبيل إلى الوقوف عليه كوقت قيام الساعة وسائر ما في الغيب المكنون لم يتعرض لبيانه آية من الآيات بلفظها حتى تسمى متشابهًا . على أن في هذا القول خلطًا بين معنى المتشابه وتأويل الآية [١]

والقول في المحكمات هي ناسخات والمتشابهات هي منسوخات ففي هذا الرّأي نظر وقد ردّه الطباطبائي أيضًا بقوله : "أنّه على تقدير صحته لا دليل فيه على انحصار المتشابهات في الآيات المنسوخة فإن الذي ذكره تعالى من خواص اتباع المتشابه من ابتغاء الفتنة وابتغاء التأويل جار في كثير من الآيات غير المنسوخة كآيات الصفات والأفعال على أن لازم هذا القول وجود الواسطة بين المحكم والمتشابه . وفيما نقل عن ابن عباس ما يدلّ على أنّ مذهبه في المحكم والمتشابه أعمّ ممّا ينطبق على الناسخ والمنسوخ وأنّه إنّما ذكرهما من باب المثال ففي الدر المنثور أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم من طريق علي عن ابن عباس قال : المحكمات ناسخه وحلاله وحرامه وحدوده وفرائضه وما يؤمن به والمتشابهات منسوخه ومقدمه ومؤخره وأمثاله وأقسامه وما يؤمن به ولا يعمل به" [٢]

والقول بأنّ المحكم ما لا يحتمل إلا وجهًا واحدًا ، المتشابه: ما احتمل أوجهًا الذي أشارت إليه (حنان اللحام) وصرحت به (ماجدة الفارس) فيه كلام: هذا وارد عن محمّد بن جعفر بن الزبير، وأبي علي الجبائي على ما ذكره الطبرسي [٣] وعلى هذا لاحظ الطباطبائي بقوله : وفيه أنه لا يزيد على تبديل اللفظ باللفظ شيئًا فقد بدل لفظ المحكم بما ليس له إلا معنى واحد والمتشابه بما يحتمل معاني كثيرة على أنّه أخذ التأويل بمعنى التّفسير أي المعنى المراد باللفظ، ولو كان التّأويل هو التّفسير بعينه لم يكن لاختصاص علمه بالله أو بالله وبالرّاسخين في العلم وجه فإنّ القرآن يفسر بعضه بعضًا والمؤمن والكافر والرّاسخون في العلم وأهل الزّيغ في ذلك سواء [٤] ويناقش هذا الرأي أيضًا بالقول :أنّ أكثر القرآن حمّال لوجوه متعددة وذلك من (الوجوه والنظائر) [٥]

وعلى قول: المحكم : ما أحكم من قصص الأنبياء والأمم ،قال الطباطبائي: وفيه أنّه لا دليل على هذا التّخصيص أصلًا على أنّ الذي ذكره تعالى من خواص المحكم والمتشابه وهو ابتغاء الفتنة وابتغاء التّأويل

---

(١) ظ: الطباطبائي / الميزان في تفسير القرآن ، ٣٥/٣.

(٢) الطباطبائي/ الميزان في تفسير القرآن، ٣٤/٣ .

(٣) ظ: الطوسي/ التبيان في تفسي القرآن، ٣٩٥/٢ . الطبرسي/ مجمع البيان في تفسير القرآن، ٢٣٩/٢ .

(٤) ظ: الطباطبائي/ الميزان في تفسير القرآن، ٣٦/٣ .

(٥) ظ:عبد المنعم القيعي / الأصلان في علوم القرآن/ ٤٩ .

في اتباع المتشابه دون المحكم لا ينطبق عليه فإنّ هذه الخاصة توجد في غير آيات القصص كما توجد فيها وتوجد في القصة الواحدة كقصة جعل الخلافة في الأرض كما توجد في القصص المتكررة [١]

المطلب الثّانيّ : المحكم والمتشابه في الاستعمال القرآنيّ:

يصف القرآن الكريم نفسه بأوصاف متعدّدة مختلفة فربّما يتبادر الى الذّهن من ذلك ريب بوقوع التّعارض، فتارة يصف آياته بالإحكام وتارة يصفها بالمتشابه، وتارة أخرى يصف جزءًا منها بالمحكم والجزء الآخر بالمتشابه .

قالت (زينب الغزاليّ): وعندما أخبرنا الله تعالى عن القرآن كله بانّه محكم ، وكما في قوله تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ﴾[٢] فإن هذا الاخبار لا يعارض قوله تعالى:﴿ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞ ﴾[٣]لأن الاخبار بالإحكام في الآية الأولى معناه كما يقول القرطبي ايضًا : إحكام في النظم والرصف وأنّه حق من عند الله، ومعنى﴿ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا ﴾[٤][٥] وردت في موضع آخر من القرآن أي يشبه بعضه بعضًا ، ويصدق بعضه بعضًا ، فهي لا تتعارض أبدًا مع قول الله﴿ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞ ﴾[٦]

وقالت (نائلة صبري) في قوله تعالى:﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١ ﴾[٧] قالت: أحكمت: نظمت، وهو كتاب عظيم ، نظمت آياته نظمًا محكمًا لا يقع فيه خلل ولا نقص، فجاءت قوية البناء[٨] أي أنّ القرآن الكريم كله محكم بهذه الصفة .

وفي قول الله تعالى:﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ٢٣ ﴾[٩]قالت: كتابًا متشابهًا : قرآنًا كريمًا يشبه بعضه بعضًا، في إعجازه، وهدايته، وخصائصه، وبلاغته،

---

(١) ظ: الطباطبائي/ الميزان في تفسير القرآن، ٣٦/٣ .

(٢) هود :١.

(٣) آل عمران : ٧.

(٤)الزمر:٢٣ .

(٥) ظ: القرطبي، تفسير القرطبي: ٩/٤، نقلًا عن : زينب الغزاليّ/ نظرات في كتاب الله، ١/ ١٩٤.

(٦) ظ: زينب الغزاليّ، زينب، نظرات في كتاب الله: ١٩٣/١ -١٩٤

(٧) هود :١.

(٨) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن، ٥/ ١١/ ١٩١ .

(٩) الزمر:٢٣.

وفصاحته، ويشبه بعضه بعضًا في الحسن والحكمة[١] فمن هذه الجهة أيضًا يكون القرآن الكريم كله متشابهًا .

و(ماجدة الفارس) لها بيان على ما جاء في القرآن الكريم من وصف نفسه في قوله تعالى: ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١ ﴾ [٢] ذكرت : قال قتادة : جعلت محكمة كلها لا خلل فيها ولا ولا باطل والإحكام منع القول من الفساد أي : نظمت نظمًا محكمًا لا يلحقها تناقض ولا خلل (ذكره القرطبي) وقال السعدي في (كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ) اتقنت وأحسنت صادقة أخباره عادلة أوامره ونواهيه، وفصيحة ألفاظه واضحة معانيه، بليغة الدلالة والتأثير [٣]

ونتج مما سبق: لا تختلف آراء التّفاسير النسويّة بينها في هذا المضمار من حيث المعنى بل ربّما في اختلاف الألفاظ فقط في ذلك، وما جاء من بيان فلا تثريب عليه من القول . فقد أحسنت المفسرات في ملاحظة هاته الوجوه من الاستعمال والتّفريق بينها ، وتوجيهها بما ينسجم والنّص القرآني . وهذا ما عليه غالب المفسرين في بيان تلكم النّصوص ، ولا جديد يذكر عندهنَ في هذا المضمار .

المطلب الثّالث: حكم المتشابه في القرآن:

تتجلّى جملةٌ من الحكم والأسرار في تواجد المتشابه في القرآن الكريم ، ويظهر بعضها في التفاسير النسويّة نذكرها بالآتي:

ذكرت (زينب الغزاليّ) في تفسيرها للآية السّابعة من سورة آل عمران أنّ الله سبحانه وتعالى يبيّن لعباده موقف الراسخين في العلم من المتشابه من الآيات ليكونوا مصابيح لهم، ويتدبر المعاني على وجهها ذوو العقول السليمة والفهوم المستقيمة. فهم يؤمنون به كلّه ويقفون حيث وقف ويكلون علم ما جهلوه إلى الله تعالى[٤]

و(نائلة صبري) في الآيات المتشابهات تتجلى الحكمة من نزولها أن يشغل أهل النّظر والفقه في الدين برد المتشابه الى المحكم فيطول نظرهم بذلك [٥]

ولم تغفل (ماجدة الفارس) أيضًا عن هاته المسألة، حيث تساءلت عن هذا الصّدد بقولها : ما الحكمة من أن تظهر بعض معاني الآيات للنّاس كافةً وبعضها لا يظهر لهم؟ قال القرطبي: الحكمة في ذلك أن

---

(١) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن، ٩/ ٢٣/ ٢٤٢ .

(٢) هود :١.

(٣) ظ: ماجدة الفارس/ التّوضيح والبيان في تفسير آي القرآن ، ٣٨٤/٦ .

(٤) ظ: زينب الغزاليّ/ نظرات في كتاب الله، ١/ ١٩٤ .

(٥) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن، ٢/ ٣/ ١٣٧ .

يظهر فضل العلماء لأنّه لو كان كلّه واضحًا لم يظهر فضل بعضهم على بعض ولو أن كل شيء صار مفهومًا لما كانت هناك قيمة للإيمان فعظمة الإيمان في تنفيذ بعض الاحكام وحكمتها غائبة عنك [1]

نلحظ ممّا جاء في التّفاسير النّسويّة: أنّ (زينب الغزاليّ) ترى وجود المتشابه في القرآن حكمته كامنة في بيان الله تعالى الرّاسخين في العلم ليكونوا مصابيح للنّاس،هذا المتشابه الذي يزول عنه الخفاء عند العارفين لا المتشابه الذي اختص بعلمه الله تعال كعلم الساعة ووقتها .. وعند (نائلة صبري) تتجلى الحكمة بشغل اهل النّظر في القرآن بردّ آياته المتشابهة الى آياته المحكمة، و(ماجدة الفارس) رجعت الى القرطبي في ذلك وهو يرى فيها بيان فضل العلماء ، وظهور قيمة الايمان وعظمته في تنفيذ بعض الاحكام التي تغيب حكمتها عن الناس .

جاء في التّفاسير النّسوية بعض الحكم التي خلص إليها العلماء من ورود المتشابه في الكتاب العزيز وبهذا المقام نستأنس بمجملة مما لم يذكر في هاته التفاسير ، والحكمة من وجود المتشابه في القرآن بوجه عام عند (محمد بكر اسماعيل)[2] :

١ - القرآن الكريم كتاب هداية ومنهج حياة، أنزله الله بمطالب البشر جميعًا، على اختلاف بيئاتهم وأزمانهم، ومطالب الحياة كثيرة، وحاجات الإنسان لا تحصى ولا تنحصر، فلا يكفيها تشريع تحتويه ملايين الصفحات. فكان من حكمة الحكيم الخبير أن ينزل من القرآن نصوصًا تحتمل وجوهًا من البيان .

٢ - وفي وجود المتشابه تدريب للعقول على التأمُّل والنظر، وفي هذا التدريب لذة لا يعرفها إلا أولو الألباب، فكلما أدرك العالم بعقله وجهًا من وجوه التّرجيح وفق ما لديه من القرآن شعر بنشوة غامرة، ورغبة ملحّة في مواصلة البحث والاستنباط.

٣ - وفي وجود المتشابه نوع ابتلاء من الله تعالى، ليعلم العبد من نفسه هل هو مؤمن بما أخبره الشارع به من الأمور الغيبية التي لا مجال للعقل فيها، أم هو لا يزال في الطريق إلى هذا الإيمان السامي الذي جعله الله أوَّل أوصاف المتقين؟ .

كما تأتي الحكمة من وجود المتشابه هو بيان دور أهل العلم ومعرفة العلماء من الراسخين في العلم الذين خصوّا بمعرفة تأويله وفي مقدمتهم أئمة أهل البيت (عليهم السلام) .

---

(١) ظ: ماجدة الفارس / التّوضيح البيان في تفسير آي القرآن، ٢١/٢ .

(٢) ظ: محمد بكر اسماعيل / دراسات في علوم القرآن/١٩٢ .

المبحثُ الثّالث : النَّقدُ في مجال (النّاسخ والمنسوخ)

توطئة :

قد مرّ كلام عن (النّاسخ والمنسوخ) في دائرة التّطبيق بلحاظ الجمع بين الآيات النّاسخة المنسوخة كقاعدة تفسيريّة في فصل قواعد التفسير، أمّا مدار هذا المبحث هو(النّاسخ والمنسوخ) أو (النّسخ في القرآن الكريم) وفق ما جاء عنه في التّفاسير النّسويّة، فضلًا عن كونه أحد المفاصل الأساسيّة في مباحث علوم القرآن، ولما له من إشكاليّة شغلت فكر المفسّرين والعلماء والفقهاء عمومًا ولما يسوده من لبسٍ قد بان اختلافهم فيه وتعدّدت وجهات نظرهم له، وقد يدخل منه في دوامةٍ تجرنا إلى صلة بمسألة تحريف القرآن الكريم، وما بدا بعض مسائل هذا الموضوع في صفحات هاته التّفاسير، وما ظهر منها من تفاوت في القول بوقوعه في آيات القرآن إن قلّت وإن كَثُرت، لزم وضع هذا المبحث الذي تأتي فيه جملةٌ من المطالب :

المطـــلب الأول : النّسخ لغـةً واصطلاحًا :

أ - النّسخ لغةً :

لم نلحظ في التّفاسير النّسويّة في هذا المضمار سوى ما صرّحت به (نائلة صبري) في بيان النّسخ لغةً : نسخ نسخًا الشّيء أزاله، أبطله، يقال نسخت الشّمس الظّل أزالته، وقالت في تعريفها للنّسخ: ويأتي بمعنى التّبديل، نسخ الشّارع السّورة أو الآية ، أي بدلها قال تعالى:﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾[1] [2] وذكرت (ماجدة الفارس) لغةً بمعنى: النّقل[3]

يظهر ممّا سبق: المعنى اللّغوي للنّسخ في التّفاسير النّسويّة بمعنى (الإزالة والتبديل) عند (نائلة صبري)، وبمعنى (النّقل) عند (ماجدة الفارس) . وهاته المعاني وردت في جملة من المعاجم العربيّة[4]

ثمّ إنّ معنى النّسخ في كلام العرب بمعنى (النّقل) فإنّ هذا النّسخ لم يتغير المنسوخ منه، إنّما صار نظيرًا له مثله في لفظه ومعناه وهما باقيان[5] والنّسخ بهذا المعنى غير موجود في القرآن إذ ليس فيه آية ناسخة لآية أخرى[6] أمّا النّسخ بمعنى (الإزالة) هو الأكثر عند الجمهور استعمالا في ناسخ القرآن ومنسوخه[7]

ب - النّسخ اصطلاحًا :

قالت (حنان اللحام) في تعريف النّسخ اصطلاحًا: هو التّبديل أو إلغاء حكم آية وإبطاله . فقد ينسخ الله حكم آية أو ينسها النّبيّ لمصلحة. لأنّه سبحانه وتعالى تعهّد بحفظ القرآن. (والآية خاصة بزمن نزول القرآن).[8] وذكرت في تفسير سورة التّوبة : قالوا في حد النّسخ: (إنّه رفع الحكم الشّرعي بدليل شرعيّ شرعيّ متأخّر)[9] وذكرت للنّسخ أمثلةً في تفسيرها قوله تعالى:﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾[10] ترى في هاته الآية إمكانات ثلاث[11] :

١ - قد تشير إلى تحويل القبلة من المسجد الأقصى إلى البيت الحرام.

---

(١) النحل:١٠١.

(٢) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن، ١ /١ / ٢٢٤ .

(٣) ظ: ماجدة الفارس/ التّوضيح والبيان في تفسير آي القرآن، ١/ ١٧٦ .

(٤) ظ: الفراهيدي/ كتاب العين، ٢٠١/١(نسخ) . الازهري/ تهيب اللغة، ٧/ ٤٧ (نسخ) .

(٥) ظ: فرحات/ في علوم القرآن عرض و نقد وتحقيق/ ١٥٨ .

(٦) ظ: المصدر نفسه / ١٥٨ .

(٧) ظ: المصدر نفسه/ ١٥٨ .

(٨) ظ: حنان اللحام/ من هدي سورة البقرة/ ٢٢٧ .

(٩) ظ: حنان اللحام/ تفسير سورة التّوبة/ ٢٥٥ .

(١٠) البقرة :١٠٦ .

(١١) ظ: حنان اللحام/ من هدي سورة البقرة/ ٢٢٧ .

٢ - وقد تشير إلى تعديل بعض الأوامر والتشّريعات التي كانت تتابع نمو الجماعة المسلمة وأحوالها المتطورة . فترقى بهم إلى الأفضل .

٣ - وقد تكون إشارة إلى نزول القرآن بتعديل بعض أحكام التّوراة مع تصديقه للأصول ومع الانتباه إلى أنّ الآية القرآنيّة لا تنسخ إلا بآية أخرى . وليس الامر متروكًا لتلاعب البشر.

وعلاوة على ما تقدّم قالت (ماجدة الفارس): وفي الاصطلاح: نقل المكلفين من حكمٍ مشروعٍ إلى حكمٍ آخر أو: إسقاطه[١] وفي موطن آخر أضافت على التّعريف بقولها: نقل المكلفين من حكم مشروع إلى حكمٍ آخر، ومن يقدح بالنّسخ يقدح في ملك الله وقدرته[٢]

ويمكن تلخيص ما جاء من تعريفات بأمور :

الاول: النّسخ : هو تبديل حكم آيةٍ أو إلغاءه أو إبطاله أو رفعه بدليل شرعيّ متأخر . وهذا ما يبدو من فكرة حول النّسخ عند (حنان اللحام) . وعند (ماجدة الفارس) ترى: النّسخ في دائرة النّقل الحكميّ كما مرّ وهذا البيان منحدر من معنى (النّسخ) اللغوي، زد على ذلك ما تقدّمت به (حنان اللحام) أيضًا مستلٌ من المعناه اللغوي .

الثّاني: أن النّسخ عند (حنان اللحام) : أنّ الآية القرآنيّة لا تنسخ إلا بآية أخرى. وترى (ماجدة الفارس) : ومن يقدح بالنّسخ يقدح في ملك الله وقدرته .

الثالث: ما جاءت به (حنان اللحام) من حد النّسخ : (رفع الحكم الشّرعي بدليل شرعيّ متأخّر) هذا تعريف ابن الحاجب على ما نصه (فرحات) في كتابه[٣] وهذا المعنى الاصطلاحي هو الذي استقر عليه الاصوليون والعلماء المتأخرين[٤]

ت - الفرق بين النّسخ والبداء :

ظهر عند (نائلة صبري) في تفسيرها بيانٌ للفرق بين (النّسخ والبداء) بقولها: جاء النّسخ جوابًا عن البداء الذي يدعيه اليهود الذي جعل النّسخ والبداء شيئًا واحدًا ، قال النّحاس في تفسير القرطبي الفرق بين النّسخ والبداء أنّ النّسخ تحويل العبادة من شيء إلى شيء قد كان حلالًا فحُرِّم أو كان حرامًا فحلل ، وأمّا البداء

---

(١) ظ: ماجدة الفارس/ التّوضيح والبيان في تفسير آي القرآن، ١/ ١٧٦ .

(٢) ظ: المصدر نفسه، ٤/ ٢٠١ .

(٣) ظ: فرحات/ في علوم القرآن عرض ونقد وتحقيق/ ١٦٠ .

(٤) ظ: المصدر نفسه/ ١٦٠ .

فهو ترك ما عزم عليه كقولك : امض إلى فلان اليوم ثمّ تقول : لا تمضي إليه فيبدو لك العدول عن القول الأول لنقصانهم، وكذلك إن قلت : كذا أنا أفعل في هذه السّنة ثم قلت : لا تفعل فهو البداء [١]

المطلب الثّاني: النّسخ في القرآن الكريم ووقته:

وفق تتبع البحث لتفسير بنت الشاطئ لم نلحظ عندها أيَّ إشارة لهذا الموضوع لا من قريبٍ ولا بعيد ،وأمّا (زينب الغزاليّ) : تقول بنسخ القرآن وذلك عن طريق تطبيقاتها ووقوفها على جملة من النّصوص التي ترى أنّها منسوخة على قلّتها وقد تقدّم الكلام في مجال التّطبيقات في قواعد التّفسير ولا حاجة لتكرارها.

و(حنان اللحام) تقول: لقد وردت في القرآن آيات فيها أحكام منسوخة كانت تناسب مرحلة معينة من حياة المجتمع المسلم.. هذه الآيات المرحليّة نسخت بعد ذلك حكمًا ولمن بقيت في القرآن لفظًا حتى ننتبه إلى ضرورة التّغيير والتّلاؤم مع الاحوال المتجددة وفي القرآن آيات تشرق كإشعاعات وتمثل تطورًا ونموًا سيحدث في المستقبل يمكن أن نقول عنها (مستقبليّة) مثل قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٠٨ ﴾ [٢] معنى ذلك سيأتي زمان يسود السّلم والدعوة إليه.. وعلى المجتمع المسلم حينها أن يترك آيات القتال ليطبق أمر الله في الدخول في السّلم [٣]

ولها في موطنٍ آخرٍ كلامٌ تقول: وإنّي لأعجب من جرأة من زعم بأنّ الآية الخامسة من سورة التوبة قد نسخت مائة وأربعًا وعشرين آية مما قبلها..!! كيف تأكد من زمن نزول كل آية؟ وهل يضمن أن يكون قد نزل بعدها ما يأمر به الله بالوفاء بالعقود والتعامل بالحسنى مع الآخر ..؟ والمعروف أنّ سورة المائدة من أواخر ما نزل من القرآن وتفتتح بقوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ ﴾[٤] إنّ دعوى النسخ هذه خطيرة لأنّها تطال روح الدين ومقاصده.. فإذا أضفنا إلى ذلك ما زعم بعضهم من نسخ عدد من آيات الأحكام. لارتفع عدد المنسوخ إلى مئتين وربّما أكثر فهل يقبل بذلك عاقل؟! [٥]

و(حنان اللحام) تذهب الى ما ذهب اليه الشّاطبي في الموافقات حيث أنّها لا تنكر النّسخ في القرآن تمامًا وإنّما تحجمه بالقليل المكيّ وذلك بقولها: وتحت عنوان(المنسوخ في الشريعة قليل) يقول - تقصد الشاطبي -: إنّ الشريعة مبنيّة على حفظ الضّروريات والحاجيّات والتّحسينات، وجميع ذلك لم ينسخ منه

---

(١) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن، ١ /١ / ٢٢٦ .

(٢) البقرة :٢٠٨ .

(٣) ظ: حنان اللحام/ تأملات في سورة المائدة/ ٣١ .

(٤) المائدة :١.

(٥) ظ: حنان اللحام/ تفسير سورة التّوبة/٢٥١ -٢٥٢ .

شيء، بل إنّما أتى بالمدينة ما يقويها ويحكمها ويحصنها، ..وإنّما يكون النّسخ في الجزئيات منها ، والجزئيات المكيّة قليلة [١]

وإذا ما التفتنا الى مدونة التّفسير لنائلة (نائلة صبري) يظهر أنّها تقول بوقوعه تقول: وقد وقع النّسخ في القرآن الكريم و أوّله في القبلة ، وقد نسخت القبلة من بيت المقدس إلى المسجد الحرام [٢] وفي موطن آخر آخر قالت: حقًا لقد وقع النّسخ في شريعتنا الاسلاميّة في زمن النبيّ (صلى اللّهُ عليه وآله) وقت نزول الوحي عليه [٣] وقالت أيضًا : إنّ اللّه سبحانه تعالى ما يبدلّ من آية أنزلها على سيّدنا محمّدٍ (صلى اللّهُ عليه وآله) بواسطة جبرئيل عليه السلام ولا يغير آية ولا بطل حكمها حتى يأتي بخير منها للعباد أو مثلها كما قال تعالى:﴿ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٢٩ ﴾ [٤] و اللّه سبحانه وتعالى يقدّر الخير على الخير وما هو خير منه وعلى مثله في الخير . إنّ القادر على كل شيء لا يتنكر عليه نسخ الاحكام لأنّها ما تتناولها قدرة اللّه سبحانه وتعالى أجلّ. إنّها قدرته سبحانه التي تمثل في التّعويض عمّا نسخ من أحكام وما غيّر من فرائض افترضها بما يعود خيرها على عباده المؤمنين واللّه يعلم إلى اي وقتٍ ينتهي أمرُه بالحكم الأول ويعلم نسخه بالثاني فالأحكام شرعت والآيات نزلت لمصالح العباد [٥].

وقد مرّ عليك في فصل قواعد التّفسير(الجمع بين الآيات النّاسخة والمنسوخة) تطبيقات عدةٍ وقفت عندها (نائلة صبري) وقالت بنسخها وقد نوقش منها في محله، وتُعدّ (نائلة صبري) من القائلين بالنّسخ بكثرة فلا تكاد تترك آية قيل بنسخها إلا وقد وقفت عندها .

أمّا (ماجدة الفارس) تقول بوقوعه في القرآن وقد قدّمت مفاصل الموضوع بشيء من التفصيل :من تعريف وأنواع وأقسام وحِكَمٍ كما سيُلحظ.

وقد يسأل سائل عن زمن وقوع النّسخ متى؟ فتجيبنا (نائلة صبري) عن ذلك أمّا وقت النّسخ : كان النّسخ في حياة النبيّ (صلى اللّهُ عليه وآله) فقط، ولا يجوز بعد وفاته؛ لأنّ النّسخ يكون بالوحي ولا وحي بعد رسول اللّه (صلى اللّهُ عليه وآله) ذلك لأنّ الناسخ يجب أن يكون بقوة المنسوخ ولا شيء في قوة الوحي إلا الوحي وقد انقطع بعد موته (صلى اللّهُ عليه وآله) لذا لا يجوز مطلقًا نسخ شيء من أحكام الشّريعة الاسلاميّة بعد وفاة رسول اللّه (صلى اللّهُ عليه وآله) [٦]

المطلب الثّالث : أنواع النّسخ:

---

(١) ظ: المصدر نفسه/ ٢٥٦ . مصادرها: الشّاطبي/ الموفقات، ٢/ ٩٧ .

(٢) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن، ١ /١ /٢٢٤ .

(٣) ظ: المصدر نفسه، ١ /١ /٢٢٥ .

(٤) الجاثية :٢٩ .

(٥) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن، ١ /١ /٢٢٧ .

(٦) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن، ١ /١ /٢٢٧ .

تطلعنا (نائلة صبري) على أنواع النّسخ وفق فكرتها يكون نسخًا(صريحاً أو ضمنيًّا) وقد مثلت لهما حيث ترى أنّ: النّسخ قد يكون صريحاً بأن ينص الشارع صراحةً على النّسخ ومثاله قول النبيّ(صلى اللّهُ عليه وآله) :(كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فإنّها تذكركم الآخرة) وقد يكون النّسخ ضمنيًا بمعنى أنّ الشارع لا ينص صراحةً على النّسخ ولكن يشرع حكمًا معارضًا لحكم سابق دون نصٍّ صريحٍ على نسخ الأول ولا يمكن الجمع بينهما فيكون تشريع الحكم اللاحق ناسخًا ضمنًا للحكم السّابق ومثال النسخ الضمنيّ:﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ ﴾ [1] فهذه الآية أفادت أنّ عدة المتوفى زوجها سنة كاملة وقد كان هذا الحكم أوّل الاسلام ثم ورد قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾ ﴾ [2] فهذه الآية دلّت على عدّة المتوفى عنها زوجها هي أربعة أشهر وعشرة أيام فتكون ناسخة ضمنًا لحكم الآية السّابقة لأنّها نزلت بعدها [3]

وترى (ماجدة الفارس) أنّ أنواع النّسخ هي [4] :

- النّسخ إلى بدل أخفّ : قال تعالى:﴿ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ [5] تحريم الوطء والأكل إذا صلّوا لعتمة أو ناموا ، نسخ إلى قوله تعالى:﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ﴾ [6].
- النّسخ إلى بدل مماثل، قال تعالى:﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ [7]، وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ ﴾ [8]
- النّسخ إلى بدلٍ أثقل، قال تعالى:﴿ فَإِن شَهِدُوا۟ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ ﴾ [9]نسخت لآية الجلد بقوله:﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ﴾ [10].

---

(١) البقرة :٢٤٠ .

(٢) البقرة :٢٣٤ .

(٣) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن، ١ /١ /٢٢٧ .

(٤) ظ: ماجدة الفارس/ التّوضيح والبيان في تفسير آي القرآن، ١/ ١٧٨ .

(٥) البقرة :١٨٣.

(٦) البقرة :١٨٧ .

(٧) البقرة : ١٤٤ .

(٨) النساء :١٥.

(٩) النساء :١٥.

(١٠) النور :٢.

وجملة القول: إنّ التّفاسير النسويّة ((زينب الغزاليّ) و(نائلة صبري) و(ماجدة الفارس)) تقول بوقوع النّسخ في القرآن الكريم وقد أخذ مساحة واسعة وكثرت شواهده عندهنّ؛ وذلك تأثرًا بمتقدمي العلماء والمفسرين القائلين به، ويقلّ وقوعه عند (حنان اللحام) -كما قرّته في آخر آرائها في تفسير سورة التّوبة -حتى يصل بها القول بوقوعه في آية واحدة كما ذكرنا ذلك في فصل قواعد التفسير مبحث قاعدة الجمع بين النّاسخ والمنسوخ .

المطلب الرّابع: أقسام النّسخ:

ترى (حنان اللحام) : وقد حدث أن نسخت آيات مع نصها. بينما بقيت آيات بنصّها ونسخ حكمها.. كالآيات التي تتحدث عن الخمر قبل التّحريم [١]

ترى (ماجدة الفارس) أن أقسام النّسخ [٢] :

- نسخ القرآن بالقرآن: كالإعتداد بالحول .
- نسخ القرآن بالسنّة: الوصية ، أجازه الفقهاء(مالك وأحمد وأبو حنيفة).
- نسخ السنّة بالقرآن: الوجه الى البيت المقدس كان ثابتًا بالسنّة، وأنزل الله ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾[٣]ووجوب صوم يوم عاشوراء كان ثابتًا بالسنّة ، ونسخ بقوله:﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾[٤].

إنّ هذا التّقسيم أحسبه طرقًا للنّسخ الجائز ويمكن أن تندرج تحت قسم (نسخ الحكم وبقاء التّلاوة)هذ من جهة، ومن جهة أخرى أنّ ما ذُكر من أمثلة من الآيات المنسوخة قد نوقشت في فصل قواعد التّفسير ضمن قاعدة الجمع بين النّاسخ والمنسوخ . لكن نشير لها بإيجاز :

الملحظ الأول على (نسخ القرآن بالقرآن): إنّ الحكم الثابت بالقرآن ينسخ بآية أخرى منه ناظرة إلى الحكم المنسوخ ، ومبينة لرفعه ، لا إشكال فيه، وقد مثلوا لذلك بآية النجوى ، أمّا غيرها فكثيرٌ من المفسرين لم يتأملوا حق التأمل في معاني الآيات الكريمة، والتزموا بالنسخ في هذه الموارد وما يشبهها، ومنشأ هذا قلة التدبر، أو التسامح في إطلاق لفظ النّسخ بمناسبة معناه اللغوي ، واستعماله في ذلك وإن كان شائعًا قبل تحقق المعنى المصطلح عليه، ولكن إطلاقه مبني على التّسامح لا محالة[٥] .

---

(١) ظ: حنان اللحام/ من هدي سورة البقرة/ ٢٢٧ .

(٢) ظ: ماجدة الفارس/ التّوضيح والبيان في تفسير آي القرآن، ١/ ١٧٧ .

(٣) البقرة : ١٤٤ .

(٤) البقرة :١٨٥ .

(٥) ظ: الخوئي/ البيان في تفسير القرآن/ ٢٨٧ .

الملحظ الثاني على (نسخ القرآن بالسنة): إن الحكم الثابت بالقرآن ينسخ بالسنة المتواترة ، أو بالإجماع القطعي الكاشف عن صدور النّسخ عن المعصوم عليه السلام وهذا القسم من النسخ لا إشكال فيه عقلًا ونقلًا، فإن ثبت في مورد فهو المتبع، وإلا فلا يلتزم بالنسخ ، وقد عرفت أن النسخ لا يثبت بخبر الواحد[1] .

الملحظ الثالث(نسخ السنّة بالقرآن): إن هذا النّسخ قال به قتادة ومن المفسرين القرطبي[2] وذكرته (ماجدة الفارس) أيضًا، ولا يخفى ما في هذا القول من الوهن والسقوط ، فإن قوله تعالى :﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾[3] . صريح في أن توجهه إلى بيت المقدس كان بأمر من الله تعالى لمصلحة كانت تقتضي ذلك ، ولم يكن لاختيار النبي (صلى اللّهُ عليه وآله) في ذلك دخل أصلا . والصحيح أن يقال في الآية إنها دالة على عدم اختصاص جهة خاصة بالله تعالى، فإنّه لا يحيط به مكان، فأينما توجه الانسان في صلاته ودعائه وجميع عباداته فقد توجه إلى الله تعالى[4]

وفي موضع آخر ذكرت (ماجدة الفارس) أيضًا من أقسام النّسخ[5] :

- نسخ الحكم والتّلاوة معًا .
- نسخ الحكم وبقاء التّلاوة .
- نسخ القرآن بالسنة ، وقد تساءلت في هذا القسم بقولها: هل تنسخ السنة القرآن .. وهل ثبت ذلك؟ أجابت : بنعم ، والدليل كما قال جمهور العلماء : آية الوصية :﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ ﴾[6] نسخت هذه الآية بحديث رسول الله (صلى اللّهُ عليه وآله) : (ألا لا وصية لوراث).

النّسخ في القرآن الكريم يُتصور على أقسام وقد مرّت التّفاسير النّسويّة عليها مرور الكرام دونما تلحظ عليها بشيء؛ لما فيها من أقسامٍ مقبولةٍ أو مرفوضة من أن يكون في القرآن قد تضمنها، وهذا ما سنعرضه من نقدٍ عليها وتحقيق وفق آراء علماءنا الأعلام ، وقبل ذلك جدير بالذكر أنّ ما جاء من تقسيم عند (حنان اللحام) يشترك مع ما جاء عند (ماجدة الفارس)، وجاءت هي الأخيرة بتقسيم النّسخ للقرآن على صورتين –كما يبدو للبحث -هما: الأولى : بلحاظ الطريق وهو نسخ القرآن بطريق القرآن، أو نسخه بطريق السّنّة، أو نسخ السّنة بطريق القرآن. ، والثّانية : بلحاظ النّص والحكم .

والتّقسيم بالصورة الأولى فيها :

---

(١) المصدر نفسه / ٢٨٦ .

(٢)ظ: الخوئي/ البيان في تفسير القرآن/ ٢٩١ . و ظ: مصادره : تفسير القرطبي، ٢/٧٤.

(٣) البقرة : ١٤٣.

(٤) ظ: الخوئي/ البيان في تفسير القرآن/ ٢٩٢ .

(٥) ظ: ماجدة الفارس/ التّوضيح والبيان في تفسير آي القرآن، ١/ ١٧٨ ١٧٩.

(٦) البقرة :١٨٠ .

-نسخ القرآن بالقرآن : قالوا :إنّ الحكم الثّابت بالقرآن الكريم ينسخ بآية أخرى منه ناظرة إلى الحكم المنسوخ ، ومبيّنة لرفعه، هذا القسم من النّسخ أجمع القائلون بالنّسخ في جوازه ووقوعه [١] ولا إشكال فيه كنسخ آية النّجوى كما مثلوا بها كما عبّر السّيد الخوئي [٢]

-ونسخ القرآن بالسنّة: جواز نسخ القرآن الكريم بالسنّة مختلف فيه [٣] إنّ الحكم الثّابت بالقرآن ينسخ بالسّنة المتواترة، وهذا القسم من النّسخ لا إشكال فيه عقلًا ونقلًا، فإن ثبت في مورد فهو المتّبع ، وإلا فلا يلتزم بالنّسخ، و النّسخ لا يثبت بخبر الواحد [٤] وفي الواقع لم يثبت .

-نسخ السنّة بالقرآن : وهذا النّوع مختلف فيه أيضًا فمنهم من جوزه ومنهم من منع، ومن قال بجوازه هم الجمهور [٥]

أمّا التّقسيم في الصّورة الثّانية فيه :

-نسخ الحكم والتّلاوة معًا: هذا القسم صرّحت به (ماجدة الفارس)، وأشارت إليه (حنان اللحام) بقولها : (وقد حدث أن نسخت آيات مع نصها)، هذا القسم قال به السيوطي [٦] وتبعه من المحدثين الزُّرقانيّ إذ يقول: فقد أجمع عليه القائلون بالنّسخ من المسلمين ويدلّ على وقوعه سمعًا ما ورد عن عائشة في مسألة الرّضعات [٧] وفي الواقع أنّ هذا النّوع من النّسخ مرفوض في مدرسة أهل البيت عليهم السلام يقول: هذا القسم من النّسخ يعني أن تسقط من القرآن آية كانت ذات حكم تشريعي، وكان المسلمون يتداولونها ويقرؤونها ويتعاطون حكمها، ثم نسخت وبطل حكمها ومحيت من صفحة الوجود، هذا النوع من النسخ مرفوض عندنا، ويتحاشاه الكتاب العزيز ، الذي﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾

---

(١) ظ: ابن الجوزي/ نواسخ القرآن/ ١٣٩ . الكرمي/ قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن/ ٣٤. الزرقانيّ/ مناهل العرفان في علوم القرآن، ٢/٢٣٧ .

(٢) ظ: الخوئي/ البيان في تفسير القرآن/ ٢٨٦ .

(٣) ظ: ابن الجوزي/ نواسخ القرآن/ ٢١ . الكرمي/ قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن/ ٣٢. الزرقانيّ/ مناهل العرفان في علوم القرآن، ٢/٢٣٦ .

(٤) ظ: الخوئي/ البيان في تفسير القرآن/ ٢٨٦ .

(٥) ظ: الجصاص / أحكام القرآن، ١/١٠٤. السيوطي/ الإتقان في علوم القرآن، ٣/٦٨ ، الكرمي/ قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن، ٣٣ . صبحي الصالح/ مباحث في علوم القرآن/ ٢٦١ . بكر اسماعيل/ دراسات في علوم القرآن/ ٢٨٦ .

(٦) ظ: السيوطي/ الإتقان في علوم القرآن، ٣/٧٠ .

(٧) ظ: الزّرقاني/ مناهل العرفان في علوم القرآن، ٢/٢١٤ .

[1]وهذا شيء غريب ، كيف يلتزم به من لا يرى التحريف في القرآن! إذ يرجع اثبات هذا النوع من النّسخ إلى القول بالتّحريف [2]

-نسخ الحكم وبقاء التّلاوة .صرّحت به أيضًا (ماجدة الفارس) وأشارت إليه (حنان اللحام). وهذا القسم هو المشهور بين العلماء والمفسّرين [3] .وقد أشرنا اليه في الملحظ الأول وبان النّظر فيه .

المطلب الخامس: حكمة النّسخ .

يرى المفسّرون في ورود النّسخ في القرآن الكريم، تكمن حكمٌ وأسرارٌ كانت وراء ذلك وقد أشارت التّفاسير النسويّة إلى بعضٍ منها:

ذكرت (نائلة صبري) في هذا الصّدد : الحكمة منه مراعاة مصالح النّاس ذلك أنّ الهدف من تشريع الأحكام هو تحقيق مصالح العباد فإذا ما اقتضت المصلحة تبديل هذا الحكم .. كان هذا تبديل يتفق مع التّشريع كما أنّ النّسخ يتفق والأصل المقرّر في الشّريعة وهو التّدرج في تشريع الأحكام رعاية لمصالح النّاس [4]

ذكرت (ماجدة الفارس) جملة من الحكم التي تتجلّى من ورود النّسخ في الكتاب العزيز [5] :

- مراعاة مصالح العباد : الإتيان بما هو خيرٌ للعباد وأصلح لهم في أمور الدنيا والدين ،وقد عرضت جملة من الأمثلة لهذه الحكمة منها: نسخ صوم يوم عاشوراء بصوم شهر رمضان، عدة المتوفى زوجها من الحول الكامل إلى أربعة أشهر عشر ، ونسخ القبلة بعد أن كانت البيت المقدس أصبحت المسجد الحرام .
- تطور التّشريع الى مرتبة الكمال .
- ابتلاء المكلف واختياره بالامتثال وعدمه .

على وفق مباني التّفاسير النّسويّة ومدرستها التّفسيريّة تتمخض جملة من الحكم والأسرار من وقوع النسخ في القرآن الكريم كما سبق ذكرها وجملة المصاديق من الشواهد القرآنيّة التي سيقت ، وبالجملة هي مسألة مختلف فيها بين المدارس لا سيما مدرسة أهل البيت عليهم السلام وعلمائها لا ترى كما يرون وقد تبيّن بعض ملامح المسألة بما مرّ في هذا المبحث ،

---

(١) فصلت : ٤٢.

(٢) ظ: معرفة/ التّمهيد في علوم القرآن، ٢/٢٨٣ .

(٣) ظ: الخوئي/ البيان في تفسير القرآن/ ٢٨٦ .

(٤) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن، ١ /١ /٢٢٦ .

(٥) ظ: ماجدة الفارس/ التّوضيح والبيان في تفسير آي القرآن، ١/ ١٧٧ - ١٧٨.

المبحثُ الرّابع: النَّقدُ في مجال (إعجــاز القرآن)

توطئة :

لا يكاد يختلف اثنان في ما للقرآن الكريم من تحدّ وإعجاز بوجوه متعدّدة لا سيما اللغوي منها والبلاغيّ والعلميّ ، بيد أنّ المستهدف الأوّل من المجتمع المتقدّم -الذي أعجزه آنذاك - ذو علاقة وطيدة بهذا الجانب فضلًا عن المجتمع المتأخّر، ومن هنا كان ديدن المفسّرين أن يقفوا على جملة من الآيات التي رأوا فيها جانب التّحدي فقوفوا على الإعجاز وكتبوا وصنفوا الكثير والكثير، وكأحد مباحث علوم

القرآن، فتظهر لنا بعد تتبع البحث لهاته التفاسير النّسويّة جهود لا يصح غضّ الطرف عنها فحمل البحث على لملمتها وتقديمها ومناقشتها إن تطلَّب ذلك، وعرضها في هذا المبحث بعدّةٍ من المطالب وهي :

المطلب الأول: إعجاز القرآن في التّفاسير النّسويّة:

قد شغل بنت الشّاطئ الإعجاز من دون أن تتجه إليه قصدًا ففي أثناء انشغالها بالتّفسير البيانيّ والدّراسات القرآنيّة تجلّى لها من أسراره الباهرة [١] حيث تقول: "وقفت مبهورة أمام جلال هذا النّص المحكم، وعدت أتلو من معجز آياته ما أدركت معه لماذا أعيا العرب - وهم أصحاب الفنّ القولي، واللغة طوع لسانهم - أن يأتوا بسورة من مثله، فآمنوا بنبوة محمد (صلى الله عليه [وآله] وسلم). لما تلا فيهم آيات القرآن معجزة نبوته وآية رسالته، وإنّه لبشر مثلهم، يأكل الطعام ويمشي في الأسواق"[٢] وقد سعت بنت الشاطئ في تفسيرها تحقيق إعجازه القرآني البلاغي البيانيّ تقول: "وأمضيت سنين عاكفة على تدبر أسراره، ولمح إعجازه البيانيّ"[٣]

قالوا عن تفسيرها في بحثٍ تحت عنوان (من الإعجاز البيانيّ الى التّفسير البيانيّ) في أحد البحوث : صار الدرس الإعجازي كله مقدمة لتفسير القرآن الكريم تفسيرًا بيانيًا ، وهو ما تطلعت إليه تجربتان رائدتان هما تجربة الدكتورة بنت الشاطئ في كتابها(التّفسير البيانيّ للقرآن الكريم) والدكتور فاضل صالح السّامرائي في كتابه(على طريق التّفسير البياني)[٤] حيث قام التّفسير البيانيّ لبنت الشّاطئ على أربع خطوات :

١ - التّناول الموضوعي لما يراد فهمه .

٢ - فهم ما حول النّص (ترتيب النّزول، وأسبابه..)

٣ - فهم دلالات الألفاظ اللغوية ثم القرآنية بالاستعانة بالسّياق.

٤ - فهم أسرار التّعبير بالاحتكام إلى سياق النّص .

وترى (زينب الغزاليّ) في إعجاز القرآن أنه معجز في : " حسن صياغته وسبكه وبيانه وعلى نظم بلاغته ودقته وفصاحته وإحكامه وإتقانه" [٥]

و(حنان اللحام) تطلعنا على تعريف المعجزة : هي حادثة تحدث بغير الأسباب المعروفة يؤيد الله بها أنبياءه.. وقد أعطي كل نبيّ معجزات تناسب قومه وعصره.. وامّا معجزة محمّد(صلى اللّهُ عليه وآله) فكانت هي القرآن.، وذلك أنّ البشريّة قد ارتقت وبلغت سن الرّشد . ولا بد لخاتم الأنبياء أن تكون

---

(١) ظ: العزاوي/ المنهج البياني في تفسير القرآن الكريم في العصر الحديث/ ١٨٥ .

(٢) بنت الشّاطئ /التّفسير البيانيّ للقرآن الكريم، ١٥/١ .

(٣) المصدر نفسه ، ١٩/١ .

(٤) ظ: رزوق، د. الحسين/ جهود الأمة في الإعجاز البيانيّ قراءة في المسار والمآل، ١٢٠٨ .

(٥) ظ: زينب الغزاليّ/ نظرات في كتاب الله، ١/ ٦٢٥ .

معجزته خالدة لا تنتهي بوفاته ، إنّ الذي حمل النّاس على الإيمان به (صلى اللّهُ عليه وآله) هو القرآن مع ما له من معاجز كثيرة[١] وقالت: لقد كانت المعجزات تأتي مع الأنبياء. بحسب الفنّ الذي مهرت به كلّ أمّة.. فكانت عصا موسى لقوم شاع فيهم السّحر.. وإبراء الأكمه والأبرص و.. مع عيسى لقومٍ شاع فيهم الطب.. وكان القرآن لقوم برعوا في البلاغة والأدب في عصر محمّدٍ(صلى اللّهُ عليه وآله) . وللبشريّة كلها إلى يوم الدين.. وهي ترتقي في العلم والرشد .. وتزداد رؤية لآيات الآفاق والأنفس [٢]

وفيما تقدّم يمكن القول :

- كان قصد بنت الشّاطئ من تفسيرها بيان الوجه الاعجازي القائم على أساس البلاغة والبيان ولم يكن كما ذهب إليه (العزاوي) من أنّ التّفسير جرّها الى جو الاعجاز وتلمس أسراره وقد بدا واضحًا من رشفات تعبيرها عنه بالنّصوص التي عُرضت .
- (زينب الغزاليّ) ذكرت ما للقرآن من إعجاز كامن في لفظه ومعناه وجمال نظمه وفصاحته وبلاغته .
- (حنان اللحام) أشارت الى تعريف المعجزة وذكرت لها من قيودها(أنّها تأتي على غير الأسباب المعروفة وأنّها بتأييد اللّه تعالى) صحّ ذلك. لكن هناك قيود أخرى تعطي التّعريف أكثر جامعية ومانعية . فلو كان حدّ المعجزة على غرار ما قاله (الخوئي) لكان أنجع إذ يقول : "أن يأتي المدعي لمنصب من المناصب الإلهية بما يخرق نواميس الطبيعة ويعجز عنه غيره شاهدًا على صدق دعواه" [٣] ثمّ أن المفسرة أشارت الى تنوع معاجز الانبياء وجاء ذلك وفق ما شهده المجتمع آنذاك ببراعة وفنٍّ . فكانت معجزة النبيّ محمّد(صلى اللّهُ عليه وآله) القرآن الكريم في عصره لقوم برعوا في البلاغة والأدب ، وللبشريّة أجمع إلى يوم القيامة بالعلم انطلاقًا من آيات الأنفس والآفاق .

المطلب الثّاني: وجوه الإعجاز القرآنيّ :

تكشف لنا التّفاسير النّسويّة جملةً من وجوه إعجاز القرآن الكريم يجدر عرضها بعدّة جوانب منها (البلاغيّة والعلميّة والقيميّة)ننتقي من كل جانب نموذجًا ينسجم والمطلب دون تطويل وإسهاب وهي :

ث - إعجاز القرآن البلاغيّ البيانيّ :

الوجه البلاغي البياني: قالت بنت الشاطئ: "وما أعرضه هنا، ليس إلا محاولة في هذا التّفسير البياني للمعجزة الخالدة، حرصت فيها - ما استطعت - على أن أخلص لفهم النص القرآني فهمًا مستشفًا روح العربية ومزاجها، مستأنسة في كل لفظ، بل في كل حركة ونبرة، بأسلوب القرآن نفسه، ومحتكمة

---

(١) ظ: حنان اللحام/ تأمّلات من سورة المائدة/ ١٨٥ .

(٢) ظ: حنان اللحام/ من هدي سورة البقرة، ٧٥ .

(٣) الخوئي / البيان في تفسير القرآن، ٣٣ .

إليه وحده، عندما يشتجر الخلاف، على هدى التتبع الدقيق لمعجم ألفاظه، والتّدبر الواعي لدلالة سياقه، والإصغاء المتأمّل، إلى إيحاء التّعبير في البيان المعجز"[١]

ومثّلت لذلك : الاستعمال القرآني الذي لم يجئ بالمقابر هنا لمجرد المشاكلة اللفظية والرنين الصوتي، وإنّما هي الملاءمة المعنوية أيضًا بين التّكاثر والمقابر بما فيهما من سعة وشمول وعموم، وهو الإعجاز البياني يوجز رحلة الدنيا وعبرة الموت ونذر المصير، في أربع كلمات فحسب، تفجأ اللاهين في نشوة الدنيا، بصدمة﴿ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ ﴾ [٢] ليس بينها وبين﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ ﴾ [٣] إلا (حتى)، أداة غاية[٤]

وأشارت الى هذا الوجه أيضًا (زينب الغزاليّ) في قول الله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾ [٥] قالت: يأمر الله تعالى عباده المؤمنين بالدخول في جميع شرائع الإيمان وشعبه وأركانه ودعائمه، وهذ ليس من تحصيل الحاصل، بل من باب تكميل الكامل وتقريره وتثبيته والإستمرار عليه . الجميل في هذه الآية أنّ النداء للذين آمنوا، ومضمون النداء هو الأمر بالإيمان ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ ﴾كيف نأمر الذين آمنوا بأن نقول لهم آمنوا في الوقت نفسه؟! وهذا من الإعجاز البيانيّ في القرآن[٦]

والمتأمّل في النص يلحظ لمسات بيانيّة أخر منها : إنّ التّكرار في﴿ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ ﴾ فيه نوع من التّوكيد ولفت الانتباه ، وقد جاء في قوله ﴿ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ ﴾ (ال) الجنسيّة تفيدد الاستغراق أي: كل كتاب أنزل قبل نزول القرآن الكريم ،استعمل مع القرآن : ﴿ نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ﴾ ومع الكتب الأخرى ﴿ أَنزَلَ ﴾ .

تقول (حنان اللحام) في قوله تعالى:﴿ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ ﴾ [٧]يرد على المشركين بأنّ النّبيّ شاعر والقرآن شعر .. وما كان المشركون ليخفى عليهم إعجاز القرآن، وقد

---

(١) بنت الشاطئ/ التّفسير البيانيّ للقرآن الكريم، ١٧/١ .

(٢) التكاثر : ٢.

(٣) التكاثر :١.

(٤) ظ: بنت الشاطئ/ التّفسير البيانيّ للقرآن الكريم، ٢٠١/١ .

(٥) النساء:١٣٦ .

(٦) ظ: زينب الغزاليّ/ نظرات في كتاب الله، ٣٤٥/١ .

(٧) يس :٦٩ .

كانوا سادة البلاغة وملوك البيان شعرًا ونثرًا . (ألم يصرح بعض سادتهم عن إعجابهم بهذا القرآن من مثل عتبة بن ربيعة -أبو الوليد - حين انطلق إلى محمّدٍ (صلى اللّهُ عليه وآله) يعرض عليه المال والجاه و.. مقابل أن يتخلى عن دعوته. فقرأ رسول الله (صلى اللّهُ عليه وآله) من سورة (فصلت) .. فرجع أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به، فقالوا له: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: ورائي أنني سمعت قولًا والله ما سمعت مثله قط. والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة. يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي وخَلّوا بين هذا الرّجل وبين ما فيه فاعتزلوه ، فو الله ليكوننّ لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم [1]

و(نائلة صبري) ذكرت أيضًا هذا الوجه في قوله تعالى:﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [2] قالت: إذا كنتم أيّها الناس في شك وارتياب من صدق هذا القرآن، الذي أوحينا إلى عبدنا ورسولنا محمّد (صلى اللّهُ عليه وآله) فأتوا بسورة واحدة من مثل هذا القرآن في البلاغة والفصاحة والبيان، وادعوا من استطعتم من انصاركم واعوانكم الذين يساعدونكم في معارضة القرآن . فهل تستطيعون أن تأتوا بمثله؟ ففي هذه الآية الكريمة تظهر الحجة على نبوة محمّد (عليه الصلاة والسلام) واثباتها وتبرز ظاهرة التّحدي بقوله تعالى:﴿ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ﴾ [3]

حريٌ بنا الوقوف على ما سطّرته المفسّرات بهذا الصّدد: إنّ ما جاء من بيان لهنّ لم يكن ملفتًا للنّظر، فما ذكرنه جاءت في بيانه الدّراسات والمصنّفات الكثيرة من قبل المتقدمين والمتأخرين قبلهنّ ، والسّبب يعود إلى أنّ غاية التّفسير لم تكن لهذا الغرض كما كان لبنت الشاطئ إذ كان همّها بيان هذا الوجه بحسها المرهف لكشف تلكم الدلالات البلاغيّة الحسيّة وتوظيفها في بيان المراد. وكان همّ الباقيات يختلف بطبيعة الحال، ولا غرو أنّ بنت الشاطئ تسيّدت هذا المجال في تفسيرها الموسوم به .

ج - إعجاز القرآن العلميّ :

نلحظ للمفسّرات توجهًا ملحوظًا متفاوتًا في بيان هذا الوجه فبنت الشاطئ بعيدة عن هذا المضمون إذ أنّها تقف بالضّد منه والسّبب في ذلك :

- كون منهجها الذي اتبعته بعيدًا عن الملحظ العلميّ في التّفسير .
- اختيارها للسور المفسَّرة كان في معزل عن السّور والآيات التي أشارت إلى الظواهر العلميّة والممكن تفسيرها بهذا النحو .

---

(١) ظ: حنان اللحام/ أضواء على سورة يس، ٨٤ .

(٢) البقرة :٢٣ .

(٣) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن، ١/ ١/ ٨٨ -٨٩ .

أمّا موقفها: لم نلحظ له أثرًا في تفسيرها البيانيّ وبعد مراجعة مدوناتها تقول : ولا أعرض هنا للذين خاضوا حديثًا فيما سموه (الإعجاز العلمي) وتأوّلوا فيه آيات قرآنية في اختراع الذَّرة وسفن الفضاء وقانون الجاذبية ودوران الأرض وهندسة السدود، وغير ذلك مما لم يخطر على بال أي عربي في عصر المبعث وصدر الإسلام ...[1] وفي موطن آخر تقول : لا أحد يحجر على أي إنسان أن يفهم القرآن كما يشاء، ولكن المحنة أن يؤلَّف فيه من ليسوا من أهل الاختصاص، وتروج في البيئة الإسلامية أقاويل وتأويلات مقحمة على القرآن نصًا وروحًا، لا يعرف لها العلماء في القرآن، سندًا ولا دليلًا، وإنّما تستند إلى ملتقطات من معارف المحدثين، في التشريح وعلم الأجنة ورياضيات الفلك وبيولوجيا القمر.. والتكنولوجيا [2]

أمّا (زينب الغزاليّ) لها إشارات موجزة جاءت في بيان بعض النّصوص القرآنيّة منها : تقول: حرم علينا (لحم الخنزير) وكل متعلقاته، وقد اثبت البحث العلمي الحديث مدى خباثة لحم الخنزير [3] وغيرها [4]

وعولّت (حنان اللحام) كثيرًا على الوجه العلمي في تفسيرها تقول: لقد حمل القرآن إعجازًا فوق مستوى معاصري الرسول محمد(صلى اللّهُ عليه وآله) وهو الإعجاز العلميّ :﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [5] وقد أدرك الناس بعض جوانب هذا التّحدي القرآني.. في التنظيم الإجتماعي والاقتصادي والنّفسيّ.. وحتى في تحقيق السلامة والوقاية للجسم الإنسانيّ. أنّ القرآن هو المعجزة الباقية، بينما اندثرت معجزات الأنبياء والذي خاطب العقل ولم يحاول قهره.. وهذا ما يتناسب مع رقي البشر وتقدّمهم في العلم والفكر. ولهذا رجاء النّبيّ محمد(صلى اللّهُ عليه وآله) أن يكون أكثر الأنبياء أتباعًا يوم القيامة، إنّه الكتاب الذي يفقد طلاوته وحلاوته.. يتحدث عن العلوم فلا يصيبه جفافها [6] وفي قوله تعالى:﴿ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾[7] قالت: الذين يشهدون لكم بأنّكم جئتم بمثله .. وهذا تدريب للناس على الموقف العلمي إذ أنّه [8] :

١ - لا يجوز لك أن تنكر شيئًا بدون دليل .

٢ - لا بد أن ترجع لأصحاب الاختصاص وتطلب شهاداتهم ورأيهم في الموضوع. فإن شهدوا بأن دليلك صحيح عندها يمكن قبوله.

---

(١) ظ: بنت الشاطئ ، الإعجاز البيانيّ للقرآن ومسائل ابن الأزرق :٩٦ .

(٢) ظ: المصدر نفسه: ٩٧ .

(٣) ظ: زينب الغزاليّ، نظرات في كتاب الله: ١/ ٣٦٢ .

(٤) المصدر نفسه: ٦٩٦/١ ، ١/ ٦٨١ -٦٨٢ .

(٥) فصلت :٥٣ .

(٦) ظ: حنان اللحام/ من هدي سورة البقرة، ٧٥ .

(٧) البقرة :٢٣ .

(٨) ظ: حنان اللحام/ من هدي سورة البقرة، ٧٦ .

وفي تفسيرها لسورة ال عمران تقول: فكانت معجزة القرآن هي تصديق العلم له.. وكلما ازداد العلم كلّما قدّم شهادة أكبر للقرآن [1] وفي سورة البقرة عند قوله تعالى: ﴿ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ ﴾ [2] قالت : أنّ المعجزات الماديّة كانت أدلّة البشريّة في عصر طفولتها بينما اختلف الدّليل في عصر محمّدٍ (صلى اللّهُ عليه وآله) فأصبح علميًّا ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [3] .﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [4] وقد حدّثهم القرآن عن النّشأة الأولى ومراحل الجنين ﴿ فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [5] وقد رأى النّاس بالعلم ذلك كلّه وعرفوا أنّ أول نسيجٍ يتكوّن في الجنين هو العظمي [6] وهكذا تعوّل (حنان اللحام) في تفسيرها الآيات لتبرز الشأن العلمي فيه حتى قالت: إنّ البشرية البشرية لما بدأت في طور الرشد والنضج ختم اللّه الرسالات السماوية بكتاب علميّ تحدى به الناس.. وكلما ارتقت البشريّة أكثر ازدادت الحاجة إلى التّحدث للنّاس بأسلوب العلم [7]

ح - إعجاز القرآن النُّظُمي:

هذه التسميّة أشارت إليها (حنان اللحام) كما سيأتي، وهو الذي يعبّر عنه العلماء (اعجاز القرآن التّشريعيّ) ، لا شك أنّ القرآن كان يستهدف الإنسان إصلاحًا لأمره وتزكيةً لنفسه فتضمن من النّظم القيمية العلية الجمّة حيث دعا إليها وحثّ عليها بكثرة ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ ﴾ [8] .

إنّ ما كانت عليه الأمم قبل الاسلام من الجهل، وما وصلت إليه من الانحطاط في معارفهم وأخلاقهم . فكانت الهمجية سائدة فيهم، والغارات متواصلة فيما بينهم، والقلوب متجهة إلى النهب والغنيمة، والخطى مسرعة إلى إصلاء نيران الحروب والمعارك. وكان للعرب القسم الوافر من خرافات العقيدة، ووحشية

---

(١) ظ: حنان اللحام/ من هدي سورة آل عمران، ٧٠ .

(٢) البقرة :٢٥٩ .

(٣) يس :٥٩ .

(٤) الاعراف:٢٩ .

(٥) المؤمنون :١٤.

(٦) ظ: حنان اللحام/ من هدي سورة البقرة، ٥٣٧ .

(٧) ظ: المصدر نفسه / ٥٠٧ -٥٠٨ .

(٨) الاسراء :٩ .

السّلوك، فلا دين يجمعهم ، ولا نظام يربطهم وعادات الآباء تذهب بهم يمينا وشمالا ، وكان الوثنيون في بلاد العرب هم السواد الأعظم فكانت لهم آلهة يعبدونها ويتخذونها شفعاء إلى الله، .. هذه بعض عادات العرب في جاهليتهم . وحين بزغ نور محمّد (صلى اللّهُ عليه وآله) وأشرقت شمس الاسلام في مكة، تنوروا بالمعارف، وتخلقوا بمكارم الأخلاق ،فاستبدلوا الوثنية بالتوحيد، والجهل بالعلم، والرذائل بالفضائل، والشقاق والتخالف بالإخاء والتآلف، فأصبحوا أمة وثيقة العرى مدت جناح ملكها على العالم ، ورفعت أعلام الحضارة في أقطار الأرض وأرجائها [١]

وفي هذا المضمون ذكرت (حنان اللحام) إعجاز القرآن في هاته الناحية حيث ترى: وكانت معجزته في هذا النظام الذي وضعه لحياة الإنسان على الأرض (الإسلام)، والذي تحدّى به محمّد(صلى اللّهُ عليه وآله) معاصريه والذين يأتون من بعده :﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [٢] هاتوا كتابًا يتضمن نظامًا أصلح لسعادة الإنسان في الدنيا . ولئن ذهبت المعجزات الأولى بذهاب بذهاب الأنبياء .. فإنّ معجزة محمّدٍ (صلى اللّهُ عليه وآله) باقية وفي متناول كل من يتبع محمدًا(صلى اللّهُ عليه وآله) وهي هذا القرآن الذي صنع به محمّد (صلى اللّهُ عليه وآله)مجتمعًا ربّانيًا .. وكل مسلمٍ يستطيع أن يحرّك بالقرآن الأمّة ويصنعها من جديد [٣] وقد أشارت أيضًا في طليعة تفسيرها لسورة البقرة إلى وجوه وجوه الإعجاز القرآني كأدلةٍ أثبتت المفسرة أن القرآن من عند الله تعالى وممّا لا شكّ ولا ريب فيه ومن تلك الأدلة [٤] :

١ - أنّهم عجزوا عن أن يأتوا بمثله فهو الكتاب الذي حوى الإعجاز في كل الجوانب دون تناقض أو اختلاف:﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [٥] .

٢ - اللفتات العلميّة الموجود فيه والتي لم تكن معروفة في الماضي وكشفها العلم الحديث كقوله تعالى: ﴿ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [٦]الذي يقرر فيه قاعدة الزوجيّة التي بنى عليها الكون .

---

(١) ظ: الخوئي/ البيان في تفسير القرآن/ ٥٨ -٥٩ .

(٢) القصص:٤٩ .

(٣) ظ: حنان اللحام/ من هدي سورة آل عمران/ ٦٨ .

(٤) ظ: حنان اللحام: من هدي سورة البقرة/ ٢٣ .

(٥) النساء :٨٢.

(٦) الذريات :٤٩ .

٣ - حديث القرآن عن الأمم الماضية :﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [1] حيث لم يمارسوا دراسة التاريخ، وإنّ مزيدًا من دراسة الآثار والتاريخ يقدم شهادة أو ضح للقرآن في هذا المجال .

٤ - حديثه عن المستقبل : كقوله تعالى عن المشركين﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [2]وقد حدث هذا في معركة بدر وغيرها .. بينما الآية مكيّة . وكقوله تعالى:﴿ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [3]

المطلب الثّالث : التّحدي في القرآن الكريم :

أشارت بنت الشّاطئ اسلوب (الوعيد) في استدراج القوم إلى وقت التّحديّ بالمعاجزة في قوله تعالى:﴿ فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [4] والذي نطمئن إليه - والله أعلم - هو أن يكون استدراجهم إلى ما يأتي من التحدي بالمعاجزة، تلزمهم بها الحجة على إعجاز القرآن، بعد أن أملى لهم فقالوا فيه ما وسعهم أن يقولوه. ونستأنس لهذا الفهم بآيات قوله تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ ۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ ﴾ [5] [6]

و(زينب الغزاليّ) ذكرت في بيان قول الله تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [7]قالت: والله سبحانه وتعالى يتحدى الذين يشكّون ويشككّون في رسالة محمّد (صلى اللّهُ عليه وآله) يتحداهم إلى يومنا هذا، هذا وإلى أن تقوم الساعة: أن تأتوا بمثل هذا القرآن .. ولو بسورة ... ولو بأية؟ . وهذا إنذار من الله –سبحانه= للعباد، فليس أمامهم إلا أن يسلموا.. ويسلموا لله ربّ العالمين، وإلا فالنّار التي أعدت للكافرين [8] وفي موطن آخر قال

---

(١) هود :٤٩ .

(٢) القمر :٤٥ .

(٣) الروم:٢ -٣.

(٤) القلم :٤٤ -٤٧ .

(٥) الاعراف: ١٨٢ -١٨٤.

(٦) ظ: بنت الشّاطئ/ التّفسير البيانيّ للقرآن الكريم/ ٢/ ٧٠ .

(٧) البقرة :٢٣ .

(٨) ظ: زينب الغزاليّ: نظرات في كتاب الله، ١/ ٣٢ .

تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَـٰذَآ ۙ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ ﴾[1] قالت: إخبار عن كفار قريش الذين كانوا يزعمون قدرتهم على أن يأتوا بمثل هذا القرآن حتى إنّ القرآن تحداهم في ذلك ولو بإتيانهم آية واحدة ولكنّهم عجزوا[2] وجمعت بين آيات التحدي في هذا الموطن قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾[3] قالت: هذا بيان لإعجاز القرآن، لأنه لا يستطيع أحدٌ من البشر أن يأتي بسورة أو آية واحدة من مثله. ومستحيل أن يؤتى بها القرآن من عند غير الله ، والذين يقولون إنّ محمّدًا قد افتراه، فحجتنا عليهم بيّنة، فليأتوا بسورة من مثله إن استطاعوا وإن كانوا صادقين، إنّهم لن يستطيعوا ذلك ولو اجتمعوا له. إنّه كتاب مقدّس من عند الله جاء مصدّقًا لمحمّدٍ ومهيمنًا على الكتب السابقة .﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾[4] فالحق سبحانه تحداهم في ذلك الأمر في على ضروب ثلاثة: طلبه –سبحانه وتعالى - منهم أن يعارضوا هذا القرآن كله بنظيره من عندهم، ردًا على قولهم إنّ هذا القرآن من عند محمّد. ثمّ طلبه –سبحانه وتعالى - منهم أن يأتوا بعشر سور منه، كما نرى ذلك في سورة هود ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَـٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ ﴾[5] ثمّ طلبه سبحانه وتعالى منهم في هذه السّورة أن يأتوا بسورة واحدة من هذا القرآن، وهذا إمعانٌ في التّحدي وإعجاز من الله[6]

وذكرت (حنان اللحام) مراحل التّحدي في قوله تعالى:﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾[7] قالت : يتحداهم بآيات الكتاب بعد أن تحداهم بآيات الكون. وهذه الآية مدنيّة وقد سبقتها آيات مكيّات في هذا التحدي .. وعلى ثلاث مراحل: قال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ

---

(١) الأنفال :٣١.

(٢) ظ: زينب الغزاليّ: نظرات في كتاب الله، ١/ ٥٣٦ .

(٣) يونس: ٣٧ -٣٨ .

(٤) الاسراء :٨٨ .

(٥) هود :١٣ .

(٦) ظ/ زينب الغزاليّ/ نظرات في كتاب الله/ ١/ ٦٠٤ -٦٠٥ .

(٧) البقرة :٢٣.

ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [1] وقال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [2] وقال تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [3] فتحداهم أن يأتوا بمثله .. ثم أن يأتوا بعشر سور مثله .. ثم بسورة مثله [4]

ذكرت (نائلة صبري) سورًا تحدثت عن التّحدي الذي تحداهم به رسول الله (صلى اللّهُ عليه وآله) وهي: البقرة، آل عمران، النساء، النّساء، المائدة، الأنعام، الأعراف، الأنفال، التوبة، يونس، هود [5] وفي قوله قوله تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [6] قالت: بل يقولون افتراه واختلقه وما كان ينبغي أن يقولوا مثل ذلك أنّ محمّد (صلى اللّهُ عليه وآله) من عند نفسه ويأمر الله سبحانه وتعالى نبيّه (صلى اللّهُ عليه وآله) أن يطلب من هؤلاء المشركين الاتيان بسورة مماثلة طويلةٍ أو قصيرة على أن تكون شبيهًا بأسلوبه وفصاحته وبلاغته فجاء عجزهم يثبت أنّه ليس من كلام البشر. ﴿ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ واستعينوا أيّها المشركون بآلهتكم أو بغيرها إن كنتم صادقين بزعمكم أنّ محمدًا (صلى اللّهُ عليه وآله) قد افتراه وأتى به من عند نفسه فلن تستطيعوا أيّها المشركون أن تفعلوا شيئًا .فهذه الآية الكريمة استفهام للإنكار والتقريع والتوبيخ والتحدي لهؤلاء المشركين الذين ظهر عجزهم وضعفهم أمام القرآن العظيم وأنّهم غير قادرين على الاتيان بمثله وتثبت لنا هذه الآية الكريمة إعجاز القرآن لأنّه (عليه الصلاة والسلام) قد تحدّى به المشركين والكافرين كما قال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [7] وتحداهم أن يأتوا بعشر سور كما قال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [8] وتحداهم بسورة واحدة كما قال تعالى في سورة هود: ﴿ أَمْ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ ﴾وتحداهم أن يأتوا بحديث مثله كما قال تعالى:﴿ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [9] [1]

---

(١) الاسراء :٨٨ .

(٢) هود :١٣ .

(٣) يونس: ٣٨ .

(٤) ظ: حنان اللحام/ من هدي سورة البقرة/ ٧٥ .

(٥) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن، ٥/ ١٢/ ١٢ .

(٦) يونس: ٣٨ .

(٧) الاسراء :٨٨ .

(٨) هود :١٣ .

(٩) الطور :٣٤ .

وترى (ماجدة الفارس) في قوله تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [٢] قالت: هذه آية (التّحدي) أي: تحدي الخلق على أن يأتوا بمثل هذا القرآن، وفي قوله تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [٣] قالت: نفي التأبيد في المستقبل ، وهذه معجزة أخرى حيث إنّ الله تعالى يخبر خبرًا جازمًا أنّ هذا القرآن لا يعارض بمثله أبد الآبدين (وقد كان) [٤] وفي قوله تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [٥] قالت: وهذا المقام الثالث في التحدي، فإنّ الله تحداهم أن يأتوا بمثله قال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [٦]

ثم تقاصر معهم على عشر سور منه ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [٧] [٨]

لماذا التّحدي؟ يكمن الجواب عن هذا السؤال بجملة من الأسباب أوردتها (ماجدة الفارس) في تفسيرها حيث ترى تحدي الله تعالى لهم لأسباب :

١ - سلطانه على القلوب : وتأثيره فيها ، ولذلك كان هناك كما تذكر كتب السيرة مواقف تأثير القرآن في فئة إلا أنّ قلوبهم أصرّت الكفر عنادًا فهذا عتبة بن ربيعة الذي اختارته قريش ليسمع من محمدٍ لأنّه أكثر معرفة بالسّحر والكهانة فلمّا أتى الى محمدٍ رسول الله(صلى اللّهُ عليه وآله) وقرأ عليه سورة فصلت .. فأمسك عتبة على فيه وقال للرّسول ناشدتك الرحم أن تكف عن هذا فقال أصحابه عندما رأوه لقد جاءكم بغير الوجه الذي ذهب به .

---

(١) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن، ٥/ ١١/ ١١٠ -١١١ .

(٢) البقرة :٢٣.

(٣) البقرة :٢٤.

(٤) ظ: ماجدة الفارس/ التّوضيح والبيان في تفسير آي القرآن، ٥٦/١ .

(٥) يونس: ٣٨ .

(٦) الاسراء :٨٨ .

(٧) هود :١٣ .

(٨) ظ: ماجدة الفارس/ التّوضيح والبيان في تفسير آي القرآن، ٢٩٣/٦ .

٢ - أسلوبه وطريقة تقديمه للحقائق : مثلًا حقائق العقيدة يقدمها بطريقة لا تخطر على الفكر البشري أن يلم بها نرى في تصوير القرآن لحقيقة العلم الإلهي قول الله تعالى :﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾ [١] يقف الانسان أمام هذه الصفحة المعروضة في كلمات قليلة فإذا هو أمام حشد هائل عجيب من الأشياء والحركات والأحجام والاشكال والصور فلا يصمد لها الخيال ولو أنّ أهل الأرض وقفوا حياتهم يتتبعون ويحصون ما يقع في لحظة واحدة لأعجزهم ذلك فكم شيء في هذه اللحظة الواحدة يلج في الأرض؟ كم من حبّة تختبئ في ظلمات الأرض؟ كم من دودة وحشرة من هامة وزاحفة تلج في الأرض في أقطارها المترامية؟ وكم من قطرة ماء؟ ...وكم و كم ..

المطلب الرّابع : الحروف المقطّعة وإعجاز القرآن:

ذكرت بنت الشاطئ: " ويبدو أنّ الرّاغب الأصفهاني، اختار أن تكون (ن) الحرف المعروف من حروف الهجاء، وهو ما نطمئن إليه، فتكون سورة القلم هي أوّل سورة نزلت مفتتحة بحرف من هذه الحروف المقطعة بفواتح السّور، وبعدها نزلت ثمان وعشرون سورة مفتتحة بهذه الحروف، منها ست وعشرون سورة مكية، وثلاث سور من أوائل العهد المدني: البقرة وآل عمران، والرّعد. ومجموع حروفها بغير المكرّر منها أربعة حروف، هي نصف حروف معجمنا" [٢]

إنّ عدد السّور المفتتحة بالحروف المقطّعة تسع وعشرون سورة منها أحادية (ص) و(ق) ومنها الثنائية(طه) و(يس) ومنها الثلاثيّة والرباعيّة والخماسيّة . ولم يثبت عن النبيّ تفسيرها بشيء حيث أنها من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه قال ذلك أبو بكر الصديق وسفيان الثوري: (إنّها سرّ الله في القرآن) [٣] وعدد الحروف المقطّعة أربعة عشر حرفًا جُمعت بهذه الكلمات (نصٌّ حكيمٌ قطعًا له سرّ) [٤] ثم صنفت السور التي تضمنت حروفًا مقطعةً ما كانت أحادية وثنائية وثلاثية ورباعية وخماسية [٥]

وعودًا على بنت الشّاطئ في تفسير قوله تعالى(ن) بداية سورة القلم بعد أن ذكرت جملة من آراء العلماء حول الحروف المقطعة قالت: "ومجيء الحرف (ن) في (سورة القلم) المكية المبكرة، فيه لفت واضح إلى سرِ الحرف في البيان المعجز. وفي السّورة جدل من المشركين في نبوة المصطفى (عليه الصلاة والسلام)، وجحد لمعجزته، وقول بأنّها من أساطير الأولين. فكأن هذه تمهيد للمعاجزة التي تتحداهم أن يأتوا بمثله، واستدراجهم إلى أن تلزمهم الحجّة، بأن يعرضوه على ما عرفوا من أساطير الأولين. وإن كلماته لمن

---

(١) سبأ :٢.

(٢) بنت الشاطئ/ التّفسير البياني للقرآن الكريم، ٢/ ٤٠ -٤١ .

(٣) ظ: ماجدة الفارس/ التّوضيح والبيان في تفسير آي القرآن، ٢/ ٤ .

(٤) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن، ١/١/ ٥٤.

(٥) ظ: المصدر نفسه، ١/١/ ٥٥.

الحروف التي عرفوها في عربيتهم، لغة الكتاب العربي المبين.... وقد كانت كلمة الوحي الأولى (اقرأ) لافته إلى آية الله الكبرى، في الإنسان الذي خلقه سبحانه من علق، وعلم بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم. وبعدها نزلت سورة القلم مبتدئة بحرف (ن) لافته إلى سر الحرف الذي هو مناط القراءة والعلم والبيان، تنطق به منفردًا منقطعًا فلا يعطي أي معنى أو دلالة، بل لا يكاد يخرج عن مجرد صوت، ثم يأخذ الحرف موضعه من الكلمة في البيان، فيتجلى سره الأكبر"[1]

و (زينب الغزاليّ) في تفسير قوله تعالى:﴿ الٓمٓ ۝١ ﴾[2] بقولها: قد وردت في تفسيرها وجوه كثيرة، نختار منها وجهًا –قول سيد قطب -، إنّها إشارة للتنبيه إلى أنّ هذا الكتاب مؤلف من جنس هذه الأحرف، وهي في متناول المخاطبين به من العرب، ولكنه –مع هذا - هو ذلك الكتاب المعجز، الذي لا يملكون أن يصوغوا من تلك الحروف مثله .. هكذا القرآن.. حروف وكلمات يصوغ منها البشر كلامًا وأوزانًا، ويجعل منها قرآنًا وفرقًا. والفرق بين صنع البشر وصنع الله من هذه الحرف والكلمات، هو الفرق بين الجسد الخامد والروح النابض .. وبعد أن قال الحقّ ﴿ الٓمٓ ۝١ ﴾للإعجاز ابتداءً: يعقّب ذلك بالإشارة إلى موطن الإعجاز ألا وهو القرآن الكريم فيقول تعالى:﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ﴾[3] [4] وكانت تعوّل في بيانها للحروف المقطّعة في باقي سور القرآن الأخرى بأن تقول: قد مرّ كلامنا عن الحروف المقطعة في سورة البقرة[5]

وأشارت (حنان اللحام) باختيارها رأي سيد قطب الذي تقدّم ذكره في مختار (زينب الغزاليّ)، ثم جاءت برأي رشيد رضا إذ يقول:(لا يزال يوجد في الناس حتى علماء التاريخ واللغات منهم من يرى في هذه الحروف رموزًا إلى بعض الحقائق الدينيّة والتاريخيّة ستظهره الأيام) أشارت الى معنى ومغزى لهاته الحروف المقطعة بقولها: إنّها لفتة إلى إحدى القدرات الهائلة التي اعطيت للإنسان كي يختزل المعلومات، ويحتفظ بها بالحروف والرموز.. وإنّ هذه القدرة قابلة للتوسع ، ولقد استطاع أن يستعمل لغة(مورس) في البرقيّات، كما استعمل (العقل الالكتروني) لحل كثير من المشكلات، والمجال مفتوح لأكثر من ذلك.. [6]

وفي تفسيرها لسورة لقمان لآية ﴿ الٓمٓ ۝١ ﴾ قالت: آيات الكتاب هي من هذه الأحرف التي تستعملونها.. إنّ الله خلق من التراب إنسانًا حيًّا فذّاً .. وجعل من هذه الأحرف قرآنًا ودستورًا علميًا، فيه

---

(١) بنت الشاطئ/ التفسير البياني للقرآن الكريم، ٢/ ٤٣

(٢) البقرة :١.

(٣) البقرة :٢.

(٤) ظ: زينب الغزاليّ/ نظرات في كتاب الله، ١/ ١٩ -٢٠ .

(٥) ظ: المصدر نفسه، ١/ ١٩٣. ١/ ٤٦٦ . ١/ ٥٩٣ . ١/ ٦٥١. ١/ ٦٨٠ . ٦٩٧/١ .٨٦/٢. ٢٨٦/٢ . ٢٧٠/٢ . ٢٨٢/٢ . ٢٩١/٢ . ٢/ ٢٤٥ . ٢/ ٣٦٨ . وغيرها .

(٦) ظ: حنان اللحام / أضواء على سورة يس، ١٤ -١٦ . ظ: رضا، رشيد / تفسير المنار، ١٢٣/١

الهداية والرّشاد والفلاح. وفي ذلك تحدٍّ للبشر وتنبيه إلى قدرته وإعجازه . إن هذه الأحرف تشير إلى مرحلةٍ هامّةٍ في حياة البشريّة، بدأت حين كشف العلم الكتابة؛ وعندها فتحت مجالات واسعة لظهور ذاكرة جديدة للبشريّة، ومرحلة كشف الأحرف في حياة البشريّة مثل الطفل عندما يدخل إلى عَالَم القراءة والكتابة [١] وذكرت هذا المعنى في موضع آخر في تفسير سورة هود [٢]

وقالت في موضع آخر: لقد عودنا القرآن – كما في سورة البقرة ولقمان مثلًا - أن يذكر شيئًا عن الكتاب بعد الافتتاح بالأحرف مباشرةً.. بينما تأتي الآية هنا تذكّر بأمرٍ هام وهو الوحدانيّة﴿ الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢ ﴾[٣] فالآية تقول: الله هو الذي أنعم عليكم بالقدرة على استعمال الحروف. وانعم بإنزال القرآن وحفظه بالكتابة ليبقى المرجع الحق لكم. ويمكن أن تكون الآية إشارة إلى الارتباط بين العلم – فالأحرف (ألم) رموز له - وبين معرفة الله وتوحيده .:﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[٤] وإنّ العلم كما ازداد رقيًّا قدّم آيات الولاء لله وحده [٥]

وذكرت (نائلة صبري) اختلاف المفسّرين في توجيه الحروف المقطعة [٦] :

- قال الشعبيّ وجماعته: (الم) وسائر حروف الهجاء في أوائل السور من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه وهي سر القرآن فنحن نؤمن بظاهرها ونرجع العلم فيها إلى الله سبحانه وتعالى وفائدة ذكرها طلب الإيمان بها .
- ويقول محمود شلتوت في كتابه تفسير القرآن الكريم : (كان قرعًا لأسماع أولئك الجاحدين الذين تواصوا فيما بينهم لا يسمعون لهذا القرآن) .
- لقد عدّها جماعة من المحدثين بأنّها سرّ الله في القرآن ، ولله في كل كتاب من كتبه سرّ، وانفرد الله بعلمه ولا ينبغي أن نتكلم فيها ، ولكن يجب علينا أن نؤمن بها ونقرأها كما جاءت .

وذكرت (نائلة صبري) في قوله تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ ﴾من سورة ال عمران تقول: هذه حروف مقطعة وهي إشارة إلى إعجاز القرآن وللتنبيه إلى أنّ هذا الكتاب مؤلف من جنس هذه الحروف ولتنبيه المخاطب إلى ما يلقى بعدها من حديث يسترعي الانتباه والفهم وقد مرّ شرحها مفصلًا في تفسير سورة البقرة [٧] وكثيرًا ما

---

(١) ظ: حنان اللحام / من هدي سورة لقمان، ١٧ .

(٢) ظ: حنان اللحام / تأمّلات في سورة هود ، ١٥

(٣) آل عمران :١ -٢.

(٤) محمد :١٩ .

(٥) ظ: حنان اللحام/ من هددي سورة آل عمران ، ٢٣ -٢٤ .

(٦) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن، ١/ ١/ ٥٥ -٥٦ .

(٧) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن، ٢/ ٣ / ١٢٩ .

ما تحيلنا (نائلة صبري) في تفسير باقي الحروف المقطعة في أوائل السّور القرآنيّة إلى ما ذكرت في تفسير سورة البقرة [1]

و(ماجدة الفارس) قالت في تفسير: ﴿ الٓمٓ ۝١ ﴾ من سورة البقرة قال بعض أهل العلم: لمّا كان المشركون يمنعون سماع القرآن مخافة أن يؤثر في نفوس السّامعين كان النطق بهذه الحروف(ص/ ق/ حم) وهو منطق غريب عنهم يستميلهم إلى سماع القرآن ، فيسمعون فيتأثرون وينجذبون وكفى بهذا فائدة - كما قال العلماء - دليل على عمل المشركين هذا قوله تعالى:﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ۝٢٦ ﴾ [2] والتّحدي والإعجاز فكأنّ القرآن يقول لهم: إنّ هذا القرآن مؤلف من مثل هذه الحروف فألفوا أنتم مثله، فإن عجزتم فسلّموا أنّه كلام الله ووحيه [3]

وتكرر عندها هذا المعنى بشيء من التّفصيل في تفسير سورة آل عمران [4] وكانت تعوّل على هذا المعنى في باقي الحروف المقطعة في باقي السّور التي جاءت في تفسيرها التي تضمنتها [5]

في خضم ما جاء من تفسيرات للحروف المقطعة في أوائل بعض السور القرآنيّة يمكن عرضها وتحليلها بجملة من النقاط ومناقشتها باختصار :

- الوجه البيانيّ البلاغي الذي تسعى لكشفه بنت الشاطئ من تفسيرها وترى ذلك في الحروف المقطعة لا سيما في ﴿ نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١ ﴾من سورة القلم : ترى (فيه لفت واضح إلى سرِ الحرف في البيان المعجز) وهو احتمال من جملة الاحتمالات يضاف إلى آراء العلماء .
- الوجه الآخر :إنّها إشارة للتنبيه إلى أنّ هذا الكتاب مؤلف من جنس هذه الأحرف ، وقد عجزوا عن الاتيان بمثله وهو رأي سيد قطب. وهذا الوجه قريب منه رأي بنت الشاطئ و ذكرته (زينب الغزاليّ) وعولت عليه في جميع الحروف المقطعة الباقية . ثم (حنان اللحام) عرضت رأي سيد قطب وأعقبته برأي صاحب المنار الذي يشير إلى أنّ هذه الحروف رموزٌ إلى بعض الحقائق الدينيّة والتاريخيّة ستظهره الأيام، ثم علّقت (حنان اللحام) كونها رموز مختزلة وتنظر إليها بروح المعاصرة والعلم الحديث إنّها لفتة إلى إحدى القدرات الهائلة التي اعطيت للإنسان كي يختزل المعلومات، ويحتفظ بها بالحروف والرموز وتُعدّها كالعقل الالكتروني.

---

(١) ظ: المصدر نفسه، ٤/ ٨ / ٩٣ ، ٥/ ١١/ ٦٣ ، ١٩١/١١/٥ ، ١٢٥/١٢/٥ ، ٤٩/١٣/٥ ، ١١٢/١٣/٥ ، ٤/١٤/٦، ٦/ ٣٥/١٦ ، ١٠٩/١٦/٦ .

(٢) فصلت :٢٦ .

(٣) ظ: ماجدة الفارس/ التّوضيح والبيان في تفسير آي القرآن، ١/ ٣٠ .

(٤) ماجدة الفارس/ التّوضيح والبيان في تفسير آي القرآن، ٢/ ٤٧ .

(٥) ظ: المصدر نفسه ، ٨/٥، ٦/ ٢٣٣ و ٣٨٤. ٧/ ١٢، ٨/ ١١٨ .

- الوجوه الأخرى التي ذكرتها (نائلة صبري) :(أنّها المتشابه الذي استأثر الله بعلمه وحده، أو أنّها كانت قرعًا لأسماع أولئك الجاحدين .. أو أنّها سر الله في القرآن) ثم ذكرت أيضًا الرأي المشابه لرأي سيد قطب .
- و(ماجدة الفارس) ذكرت رأيين عن أهل العلم وهما: الاول: أنّها كانت قرعًا لأسماع أولئك الجاحدين، وهو منطق غريب عنهم يستميلهم إلى سماع القرآن و فيسمعون فيتأثرون وينجذبون، والآخر: شبيه برأي سيد قطب .

وقد يناقش رأي سيد قطب(الحروف من جنس كلامهم) الذي ذكرته المفسّرات واتفقت وجهات نظرهنّ عليه فيه: أنّ مجرد ذكر الحروف في أول السورة بهذا الشكل المتقطع لا يكفي في ايضاح هذه الحقيقة ، وقد لا يشعر النّاس بذلك فلا يحقق حينئذ القرآن هدفه من ذكرها، إلا إذا كانت القرائن الخارجية والحالية التي تحيط الكلام لها دور في الإفهام وتحقيق هذا الهدف، وهذا ما لا يمكن أن نعرفه من نفس هذه الحروف وقد كان من الممكن أن يصل القرآن إلى ذلك عن طريق ايضاح الفكرة ببيان قضية عامة تستوعب هذا المضمون وتشرحه، فالفكرة التي يتبناها هذا المذهب وإن كانت صحيحة ولكنها تحتاج إلى إبراز القرائن الحالية التي كانت تؤدي دور الإفهام.[١]

والقول فيها بالرمزية كما صرّحت بها (حنان اللحام) ففيه كلام أيضًا : لا يخفى أن الرّمز في الكلام إنّما يصار إليه في الإفصاح عن الأمور التي لا يريد المتكلم أن يطلع عليه غير المخاطب بالخطاب فيرمز إليه بما لا يتعدّاه ومخاطبه ولا يقف عليه غيرهما [٢]

والقول أنّها من المتشابه يقول الطباطبائي: "إنّ الإحكام والتشابه من صفات الآيات التي لها دلالة لفظية على مداليلها ، وأن التأويل ليس من قبيل المداليل اللفظية بل التأويلات حقائق واقعية تنبعث من مضامين البيانات القرآنية أعم من محكماتها ومتشابهاتها ، وعلى هذا فلا هذه الحروف المقطعة متشابهات ولا معانيها المراد بها تأويلات لها"[٣]

أمّا قول : (قرع الاسماع .. واستمالتهم ..)فيه: ويزداد هذا المذهب وضوحًا إذا لاحظنا الحالة النّفسية التي كان يعيشها المشركون آنذاك ، حيث ينظرون إلى القرآن الكريم على أنه صورة المعجزة المدعاة وانه ذو صلة بالغيب وعوالمه العجيبة، فهم ينتظرون في كل لحظة ان تحدث ظاهرة غريبة تفسر لهم الموقف

---

(١) ظ: الحكيم/ علوم القرآن/ ٤٤٣ -٤٤٤ .

(٢) ظ: الطباطبائي/ الميزان في تفسير القرآن، ١٨ / ١٥ .

(٣) المصدر نفسه، ١٨ / ٨ .

وتأتيهم بالأمور العجيبة[١] وأشار الطباطبائي الى بعض الروايات المنسوبة للنبيّ والأئمة الأطهار عليهم السلام التي تؤيد هذا القول[٢]

والقول بأنها سر الله في القرآن : يؤيد هذا الاتجاه ما روي عن عدد من الصحابة والتابعين من أن الفواتح سر القرآن وأنها سر الله فلا تطلبوه ، وذهب إليه كثير من العلماء والمحققين ، كما جاء ذلك أيضا في بعض الروايات عن طريق أهل البيت (عليهم السلام) [٣]

---

(١) ظ: الحكيم/ علوم القرآن/ ٤٤٤ .

(٢) ظ: الطباطبائي/ الميزان في تفسير القرآن، ١٨ / ٨ ،

(٣) ظ: الحكيم/ علوم القرآن، ٤٣٨ .

المبحثُ الخامس : النَّقدُ في مجال (التّفسير)

توطئة :

التّفسير من أهمّ المباحث المتعلّقة بعلوم القرآن وهذا على مبنى (المتقدّمين) لذا أخرته، أمّا على مبنى المتأخّرين فهو علمٌ مستقلٌ بحدّ ذاته قبالة علوم القرآن بل تُوظَّف هي الأخيرة في تطبيقاته، وعلى هذا الاساس آل البحث تتبع التّفاسير النسويّة فانجلت له جملة من المفردات لزم أن تثار في هذا الفصل في دائرة (التّنظير) لما لها من أهميّة وإشكالية تتعلق بميدان البيان والتّفسير وما يتعلق بهما من محاور كالتّعريف والتّقسيم والأنواع والشّروط والمناهج وغير ذلك .. كل ذلك جعل البحث أن ينظم مبحثًا قام على جملة من المطالب بيانًا وتحليلًا ومناقشةً وهي كالآتي :

المطلب الأوّل: التّفسير تعريفه وأهميّته وشروطه:

أ - التّفسير لغةً واصطلاحًا:

التّفسير لغةً : ذكرت (نائلة صبري) التّفسير: هو البيان والتّفصيل[١] وفي الاصطلاح ترى بنت الشاطئ: التّفسير ليس إلا محاولةً للفهم على وجه الشّرح والتّقريب، بالكلمات المفسّرة، لا على أنّها والكلمات القرآنيّة سواء. ولعلّ هذا ممّا حمل المفسّرين على الإطالة في الشّرح والتّكثر في وجوه التّأويل للكلمة أو الآية القرآنيّة، من حيث يتعذر علينا جميعًا الإتيان بكلمة أخرى مماثلة لها، في موضعها من البيان المعجز[٢]

واصطلاحًا ذكرت (حنان اللحام) تعريفه بقولها: "علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله بقدر الطّاقة البشريّة "[٣] كما عبّرت عن التّفسير بمصطلح(البيان) تقول: البيان : ينبغي استعمال أحسن الوسائل المتاحة في كل عصر لبيان الآيات[٤] ولكل عصر أسلوبه في البيان وأدلته

---

(١) ظ: نائلة صبري/المبصر لنور القرآن، ١٩/٧/ ١٦.

(٢) ظ: بنت الشاطئ/ التفسير البيانيّ للقرآن الكريم، ٩/٢ .

(٣) حنان اللحام/ من هدي سورة النّساء / ٧.

(٤) ظ: حنان اللحام/ من هدي سورة البقرة/ ٣١٤.

المناسبة لما عليه النّاس من معارف وعلوم[١] وللفارس تعريف حيث قالت: "التّفسير :الكلام الذي يُفسر به اللفظُ حتى يُفهم معناه"[٢]

المعنى اللغوي القائم على(البيان والتّفصيل) لكلمة(التّفسير)الذي جاءت به ((نائلة صبري)) هو من جملة المعاني التي تدور حول مفردة (فسر) وقد ذكر هذين المعنيين الخليل[٣] بينما ذكر العلماء له معاني أخرى منها: التّوضيح والنّظر والكشف[٤]

والملاحظ في التّعاريف الاصطلاحيّة على اختلافها : ترى بنت الشاطئ أنّ التّفسير يأتي بلحاظ الفهم على وجه الشّرح والتّقريب لا على وجه في المقارنة بين الكلمة القرآنيّة والكلمة المفسِّرة لها ،إذ ليس من الممكن الإتيان بكلمة أخرى مماثلة لها وإن جيء بها فإنّها لا تعطي البيان والاعجاز القرآني في موضعها . وما ذكرته (حنان اللحام) من تعريف في الواقع هو للزّرقاني والمفسرة لم تنسبه إليه[٥] ولعلّ هذا التّعريف هو الأكثر شهرة وتداولًا ، والجدير بالذّكر أن الزّرقاني قد أفاده من (محمد صديق خان) [٦] ، ومهما يكن من أمر، فالذي يميلُ إليه البحثُ هو ما قاله الطباطبائي: أنّ التّفسير: "هو بيان معاني الآيات القرآنية والكشف عن مقاصدها ومداليلها"[٧] لأنّه ناظر بعين الاعتبار لمفهومي (البيان والكشف) وهما معنيان منحدران من معاني (التّفسير) اللغوية وتوظيفهما في بيان المعاني وكشف المقاصد والمداليل ..

أمّا تعبير (حنان اللحام) عن التّفسير بمصطلح (البيان) فهو أحد معانيه اللغوية، وبالنّسبة لتعريف (ماجدة الفارس) فهو ينبي عن عملية التّفسير المتعلقة باللفظ بالكشف عن معناه حتى يصبح مفهومًا . في حين أن التفسير لا يقتصر على تفسير الألفاظ ببيان معانيها، بل يتعداه ، كما ذُكر في تعريف الطباطبائي .

أ - أهميته :

في أهميته قالت (حنان اللحام): إنّ هذا العلم هو أشرف العلوم لسمو موضوعه وعظم فائدته[٨] .. وفي موضع آخر قالت: في القرآن إلحاح كثير على أهميّة البيان. فالكتاب مبين والآيات بيّنات .. ومن أعظم النّعم التي من الله بها على الإنسان (البيان) قال تعالى:﴿ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤ ﴾[٩]ومن

---

(١) ظ: حنان اللحام/ تأمّلات في سورة هود/ ٥٣.

(٢) ماجدة الفارس/ التوضيح والبيان في تفسير آي القرآن، ٢/ ١٩ .

(٣) ظ:الفراهيدي/ كتاب العين، ٢٤٧/٧ (فسر) .الجوهري/الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ٧٨١/١ (فسر).

(٤) ظ: ابن فارس/ معجم مقاييس اللغة، ٥٠٤/٤ (فسر) ، ابن منظور/ لسان العرب، ٥٥/٥ .

(٥) ظ: الزُّرقاني/ مناهل العرفان في علوم القرآن، ٣/٢.

(٦) ظ:صديق خان/ فتحُ البيان في مقاصد القرآن، ١١/١ .

(٧) الطباطبائي/ الميزان في تفسير القرآن، ٤/١ .

(٨) ظ: حنان اللحام/ من هدي سورة النّساء/ ٨ .

(٩) الرحمن :٢ -٣.

أخطر التّكاليف التي طلبت من الذين أوتوا الكتاب -وهي تشمل كل أمة نزل عليها كتاب سماوي بما فيها المسلمون - البيان﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾ [1]وأنّ أغلب انحراف المسلمين ناشئ عن فقدان البيان [2]

وأضافت (نائلة صبري) في ذلك: أن لكل عصر طابعه الخاص يمتاز عن غيره في التفكير والاستيعاب ، وقد تلّمست لونًا من التّفسير لكتاب الله بأسلوب يتناسب مع عصرنا الذي نعيشه ومع أحوال النّاس وأفكارهم، فهم يخاطبون على قدر عقولهم .. فعمدت لأقدم لأبناء أمّتي تفسيرًا مبسطًا سهلًا سلسًا معاصرًا تفهمه العامة [3]

وقالت (ماجدة الفارس) أيضًا : وإنّ أولى ما تنفق فيه الأوقات هو العلم الذي فضّل الله به الإنسان وفضل به الناس بعضهم على بعضٍ وخاصة ما اتصل بكتاب الله تبارك تعالى، وإنّ العلم ليرفع صاحبه في الدنيا والآخرة ، وإنّ أشرف العلوم ما ضمها هذا الكتاب الخالد ، إنّما هجر المسلمون القرآن حين غفلوا عن معانيه ومراده، أسراره وفيوضاته، وفتوحاته التي تورث خشية في القلوب، وتهذيبًا للسلوك .. [4]

ب - شروطه:

دأب العلماء في عملية التّفسير أن اشترطوا فيها جملة من العلوم التي ينبغي أن تتجلى عند المفسّر لألى يقع في مزالق الهوى والزيغ، وبهذا الصّدد ترى (حنان اللحام): ذكر العلماء أنواع العلوم التي يجب توفرها في المفسّر فقالوا: هي اللغة والنّحو والصّرف وعلوم البلاغة وعلم أصول الفقه وعلم التّوحيد ومعرفة أسباب النّزول والنّاسخ والمنسوخ والاحاديث المبيّنة للمجمل والمبهم، وعلم الموهبة وهو علم يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم، ولا يناله من في قلبه بدعة أو كبر أو حب دنيا أو ميل إلى المعاصي. هذه العلوم إنّما تحقق أعلى مراتب التّفسير. أما المعاني العامة التي يستشعر منها المرء عظمة مولاه والتي يفهمها الإنسان عند إطلاق اللفظ الكريم، فهي قدر يكون مشتركًا بين عامّة النّاس وهو المأمور به للتدّبر لأنّ الله سبحانه قال:﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾ ﴾ [5][6] كما أضافت علمًا آخر تراه يحمل الجدة في محتواه لا سيما سيما في هذا العصر تقول: كم تحدّث المسلمون عن الشروط التي ينبغي أن تتوفر لمن يتصدى لتفسير كتاب الله : من فهم اللغة والاسباب والنسخ وغيرها ... إلى آخر ما هنالك من شروط غير أنّ معرفة آيات

---

(١) المائدة :١٨٧ .

(٢) ظ: حنان اللحام/ من هدي سورة النّور/ ١١٣ .

(٣) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن، ١/ ١/ ١١.

(٤) ظ: ماجدة الفارس/ التّوضيح والبيان في تفسير آي القرآن، ١/ المقدمة .

(٥) القمر :٤٠ .

(٦) ظ: حنان اللحام/ من هدي سورة النساء/ ١٤ .

الله في الآفاق والأنفس بدأت تأخذ مكانًا مهمًا بين الشروط الواجب توفرها لتفسير كتاب الله، فقد بدأت تظهر أهميّتها في عالمنا اليوم [١]

ترى (نائلة صبري) في شروطه : من تكلّم في القرآن من غير أن يكون متبحّرًا في علم الأصول وفي علم اللغة والنّحو كان في غاية البُعد عن الله، عن ابن عباس قال رسول الله (صلى اللهُ عليه وآله) : (من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النّار) [٢]

ترى (حنان اللحام) في التّفسير أنّه على مراتبَ : ما هو في مرتبة أعلى: ويكون ذلك عند من تمكن من تلك العلوم حتى يدخل في سبر علم التّفسير وهذا ما يكون خاصًّا بالعلماء . وأمّا المرتبة الأخرى(الأدنى) التي يمارسها عامّة النّاس في فهم للنّصوص القرآنيّة تدبّرًا وتأمّلًا لها، وهو ما حث عليه القرآن الكريم .

و(نائلة صبري) ترى من لوازم التّفسير التّبحر (في علم أصول الفقه وعلمي اللغة والنحو) وهذه العلوم ليست الوحيدة التي يلزم توفرها عند من سلك طريق التّفسير فهناك جملة من العلوم ينبغي أن يلم بها قاصد التّفسير .

المطلب الثّاني: التّدبّر القرآنيّ وأهميّته :

دعا القرآن الكريم إلى تدبّر آياته وتأمّلها في أكثر من موطن قال الله تعالى:﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [٣] وقال تعالى:﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [٤] فإنّ مفتاح القلوب اتجاه آيات القرآن هو هو التّدبر باستعمال العقل . ولأهميته البالغة وقفت التّفاسير النّسويّة عليه وفي هذا المطلب سنعرض ما تتبعه البحث .

تابعت المفسرة بنت الشاطئ مبدأ الاهتداء بالتّدبّر والتّأمّل في النّصوص القرآنيّة التي قدّمتها في تفسيرها البيانيّ وكانت تخالف جملة من المفسّرين والنّحاة والبلاغيين : تابعت العكوف على تدبّر البيان القرآني والانقطاع لخدمة كتابنا الأكبر، فكنت كلما اجتليت باهر أسراره البيانية، ألفيت من الصّعب أن أقدمها على النّحو الذي يفي بجلالها، وتهيبت أن أودي بالمألوف من تعبيرنا، أسرارًا من البيان المعجز تدق وتشف، حتى لتجل عن الوصف وتبدو كلماتنا حيالها عاجزة صماء!، فليشفع لي أن حشّدت له كل طاقتي وجهدي، وأن الأمر فيه يتجاوز كل طاقة وجهد [٥] وكانت المفسرة كثيرًا ما تركن إلى تدبّرها

---

(١) ظ: المصدر نفسه/ ١٧ -١٨ .

(٢) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن، ١٣٨/٣/٢ . ذكرت من مصادر الحديث: أخرجه الترمذي في التفسير عن ابن عباس/ رقم الحديث(٢٩٥٠)، ٥/ ٦٥.

(٣) النساء :٨٢.

(٤) محمد :٢٤.

(٥) ظ: بنت الشاطئ/ التّفسير البيانيّ للقرآن الكريم، ٧/٢ .

وتأمّلها في إعطاء دلالة للمفردة أو الآية القرآنيّة وفق استقراءها تختلف عمّا جاء من دلالات عند المفسرين أو النّحاة أو البلاغيين وذلك في مواطن كثيرة [١]

كما قدّمت (حنان اللحام) مبحثًا في مسألة (التّدبر القرآني) ووقفت على محاوره في تفسيرها لقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾[٢] قالت: والتّدبّر : هو النّظر في أدبار الأمور وعواقبها ومحاولة فهم الأمور كيف تجري وتدبّر الكلام هو النّظر في غاياته ولفهم الموضوع نذكر النّقاط الآتية بإيجاز [٣] :

١ - تدبّر القرآن فرض على كلّ مكلّف وليس خاصًا بنفرٍ معيّن . والشّرط الذي لابدَّ منه ولا غنى عنه في تحقيق التدبّر : معرفة لغة القرآن مفرداتها وأساليبها وليس القصد التعمق في قواعد النحو الصرف لأنّ من ينشغل بهذا الجانب دون ان يهتم بادراك المقاصد والغايات من أساليب اللغة لا يحصل له التدبر.

٢ - التدبر يحرر من التقليد والتعصب ويوسع المراجع إذ إن يأخذ برأي عالم واحد ليس كمن يطلع على آراء متعددة وقد وصف الله عباده﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾ ﴾ [٤] .

٣ - إنّ أولى الكتب بالتّدبّر القرآن لأنّه كلام الله ورسالته إلينا وهو الذي نُسأل عنه يوم القيامة ولا يغنينا تعليقه وتبجيله وتقبيله طالما لم نفهمه ولم نطبق أحكامه .

٤ - لابد من تدريب الذّهن على التّدبر وعدم المرور أصم أعمى حتى يصبح التدبر ثقافة في الأمة لا يكون مظهرًا شاذًّا في الأمّة ولا يقوم به إلا عدد قليل خلال قرون وإنّ طريق العلم وإن كان متبعًا مليئًا بالإثارة فكلما كشف الانسان شيئًا طمع في المزيد .

٥ - إنّ استحضار المعنى في الصّلاة ممّا يعين عل التّدبر ويحقق الخشوع فيها وإنّ الصّلاة بلا تدبّرٍ أو خشوعٍ تفقد لُبّها ومغزاها .

٦ - إنّ التّدبر هو فهم كليّ وترك الفهم الذري (الفهم الذري المجزئ الذي لا يعطي الصورة الحقيقة للشيء ومثاله) .فالفهم الذري هو أن تمسك بحكم واحد من الاسلام دون أن تدرك موقعه من الاسلام ومكانته فيه وإدراك مقاصد الشريعة هو الفهم الكلي الذي يساعد على وضع الاحكام في موضعها ولا يتيسر ذلك إلا بتدبر القرآن .

---

(١) ظ: المصدر نفسه، ٢/٢٥ ، ١/٨١ ، ١/١٧٠ . ٢/٣٠ ، ٢/٥٠ ، ٢/١٤٦ .

(٢)النساء :٨٢.

(٣) ظ: حنان اللحام/ من هدي سورة النّساء، ٢٦٠ -٢٦٣ .

(٤) الزمر: ١٨ .

٧ - كذلك أن تدبر الآيات يخرج المسلم من ظنّ التّناقض بينها قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾[١]

والنّاظر لرأي (نائلة صبري) في التدبّر وأهميّته يلحظ أنها تأكد بقولها: من المطلوب تدبّر آيات الله سبحانه وتعالى والتّفكر بها وتأمّل معانيها لأن القرآن ما نزل إلا ليفهم ويطبق لذلك كان تفسير آيات القرآن الكريم مطلوبًا ضروريًا قال تعالى:﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾[٢] ومن هذا المنطلق قمت بتفسير القرآن وكلي خوف أن أقول في القرآن برأيي ذاكرة في نفسي قوله(صلى اللّهُ عليه وآله) : (من تكلم في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ) وقوله (صلى اللّهُ عليه وآله): (من قال في القرآن بغير علمٍ فليتبوأ مقعده من النّار)[٣]

المطلب الثّالث : أقسام التّفسير وطرقه :

عبّرت التّفاسير النّسويّة عن أقسام التّفسير باعتبارات مختلفة فبعضها جعلت للقرآن أقسامًا وهي بالواقع طرق ، ذكرت (حنان اللحام) تقسيم التّفسير بما ورد عن ابن عباس أنّه أربعة [٤] :

١ - حلال وحرام لا يعذر أحد بجهالته .
٢ - وتفسير تفسره العرب بألسنتها (اللغة والإعراب) .
٣ - وتفسير تفسره العلماء (استنباط الأحكام وبيان المجمل وتخصيص العموم)
٤ - وتفسير لا يعلمه إلا الله .(الغيب : السّاعة ، الرّوح، الكرسي، العرش) .

وذكرت : قسّم بعضهم التّفسير باعتبار آخر إلى ثلاثة [٥] :

١ - تفسير بالرّواية ويسمّى التّفسير بالمأثور . يشمل تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالسنة (قول النّبي (صلى اللّهُ عليه وآله)والصّحابة والتابعين) وقد أوضحت ذلك بجملة من الامثلة لكل نوع .
٢ - تفسير بالدّراية ويسمّى التّفسير بالرّأي .
٣ - تفسير بالإشارة ويسمّى التّفسير الإشاري . عرفته وبينت اختلاف العلماء في قبوله ورفضه وذكرت نماذج له من التفاسير .

وعلى هذا فصلّت ((حنان اللحام)) هاته الأقسام ودعمتها بجملة من الأمثلة والنماذج التفسيريّة .ولا يمكن إدراجها في هذا المطلب بقدر ما يمكن أن نقف عند بعض جوانب الموضوع لمناقشتها بالممكن .

---

(١)النساء :٨٢.

(٢) ص: ٢٩ .

(٣) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن، ١/١/ ١٠ . مصادرها: أخرجه التّرمذي في التفسير: ٢٩٥٢ ، أخرجه أبو داوود والترمذي: ٩٥٢ .

(٤) ظ: حنان اللحام/ من هدي سورة النّساء/ ٩ .

(٥) ظ: المصدر نفسه/ ٩ .

(نائلة صبري) : عبّرت (نائلة صبري) عن أقسام التّفسير بالطرّق حيث تقول: والتزمت مدرسة الأثر وذلك عن طريق تفسير القرآن بالقرآن والطريق الثاني : التّفسير بالأحاديث الشريفة فلا يوجد من هو أعرف بكتاب الله من رسول الله (صلى اللّهُ عليه وآله)،والطريق الثالث: التّفسير بقول الصّحابة، والتّابعين وأقوال المفسّرين واجتهاداتهم وتحريت البعد عن الاسرائيليات . حتى إذا ما وضحت لديّ الآية واطمأننت إلى فهمها فسّرت وكتبت عنها، تدبّرًا معانيها بعقلي وفكري[١] وذكرت التّقسيم المشهور عن ابن عباس[٢] :

١ - تفسير لا يجهله أحد .

٢ - تفسير تعرفه العرب من لغتها.

٣ - تفسير يعرفه العلماء.

٤ - تفسير لا يعلمه إلّا الله تعالى ولا يُعذر أحدٌ في فهمه.

مناقشة ذلك: و الجدير بالذكر في هذه التّقسيمات يكمن بجملة من المسائل :

الأولى: التّقسم القائل بأنّ التّفسير بالرّواية يسمّى التّفسير بالمأثور ومنه تفسير القرآن بالقرآن فيه كلام: وهو أنّ التّفسير بالرّواية نوع أو جزء من التّفسير النّقلي أو ما يسمّى(بالمأثور) فلا يمكن أن يساويه فلا يصحّ أن نطلق على تفسير القرآن بالقرآن تفسير بالرّواية . والأقرب أن يكون التّفسير النّقلي (المأثور) ينقسم :

- تفسير القرآن بالقرآن.
- تفسير بالرّواية وفيه (بقول النّبي (صلى اللّهُ عليه وآله) وأهل بيته ، وبقول الصّحابة، وبقول التّابعين) .

أو قد يقسّم التفسير بلحاظ (الشرع) إلى قسمين : تفسير شرعي يضم: تفسير القرآن بالقرآن أو تفسير القرآن بالسنة ، أو غير شرعي يضم: تفسير القرآن باللغة وغيرها. أو هناك تقسيم آخر: يقوم على أساس أنّ النقلي يساوي المأثور، من حيث أنّه ينقسم إلى : تفسير القرآن بالقرآن وفيه : إن دلتنا عليه الرواية مأثور . وإن دلّنا عليه العقل فهو ليس من باب المأثور بل قسم مستقلٌ بذاته . وهناك تقسيمات كثيرة لك مراجعتها في مظانّها .

الثانية: أنّ التّفسير بالدّراية هو التّفسير بالرّأي الذي تقول به (حنان اللحام) وقد عرفته بقولها: "والمراد بالرأي هو الإجتهاد"[٣] أن التفسير بالرأي هو في الواقع غير التّفسير الاجتهادي قالوا: فإن قال فيه ما نسج في وهمه وخطر على باله من غير استدلال عليه بالأصول، فهو مخطئ، وإن استنبط معناه بحمله على الاصول

---

(١) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن، ١١/١/١.

(٢) ظ: المصدر نفسه، ١٣٨/٣/٢.

(٣) حنان اللحام/ من هدي سورة النّساء/ ١٣ .

المحكمة المتفق على معناها فهو ممدوح[١] ثمّ إنّ المحظور هو التفسير الرأي، أمّا السّعي وبذل الجهد في فهم مقاصد الآيات ومراميها بالطرق المألوفة بين العلماء خلفًا عن سلف، فليس بمحظور بل هو ممدوح [٢] هذا من جهة ومن أخرى فإنّ الروايات عن الفريقين وردت بمنع التّفسير بالرأي ومعنى ذلك أن يجعل الرّآي الشّخصي أو العقيدة تفسيرًا للقرآن، لأجل هذا لا نرى من الإماميّة من يستفيد من هذا التركيب (تفسير القرآن بالرأي) المعنى الايجابي، ولكن إخواننا من أهل السنّة يستعملون هذا التّركيب [٣]

ويُلحظ أيضًا قد عرفت (التّفسير بالرأي) في موضع آخر بقولها : إنّ التفسير بالرأي: هو اتباع للهوى وخروج عن قواعد الدين والعلم.. وهو شطحات انفلتت من الموضوعيّة.. لا برهان لها ولا ترتكز إلى دعامة .. ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ٨ ﴾ [٤] [٥] ويا ترى كيف يتم الجمع بين هذين التعريفين وهما يحملان المصطلح نفسه؟!! ولعلّها تقصد به التّفسير بالرّأي المذموم دون الممدوح إن صحّ هذا التّقسيم فيمكن التبرير به. وإلا يبقى الاشكال قائم لوجود التعارض بينهما.

الثالثة: ذكرت (حنان اللحام) (التّفسير الاشاري) كأحد أقسام التّفسير الرئيسة وجعلته (قسيمًا) قبالة التّفسير بالمأثور والتّفسير بالرّأي الذي عبّرت عنه بـ(الاجتهاد) وهذا فيه خلط وإشكال منطقي في دائرة التّقسيم .

التفسير الاشاري على ما فيه من اختلاف بين العلماء بين رافضٍ له و قابل – يمكن مراجعة الموضوع تفصيلًا في مظانه[٦] - فلا تخلو محورية النسبة : إمّا أن يكون مرفوضًا وهو خارج عن دائرة التفسير إذ يعد من التفسير بالرأي المذموم وبهذا لا يمكن أن يكون قسيمًا للمأثور والاجتهادي . بمعنى أنّ يكون نوعًا من التّفسير بالرأي وهو خاضع للميل والهوى وهو اجتهادي مذموم . أو نقول بأنّه جاء وفق قواعد وأصول وضوابط عند من قبله فحينئذٍ يكون تفسيرًا إجتهاديًا له لونه الخاص وبهذا لا يخرج عن دائرة التّفسير الاجتهادي الصّحيح أيضًا .

ثم انّ (حنان اللحام) صرّحت باتجاه جديد في التّفسير على حدّ تعبيرها أسمته (مزج العلوم الأدبيّة والكونيّة في التّفسير) وقالت فيه: وهو اتجاه جديد في التفسير غايته مخاطبة الناس في هذا العصر على قدر عقولهم. ودفع مطاعن القائلين بأنّ هناك عداوة بين العلم والدين، بل صار بالإمكان إدراك وجوه

---

(١) ظ: القرطبي/ الجامع لأحكام القرآن، ٣٣/١ .

(٢) ظ: السّبحاني، مناهج المفسّرين في علوم القرآن/ ٦٧ -٦٨ .

(٣) ظ: محمد علي أسدي / المناهج التّفسيريّة عند الشّيعة والسنّة/ ٢٣١ -٢٣٢ .

(٤) الحج: ٨.

(٥) ظ: حنان اللحام/ من هدي سورة البقرة/ ٥ (المقدمة) .

(٦) ظ: رضائي/ دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية للقران/٢٣٥ -٣١٣، ، محمّد علي أسدي / المناهج التّفسيرية عند الشيعة والسنّة ، ٢٨٥ -٤٣٥ .

جديدة للإعجاز في القرآن في إشاراته العلميّة في الكون والاجتماع[١] . ثم عقبّت على ما فعله طنطاوي جوهري في(القرآن والعلوم العصرية) بقولها: وإن كان قد أسرف في هذه السبيل اسرافًا أنساه التفسير والتأويل ، وذكرت جهود صاحب تفسير المنار وأستاذه محمد عبده[٢]

ثم قالت: واليوم تبرز أهميّة آيات الآفاق والأنفس كمرجع أساسي في التّفسير والبيان لمعاني القرآن الكريم. وهو ما كان يتطلع إليه ابن تيميّة عندما كان يشكو من غياب التفسير الصحيح .. فهو يقول في قوله تعالى:﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [٣] أي أنّ القرآن حق : (فأخبر أنّه سيري عباده اليات المشهودة المخلوقة حتى يتبيّن لهم أنّ الآيات المتلوة المسموعة حق.. فالآيات أفقيّة وأرضية وقرآنيّة وهي أدلة العلم ..) ثم صنف الآيات وفق النّص القرآني المتقدم إلى ثلاثة أصناف[٤] :

١ - آيات الكتاب : القرآن .

٢ - آيات الآفاق : وهي العلوم الكونيّة والماديّة (الفيزياء والكيمياء..) سمّاها (أفقيّة)

٣ - آيات الأنفس: وهي العلوم الإنسانيّة (التاريخ ، النفس، الاجتماع) سماها(أرضيّة).

أما التقسيم الوارد عن ابن عباس الذي ذكرته ((حنان اللحام) و(نائلة صبري)) ، ذكر بيانه بشيء من التّفصيل الطبرسي : وقد قسم ابن عباس (رض) وجوه التّفسير إلى أربعة أقسام : تفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير تعرفه العرب بكلامها، وتفسير يعلمه العلماء ، وتفسير لا يعلمه إلا اللّه . فأما الذي لا يعذر أحد بجهالته: فهو ما يلزم به الكافة من الشرائع التي في القرآن، وجل دلائل التوحيد . وأما الذي تعرفه العرب بلسانها فهو حقائق اللغة، وموضوع كلامهم . وأما الذي يعلمه العلماء فهو تأويل المتشابه، وفروع الأحكام . وأما الذي لا يعلمه إلا اللّه فهو ما يجري مجرى الغيوب ، وقيام الساعة[٥]

المطلب الرّابع: مناهج التّفاسير النّسويّة:

أ - منهج بنت الشاطئ في التفسير:

ترى بنت الشاطئ في دراسة القرآن الكريم بلحاظ المنهج : أن الدراسة المنهجية لنص القرآن الكريم، يجب أن تتقدم كل دراسة أخرى فيه، لا لأنّه كتاب العربية الأكبر فحسب، ولكن - لأن الذين يعنون بدراسة نواح أخرى فيه، والتماس مقاصد بعينها منه؛ لا يستطيعون أن يبلغوا من تلك المقاصد شيئًا دون أن يفقهوا أسلوبه ويهتدوا إلى أسراره البيانية التي تعين على إدراك دلالاته. فسواء أكان الدارس يريد أن

---

(١) ظ: حنان اللحام/ من هدي سورة النّساء/ ١٦ .

(٢) ظ: المصدر نفسه/ ١٦ - ١٧ .

(٣) فصلت :٥٣.

(٤) ظ: حنان اللحام/ من هدي سورة النّساء/ ١٧ .

(٥) ظ: الطبرسي / مجمع البيان في تفسير القرآن، ٢٧/١ .

يستخرج من القرآن أحكامه الفقهية، أو يستبين موقفه من القضايا الاجتماعية أو اللغوية أو البلاغية، أم كان يريد أن يفسر آيات الذكر الحكيم على النحو الذي ألفناه في كتب التفسير، فهو مطالب بأن يتهيأ أولًا لما يريد، ويعد لمقصده عدته: من فهم مفردات القرآن وأساليبه، فهمًا يقوم على الدّرس المنهجي الاستقرائي ولمح أسراره في التعبير[١]

ب - منهج (زينب الغزاليّ) في التّفسير:

لم تعتمد (زينب الغزاليّ) على منهج واضح ومحدد، بل إنّها أوضحت أن تفسيرها هذا ومضات وفيوضات ربّانيّة، أو تأمّلات ونظرات، وهي عبارة عن قراءة خاصة لكتاب الله، متأثرة بالزمان والمكان و الأحداث، ولم يكن كتابها تفسيرًا أكاديميًا ممنهجًا وفق أصول معتمدة، بل يمكن الحكم على نظراتها بأنّها نظرات تعبّر عن أفكار ورؤى خاصة بالمؤلف[٢]

والمتأمّل في مقدمة تفسيرها يتضح له اعتمادها على جملة من المفسرين بالنقل عنهم، وحسب التتبع يظهر اعتمادها تطبيقيًا على القرآن الكريم نفسه، اعتمادها السنة (من قول الصحابة والتابعين) ومن النادر أن تجد في تفسيرها ما ورد عن أهل البيت (عليهم السلام) ، كما وأنّها لم تستغنِ عن اللغة وما يتعلق بها، وركونها إلى توظيف العقل واضح باجتهاداتها وأفكارها ذلك في تفسير غالب آيات القرآن الكريم . وأسباب النّزول له نصيب في تفسيرها أيضًا .

كانت جدوى تفسير (زينب الغزاليّ) المنهج الدعوي الذي التزمته وكانت تعوّل على ربط المجتمع (الفرد، والأسرة،والأمة) بواقع القرآن الكريم .وقد أشار الى هذا المضمون الدكتور عبد الحي الفرماوي في مقدمته التي تصدرت التّفسير[٣]

وذكر الزيوت عن تفسيرها: قد سلكت في تفسيرها أحسن طرق التفسير؛ ففسرت القرآن بالقرآن، والقرآن بالسنّة، والقرآن بأقوال الصحابة،إضافة إلى اعتمادها على علوم اللغة العربيّة، واجتهادها، مع اهتمامها بقضايا علوم القرآن والعقيدة، وقد غلب على تفسيرها الاتجاه الحركي التّربوي[٤]

ت - منهج (حنان اللحام) في التّفسير :

لم يكن تفسير (حنان اللحام) تفسيرًا تسلسليًا ترتيبيًا بل اختارت جملة السّور القرآنية وكان منهجها في التّفسير قائم على جملة من الأسس - وفق تتبع البحث - وهي كالآتي:

---

(١) ظ: بنت الشاطئ/ التفسير البيانيّ للقرآن الكريم، ١٥/١ .

(٢) ظ: د. خديجة المحمود / أبرز جهود النّساء في تفسير القرآن الكريم/ ٤٤ -٤٥ .

(٣) ظ: زينب الغزاليّ/ نظرات في كتاب الله، (المقدمة).

(٤) ظ: د. عبد الله أحمد الزيوت / جهود المرأة المعاصرة في تفسير القرآن / ١٠ ، ظ: مصادره :، عثمان عطية الجبوري / زينب زينب الغزاليّ ومنهجها في تفسيرها نظرات في كتاب الله/ ٧٣ -٨٨، ١٣٦ -١٥٣ .

١ - اعتمدت في تفسيرها تقديم توطئة تحت عنوان بـ(بين يدي السورة) تضمنت : اسم السورة أو أسمائها إن تعددت ذاكرة أسباب تسميتها، وعدد آياتها، ثم توضح أن كانت مكيّة أو مدنيّة وتذكر الخلاف إن وجد ، ثم تشير إلى سبب نزولها، وترتيبها وفق ذلك، ثم تذكر جملة من مميزاتها وموضوعاتها العامة . وتشير فيما إذا كان هناك مناسبة لما قبلها من السور أو ما بعدها، وتشير أحيانًا إلى مناسبة أول السّورة بخاتمتها.

٢ - عمدت المفسرة إلى تقديم هيكلية موضوعية لكل سورة وتجعلها تحت عناوين متعددة تسهل على القارئ بيان مضمون الآيات أو الآية .

٣ - عادة ما تقسم السّورة إلى مجموعات وفق موضوعاتها ثم تعمد بعد ذلك لبيانها آية آية، واعتمدت في تفسيرها على القرآن والسّنة وجملة من المصادر: ابن كثير، وسيد قطب ، وصاحب المنار، وسيرة ابن هشام، وكتب الحديث كـ(الصّحيحين) وبعض مؤلفات مالك بن نبي، وجودت سعيد، ومحمد (زينب الغزاليّ)، وغيرهم من المتأخرين .

٤ - وصف تفسير (حنان اللحام) بما جاء عنها من مدونات تفسيريّة خصت جملة من السور القرآنيّة بمنهجها وأسلوبها أنّه تفسير تجديدي [١]

٥ - الاسلوب الأدبي في تفسيرها بدى واضحًا في لغتها واسترسالها وهذا يؤكد علاقتها بالادب والأقاصيص التي كتبتها ونشرتها .

٦ - لم يكن للمفسرة عنوانًا موحّدًا لمدوناتها التّفسيرية فتارة تلحظ عنوان (من هدي سورة ..) وتارة أخرى تلحظ (أضواء على سورة ..) وتارة (تأملات في سورة ..) في بعض المدونات جعلت عنوانها (نظرات في كتاب الله) كما ونلحظ في آخر مدونة تفسيريّة صرّحت بمصطلح التّفسير فيها وهي (تفسير سورة التّوبة) الذي صدر لها في عام ٢٠٠٧م .

ث - منهج (نائلة صبري) في التّفسير :

فسّرت (نائلة صبري) جميع القرآن الكريم حسب ترتيب المصحف ،واتبعت المفسرة في تفسيرها جملة من الخطوات الآتية :

- تذكر المفسّرة أن كانت السّورة مكيّة أو مدنيّة وتذكر أسماءها وعدد آياتها وحروفها، وتذكر تسلسلها في المصحف الشّريف . وفضلها ومميزاتها وأسباب نزولها.
- تأتي المفسّرة لبيان المفردات القرآنيّة تحت عنوان (تفسير المفردات) وتتناولها لغويًا . دون أن تذكر لتلك المعاني أي مصدرٍ أو مرجعٍ لذلك.

---

(١) ظ: خديجة المحمود/ أبرز جهود النّساء في تفسير القرآن الكريم/ ٩٦ .

٢ - كان تفسيرها للآيات تفسيرًا إجماليًا بعبارات سهلةٍ وموجزة، وفي بعض الأحيان تستطرد في البيان والتفصيل .

٤ - وظّفت في تفسيرها كل ما تملك من أدوات وجمعت بين تفسير القرآن بالقرآن والتّفسير بالسّنة (بقول النّبيّ (صلى اللّهُ عليه وآله) و الصّحابة والتّابعين) والاجتهاد في بعض الأحيان.

٥ - وصف تفسيرها بالتّفسير التّقليدي بمنهجها [١] ، وكثر النّقل منها عن المفسّرين والعلماء.

٦ - كتبت في تفسيرها جملة من الدراسات واستوضحت منهجها بالتّفصيل يمكن مراجعتها [٢]

ج - منهج (ماجدة الفارس) في التفسير :

بدأت المفسّرة بتفسير القرآن من أوله (سورة الفاتحة) حسب تّرتيب المصحف الشريف وانتهى بها المطاف في المجلد الثّامن حتى نهاية سورة النّحل المباركة . ويمكن تلخيص خطواتها في التّفسير كالآتي:

١ -في طليعة كل سورة تقدم اسمها أو اسماءها إن تعدّدت، وتبيّن إن كانت مكيّة أو مدنيّة وتسلسلها وترتيبها في المصحف وعدد آياتها، وفضلها وسبب نزولها، وتشير إلى أهمّ ما تتناوله السّورة من موضوعات ، وتعرض ما لها من خصائص ومميّزات .

٢ -يمتاز تفسيرها بمنهج التّوسط من حيث الإيجاز والتّطويل، باسلوب مبسط وقريب من العصر ولغته ، واعتمدت أصلًا في شرح الآيات على اقوال كبار المفسّرين وقد ذكرت ذلك في مقدمتها.

٣ -تعمد إلى بيان المفردات القرآنيّة وفق المعجم اللّغوي دون تصدير يُذكر ، وتشير لمعناها الاصطلاحي أو الشّرعي على حدّ تعبيرها .ثم تسترسل في بيان مضمون الآية. وتشير في بعض المرّات إلى إن كان للمفردة لفظ مرادف في معناها فتجمع وتفرق، وتشير إلى وجوهها ونظائرها إن تطلّب ذلك .كما تشير إلى ما للآية من مضمون يرجع الى جانب عقائدي أو أخلاقي أو فقهي.

٤ -تركن في تفسيرها إلى القرآن نفسه، والسنّة (من قول النبيّ (صلى اللّهُ عليه وآله) والصحابة والتابعين وقلّ عندها ذكرٌ لأئمّة أهل البيت عليهم السلام، وتعتمد كثيرًا النّقل عن العلماء والمفسّرين كالقرطبي والزّمخشري والسّعدي وغيرهم.

٥ -في بيان آيات الاحكام تشرح وتبسط الكلام فيها وتتعرض لآراء المذاهب الإسلاميّة فترجح منها في بعض الأحيان وفي بعضها الأخر لا ترجّح .

---

(١) ظ: المصدر نفسه / ٣٨ .

(٢) ظ: المصدر نفسه، ٦٢ -٩٥ ، ظ: حنان محمد ابو سنينة / منهج السيدة نائلة نائلة صبري في تفسيرها المسمّى(المبصر لنور القرآن) ، رسالة ماجستير . اشراف: د. حازم حسني زيود.

٦ - المتأمّل لتفسيرها يظهر له توظيف الكثير من الأصول والقواعد التّفسيريّة في بيانها، وظهرت عندها مباحث في علوم القرآن وتاريخه وجانب من القصص القرآني . فضلًا عن المباحث الاخلاقية والعقائدية والفقهية .

المبحث السّادس: النَّقدُ في مجال (قَصَصِ القرآن)

مدخل:

شغلت القصّة حيزًا واسعًا في القرآن الكريم، وهذا ينبئ عن أهميّتها ودورها في بناء الإنسان. كما جاءت القصة بدورها كأحد أدوات الهداية الربّانيّة، إذ أنّها عامل أساسي في إصلاح المنظومة الإنسانيّة من جهة ومن أخرى تعرض ما تغيّر من الفطرة الإنسانيّة وهي واعز تذكيريّ تنبيهيّ يعرض ما حلّ بالأنبياء والمرسلين والصّالحين وأقوامهم وما آلت إليه عاقبتهم كي تكون درسًا وعبرةً وعظة، ومن هنا حريّ بالفرد والمجتمع أن يلتفت إليها، فضلًا عمّا تشكّله من أسلوب وجدانيّ وروحي سار مع نزول القرآن لتثبيت قلب النّبيّ المصطفى(صلّى اللّهُ عليهِ وآلهِ) جرّاء ما لاقاه من محن ومشاكل واكبته (صلّى اللّهُ عليهِ وآلهِ) ومن حوله من المؤمنين وحثّهم على الصّبر.. فكانت القصة ذات أساليب متعددة ، وأغراض متنوعة، وآثار تركتها في الواقع ، وعلى ما تقدّم يمكن بسط الكلام في هذا المبحث حسب ما جاء في التّفاسير النّسويّة تفصيلًا وتحليلًا وفق هذه المباحث :

المطلب الأول : القصة القرآنيّة ماهيتها وأهمّيتها وخصائصها ومنهج التّفاسير في عرضها:

المطلب الثاني: أساليب القصّة في القرآن:

المطلب الثالث: أغراض القصّة القرآنيّة :

المطلب الرابع: آثار القصّة القرآنيّة :

المطلب الأول: القصة القرآنيّة ماهيتها وأهمّيتها وخصائصها ومنهج التّفاسير فيها:

توطئة :

سيقفُ البحث في هذا المطلب على مقدمات معرفية لـ(قصص القرآن)، والتي تّعدُّ مفاتيح ضرورية يلزم عرضها ومناقشتها بيد أنّها جزء من متطلبات الخوض في دراسة أي مجال معرفي كما هو معتاد، ناظرًا لما ورد في التّفاسير النّسويّة في ضوءِ ذلك، قاصدًا كشف تعريفها، وبيان أهمّيتها، وما يبرز من خصائصها، وكشف منهج المفسرات في عرض القصّة القرآنيّة وما تعلّق بها ، كل ذلك يأتي في طيات المطالب الآتية :

أ - القصة لغةً واصطلاحًا :

وردت معانٍ كثيرةٌ لمادة (قصص) في التّفاسير النّسويّة حيث ورد: القصص: ما يذكر في مجتمع النّاس[١] وقصصنا: تلونا ذكرهم[٢] فاقصص: فاسرد[٣] ونقصه: نخبرك به[٤] ونقص: نروي، والقصص: إتباع الخبر بعضه بعضًا[٥] هذا ما أوردته (نائلة صبري) في تفسيرها، و(ماجدة الفارس) ترى: فلان يقص أثر فلان ، اي يتبعه. وسمّيت قصصًا لأنّ المعاني تتابع فيها[٦] والمعاني من مما تقدم يمكن حصرها بالآتي: (التلاوة ، والسرد، والاخبار، والرواية، والاتباع) جاءت هاته المفاهيم أغلبها مأخوذةً من المعاني اللغوية التي ذكرها العلماء منهم الجوهري حيث يرى: "[قصص] قَصَّ أثرَه، أي تتبَّعه. قال الله تعالى:﴿ فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ ﴾[٧]. وكذلك اقْتَصَّ أثرَه، وتَقَصَّصَ أثرَه. والقِصَّةُ: الأمرُ والحديث. وقد اقْتَصَصْتُ الحديث: رويته على وجهه. وقد قَصَّ عليه الخبرَ قَصَصًا. والاسمُ أيضًا القَصَصُ بالفتح، وُضِعَ موضع المصدر حتَّى صار أغلبَ عليه. والقِصَصُ، بكسر القاف: جمع القصة التي تكتب"[٨] وذكر وذكر هاته المعاني جملة من المعاجم اللغوية أيضًا [٩]

وأمّا القصة اصطلاحًا فلم يظفر البحث بتعريفٍ لها سوى بعض الأوصاف التي تناثرت في صفحات التّفاسير النّسويّة منها على سبيل المثال : تقول (زينب الغزاليّ) في وصفها لقصة يوسف عليه السلام : "ولعلّ من يدرس فنّ القصة يقول: إنها أساس متين لأروع القصص بكل ما يحمل من مقومات فيه من سبك وحبك ورسم محكم للشّخصيات حتى تصل أحداث القصة إلى ذروتها ، فتجد الحل أمامنا وتتساق العبر والمواعظ التي تجري مجرى الاحداث "[١٠] وتقول (نائلة صبري) في بيانها لقوله تعالى:﴿ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ

---

(١) ظ:نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن، ٢/ ٢٤٦/٣.

(٢) ظ:المصدر نفسه ، ٣/ ٢١/٦.

(٣) ظ: المصدر نفسه، ٤/ ٧٩/٩.

(٤) ظ: المصدر نفسه، ٥/ ١٠٣/١٢.

(٥) ظ: المصدر نفسه، ٥/ ١٢٥/١٢.

(٦) ظ: ماجدة الفارس/التّوضيح والبيان في تفسير آي القرآن، ١٤٩/٢ .

(٧) الكهف :٦٤ .

(٨) الجوهري/ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، ١٠٥١/٣ . مادة(قصص)

(٩) ظ: ابن منظور / لسان العرب، ٧/ ٧٤ (قصص) ، الزبيدي/ تاج العروس، ١٨/ ٩٨ -٩٩ (قصص)

(١٠) ظ: زينب الغزاليّ/ نظرات في كتاب الله، ٥٧٠/١ .

أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ ﴾ [1] يقول الله تعالى لرسوله نحن نحدثك ونروي لك أحسن القصص عن أخبار الامم السابقة السابقة والرّسل و بإيحائنا اليك هذا القرآن وسمّيت احسن القصص لما فيها من العبر والحكم والفوائد التي تصلح للدين والدنيا [2] وهاته البيانات لا تكاد تغني مصطلح القصة بشيء من التّعريف يمكن الركون إليه، .يمكن القول: إنّ القصة القرآنيّة: هي عرض أخبار الأمم التي سلفت انمازت عن غيرها بواقعيتها وصدقها وأحقيتها من عند الله تعالى، جيء بها بالقدر الذي يتطلّبه الحال، ولغرض يستدعيه المقال، ذات وقعٍ معجز وتأثيرٍ في النّفوس. وهذا ما يبدو للباحث .

ب - أهميّة (القصة القرآنيّة):

لمّا كان القرآن الكريم هدفه الاساس هو الهداية والاصلاح فيما فسد من فطرة الإنسان، ويسعى لمواكبته مسير الكمال الرقي، قال تعالى:﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَبِيرٗا ٩ ﴾ [3] وكان القرآن الكريم معجزٌ في ما تضمنه وما يقصده من أغراض كان ذلك باستعمال وسائل متعددة ومتنوعة تستهدف العقل والنّفس والرّوح والوجدان وكل ما من شأنه أن يؤثر على طريقة الإنسان في حياته نحو الهدى وإخراجه من مضلات الفتن ومزالق الهوى، ومن جملة تلك الوسائل هي القصة أو القصص التي كانت محور التأثير المباشر لما تتضمنه من أسرار تعبيرية وفنيّة لها أثر في واقع الإنسان ،وهي بذلك تمثل قوة جذب وإلفات للفرد والمجتمع .

والكلام في أهميّة (القصص القرآني) جاء في التّفاسير النّسويّة على سبيل الإيجاز منها : في قوله تعالى: ﴿ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١١١ ﴾ [4] قالت: وإنّنا لنجد في سيرة الأنبياء وقصصهم خصوصًا سيدنا يوسف عليه السلام عبرًا كثيرةً وعظاتٍ رائعة وذكرًا وهداية لأصحاب القلوب والعقول المكتملة بالحياة والفهم والإدراك.. [5]

وتأتي القصص كغذاء بما اشتملت عليه من قيم سامية وعبر غنيّة بفضائل الأخلاق ، تقول (ماجدة الفارس): جميع قصص القرآن لما اشتملت عليه من الفوائد والحكم والمثل العليا في الصّبر على المكاره

---

(١) يوسف:٣.

(٢) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن ، ٥ / ١٢ / ١٢٥ -١٢٦ .

(٣) الاسراء:٩ .

(٤) يوسف:١١١.

(٥) ظ: زينب الغزاليّ/ نظرات في كتاب الله، ٦٩٧/١ .

والمحن وبيان عاقبة الصابرين .كل ذلك مع ما تبتهج به الرّوح وتتغذّى به النّفس ويتذوقه القارئ والسّامع من لذة وحلاوة [١]

وإذا أردت اسلوبًا تربويًا ناجحًا تنشرح له المشاعر وتتفتح له القلوب والعقول فدونك القصة فما بالك بأحسن القصص، قالت (ماجدة الفارس) أيضًا : القصة المحكمة الدقيقة تنفذ الى النّفس البشريّة بسهولة، وتسترسل معها المشاعر فلا تملّ ولا تكلّ، وذلك عكس الدروس التلقينيّة، ولذا فإنّ الأسلوب القصصيّ أجدى نفعًا واكثر فائدة، وقد كان هذا أسلوبًا تربويًا من أساليب القرآن الكريم [٢]

والمتأمّل يلحظ أنّ القرآن الكريم كيف يجعل التاريخ علمًا إذ يجمع تجارب بشريّة عديدة ليستخرج منها سنن الحياة والهلاك للأمّة [٣] ثم إنّ دراسة التاريخ أو القصص تختزل التّجارب البشرية وتعطيه خبرة الاجيال من قبله فإذا كان المؤمن لا يلذع من جحر مرتين، فكذلك لا ينبغي للمؤمن أن يقع في أخطاء من سبقه دون أن يعدّ ولهذا (ويلز) حين فكر أن يقدّم عملًا ينتفع به الإنسان لم يجد أفضل من أن يَكتبُ تاريخًا للعالم لأنّه شعر أن الإنسان أحوج ما يكون إلى معرفة تاريخ الإنسان ليصحح مساره ويوحد أعماله الإنسانيّة ويتابع مسيرته في الارتقاء [٤]

ت - خصائص ومميّزات (القصة القرآنيّة):

تميّزت القصة القرآنيّة عن غيرها من القصص الأرضيّة كما يعبّر البستاني عنها في (دراسات في علوم القرآن) في جملة من الخصائص المميزات فتجعلها في قمة الروعة والبيان وأدق نظم الفن وفي أقصى رتبة فمن حيث الغرض الهدف التي سيقت له القصة القرآنية ولا يكاد يتحقق شيء من ذلك في قصة من غير القرآن إذ ليس من الممكن أن يأتوا بمثلها لقوله تعالى:﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [٥]

أولًا: الصّدق والواقعية : الناظر للقرآن الكريم يجد القصة فيه تختلف عن القصة الحديثة أو مطلق القصة، حيث يجدها تتحدث بواقع تاريخي بينما تتحدث القصص الأرضية عن واقع مصطنع لا أساس له من الصحة [٦] إذ ليس في القرآن شيء من نسيج الخيال والواقع المصطنع وهذا ما يتميز به النّص القصصي في القرآن عن غيره، وقد وصف نفسه وقصصه بالحق، وقد أشارت التّفاسير النّسويّة الى هذا

---

(١) ظ: ماجدة الفارس /التّوضيح والبيان في تفسير آي القرآن، ١٣/٧ .

(٢) المصدر نفسه، ٨٤/٢ .

(٣) ظ: حنان اللحام/ تأمّلات في سورة هود/ ١٢٠ .

(٤) ظ: حنان اللحام/ من هدي سورة النور، ٩٤.

(٥) الإسراء :٨٨ .

(٦) ظ: البستاني/ دراسات في علوم القرآن، ٢٣٣ .

المضمون . قال تعالى:﴿ نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ نَبَأَهُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى ١٣ ﴾[1] قالت (زينب الغزاليّ) : إنّنا نقص عليك يا محمّد ما وقع على أصحاب الكهف ، وهو أمر مهم لمن يبصر بقلبه وعينه، ويدلنا على أنّ اللّه قادر رحمن، والقرآن يحكي لنا القصة وغايتها، إنّه قصص حق و لا لبس فيه ولا بهتان، وللّه أصدق الحديث[2]

و(حنان اللحام) في تفسيرها لقوله تعالى:﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ ﴾[3] أشارت بقولها: "فالمسلمون ينبغي أن يستوحوا من هذه القصة أسلوبًا للنمو في العلاقات الإنسانيّة والتنبيه(بالحق) مفيد لراوي القصة وللسامعين فقد درج الرّواة على تزيين الأخبار وإدخال المبالغات فيها – بقصد الإثارة - حتى تفقد مغزاها.. فلا تظنوا أن ما يقصّه القرآن من هذا القبيل.. فإنّها تُليت عليكم بالحقّ"[4] وفي قوله تعالى:﴿ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١١١ ﴾[5] قالت: وإننا لنجد في سيرة الأنبياء وقصصهم خصوصًا سيدنا يوسف عليه السلام عبرًا كثيرة وعظات رائعة وذكرًا وهداية لأصحاب القلوب والعقول المكتملة بالحياة والفهم والإدراك .. ومستحيل أن يكون القرآن الكريم أمر يفترى ولكنه تصديق الذي بين يديه من التوراة والانجيل، وجميع كتب اللّه تعالى[6]

ثانيًا : تمتاز القصة القرآنيّة بالجانب الفنيّ في العرض: تقول (زينب الغزاليّ) في وصفها لقصة يوسف عليه السلام : "ولعلّ من يدرس فنّ القصة يقول: إنها أساس متين لأروع القصص بكل ما يحمل من مقومات فيه من سبك وحبك ورسم محكم للشخصيات حتى تصل أحداث القصة إلى ذروتها ، فتجد الحل أمامنا وتتساق العبر والمواعظ التي تجري مجرى الاحداث "[7]

ثانيًا : يمتاز القصص القرآني بالصّدق وأنّه من اللّه تعالى: تقول (زينب الغزاليّ) في قوله تعالى:﴿ بَلۡ قَالُواْ مِثۡلَ مَا قَالَ ٱلۡأَوَّلُونَ ٨١ قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ٨٢ لَقَدۡ وُعِدۡنَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبۡلُ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٨٣ ﴾[8] لم يتعظ أهل مكة ومن حولها ولم يسمعوا ولم يفكروا في كل ما قد

---

(١) الكهف :١٣.

(٢) ظ: زينب الغزاليّ/ نظرات في كتاب اللّه، ٧٢/٢.

(٣) المائدة :٢٧ .

(٤) حنان اللحام/ تأمّلات في سورة المائدة / ٥٨ .

(٥) يوسف:١١١.

(٦) ظ: زينب الغزاليّ/ نظرات في كتاب اللّه، ٦٩٧/١ .

(٧) ظ: المصدر نفسه، ٥٧٠/١ .

(٨) المؤمنون :٨١ -٨٣.

قيل لهم وعرض عليهم ، بل قالوا كما قال قوم ثمود وعاد ونوح ... ثمّ تمادوا في الباطل أكثر، فقالوا: لقد سبق هذا الوعد لأباءنا ولكن نحن لا نعتقده بل نرى أنّه من أساطير وخرافات الذين سبقونا، يعنون أنّ الإعادة محال، وأنّ من يخبر بها إنما استقاها عن كتب الأولين، ويرد عليهم الحق مقررًا وحدانيّته واستقلاله بالخلق والتّصرف والملك، ليرشد أنّه اللّه الذي لا اله الا هو لذا قال تعالى:﴿ قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ ﴾ [1] [2]

وفي قوله تعالى:﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴿٥﴾ ﴾ [3] قالت (زينب الغزاليّ): قال الذين كفروا: أنّ الذي جاء به محمّد ما هو إفك وافتراء وكذب قد اختلقه وأعانه عليه قوم آخرون، فقال الحق:﴿ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا ﴾ قد افتروا هم قولًا باطلًا ، ويعرفون كذب أنفسهم فيما زعموه كما قالوا: إنّه أساطير الأولين .. وليس الذي يقولونه بحق ، إنّما الحق أنّ اللّه سبحانه أنزله على عبده وكلّفه أن يخرج الناس من ظلمات الشرك باللّه إلى نور المعرفة [4]

ثالثًا: وصف اللّه تبارك وتعالى قصص كتابه العزيز بأنّه أحسن القصص وبهذا يشهد القرآن بنفسه على نفسه ، وكفى به شاهدًا ودليلًا . حيث لم تغفلِ التّفاسيرُ النسويّة عن الإشارة الى هذا الصّدد لما له من علاقة متأصلةٍ في محور القصة القرآنيّة فكانت المفسرات على وعيٍ بذلك . فدونك (ماجدة الفارس) في بيانها على احد الشواهد القرآنيّة من سورة يوسف .

تقول (ماجدة الفارس) : في تفسيرها لقوله تعالى:﴿ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [5] اللفظ منصرف الى كل قصص القرآن، وليس الى قصة يوسف بالذّات والدليل قول اللّه تبارك وتعالى:﴿ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ ﴾ فاللفظ يقتضي العموم، ولم يقل بما أوحينا اليك هذه السّورة، ولقد كان قصص القرآن أحسن القصص:

- بانتقاء أحسن الأنباء النّافعة المفيدة ذات العبر .
- واختيار أفصح وأبلغ العبارات .

---

(١)المؤمنون :٨٤ -٨٦٣.

(٢) ظ: زينب الغزاليّ/ نظرات في كتاب اللّه، ٢/ ١٦٤ .

(٣) الفرقان :٤ -٥.

(٤) ظ: زينب الغزاليّ/ نظرات في كتاب اللّه، ٢/ ١٩٢ .

(٥) يوسف:٣.

- وأحسن وسائل البيان ذي التأثير في نفوس أولي الألباب .

رابعًا: يمتاز القصص القرآني عن غيره من القصص بخصائص لا تتسم بها إلا هي منها: كل قصة في القرآن هي أحسن من كل ما يقصّه القاص في غير القرآن، فلا يوجد من القصص في شيء من الكتب مثل هذا القرآن، يشير بذلك إلى جميع قصص القرآن لما اشتملت عليه من الفوائد والحكم والمثل العليا في الصّبر على المكاره والمحن وبيان عاقبة الصابرين .كل ذلك مع ما تبتهج به الرّوح وتتغذّى به النّفس ويتذوقه القارئ والسّامع من لذة وحلاوة، وما تثيره هذه القصّة من عواطف متباينة، فهي كثيرة الاستبشار والأمل والحيرة والتّعجب والحزن والأسى ، والفرح والسّرور والتّألم للظلم والاطمئنان إلى نصرة الحق [١]

وفي المضمون ذاته يمتاز القصص القرآني عمومًا : ما حررته (ماجدة الفارس)) في بيان قوله تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ ﴾[٢] قالت: (أحسن القصص) انتقاءًا واختيارًا ، نظمًا وترتيبًا وتفصيلًا وتبويبًا، أصدقه حديثًا وأشرفه غاية وأكرمه مقصدًا [٣]

ث - منهج التّفاسير النّسوية في عرض (قصص القرآن) :

الجدير بالذّكر معرفة الخطوط العريضة لبيان منهج التّفاسير النّسويّة بشأن تعاملها مع القصص القرآني ،ومدى الافادة منها في عرضها، واستلهام الحكم والعبر من دروسها، وتطبيقها على الواقع أو عكسها على ما يتمخض من حياة البشرية المعاصرة، ليكون القرآن بذلك منهجًا له دوره الواقعي في ترسيخ وتنظيم النُّظم والقيم الالهية التي لطالما سعى القرآن الكريم لتحقيقها في سرد تلكم القصص . والملاحظ في التّفاسير النّسويّة وموقفها من القصص القرآني يمكن عرضه بما يلي:

بنت الشاطئ كانت بعيدة عن دائرة القصة القرآنيّة الا ما اعترضها من آيات -بحكم السّور القصيرة المختارة - وردت فيها إشارة كما في سورة النّازعات ذكرت قصة موسى عليه السلام وفرعون وكانت آيات موجزة فأشارت بنت الشّاطئ الى تفسير الآيات على سبيل بيانها آية آية [٤] وكذلك ما ورد في سورة الفجر من الاشارات [٥] كما نلحظ موقفًا حازمًا لبنت الشّاطئ اتجاه الأخبار التي جاءت تفصيلًا للقصص من غير غير القرآن الكريم حيث تقول: ففيما قص علينا القرآن من نبأ عاد وثمود وفرعون ذي الأوتاد، ما يغنى عن مزيد تفصيل لم يشأ البيان القرآني أن يعرض له. ولا وجه لافتراض أن يكون المصطفى (عليه الصلاة والسلام) أو قومه الأميّون الذين نزل فيهم القرآن عصر المبعث، قد علموا من تفصيل أنباء الأولين أكثر ممّا تنزل به القرآن، ونحن نتلو ما عقب به على أنباء قوم نوح وعاد وثمود ومدين، ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ

---

(١) ظ: ماجدة الفارس /التّوضيح والبيان في تفسير آي القرآن، ١٣/٧ .

(٢) يوسف:٣.

(٣) ماجدة الفارس/ التّوضيح والبيان في تفسير آي القرآن، ١٣/٧.

(٤) ظ: بنت الشاطئ/ التّفسير البيانيّ للقرآن الكريم، ١ /١٤٢ – ١٤٩ .

(٥) ظ: المصدر نفسه، ٢ /١٣٨ -١٤٩.

نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۛ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [1] فمن أين جاءت كل هاتيك التّفصيلات والحكايات التي حشيت بها كتب التّفسير، ولا علم للرسول (عليه الصلاة والسلام) وقومه إلا بما نزل به القرآن، إلا أن تكون من الإسرائيليات التي أقحمها نفر من يهود، على فهمنا لكتاب ديننا، وأضافوا إلى ما جاء في التوراة منها، مرويات أسطورية لا يقبلها عقل ولا يعرفها تاريخ [2]

أمّا (زينب الغزاليّ) تعاملت مع القصة القرآنية بما يمر عليها من السورة دون تفصيلٍ يذكر وتكتفي بالإشارت التي تصرح بها الآية دون الخوض في تفصيلاتها وتأويلاتها ولعلّ السبب في ذلك الإيجاز الذي دأب تفسيرها عليه ، كما نلحظ عليها أنّها لا تعول على الجمع بين آيات القصة الواحدة و لا تشير وتنبّه . فالمفسّرة تكتفي بما يعترضها من آيات القصص فتفسرها وتشير ما تحتويه من معان تدرجها بأسلوبها التدبّري (الاجتهادي)على سبيل الاختصار .

أمّا (حنان اللحام) على ما فسّرت من بعض السور القرآنيّة كانت مهتمة للقصة وتعدّها من السنن التاريخية التي يلزم أن يعدّ لها المجتمع وهي قانون للبشرية، وكانت تشير في مقدمة كل سورة تضمنت قصة أو مجموعة قصص بما تحتويه وعمدت إلى بيانها وتكشف عن عبرها وحكمها التي سيقت من أجلها كما في سورة البقرة من (قصة استخلاف ادم، وقصة البقرة) وفي سورة آل عمران (قصة مريم) وفي السورة المائدة (قصة عيس والحواريين في نزول المائدة) كما ولها تنزيل على الواقع فيما إذا اقتربت الاحداث المعاصرة بالماضية التي أشارت اليها القصة . وكان لها تقسيم للسورة حسب القصص الواردة فيها كما صنعت ذلك في سورة هود. وهذا سنشير إلى بعضه فيما يأتي من المطالب والمباحث .

والنّاظر لتفسير (المبصر لنور القرآن) ل(نائلة صبري) يلحظ لها اهتمامها البالغ في القصة القرآنية. فهي في بيان مميزات السورة تشير الى محاور القصة في مقدمتها فقد تعرضت لجميع القصص التي وردت بحكم تفسيرها التسلسلي . وكذلك (ماجدة (ماجدة الفارس)) في تفسيرها (التوضيح والبيان في تفسير آي القرآن) بحكم تفسيرها الذي انتهى بالمجلد الثامن حتى نهاية سورة النحل في الجزء الرابع عشر من القرآن الكريم .

المطلب الثّاني: أساليب القصّة في القرآن:

تفرّد القرآن الكريم بجملة من الأساليب المتنوعة بقصد الهداية، وكان العرض فيها كلٌّ حسب نوعه، وبما ينسجم مع مضمونه ومحتواه، وما يبتغي من إيصال البشريّة اليه من هدف وغرض سامٍ كامن وراء ذلك النّص القرآني المعجز، ومن جملة الأساليب التي استعملها في سبيل الهداية هو القصّة ما دارت حولها من موضوعات .

---

(١) هود :٤٩ .

(٢) ظ: بنت الشاطئ/ التّفسير البيانيّ للقرآن الكريم، ٢/ ١٤٦ .

إنّ أسلوب القصّة في القرآن جاء متميّزًا عن الأسلوب المعروف للقصّة في التّراث الأدبي والإنساني، حيث يكتفي القرآن الكريم بذكر الأحداث بشكل مقتطفات وبصورة إجماليّة أحيانا تاركًا التّفاصيل، وأحيانا بشكل متقطّع غير موصول، واضعًا يده على نقاط هي بيت القصيد من القصّة [١]

وبهذا المبحث سيُعرض ما ورد في التّفاسير النّسويّة من بيان حول أساليب القرآن الكريم في عرض القصة إن كان على سبيل الايجاز أو التّفصيل أو التكرار، وهذا المطلب في الواقع يحتاج الى دراسة مطولة ومنفردة لكنّ ينبغي الاشارة اليه في هذا المبحث على سبيل الإشارة والايجاز .

أ - أسلوب (الإيجاز والتّفصيل) في قصص القرآن:

النّاظر في القرآن وآيات القصص خصوصًا، يلحظ فيها تنوعًا في العرض من حيث الأسلوب فيظهر من القصة في القرآن الكريم على سبيل الإجمال في بعض الأحيان في سورة وتأتي مفصّلة في سورة أخرى، وكلّ ذلك بما ينسجم والموقف المتطلّب لذلك . وتارة تأتي القصة منفردة الذكر في سورة ولم يذكر لها طرف في سورة أخرى .

إنّ أسلوب التّفصيل والاختصار في القصة يأتي تبعًا للموقف الذي تحدده السورة هذا ما صرّحت به بنت الشاطئ وهي محقّة إذ تقول: ولم يعن القرآن هنا بشيء من تفصيل القصة: لم يذكر نشأة موسى، وصلته الأولى بفرعون. ولم يحدد تاريخ الحادثة، بل لم يذكر كذلك نوع الآية الكبرى التي أراها موسى فرعون، ولا نوع النكال الذي أخذه الله به في الآخرة والأولى. وإنما الذي عناه أن يعرض من القصة موضع العبرة دون تعلق بتفصيل لجزئيات مما ليس من جوهر الموقف. وقد بدأ هنا بالسؤال اللافت المثير:﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ١٥ إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى ١٦ ﴾ [٢]. فطوى كل ما كان من قصة موسى قبل هذا الحديث إذ ناداه ربه بالوادي المقدس طوى. زمن القصة: هل كان بعد عيسى عليه السلام أو قبله. كما اكتفى بطائف على الجنة وأصحابها نائمون. دون أن يشير من قرب أو بعد، إلى ما يسيغ الرّوايات الغريبة التي تقول في {طَّائِفٌ} إنه شيطان، أو أنه جبريل اقتلع شجرها ونخيلها وحمله فطاف به حول الكعبة ثم غرسه في موضع بلدة الطائف! [٣]

تشير (حنان اللحام) الى اسلوب القرآن الكريم في عرض القصة في سورة ما وتلحظ فيما إذا كان هناك ذكر لها في سورة أخرى، وتشير ايضًا اذا كان ذكر القصة قد انفرد بالسورة المعنيّة أم لا ومن ذلك في تفسيرها لسورة هود و تقول: "وتتفرد السورة بتفصيل في قصّة نوح لا نجده في أي سورة أخرى وذلك في مشهد الطوفان وغرق ابن نوح وما يحيط به من حقائق وتوجيهات "[٤]

---

(١) ظ: معرفة/ التّمهيد في علوم القرآن، ٧/ ٤٤٦ .

(٢) النازعات :١٥ -١٦ .

(٣) ظ: بنت الشاطئ/ التّفسير البيانيّ للقرآن الكريم، ٢ /٦٥.

(٤) ظ: حنان اللحام/ تأمّلات في سورة هود/ ١٠ .

وتقول (ماجدة (ماجدة الفارس)) بهذا الصدد : سمّيت سورة (يونس) بهذا الاسم بينما قصة يونس فيها لا تتجاوز اشارة سريعة وذلك في قوله تعالى:﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ ﴾ [1] السبب أنّ قصة يونس هي السبب الوحيد البارز للقوم الذين يدركون أنفسهم قبل مباغتة العذاب، فيثوبون إلى ربهم، وفي الوقت سعة، وهم وحدهم في تاريخ الدعوات الذين آمنوا جماعة بعد تكذيب، فكشف الله عنهم العذاب.، وتلك الخصوصية كرامة ليونس عليه السلام بالرّغم من انّ القرآن ذكر قصته في سورة الصافات بأوسع ممّا في هذه السّورة، لكن وجه التّسمية لا يوجبها ذلك، بعكس قصة فرعون وقومه التي يذكرها الله في هذه السورة أيضًا، والتي جاءتهم الفرصة تلو الفرصة ولم يؤمنوا [2] ذكرت (نائلة صبري) سبب التّسمية بالعلة نفسها التي أشارت اليها (ماجدة (ماجدة الفارس)) من أن قوم يونس عليه السلام قد تابوا وآمنوا قبل حلول البلاء والعذاب عليهم [3]

وناتج ما تقدّم: إنّ القصص القرآني لم يأتِ على وتيرة واحدة في الاختصار أو التّفصيل، بل إنّ منه جاء مختصرًا ومنه مبسوطًا، ومنه ما اختصر في موضع ومفصّل في موضع آخر، كما يتّضح أن القرآن الكريم لا يعنى بتفصيل جزئيات الأحداث، ولا أسماء الأشخاص ولا أوصافهم وأماكن وجودهم، إنّما يقتصر على موضع العظة ويهدف إلى مكامن العبرة والغرض الذي سيق من أجله ذلك المقطع القصصي.

ب - اسلوب (التّكرار) في قصص القرآن: :

القارئ النّبه للقرآن الكريم لا سيما آيات القصص منه يظهر له ملحظ التّكرار في بعض المشاهد القصصية في جملة من السّور القرآنية وبعضها الآخر جاء دون تكرار، ولهذا التكرار لا شك أن يكون وراءه مغزى يعبّر عن حكم وأسرار كامنة في سر النّص القرآني المعجز الذي أبهر الألباب .

تقول بنت الشاطئ في معرض بيانها أهميّة التكرار في القرآن الكريم واعتراضها على من قال من البلاغيين من أن التكرار يأتي من الاطناب ففي قوله تعالى:﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ ﴾ [4] إنّ ما يقوى التّأكيد فيه بتكرار الجملة مرتين نفياُ للشك وتقوية للإيناس. والبلاغيّون يعدون التّكرار، من الإطناب الذي يزيد على المساواة، ويلفتنا من البيان القرآني، أن التّكرار يأتي في قصار السور - ومنه القدر، والتكاثر، والكافرون، والناس - حيث لا مجال في مثلها لقول بالإطناب، ولا يكون التّكرار إطنابًا مع حاجة المقام إليه [5] وأكدت مسألة التكرار أكثر في موطن آخر حيث عبّرت عنه

---

(١) يونس:٩٨ .

(٢) ظ: ماجدة الفارس/ التّوضيح والبيان في تفسير آي القرآن، ٦/٢٣٣ .

(٣) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن، ٥ / ١١ /٦٠ .

(٤) الشرح :٥ - ٦ .

(٥) ظ: بنت الشاطئ/ التّفسير البيانيّ للقرآن الكريم، ١/ ٦٨ .

بأنه ظاهرة أسلوبيّة ثم قالت: "والتّكرار مألوف في مواقف الإطناب والإطالة، لكنه حين يأتي في مواقف الإيجاز الحاسمة، يكون لافتًا ومثيرًا، ففي سورة الزلزلة، على إيجازها وقصر آياتها، نجد التّكرار في ثمانية مواضع. وهذه ظاهرة أسلوبية في القرآن الكريم، يعمد فيها إلى التكرار مع الإيجاز والقصر، ترسيخًا وتقريرًا وإقناعًا. والدارسة النفسية قد انتهت بعد طول التجارب، إلى أن مثل هذا الأسلوب هو أقوى أساليب الترسيخ والإقناع، وأشدها إيحاء بالحسم والجد"[١]

تقول (حنان اللحام): التّكرار من أساليب البلاغة، وهو من أعظم أسباب التأثير والإقناع، ولهذا يستعمل كثيرًا في الإعلان ، وهو هنا يوحي لنا بثقل التردد والتهيب في نفوس المؤمنين من الإقدام على هذه الخطوة، فيأتي التكرار لمزيد من البيان بأنّ الحكم يدور مقصده وضمن الظروف التاريخيّة التي اقتضته [٢]

ترى (حنان اللحام) في المقارنة بين سورة يونس وسورة هود في محور القصص حيث تذكر: وجاء خلالهما التحدي بالقرآن لكن في يونس كان أوسع بينما تأتي القصص في سورة هود مفصلة أكثر . فكأنه قد أجمل في كل منهما ما فصل في الأخرى. مع فوائد انفردت بها كل منهما.. فهما باتفاق الموضوع واختلاف النظم والأسلوب آيتان من آيات إعجاز الله ، لأنّ البراعة أن تتحدث في موضوع واحد عدّة مرات وكل مرة تختلف عن سابقاتها وفيها الطلاوة والامتاع ما لا يسمح للسامع أو القارئ بالملل. [٣]

ولها كلام في تفسيرها لسورة هود إذ تقول: رُبما لإظهار الاعجاز القرآنيّ الذي يعرض الموضوع الواحد بأساليب منوعة مع تصريف في الأدلة والأمثلة .. حتى قصص الأنبياء تتكرر ولكن كل سورة لها نكهتها وطابعها الفريد وخطها في التأثير والايحاء، كل هذا مع عدم وقوع الاختلاف والتناقض﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾[٤] ولا مانع بأن تستنصروا بمن تريدون ليعاونوكم ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ ﴾[٥] [٦] وفي سورة المائدة واصفة إياها : وفي السورة قصص عن أخطاء أهل الكتاب تعرض للعبرة.. وبعضها لا يتكرر ذكره في غير هذه السورة . مثل قصة دخول الأرض المقدسة وقصة المائدة وقصة ابني آدم تفردت بها السورة وكأنها اللوحة النهائية التي يجب أن تستوحي منها العلاقات الإنسانيّة السليمة [٧]

---

(١) المصدر نفسه، ١/ ٧٩ .

(٢) ظ: حنان اللحام/ تفسير سورة التوبة، ٤٠ .

(٣) ظ: حنان اللحام / تأمّلات في سورة هود، ١٠ .

(٤) النساء :٨٢.

(٥) هود :١٣.

(٦) ظ: حنان اللحام / تأمّلات في سورة هود/ ٣٦ .

(٧) ظ: حنان اللحام/ تأمّلات في سورة المائدة / ١٢ (المقدمة) .

وتقول (نائلة صبري) في التكرار: وردت قصة يوسف في سورة يوسف في ثمان وتسعين آية وقدم لها ثلاث آيات واختتمت بعشر آيات ذكر فيها عن الرسل الذين ذكرت قصصهم وأحوال أقوامهم، ثم ذكرت المفسرة أطول قصة ذكرت قصة يوسف؛ لما لاقاه من أنواع البلاء والمكاره والمحن .. ، كما ذكرت أن قصة يوسف لم تتكرر كما كررت أقاصيص الرسل والأنبياء في القرآن الكريم [١]

وترى (ماجدة (ماجدة الفارس)): إنّما عادة أسلوب القرآن الكريم في القصص أن يسوق من مشاهد القصة ما يخدم الغرض الذي سيقت من أجله السورة القرآنيّة ، والهدف الذي تتوخى تحقيقه، فيختار المشهد الذي يحقق الغاية المرجوة في غير إخلال في عرض الأحداث، أو تبديل لها، بل يعرض المقطع أو المشهد المراد سرده مع مراعاة الصدق الواقعي، والصدق الفنّيّ، والتكامل مع المشاهد الأخرى للقصة نفسها في مواضع أخرى [٢]

وتقول (ماجدة (ماجدة الفارس)) أيضاً: تتكرر القصة القرآنية في مواضع لكنّها تأتي بأسلوب يتميّز عن الآخر بما يحقق الغرض من هذا المعنى في ذلك الموضع. مثلًا: في سورة مريم : عرضت القصة ولكن بسطت ميلاد عيسى عليه السلام ولم تكن هناك حلقة لميلاد مريم، وفي سورة آل عمران اختصار شديد لمولده عليه السلام وتوضيح ولادة مريم . ثم التّفصيل في رسالة عيسى والحواريين ومناظرته معهم في قضية التوحيد والدين [٣]

التكرار : بما يكشف طبيعة الأسلوب القرآني في غرض القصص، وإعجازه البليغ وبلاغة القرآن في أعلى مراتبها (فمن خصائص البلاغة إبراز المعنى الواحد في صور مختلفة) وبصورة غير مملة مما يؤكد مسألة [٤] :

- تحدّي القرآن لهم مع عجزهم عن الاتيان بسورة مثله (أي مشركي قريش)
- تمكين تلك العبر في النفوس: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [٥] ومن العبر : نهاية الفجار –الصراع بين الحق والباطل - العاقبة للمتقين .

المطلب الثالث: أغراض وحكم (القصة القرآنيّة):

---

(١) ظ/ نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن، ١٢/٥ / ١٢٣ .

(٢) ظ: د. أمحمد محمد صافي المستغانمي / تصريف القول في القصص القرآنيّ/ ١٠ .

(٣) ظ: ماجدة الفارس/ التّوضيح والبيان في تفسير آي القرآن، ٨٥/٢ .

(٤) ظ: المصدر نفسه، ٨٥/٢ -٨٦ .

(٥) يوسف:١١١.

عرف الغرض :"هو المقصد الذي من أجله نزلت القصة القرآنية وهو الذي من أجله بنيت على صورة خاصة وعرضت بأسلوب خاص"[١] وقد عبّر القرآن في نهاية قصة موسى وفرعون في سورة النازعات عل سبيل المثال بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٢٦﴾ ﴾[٢] وللوقوف على معنى العبرة والاعتبار فقد وقفت بنت الشاطئ على هذا المعنى تقول: العبرة: الاعتبار، وربما كان استعماله اللغوي الأول في تعبير الدراهم أي وزنها لمعرفة قيمتها، أو من: عبر الوادي. إذا قطعه من عبره إلى عبره. وقيل عبر الكتاب إذا تدبره ولم يرفع صوته بقراءته. وناقة عبر أسفار: مجربة لا يزال يسافر عليها. واستعمال العبرة في الاعتبار، ملحوظ فيه أن المرء يرى مثلًا أمامه فيزنه ويخبره ويتدبره ويتعظ به. والمثل هنا في (النازعات) هو فرعون الذي طغى، وكذب وعصى. وحسبه مثلًا لمن يتعظ، وعبرة لمن يخشى[٣]

ويمتاز القصص القرآني عن غيره من القصص في نقطة مركزية، وهي: قضية الهدف والغرض، وتنعكس هذه النقطة على خصائص وميزات أخرى .فالقرآن لم يتناول القصّة باعتبار أنّها عمل (فنّي) مستقل في موضوعه وطريقة التعبير فيها كما أنّه لم يأت بها من أجل الحديث عن أخبار الماضين، أو من أجل التّسلية والمتعة كما يفعل المؤرخون أو القصّاصون، وإنّما كان الغرض هو: المساهمة مع جملة الأساليب الأخرى التي استعملها القرآن ؛ لتحقيق أهدافه وأغراضه الدينيّة التي جاء من أجلها، وكانت القصّة من أهمّ هذه الأساليب[٤] . لذا سيُعرض ما دونته التّفاسير النّسويّة في هذا المضمون ويُعمد لتصنيفها بجملة من النّقاط وهي :

أ -إثبات وحي اللّه تعالى وتوحيده ورسالته:

إنّ من أهمّ أهداف القصة وأغراضها هو إثبات توحيد اللّه تعالى بأسهل الطرق وأكثرها إقناعًا وتأثيرًا بالسامعين ، فمسألة إثبات الوحدانيّة من أصعب وأعقد المسائل عند أهل الكلام إلا أنّ القرآن عرضها بأبسط صورة وأثبتها بأدلة عقلية منطقية يفهمها الجميع على حدّ سواء .

فالقرآن الكريم كلُّه من عند اللّه تبارك وتعالى وليس من عند المصطفى (صلّى اللّهُ عليهِ وآلهِ) إنّما هو وحيٌ أوحاه اليه رب العالمين بهدف هداية البشرية ولم تخرج القصص عنه، ترى ذلك بما وقفت عنده (زينب الغزاليّ) في تفسيرها إذ تقول: إنّ ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾[٥] والاشارة الى موقف الكهنة

---

(١) خلف اللّه/الفنّ القصصي في القرآن الكريم، ٢٢٦ .

(٢) النازعات :٢٦ .

(٣) ظ: بنت الشاطئ/ التّفسير البيانيّ للقرآن الكريم ، ١ /١٤٩ .

(٤) ظ: الحكيم/ القصص القرآني، ٢١ .

(٥) آل عمران :٤٤ .

حينئذٍ من مريم عليها السلام فمن أين جاء به محمّد(صلّى اللّهُ عليهِ وآلهِ)، هل كان (صلّى اللّهُ عليهِ وآلهِ) معهم إذ يختصمون؟ هل اطلع الرسول(صلّى اللّهُ عليهِ وآلهِ) على التّوراة والانجيل فاستقى هذا الحيث منهما ؟ كلا فقد خلقت منهما تمامًا عن ذكره. فمن أين جاء به رسول الله (صلّى اللّهُ عليهِ وآلهِ) يامن تفكرون بنبوته؟ الإجابة﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [1] [2] وفي هذه الآية تقول (نائلة صبري): خطاب من الله تعالى لرسوله الكريم(صلّى اللّهُ عليهِ وآلهِ) ذلك القصص الذي قصصناه عليك –قصة مريم وأمها (حنة) – ما كنت تعلمها ولا قومك ولم تقرأ عنها ولا أعلمك أحد، فمحمّد كان أميًا وكذا قومه، وأوحى الله اليه بذلك حجة ودليلًا على نبوته (صلّى اللّهُ عليهِ وآلهِ) ونظير هذه الآية آية (٤٩) من سورة هود [3]

وفي بيان مصدريته وتوحيد الله تعالى أشارت (زينب الغزاليّ) في قوله تعالى:﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ ﴾ [4] قالت: إنّ الذي قصصناه عليك يا محمّد في شأن عيسى لهو الحق الذي لا معدل عنه ولا محيد، وما من إلهٍ إلا الله – وهو ردٌّ على النصارى المدعين بألوهية عيسى والقائلين بالتثليث – وإنّ الله هو العزيز الذي لا يشاركه في ألوهيته ولا في حكمه أحد [5]

تأتي القصة لتثبيت الإيمان وعدم إعطاء الفرصة للتكذيب قالت (حنان اللحام) في بيان قوله تعالى:﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَاۖ فَٱصْبِرْۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [6] إذ لا علم لكم بهذه التّفصيلات في القصّة إن كنتم سمعتم من الآخرين عنها، فهو الوحي اليك ، ولو كانوا يعلمون لاحتجّوا وكذّبوا بالآيات ولكن لم ينقل شيء من ذلك [7]

وقالت (نائلة صبري) في قول الله سبحانه:﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ ﴾ [8] هذه الآية خطاب من الله تعالى الى رسوله الكريم أن هذا الذي قصصته عليك وأنبأتك

---

(١) آل عمران :٤٤ .

(٢) ظ: زينب الغزاليّ/ نظرات في كتاب الله، ١/ ١٩٢ -١٩٣ .

(٣) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن، ٢/ ٣/ ٢٢٠ .

(٤)آل عمران :٥٢ .

(٥) ظ: زينب الغزاليّ/ نظرات في كتاب الله، ١/ ١٩٩ .

(٦) هود :٤٩ .

(٧) ظ: حنان اللحام/ تأمّلات في سورة هود، ٧٦ .

(٨) آل عمران :٦٢.

به من أمر عيسى وأمه البتول وأنه عبد الله وكلمته .. لهو القصص الحق لا كما يدعيه النّصارى كون عيسى عليه السلام إلهًا وابن الله أو ثالث ثلاثة ولا كما يزعمه اليهود أنّه ابن زنا [١]

من فوائدها تثبيت قلب النّبيّ (صلّى اللّهُ عليهِ وآلهِ) وإظهار صدق نبوته لأنه يخبر عن أحوال الماضين. كما قال تعالى: ﴿ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۗ قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾[٢] [٣] كما تؤكّد القصص القرآنية بشكل أساسي على قضية قضية (التوحيد والألوهية) وتبسطها بطريقة لا تدع مجالًا لإثارة أيّة شبهة [٤]

ب - النّصر حليف الأنبياء عليهم السلام والمؤمنين :

تأتي القصة بغرض اظهار نصر الأنبياء عليهم السلام وبيان حال أقوامهم وما آلت عاقبتهم جراء تكذيبهم وجحدهم وأذيتهم لأولياء الله تبارك وتعالى وذلك ما يطمئن قلب النّبيّ(صلّى اللّهُ عليهِ وآلهِ) ومن حوله من المسلمين. فتأتي للذكرى والموعظة والتّثبيت، قالت (زينب الغزاليّ) بهذا الصدد: المقصود من سرد قصص ليوسف ويعقوب عليهما السلام إنّما هو تسلية ومواساة النبيّ (صلّى اللّهُ عليهِ وآلهِ) ليصابر ويرابط ومن معه من المؤمنين حتى ينتصر الحقّ ويخذل الباطل وتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الكافرين هي السفلى قال تعالى:﴿ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ ﴾[٥] قالت: لم يكن عندك علم أو خبر يا محمّد قبل أن نقصّ عليك هذا القصص المبين ، فعايش من سبقك في قصصهم حتى يتحقق لك النّصر والفوز [٦]

ت - حسن المعاملة واللطف بالأنبياء عليهم السلام:

تأتي القصة بغرض بيان علاقة الخالق برسله وأنبياءه ومدى صلته بهم تحننًا ورحمةً ولطفًا ومواساةً لهم بما يمرون به في حياتهم لما تشهدها من ألوان البلاءات والمحن والالام ، يا ترى هل يعقل أن يترك رسول أو نبيّ في خضم هذه المواقف الصعبة ؟! حاشا لله أن يكون كذلك . وبهذا المقصد ترى بنت الشاطئ في قوله تعالى:﴿ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ ﴿٤٨﴾ لَّوۡلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعۡمَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ مَذۡمُومٞ

---

(١) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن، ٢/ ٣/ ٢٤٧.

(٢) آل عمران :٩٣.

(٣) ظ: ماجدة الفارس/ التّوضيح والبيان في تفسير آي القرآن، ٨٥/٢ .

(٤) ظ: المصدر نفسه، ٨٥/٢ .

(٥) يوسف:٣.

(٦) ظ: زينب الغزاليّ/ نظرات في كتاب الله، ١/ ٥٦٨ . ١/ ٥٨٩.

﴿٤٩﴾ فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [1] صاحب الحوت هو يونس عليه السلام وقصته طويلة، نقتصر فيها على ما جاء في القرآن الكريم، ولا يكاد في جملته يخرج عمّا في سورة القلم حيث تلفت الآيات إلى جوهر القصة ومناط العبرة، والخطاب فيها إلى المصطفى (صلّى اللّهُ عليهِ وآلهِ)، تقوية له على ما يحتمل من أذى المكذبين، ورياضة له على الصّبر لحكم ربه عن رضى وتسليم، لا عن غيظ مكبوت وضيق مكظوم. [2]

و(حنان اللحام) أشارت أيضًا إلى غرض تثبيت قلب النبيّ (صلّى اللّهُ عليهِ وآلهِ) وذكرى للمؤمنين، قال تعالى:﴿ وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَقُّ وَمَوۡعِظَةٞ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [3] قالت: فإن رأيت ما حدث لمن قبلك من الرسل وكيف جادلتهم أقوامهم وكيف كذبوهم وهددوهم .. ثم جاء وعد الله فأهلك المكذبين ونجّا الرسل .. أن هذا يسليك ويزيد من يقينك في أنّ العاقبة للمتقين [4] وأشارت (نائلة صبري) الى هذا المضمون في تفسيرها لذات النّص [5]

ث - ترسيخ مبادئ الاخلاق وبثها في المجتمع الاسلامي:

لاشك أن ما تحتويه القصة القرآنيّة من قيم انسانيّة ودروس تربوية أخلاقيّة كانت هدفًا في سياقها وعرضها على المجتمع، يأتي ذلك من باب التّذكير سواء أكان تبشيرًا أو تحذيرًا ، في قوله تعالى:﴿ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِۖ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۡۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾ [6] قالت (زينب الغزاليّ): ختم الله تعالى هذه الآية بالتذكير المفزع أي: قل هذه القصص، وهذه العبرة لعلماء بني اسرائيل لعلهم يتفكرون في رحمة الله وعقابه [7] وذكرت (نائلة صبري) في تفسير ذات الآية بالغرض نفسه المساق في باب باب التّذكير والموعظة [8] قال تعالى:﴿ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَ ﴾ [9] قالت (زينب الغزاليّ) فيها: تحمّل الرسل باطل الناس وصابروا وصبروا وأتمّ كلّ نبي رسالته، حتى جاء محمّد(صلّى اللّهُ عليهِ وآلهِ)

---

(١) القلم :٤٨ -٥٠ .

(٢) ظ: بنت الشاطئ/ التّفسير البيانيّ للقرآن الكريم، ٢ /٧٠.

(٣) هود :١٢٠ .

(٤) ظ: حنان اللحام/ تأمّلات في سورة هود/ ١٣٤ .

(٥) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن، ١٢/٥ /١٢٠ .

(٦) الأعراف:١٧٦ .

(٧) ظ: زينب الغزاليّ/ نظرات في كتاب الله، ١/ ٤٥٤ .

(٨) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن، ٤/ ٩ / ٨٠ ، ٥/ ١٢ / ١٠٣.

(٩) آل عمران :٤٤.

وحمل في قلبه ومشاعره كل ما قص الله عليه من أنباء الرسل، فثبّت الله بذلك قلبه [١] وفي موطن آخر قالت: فهذه الأخبار فيها عظة وذكرى لك ولمن حولك من أولي الألباب [٢]

ج - بيان وجه الاعجاز القصصي :

لمّا كان القصص يحدّث عن أخبار قد خلت من قبل نزول القرآن بمئات السّنين، فلا يمكن لأحد أن يخبر بها سواء كان نبيًا أو رسولًا دون قدرة وصلة بعلم الله تبارك وتعالى ووحيه ودراية من غيبه الذي لا يطلعه لأحد إلا لمن ارتضى من عباده، فتشكّل هذه المسألة وجهًا من وجوه الأعجاز .

لا سيما وقد عاش النبيّ المصطفى (صلّى اللّهُ عليهِ وآلهِ) بين ظهرانيهم وهم يعلمون قدرته المعرفية المحدودة، قالت (حنان اللحام): هم يعلمون أنّ محمّدًا (صلّى اللّهُ عليهِ وآلهِ) كان أمّيًّا لم يقرأ الكتب السّابقة ولم يخالط أهل الكتاب حتى يعرف منهم هذه الأخبار. فكيف يحدثكم بهذه القصة؟ هل كان حاضرًا عندما جرت هذه الاحداث كلها؟ [٣] هذا بإخبار القرآن الكريم عن الماضي فما بالك بأنباء المستقبل حيث يصرح بمعرفة الفرس والروم قبل حدوثها ويعطي نتيجة المعركة، فلننظر ماذا قالت (نائلة صبري) في تفسير أوائل سورة الروم.: الروم بعد انهزامهم أمام الفرس سيغلبون الفرس وينتصرون عليهم في فترة ما بين ثلاث سنوات أو أكثر، وهنا تظهر معجزة القرآن الكريم وهو يذكر حادثة قبل وقوعها ووقوعها في المستقبل ، فحدثت الحرب بين الفرس والروم فغلبت فارس الروم، والتقى الجيشان ثانية بعد سنين فغلبت الروم فارس وهزمتهم وفرح المسلمون بذلك، وتحققت نبوءة القرآن الكريم حيث أخبر عن الغيب الذي لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى [٤]

كما أنّ أسلوب القصة جاء متوشحًا ببلاغة وفصاحة بيان فاقت فصاحتهم وبيانهم حيث أسلوبها وعرضها الملفت للنظر . تقول (حنان اللحام) في قصة طالوت من سورة البقرة جاء بها القرآن في غرض لبلاغة من إيجاز في عرض القصص، إذ ليست الغاية هي السّرد للإمتاع ولكن للعبرة [٥]

ممّا تقدم تتلخص الاغراض القصصية في القرآن الكريم منها : الرّساليّة : التي تتعلق بالتوحيد وما يتعلق من إثبات الوحي والرّسالة وصدق النّبوة للرّسول الخاتم (صلّى اللّهُ عليهِ وآلهِ) ومنها ما دفع الشّبه في ذلك زمنها ما جاء في سياق تثبيت فؤاد النبيّ(صلّى اللّهُ عليهِ وآلهِ)، ومنها ما يتعلّق بالإعجاز القصصي التّاريخي. ومنها التّربوية التي تتعلق بتربيّة الأمّة بسرد ما جرى من أحداث على الأنبياء وأقوامهم وما آلت اليه عاقبتهم . كما تأتي تلكم القصص للذكرى وأخذ العِظة والعِبرة من دروسها. ومنها ما كان

---

(١) ظ: زينب الغزاليّ/ نظرات في كتاب الله ، ٦٥٠/١ .

(٢) ظ: المصدر نفسه، ٦٧٦/١ .

(٣) ظ: حنان اللحام/ من هدي سورة آل عمران، ٦٧ .

(٤) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن، ٨/ ٢١ / ٢٧ .

(٥) ظ: حنان اللحام/ من هدي سورة النّساء/ ٥٠٩ .

بأغراضٍ اجتماعيةٍ وتاريخيّة أخذ القرآن على عاتقه تسجيل الحقائق وحفظها لتكون مثلًا يُقتدى به على مرّ العصور .

المطلب الرّابع : آثار القصة القرآنيّة في التّفاسير النّسويّة :

يمكن فرض بعض التساؤلات منها : هل أثّرت القصة بهواجس عملية التّفسير وجعلته يتجه صوب مجال ما سواء أكان اجتماعيًا أو حضاريًا أو علميًا أو غير ذلك ؟ وهل أثارت تلكم القصص طبيعة التّفاسير بما تختلجه من أثار نفسية كالانتصار للمرأة بإظهار دورها ومكانتها على سبيل المثال؟ هل أثّرت القصة القرآنيّة في الميول العقائدي في التفاسير؟، كل هذه الأسئلة الإفتراضية يمكن أن نعرضها لنجد لها إجابة فيما يأتي من مطالب :

أ - الأثر النّفسيّ للقصص القرآن:

يقصد بالأثر النّفسي الذي يختلج المفسرات اتجاه شأن المرأة والميل لحقوقها لا سيما في حقوقها ضمن دائرة القصص القرآني ويلمح البحث أمارات بل تصريحات واضحة تنبئ عن انتصار التّفاسير النّسوية للمرأة في هذا الصدد وهذا يعبر بحد ذاته من أثر نفسي للمفسرة وهو واضح -كونها تنتمي لجنسها - اتجاه النّص القرآنيّ وهذا ما بدى واضحًا عند ((حنان اللحام)) في تفسيرها لسورة الطلاق تقول: لقد تكلمت كثيرًا وكتبت عن منزلة المرأة في القرآن وما أعطيت من حقوق موازية للرّجل وما كلفت به من دور جليل في الخلافة في الأرض فهي مقصودة مع الرجل بقوله تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾[1] ومسؤولة عن الإصلاح في الأرض لكن الأمر ما زال بحاجة إلى مزيد من البحث والتوعية في مجالات عدة ، أخصّ بالذّكر منها ما يأتي[2] :

١ - إيجاد دراسات تفرز الضّعيف من الآثار في السّنة وتنحيه لإزالة العوائق أمام المرأة.

٢ - ضرورة التّمييز بين النّصوص الواردة في القرآن والسنّة وما كتب حولها من شروح وأبحاث . فالشرح والفهم نتاج بشري قابل للصواب والخطأ ولا يجوز خلطه مع الإلهي المقدس .

٣ - ضرورة التّمييز بين النّصوص الواردة – في القرآن والسّنة الصّحيحة - وواقع المسلمين المتردي الان.. ليس في قضايا المرأة فقط بل في كل مجالات الحياة .

٤ - لا بد من التّمييز بين النّصوص الواردة بين الأسس التّي تمثل (مقاصد الشّريعة) وبين الاحكام الفرعيّة المرحليّة التي خضعت للبيئة والظروف المعاصرة لمجيء النّصوص، ممّا يفتح المجال لاجتهاد العلماء فيما استجد للناس من أحوال لربطها بمقاصد الدين . مثلًا كانت المرأة في الماضي بعيدة عن المعاملات الماليّة وقضايا السّوق .. فمن الطبيعي أن تكون شهادتها أقل من شهادة الرّجل والمقصد الالهي حفظ حقوق

---

(١) البقرة :٣٠ .

(٢) ظ:حنان اللحام/ أضواء حول سورة الطلاق،١٢ -١٣ .

وتحقيق العدل . وقد ربط الله الحكم بعلته﴿ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ ﴾[1] أمّا الان فإن كثيرات قد أصبحن متخصصات في التّجارة والإدارة والحقوق الماليّة ويشغلن مناصب وظيفية تتناسب مع مؤهلاتهنّ العلمية ،. فهل شهادة المرأة من هذا النوع تقل عن شهادة الرجل؟ بل أليست شهادتها أفضل وأعدل من شهادة رجل عادي غير متخصص ولا متمرس في هذه الأمور؟!

يمكن التّعقيب على النّقطة الرّابعة في شأن مسألة التّفريق بين نصوص المقاصد الاساسيّة والنّصوص المرحليّة التي يمكن الاجتهاد فيها على حد تعبير ((حنان اللحام)) ومثالها الذي ساقته لذلك كان بخصوص (شهادة المرأة) حيث أنّها كانت في زمن ما تطلب حضور امرأتين على أن شهادة واحدة تكون بذلك أقلّ من الرجل . ويمكن توجيه النص على جانبين وهما بالواقع يحددان دور المرأة في مسالة شهادتها .

الجانب الأول: إن تفسيرها للنّص يلحظ فيه دفاع عن المرأة وحقها، ولها حق في ذلك التوجيه يرى بعضهم في ذلك : أنّ في قوله تعالى﴿ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا ﴾[2]"إشارة إلى جواب سؤال مقدّر ، تقريره لم جعل امرأتين مقام رجل ؟ فأجاب [بأن] جعل ذلك مخافة أن تضلّ إحداهما أي تنسى فإنهنّ لضعف عقولهنّ وبرد مزاجهنّ أميل إلى النّسيان، بخلاف الرّجال، فإنّهم أبعد عن النّسيان لزيادة عقولهم وحرارة مزاجهم"[3] وهذا توجيه آخر وهو من فهم المفسر، لكن النّسيان هو من متعلقات الذاكرة ولا علاقة له بالعقول وقد لا يقبل هذا التوجيه بمنطق اليوم. وقد أشارت (ماجدة (ماجدة الفارس)) بهذا الصدد بقوله: المرأة مقابل الرجل؛ لضعف ذاكرتها غالبًا وقوة حافظة الرجل، أو الأصل في فكر المرأة غير مشغول بالمجتمع الاقتصادي وهذا ليس من طبيعتها وما جُبلت عليه كما قال لمفسرون[4]

الجانب الثّاني : إذ ليس هناك في الآية ما يقلل من المرأة بل يرفع من شأنها في إقامة القسط والشهادة، أي أنّ العدالة بينها وبين الرجل في شأن الشهادة واحد، وإذا ما رجعنا الى ما قرره الطباطبائي فإنّه بقوله : إنّ ما بينته الآية واعتبرته من أحكام الشهادة - ومنها ضم الواحد إلى آخر ليكونا اثنين - أكثر مطابقة للقسط وقيام الشهادة ورفع الريب . ثم لما كان الاسلام في اعتباره الواحد الذي يتكون منه المجتمع الإنساني يعد المرأة جزء مشمولًا للحكم أشركها مع الرجل في إعطاء حق إقامة الشهادات إلا أنّه لما اعتبر في المجتمع الذي كونه أن يكون مبنيًا على التّعقل دون العواطف والمرأة إنسان عاطفي أعطاها من الحق والوزن نصف ما للرجل ، فشهادة امرأتين اثنتين تعدل شهادة رجل واحد [5]

---

(١) البقرة :٢٨٢.

(٢)البقرة :٢٨٢.

(٣) السيوري/ كنز العرفان في فقه القرآن، ٥٢/٢ .

(٤) ظ: ماجدة الفارس/ التوضيح والبيان في تفسير آي القرآن، ١/ ٤٩٩.

(٥) ظ: الطباطبائي/ الميزان في تفسير القرآن، ٢٠٤/٦ .

وخلاصة الأمر في السبب وراء ذلك: هو أنّ المرأة كائن عاطفي وقد تقع تحت مؤثرات خارجية، لذلك فوجود امرأة أخرى معها يحول بينها وبين التأثير العاطفي وغيره: أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى . وهذا من أهمّ الأحكام الإسلاميّة ولا يقوم القسط والعدل إلا به[١] أو أنّ المجتمع آنذاك لا يعير لشهادة المرأة فلو كانت واحدة لاعترض عليها .

أمّا ربطها بشؤون الحياة ومداخلاتها العمليّة كالتّجارة وممارسة الأعمال فلا ربط بين ذلك كله وشأن شهادتها حيث أنّ الاخير متعلق بشأن الحكم الشّرعي الذي لا يعتريه تغيير ولا تحده فترة زمنية مرحليّة .

وفي خضم تفسيرها لسورة آل عمران حيث ما ورد فيها(قصة مريم) أوردت جملة من النقاط الهامّة منها ما خص انتصارها للمرأة وردت على ما قال بتفضيل الرجل عليها، تقول : سمعت اناس يستشهدون بقوله تعالى:﴿ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ﴾[٢]على أنّها دليل على تفضيل الرّجل عل المرأة ، والعبارة من كلام امرأة عمران لأنّها كانت تظنّ الجانب الأخلاقي لا تستطيع أن تقوم به المرأة. لكن الله تقبّلها قبولًا حسنًا . فمعنى ذلك أن المرأة تستطيع بكل اقتدار أن تسهم بإصلاح الجانب الأخلاقي ورفع لوائه . ثم صارت هذه المرأة بمستوى تغبطها عليه الرّجال الصالحون بل الأنبياء ، حتى ان زكريا لما رأى مكانتها عند الله توجه بالدعاء، ثم إنّ هذه المرأة بلغت من المرتبة حتى ولدت النّبي عيسى عليه السلام[٣]

ب - الأثر الاجتماعي لقصص القرآن:

ذكرت (حنان اللحام) من جملة العبر التي ساقتها من قصة استخلاف آدم في تفسيرها لآيات سورة البقرة تقول : القصّة فيها تكريم للإنسان ورفع مقامه ، وكل مبدأ يحط من قيمة الإنسان مهما أعطى من نتائج ماديّة يشقيه ويحرمه من تحقيق الذات والإكتمال. وذلك لأنّه يجعل المادة والانتاج أغلى من الإنسان كما حصل في الدول المتقدمة تكنولوجيًا فمسؤولية الإنسان .. هو خليفة الله في الأرض يملك الطاقات والمواهب التي تؤهله لقيادة العالم والإشراف عليه، فهو المطالب بتغيير الفساد[٤]

ومن العبر التي استوحتها (حنان اللحام) من (قصة ابني آدم) في سورة المائدة : نجد في قصة ابني آدم توضيحًا لقانون الله في أنّ مشكلة الإنسان في أساسها ليست العدو الخارجي والانتصار عليه.. ولكنّها في التغلب على العوامل الداخلية (على مستوى فردي واجتماعي) فالمشاكل ليست من عند الشيطان ولا في وجود الاستكبار والاستعمار ، بل إنّها كما حدّدها القرآن[٥]

---

(١) ظ: الشيرازي/ الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٣٥٥/٢ .

(٢) آل عمران :٣٦ .

(٣) ظ: حنان اللحام/ من هدي سورة آل عمران/ ٦٤ -٦٥ .

(٤) ظ: حنان اللحام/ من هدي سورة البقرة/ ١١٥ .

(٥) ظ: حنان اللحام / تأملات في سورة المائدة /٦٦ .

وقد أفادت (نائلة صبري) من القصص القرآني بما يتلخص منه من عضات وعبر تصبّ في خدمة المجتمع أو ما انعكس عنها من موقف وطرحها لتكون درسًا للمجتمع اليوم ومن ذلك ما وقفت على قصة يوسف في سورة يوسف المباركة على سبيل المثال لا الحصر تقول: لقد كان في قصة يوسف وإخوته عبر وعظات لمن أراد الوقوف على الحوادث التاريخيّة وما تكمن في طياتها من مواعظ ، وهو وجوب حماية الأولاد بالعدل والمساواة وتربيتهم على المحبّة لتجنب وقوع التحاسد والتباغض بينهم ، وعدم تفضيل بعضهم على بعض [١]

و(ماجدة (ماجدة الفارس)) عادة ما تلمح الدروس والعبر من تلكم القصص القرآنية ففي خضم تفسير لتكم الآيات تضع عنوان رئيسًا (الدرس والعبرة) وعلى سبيل المثال في تفسيرها سورة يوسف تعرض تحت العنوان المتقدم في تفسير قوله تعالى:﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [٢] بعد بيان طويل ذكرت: "نتعلم من الأخوة ان من تعرّض الى تهمة معينة فعليه أن لا يهرب من الموقف بل يتوجه الى مصدر التهمة فلا يكفي المتهم أن يقف عند حد فكره بأنّه بريء بل عليه ان يطلع على فكر صاحب الاتهام لأن البريء الذي يجلس في بيته ويدعو الله ليس مثل من بذل السبب وخرج الى المحنة يواجهها وهو يدعو الله فقد اشترك الاثنان في الدعاء لكن تميّز الاخير بإضافة سبب آخر وهو اقتحام المشكلة [٣]

ت - الأثر الحضاري لقصص القرآن :

أعربت (حنان اللحام) بعد تفسيرها آيات استخلاف آدم عليه السلام في سورة البقرة وقصته هو وحواء وهي تنظر إلى القصة وبدايتها نظرة تزج تفسيرها بخطاب الحضارة وبروح المعاصرة والحداثة تحت عنوان (عبر من قصة استخلاف آدم) وذلك في بيانها قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [٤] حيث ترى: الإنسان حتى الان ما زال على ظن الملائكة: ﴿ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾ ولم يرتفع إلى علم الله فيه﴿ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ ففي عالمنا اليوم أكثر من خمسين ألف سلاح نووي ويبلغ مجموع قوى هذه الأسلحة الانفجاريّة ما يزيد على قوة قنبلة هيروشيما أكثر من مليون مرة. علمًا بأنّ قنبلة هيروشيما (١٩٤٥) قضت في لحظة واحدة على مدينة ومات مباشرة أكثر من سبعين ألف شخص ولقى أكثر من سبعين ألف شخص آخرين حتفهم في الايام التي تلت .. (وبعد خمسة قرون من

---

(١) ظ: نائلة صبري/ المبصر لنور القرآن، ٥/ ١٢ /١٢٩ .

(٢) يوسف:٧٠ .

(٣) ظ: ماجدة الفارس/ التوضيح والبيان في تفسير آي القرآن، ٧/ ١٩٠.

(٤) البقرة :٣٠ .

هيمنة الغرب هيمنة لا يشاركه فيها أحد يمكننا تلخيص ميزانيته بثلاثة أرقام: في عام ١٩٨٢م مع حوالي(٦٠٠) مليار دولار من الانفاق على التسلح وضع ما يعادل أربعة أطنان من المتفجرات على رأس كل من سكان الكوكب الأرضي ووزعت الموارد والثروات بحيث مات في السنة نفسها (٥٠) مليون نسمة في العالم بالمجاعة وسوء التّغذية. فمن الصّعب أن يسمّى تقدمًا بلا تردد في ذلك الشوط التاريخي الذي قطعته الحضارة الغربيّة التي جعلت من الممكن فنيًّا لأول مرة خلال مليوني سنة أو ثلاثة .. من الملحمة البشرية تحطيم كل أثر من آثار الحياة) إن الله يعلم أنّ بإمكان هذا الإنسان أن يقوم بدور جليل في منع الفساد وسيسفك الدماء فمتى يحقق الإنسان هذا الأمل الذي أصبح يتردد صداه بإلحاح في عالمنا هذا .. ؟! [١]

ث - الأثر العلمي لقصص القرآن:

تقول (حنان اللحام) في خضم تفسيرها لقصة نوح من سورة هود تقول: قد تجد من الآباء من يتنصل عن المسؤولية ويستشهد بأنّ النّبيّ نوح لم يهد ابنه ..ونحن ننهى أبناءنا ولكنهم لا يسمعون .. وإنّك لا تهدي من احببت .. هذه الحجج لم تعد تنطلي علينا في هذا العصر الذي تقدمت فيه العلوم الإنسانيّة ونما فيه علم تغيير فيه الأنفس.. ولئن كان أسلوب نوح في نصح ابنه مبنيًا على الأمر والنهي.. وكذلك اسلوب ابراهيم مع أبيه ﴿ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ ﴾[٢]ولا تعبد الشيطان وأنهما بذلا جهدهما .. وبحسب الاساليب المعروفة لديهما . ولكن الله قال للنّبي(صلّى اللّهُ عليهِ وآلهِ) ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ١١٤ ﴾ [٣] فالعلم لا ينتهي والأساليب والوسائل تتطور ولا يكفي بإخلاص الآباء بل لابدّ من النّصح بأفضل أسلوب كشفه العلم حتى الآن [٤]

ومما لاشك فيه أنه قد مضى زمن المعجزات، والكشوفات العلميّة الآن تنشأ أشياء تشبه المعجزات .. ولكن المبادئ والعقائد ونظم الحياة لا يحكم عليها الآن إلا بما تقدّم من نتائج وعواقب فالنتائج والعواقب من الآن فصاعدًا هي التي ستقوم بدور المعجزات في إدخال الناس الى الدين أفواجًا.. وهو ما سبق إليه القرآن حين أمر بدراسة التاريخ ورؤية العواقب وجعلها مرجعًا في الحكم [٥]

ومن جملة الامثلة التي ساقتها وفق مسار الاعجاز العلمي ففي قوله تعالى :﴿ وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ٧١ ﴾ [٦] ترى (حنان اللحام) : بشرناها بواسطة الرسل بأن ترزق بابن وحفيد ﴿ قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ ٧٢ ﴾ [٧] في ذلك العصر كان

---

(١) ظ: حنان اللحام/ من هدي سورة البقرة/ ١١٣ - ١١٤ . مصادرها : رجا جارودي / كتاب الاسلام وأزمة الغرب .

(٢) مريم :٤٣.

(٣) طه :١١٤.

(٤) ظ: حنان اللحام/ تأملات في سورة هود/٦٦.

(٥) ظ: حنان اللحام/ تأمّلات في سورة المائدة / ١٨٥

(٦) هود :٧١.

(٧)هود :٧٢.

حدوث ذلك يعدّ معجزة.. ولكننا في عصر كشف سنن الحمل والإنجاب و (اطفال الأنابيب) و (الاستنساخ) فالمعجزات أيضًا لها سنن عرفها من عرفها وجهلها من جهل.. ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ ﴾ [1]

ج - الأثر العقدي لقصص القرآن :

لا شك أنّ وراء كل نصّ قرآنيّ مقصد ومراد يسعى القرآن ايصاله للبشرية وما تضمنته النّصوص القصصيّة تحمل هذا الهدف أيضًا، ففي سورة هود وخصوصًا قصة نوح عليه السلام افادت منها (حنان اللحام) فوائد وعبر وخلصت بنتائج منها – وهو موطن الشاهد - : إنّ الأنبياء بشر وممكن أن يخطئوا في اجتهاداتهم فلا يجوز تقديسهم ورفعهم إلى حد التّنزيه عن الخطأ، فإنّ الله هو وحده المنزه عن الخطأ .. وخطئهم لا ينقص من قدرهم بل يقوي الناس من الاقتداء بهم .. فهم بشرُ مثلنا لهم مشاعرنا [2] يفكرون ويجتهدون وقد يخطئون لكن الله يصحح لهم .. فيعودون إلى الله ويستغفرون [3] وهذه القراءة جاءت من فهم النّصوص القرآنيّة التي دار الحوار فيها بين نبيّ الله نوح وابنه وخطابه عليه السلام مع الله تبارك وتعالى .قال تعالى:﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [4]

الكلام عن هذا المفصل في أثر القصة وما عرضته من بعدٍ عقائدي استنتجته((حنان اللحام)) متمثلًا بدائرة عصمة الأنبياء عليهم السلام وهاته المسألة مختلف فيها بين العلماء وما يهمنا هو مناقشة هاته الفكرة دون الخوض في ما يتعلّق بها من تفاصيل يمكن مراجعتها في مصادرها ومراجعها . بيد أنّ ((حنان اللحام)) تعتقد أنّ الأنبياء عليهم السلام غير منزهين عن الخطأ في اجتهاداتهم ولا يجوز تقديسهم ورفعهم إلى حد التنزه . وعلى هذه القراءة ففيها نظر وأنّها معارضة لمنطق العقل والنّقل ولا يرتضيها من يمتلك أدنى حكمة وهذا الموضوع كتبت عنه أقلام العلماء والمفكرين وفصل فيها القول، ولا يسعنا في هذا المطلب سوى الاشارة الى بعض القرائن العقلية التي لا يمكن أن ترتضي هاته القراءة .

تصورت المفسرة من النّص آنف الذّكر بهذا القول التي تشير إلى طلب المغفرة من الله تعالى لا ينسجم مع العصمة ، وعليه يمكن مناقشة رأيها على النّص الوارد بما يأتي:

- إنّ النص القرآني يشير إل أن الكلام صورته التوبة وحقيقته الشكر على ما أنعم عليه من التعليم والتأديب، أما صورته التوبة فإنّ في ذلك رجوع الى الله تعالى بالاستعاذة، ولازمها طلب مغفرة الله ورحمته، أي ستره عل الإنسان ما فيه زلته، وشمول عنايته لحاله، والمغفرة بمعن طلب الستر أعمّ من طلبه عل المعصية المعروفة عند المتشرعة، وكل ستر إلهي يسعد الإنسان ويجمع شمله . وأما كون

---

(١) ظ: حنان اللحام/ تأملات في سورة هود/٩٤ .

(٢) الصواب :أن يقال: لهم (مشاعرهم) لينسجم الكلام مع بعضه لأن صيغة الكلام وسياقه يعود فيه على الغائب لا على صيغة المتكلم .

(٣) ظ: حنان اللحام/ تأمّلات في سورة هود / ٧٠ .

(٤) هود :٤٧ .

حقيقته الشكر، فإنّ العناية الإلهية التي حالت بينه وبين السؤال الذي كان يوجب دخوله في زمرة الجاهلين، كانت سترًا إلهيًا على زلة في طريقه، ورحمة ونعمة أنعم الله سبحانه بها عليه ﴿ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ أي : إن لم تعذني من الزلات ، لخسرت الثناء والشكر لصنعه الجميل [١]

- ثم إن كثيرًا من المباحات تعد ذنبًا نسبيًا إلى طبقة خاصة من الأولياء والأنبياء، فعند صدور مثل ذلك يجب عليهم – تكميلًا لعصمتهم - طلب الغفران والرحمة، حتى لا يكونوا من الخاسرين، وليس الخسران منحصرًا في الإتيان بالمعصية، بل ربّ فعلٍ سائغٍ يعدّ صدوره من الطبقة العليا خسرانًا وخيبة، نعم لم يصدر من شيخ الأنبياء غير أنّه وقع في مظنة صدور ذلك وهو السّؤال عمّا لا يعلم، فلأجل ذلك صح له أن يطلب الستر على تلك الحالة بالعناية الالهية الحائلة بينه وبين صدوره، ومفاد الآيات ليس فيها إشعار بصدور الذنب بل حتى ما يوجب العتاب واللوم [٢]
- وصحيح القول في عصمة الأنبياء هو ما ذهب اليه الإماميّة من أنّ الأنبياء والائمة عليهم السلام معصومون عن كل خطأ أو ذنب من الصغائر أو الكبائر ولا يطرأ عليهم السهو ولا النّسيان سواء كان قبل البعثة أو بعدها في أمر تبليغي أو غيره [٣] وعلى ذلك قدم بعضهم جملة من الأدلة [٤] يمكن تلخيصها :

١ - الوثوق : اذا احتمل الإنسان الكذب على النّبيّ لم يثق بقوله أو فعله فالمعصية من قبلهم(عليهم السلام) تُدخل الشك فيهم، فتتزلزل الثقة بهم، ووثوق الناس بالدعوة بصحة قول الداعي ، وسلامة فعله، ومطابقته لما يدعو الناس إليه. ولمّا كان قول النبي وفعله وتقريره حجة يجب اتباعه والالتزام به، وهذا لا يتحقق ما لم يحصل الوثوق بصحتها؛ فمع انعدام الوثوق، تنعدم دواعي الاتباع فينتفي الغرض (غرض البعثة) .

٢ - الانقياد : ليس هدف البعثة أو نتيجتها هو إلقاء الدعوة والإنذار ثم مفارقة النبيّ للناس، بل هدفهم هو جعل النبيّ قدوة لهم، ينقادون إليه، ويأتمرون بأمره، وينصاعون لحكمه، ويتمثلون بسيرته... وإنّ تجويز الذنب عليهم هو أمر بإتباعهم في موارد الذنب. وهذا تقرير بالحرام، وهو مخالف لهدف البعثة .

٣ - الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر: وشاملة لجميع الأفراد، وفي كل العصور، فلو صدرت عن الأنبياء ذنوب وخطايا، وجب منعهم وزجرهم، والإنكار عليهم، عملًا بمبدأ الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، ويلزم من ذلك، إيذائهم، وهو محرّم ومنهي عنه .

---

(١) ظ: الطباطبائي/ الميزان في تفسير القرآن، ١٠ / ٢٣٨ .

(٢) ظ: السّبحاني/ عصمة الأنبياء في القرآن الكريم /١٢٣ - ١٢٤ .

(٣) ظ: محمد تقي مصباح اليزدي/ دروس في العقيدة الاسلاميّة، ٢/ ٢٣٣ .

(٤) ظ: محمد محمود مرتضى العاملي / فلسفة العصمة عند الشيعة الإماميّة/ ١٩٢ .

٤ - الظلم : إنّ في المعصية ظلمًا ، لا أقل من ظلم النفس قال تعالى:﴿ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ﴾ [١] إضافة إلى أن بعض المعاصي فيها ظلم للناس وللمجتمع، فلو صدرت منهم القبائح والذنوب، للعنهم الله ، قال تعالى:﴿ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ [٢] .

٥ - لزوم التناقض في القرآن : تقرير هذا الدليل هو: أنّ المعاصي سببها إغواء إبليس والقرآن صرح أن الأنبياء لا سبيل لإبليس عليهم ولا سلطان، وذلك منتقض لقوله تعالى بما حكاه عن قول إبليس :﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [٣] وقال تعالى :﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [٤] فو صدرت منهم المعصية، لكان ذلك يعني وقوعهم في حبائل إبليس وغوايته، ويلزم من ذلك وقوع التناقض في القرآن .

- يبقى أن نشير إلى ما صرحت به ((حنان اللحام)) أن الأنبياء في اجتهاداتهم يخطؤون ، فقد ذكرت ذلك عن النّبيّ المصطفى (صلّى اللّهُ عليهِ وآلهِ) أيضًا حيث ترى : فلا يجوز لأحد أن يقول: إنّ القرآن وحده يكفي ولا بدَّ من السنّة معه.. ولكن هل كل ما قاله الرّسول (صلّى اللّهُ عليهِ وآلهِ) داخل فيما يجب طاعته ..؟! هنا على المسلم أن يحرك عقله ويميّز بين أقواله (صلّى اللّهُ عليهِ وآلهِ) التي لا يجوز الخروج عنها [٥]

الجدير بالذّكر أن هذه المسألة فيها خلاف في المبنى فالمدرسة التي تنتمي إليها المفسرّة تُبيح هذا الرأي ، ومن العجب أن يقال عن النّبيّ (صلّى اللّهُ عليهِ وآلهِ) بهذا الشكل!! يا ترى وهل ينبغي على المسلم أن يفرق بين أقوال النبيّ (صلّى اللّهُ عليهِ وآلهِ) التي يجب فيها الطاعة والأقوال التي يجوز فيها الخروج عنها ؟!! .

وما عسانا أن نصنع مع كلّ هذه النصوص التي تشير بطاعة الرّسول المطلقة وأنّ ما يصدر عنه من الله ومن وحيه، ومن هذه الآيات: قال تعالى:﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [٦] وقال:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ ﴾ [٧] وقال:﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟

---

(١) الطلاق:١ .

(٢) هود :١٨ .

(٣) ص:٨٢ -٨٣ .

(٤) الحجر:٤٢.

(٥) ظ: حنان اللحام/ من هدي سورة النّور، ١٢٢ .

(٦) آل عمران :٣٢.

(٧) النساء :٥٩ .

ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٩٢﴾ ﴾[1] وقال:﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾[2] وقوله:﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾[3] كل هذه النصوص وغيرها لم نلحظ فيها تفريق بين أقواله (صلّى اللّهُ عليهِ وآلهِ) فجميعها تشير الى الإطلاق.

ما خلصنا إليه في الفصل الرّابع نوجزه بما يأتي :

- إنّ مدار البحث في الفصل الرّابع حول النّقد في مجال(عُلوم القرآن وقصصه) فيما ظهر من التّفاسير النّسويّة وتجلت للبحث جملة من المباحث وهي: النَّقدُ في مجالِ (القرآن وأسماءه وسوره وآياته)، والنَّقدُ في مجالِ (المحكم والمتشابه)، والنَّقدُ في مجالِ (النّاسخ والمنسوخ)، والنَّقدُ في مجالِ (إعجاز القرآن)،والنَّقدُ في مجالِ (تفسير القرآن)، والنَّقدُ في مجالِ (قصص القرآن).
- ظهرت عناية المفسّرات في بيان تعريف القرآن وأسماءه وسوره وآياته، حيث لم ينبري لليحث تعريفًا جامعًا مانعًا لوصف القرآن الكريم ،بل اكتفينَ بذكر بعض قيوده وهي لم تكن بالشّيء الذي يخرج عمّا هو مشهور بين العلماء من تعريف . ولعلّ أكثر القيود ذكرًا جاء عند (ماجدة (ماجدة الفارس))، كما يلحظ لهنّ ذكر أسماء القرآن بلحاظ القرائن الدّالة عليها ، برز اهتمامهنّ بإيراد اسماء السور القرآنية وتعددها ومعانيها وأسبابها عند البعض ، الا (زينب الغزاليّ) لم تعبأ لهذه المسألة، ولعلّ أكثر المفسرات إيراد لأسماء السور هي (نائلة صبري) لا سيما في سورة الفاتحة، وفي تقسم سوره آلت (ماجدة (ماجدة الفارس)) اهتمامًا به وذكرت ما هو مشهور ، وفي مجال عدد الحروف والكلمات والآيات برزت (نائلة صبري) في ذلك ولعلّ هذا الأمر من انفراداتها بين المفسّرات . وفضائل السّور غابت عند

(١) المائدة :٩٢.

(٢) الحشر: ٧ .

(٣) النجم :٣ -٤.

بنت الشاطئ وقلّت عند (زينب الغزاليّ) وكثرت عند (حنان اللحام) و(نائلة صبري) و(ماجدة (ماجدة الفارس)) .

١ - والنَّقدُ في مجالِ (المحكم والمتشابه) بلحاظ التّنظير حيث سلط الضوء على المفاهيم ونقدها والاستعمال القرآنيّ عند المفسّرات ولم يلحظ فيها الجديد ، والملفت أنّهن متمسكات برأي القائل: أن يبقى المتشابه متشابهًا تمسّكًا بما ورد عن السّنّة من أقوال الصّحابة وهذا أدرجت عليه كثير من النّقادات، وفي الواقع يُعدَ كرأي مخالف لجملة من آراء المفسّرين والأصوليين، وظهر للبحث أنّ بعضهن يتبنى رأي نظريًا ويخالفه في مستوى التّطبيق ، وكُشفت بعض الحكم والأسرار من وجود المتشابه في القرآن .

٢ - إنّ النَّقدَ في مجالِ (النّاسخ والمنسوخ) جاء في دائرة التّطبيق بلحاظ الجمع بين الآيات النّاسخة والمنسوخة كقاعدة تفسيريّة ، وفي هذا الفصل بلحاظ التّنظير وذلك عرض ما ورد فيه من تعريف لغويّ واصطلاحيّ والقول بوقوعه في القرآن ونسبته ، وبسط الكلام في أنواعه وأقسامه ونقده بما ينسجم والمبحث، والقول في حكمه والملفت أن بنت الشاطئ لم تتعرض له ، و(زينب الغزاليّ) قالت به مع قلّة ما أشارت لموارده . و(حنان اللحام) أيضًا إلا أنّها في آخر مدونة تراجعت عن القول في تفسيرها لسورة التّوبة إذ لم تصرّح إلا بشاهد واحد وقع فيه النّسخ وقد نوقش هذا القولُ في مبحث القواعد، كما أكثرت وقوعه (نائلة صبري) و(ماجدة (ماجدة الفارس)) أيضًا .

٣ - والكلام عن النَّقدِ في مجالِ (إعجـاز القرآن) كشف البحث مفهوم المعجزة تتجلى صوره عند المفسّرات فدونك بنت الشاطئ فقد سعت في تفسيرها تحقيق إعجازه القرآني البلاغي البيانيّ تقول: "وأمضيت سنين عاكفة على تدبر أسراره، ولمح إعجازه البيانيّ"[١] وتوقفت (حنان اللحام) أمام إعجازه العلمي وقالت فيه الكثير وهي الأبرز في ذلك من بين المفسّرات . وعرض بيانهن للنّصوص القرآنيّة التي كانت في دائرة التّحدي ثم الكلام حول توجيه الغرض من الحروف المقطعة ولمح سرها الاعجازي عند المفسّرات .

٤ - والنَّقدُ في مجالِ (تفسير القرآن) كونه علم من علوم القرآن من وجهة نظر المتقدّمين فقد عرض البحث ما قيل فيه من تعريف وشروط وتقسيم بيان مناهج المفسرات ، ولوحظ على هاته المفردات بعض النقادات، وعرض الآراء في محور توجيه (الحروف المقطعة) ومدى تعامل المفسّرات معها لا سيما القول فيها بالرمزية، أو أنّها من المتشابه .فقد تم مناقشتها ، حيث تم تكرار ما قاله المفسّرون وزيادة في ضوء ما قدمته (حنان اللحام) فقد تناولتها بأكثر من موضع ناظرةً إليها بنظرة تختلف عمّا قيل وما ورد فيها من آراء .

٥ - تأتي القصة بوصفها واعز تذكيريّ تنبيهيّ يعرض ما حلّ بالأنبياء والمرسلين والصالحين من عباده السابقين وأقوامهم وما آلت إليه عاقبتهم كي تكون درسًا وعبرةً وعظة فلمّا كانت بهذا الهدف تتبع

---

(١) بنت الشاطئ/ التفسير البيانيّ للقرآن الكريم ، ١٩/١ .

البحث في التفاسير النّسويّة ما يخص القصة فقد تكونت جملة من المطالب: القصة القرآنيّة ماهيتها وأهمّيتها وخصائصها ومنهج التّفاسير في عرضها، ثمّ بيان أساليب القصّة، وأغراضها وآثارها)

٨ - محور الكلام فيما ورد في التّفاسير النّسويّة بما يتعلّق بالقصّة القرآنيّة حيث جاء في ضوءٍ ذلك، كشف تعريفها لغة ولم نجد لهنّ تعريفًا اصطلاحيًّا سوى بعض الأوصاف، وعمدت إلى بيان أهمّيتها، وما يبرز من خصائصها وذلك عن طريق ما بينته التّفاسير في شرح الآيات القصصية، ثم كشف البحث عن منهج المفسّرات في عرض القصّة القرآنيّة عرضًا ومناقشة .و كشف البحث عن أساليب القصة بما ظهر عند المفسّرات إن كان على سبيل الايجاز أو التّفصيل أو التكرار، ومدى الغاية المرجوة من ذلك التنوع. بمعنى هل هناك مغزى يستوجب التّفصيل ففصل ؟ أو هل هناك مسوغٍ آخر استدعى الإيجاز فأوجز؟ وهذا قد ظهر عند بعض المفسّرات كبنت الشاطئ و(حنان اللحام) ، وكذا أهميّة أسلوب التكرار فمن خصائص البلاغة إبراز المعنى الواحد في صور مختلفة قما ذكرت (نائلة صبري): إنّ قصة يوسف لم تتكرر كما كررت أقاصيص الرّسل والأنبياء في القرآن الكريم .

٩ - جاء في أغراض القصة: حيث تميزت القصص القرآنية عن غيره من القصص في نقطة مركزية وهي: قضية الهدف والغرض الذي سيقت من أجله ، وتنعكس هذه النقطة على خصائص وميزات أخرى .فالقرآن لم يتناول القصّة باعتبار أنّها عمل (فنّي) مستقل في موضوعه وطريقة التّعبير فيها كما أنّه لم يأت بها من أجل الحديث عن أخبار الماضين وتسجيل حياتهم وشؤونهم، أو من أجل التّسلية ، وإنّما كان الغرض من القصّة تحقيق أهدافه وأغراضه الدينيّة التي جاء من أجلها ونتجت ممّا جمع جملة من الاغراض.

١٠ - تتبع البحث في مدار آثار القصة عند المفسّرات وعلى هذا الأساس فرضت بعض التساؤلات منها: هل أثّرت القصة بهواجس عملية التّفسير وجعلته يتجه صوب مجال ما سواءٌ كان اجتماعيًا أو حضاريًا أو علميًا أو غير ذلك ؟ وهل أثارت تلكم القصص آثارًا نفسيّة كالانتصار للمرأة بإظهار دورها ومكانتها على سبيل المثال؟ هل أثّرت القصة القُرآنيّة في الميول العقائدي في التّفاسير؟ هذه الأسئلة أجيب عنها بما سطرته المفسّرات ونوقشت بمكانها.

الخَـــاتِمَةُ والنَّتائج

الخاتمة والنّتائج

لله الحمدُ والمنّة، بعد الانتهاء من دراسة (نقد التّفاسير النّسويّة – دراسة تحليلية) واستقرّت بفصولها ومباحثها والوقوف على موضوعاتها القُرآنيّة بتصنيفها وتحليلها ونقدها بما انسجم مع طبيعة الدّراسة، خرجت بأهمّ النّتائج التي توصلت إليها يمكن إيجازها وعرضها بالآتي :

١ - تعدّ مساهمة النّساء في مجال التّفسير له القيمة التي تجعل من المرأة في مكانتها الثقافيّة والعلميّة لا سيما في العصور المتأخرة ،و تُعدُّ هذه الخطوة محفزاً ودافعاً للباقيات للدّخول في سبر هذا العلم. كما تشكلُّ هذه الدّراسة باباً للتعرّف على نتاجات المرأة في مجال التّفسير ، وتكشف عن أسباب غياب التّفسير النّسويّ في القرون الوسطى .

٢ - النّقد في مجال التّفسير النّسوي مهمّة تأخذ على عاتقها كشف ما للمفسّر من دور وقاعدة علميّة وثقافيّة ملمة بأصول التّفسير وقواعده . فضلاً عن بقية المباحث القرآنيّة التي تحيط به. والنَّقد لا يقفُ عند بيان المساوئ فحسب وإنّما إبراز المحاسن أيضاً .

٣ - التّجديد في التّفسير بان واضحاً عند بنت الشّاطئ واللّحام دون بقيّة المفسّرات اللاتي سلكن طريق التّفسير التّقليدي وهي كلّ من الغزاليّ، وصبري ، والفارس مع ما لهنّ من منهج مختلف في التّفسير .

٤ - التّفسير البيانيّ الذي تنشده بنت الشّاطئ في تفسيرها هو الأبرز بين التّفاسير حيث القيمة النّقديّة التي صاغتها على آراء المفسّرين تحليلاً وحكماً بعداً وقرباً من الدّلالة التي تبتغيها، كما ظهرت بعض التّرجيحات في تلكم التّفاسير تنوعت وتناثرت في طيات صفحتها، وعلى قلّتها نلحظ مبدأ المناقشة للآراء عندها لا سيما اللّحام والفارس .

٥ - بان ركون المفسّرات إلى أصول التّفسير من قرآن وسنةٍ وعقلٍ ولغةٍ وإجماع وتأويل كل ذلك أخذ حيزه في تلكم التّفاسير وإن كانت بصورة متفاوتة من حيث التّوظيف أو على مستوى التّنظير . وكان الحظ الأوفر في توظيف القرآن بوصفه أصلاً عند بنت الشاطئ وذلك باستعمالها مبدأ الاستقراء للمفردة القرآنيّة، والفارس بعدها وصبري واللحام ثم الغزالي. والسنّة لها مساحتها عند الغزالي والأكثر عند صبري ثم الفارس، نقلاً عن النبيّ (ص) والصّحابة والتّابعين، وقد غاب التّفسير عن طريق مرويات أهل البيت(ع) إذ لا غنى من دونهم، وسبب الغياب هو انتماء التّفاسير لمدرسة الصّحابة، والجانب العقلي في التّفسير كان حظه عند اللحام فكثيرًا ما تعوّل عليه و كثيراً ما تقف عند إيراد الحديث بحذر .

٦ - ظهرت جملة من قواعد التّفسير في التّفاسير المختارة، عكست مدى اهتمام المفسّرات ووعيهنّ لها، وبان توظيفها على وفق سياقاتها التي جاء عليها، وقد صنّفت إلى : ما يخصُّ قواعد المعاني ومنها ما يخصُّ قواعد النّصوص. وعلى الرّغم من تفاوتها في التّوظيف وفقد ظهر مدى نجاعتها في تحصيل المراد ومهما يكن من أمر، فقد دشّنت التّفاسير بعض قواعد التّفسير بجديّة وموضوعيّة .

٧ - كشفت هذه الدراسة عن مباحث تتعلق بتاريخ القرآن الكريم، وهذا جهد يضاف إلى الدّراسات الإسلاميّة بوصفه نسويّ، فضلاً عن توظيفها في بيان المراد من الآيات القرآنيّة، ومن جملة تلك المباحث ما تعلّق بالوحي وصوره واستعماله القرآني، ونزول القرآن وأنواعه، والمكيّ والمدنيّ، وخصائصهما، وجاء مبحث القراءات فيه بيان الجانب التّنظيريّ والتّطبيقي؛ بما اقتضى ذلك دون أقرانه في الفصل، وبيان المبحث الأخير منه جرى الكلام عن (سلامة القرآن من التّحريف) ، وبان في ذلك جهدٌ للمفسّرات جدير بالأهميّة والبحث.

٨ - ظهرت فيها مباحث ترجع إلى علوم القرآن وقصصه، منها كالمحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ، واعجاز القرآن، والتّفسير على مبنى المتأخرين، والوقف على ما موضوعاتها في الجانب التّنظيري ومناقشتها بالرّجوع إلى آراء العلماء والمفسّرين وتحصيل ما هو جديد فيها أو مكرر ، كما تبلورت في المبحث الأخير مباحث تعلّقت بمسألة (قصص القرآن) وجاء فيها بيان لمفهومها لغةً ووصف لحد القصّة القُرآنيّة، وأهميّتها، تبعتها الخصائص والسّمات التي انمازت بها عن غيرها من القَصص الأرضيّة، وصيغت لحكمٍ وأسرارٍ سيق لأجلها العرض القرآني حيث نتج منها: إثبات وحي الله وتوحيده، وانّ النّصر حليف الأنبياء (عليهم السّلام) وأتباعهم ، وبان حسن المعاملة واللطف بالأنبياء (ع)، وجاءت ترسيخاً لمبادئ الأخلاق وبثّها في المجتمع واتضح غرض إعجازها القصصي، جيء بها بأساليب تعددّت وتنوعت كلٌ حسبما يستدعيه موضعه وموضوعه، كالإيجاز والتّفصيل والتّكرار، وبيان الأثر الذي تركته القصة في طبيعة التّفاسير النسويّة وكيف أفادت منها. ومن ذلك الأثر النّفسيّ والإجتماعيّ والحضاريّ، والعقائدي، والعلمي.

٩ - بان للبحث أنّ التّفاسير المذكورة بعض منها سار على سياق ما انتهجه المفسّرون القدامى من عرض الآية واتباعها بآراء المفسّرين ودعمها بالنّصوص الرّوائية وهذا صنيع صبري في تفسيرها المبصر، ونلحظ عند الفارس في تفسيرها التّوضيح عين الطريقة زد على ذلك المناقشة والتّحليل، وقلّ عن الأولى في تفسير النّظرات للغزالي حيث تلحظ الإيجاز والتّبسيط . ونلحظ البحث الموضوعيّ بطريقة اجتهادية تجديديّة وذلك عند اللّحام في مدوناتها .

١٠ - على الرّغم من معاصرة التّفاسير نلحظ على بعضها الاطناب في بيان الأحكام الشّرعيّة وتفصيلاتها كتفسير المبصر والتّوضيح وبعض مدونات اللّحام، وهذا قد يخرج التّفسير عن غاياته فضلاً عن أنّ التّفاسير المتأخّرة قد غادرت الخوض في تفصيلات آيات الأحكام لأنّه من شأن الفقيه أكثر ممّا هو عند المفسّر ، ولأنّ التفاسير المعاصرة تحيل إلى التفسير الموضوعي – كما في تفسير الميزان - وأصحاب هذا الاتجاه يحيلون آيات الاحكام إلى الفقه تخلّصاً من الآيات التي لا تفسّر إلا بما سوى القرآن من سنّة وإجماع. كما نلحظ التّفسير العلميّ قد غلب على ميول اللّحام وبدا حضوره في مساحة واسعة، وهذا ما تنشده في دور العلم والعقل في آيات الافاق والأنفس. ونلحظ عندها الموقف الجاد اتجاه التّراث وما

قدّمه، فلا تميل إليه بقدر ما تحث على التّجديد وإعمال الفكر والنّظر بولادة العقل بختم النّبوة على رأي محمّد إقبال اللاهوري.

١١ - وقوع المفسّرات أحياناً أسيرة الانتماء المذهبيّ، أو الانتماء المدرسيّ فهي لا تحاول الخروج برأي عن المذهب والمدرسة .

١٢ - التّفسير النّسوي له تاريخ تزامن مع نزول القرآن الكريم حتى نهاية مرحلة النّص حيث كانت النّساء لهنّ دورٌ بارز في حفظ الحديث وروايته، وذلك لمّا كان التّفسير في أحضان الحديث. كالسّيدة فاطمة بنت محمد(عليها السّلام)، وأمّ سلمة. لكن لم يظهر من إحدى النّساء تفسير للقرآن الكريم سوى المرويّات التي تضمنت تفسيرًا . والسّبب في ذلك يرجع إلى موانع اجتماعية وغيرها.

١٣ - ظهرت بعض التّفاسير لكنّها قليلة إذا قارنّها مع التّفاسير (الرجاليّة) ويرجع ذلك لأسباب عدّة: اجتماعيّة وعلميّة أو ربّما لأنّ الفرصة لم تتح لها، وما إن أتيحت لها الفرصة أبدت ظهورًا متميزًا في عالمنا الإسلامي في مصر وفلسطين وسوريا والمغرب وغيرها اتجاه تفسير القُرآن وذلك لشغلها المقاعد الدراسية التي جعلتها تتمكن من الدّخول في سبر هذا العلم. كعائشة عبد الرحمن وغيرها..

١٤ - بنت الشاطئ لها موقف بعيد حيال تفسير القُرآن اعتمادًا على أصل السّنة، فهي تدعو إلى التّجديد والخروج عن المنهج التّقليدي في تفسير القُرآن اقتفاءً بأستاذها أمين الخولي، ومنهنّ من تعوّل على المرويّات أكثر ممّا تراجع القُرآن نفسه وعلى رأس هذا النّمط الغزاليّ، ونلحظ صبري أنها أخذت السّنة مساحة واسعة وأفادت منها كثيرًا، وأمّا الفارس فهي تعمد إلى تفسير الآية مباشرة الى نص الرّواية وتارة تعمد الى شرح الآية والحديث معًا .

١٥ - المتأمّل لمدونة (الغزالي) يلحظ في المقدمة التي قدّمها الدكتور عبد الحي الفرماوي أنّه لم يُلحظ له وصفٌ على تفسيرها، أنّه استعان باللغة في التّفسير، وهذا الوصف لم يكن دقيقًا؛ لأنّ التّفسير لم يخلُ من الإشارات والتّصريحات اللغوية والنّحوية والبلاغيّة والصّرفيّة عندها .

١٦ - دور إجماع المفسرين في التّفاسير النّسويّة واضح، نلحظ بنت الشاطئ كانت كثيرًا ما تخالفهم وتطرح رأيها قبالة ، ولا نلحظ لها أية إشارة للإجماع إلا في موضع واحد ، أمّا الغزالي نلحظ لها اهتمامًا بهذا الأصل. ولم نلحظ عند اللحام أية إشارة لإجماع المفسرين، وأما إذا التفتنا إلى (صبري) و (الفارس)اعتمدن عليه واعتبرنه حجّة على مبنى مدرسة الصّحابة، وعلى مبنى مدرسة أهل البيت عليهم السلام ، حجة بانضمام (المعصوم) فلو خلا المائة عن قوله لما كان حجة، ولو حصل في اثنين لكان قولهما حجة لا باعتبار اتفاقهما بل باعتبار قوله عليه السلام.

١٧ - نتج أنّه لا يمكن للمفسر أن يبدي له فهم لنصٍ قرآنيّ ما، دون أن يستند في ذلك إلى قاعدة تفسيريّة، وهنا ظهر للبحث مجموعة منها ، كُشفَ عنها عن طريق ما كان مصرّحًا بها أو ظهرت أماراتها في الجانب التطبيقيّ للتّفسير.

١٨ - إنّ المتشابه يتضح معناه إذا ما رددناه الى المحكمات لتصبح كلّ آيات القُرآن الكريم محكمات واضحات ، ومن هذا ينبري للبحث أن القول في بعض المتشابه لما نصت عليه التّفاسير النسويّة أنّ علمه خاصٌ باللّه تعالى لا محلّ له في هذه القاعدة وبما قررته، وظهر في النماذج المساقة إهمال تطبيق القاعدة .

١٩ - إنّ الأخذ بروايات أسباب النّزول بنظرٍ وتفحصٍ ينتج منه بيان الغث والسّمين والصّحيح من العليل والمقبول والمردود، فليس هذا من مدارك المفسر، كما ينبغي الحذر من الاسترسال بالأخذ من المفسّرين إذ لا يمكن أن يكون على ثقة تامّة بالنّقل وللأسف هذا ما ظهر في غالب التّفاسير النسويّة النّقل في مرويات أسباب النزول دون تحرٍ، وبالتّالي فهي ظنون تدور حول النّص، كما غابت الاسباب عن جملة من الآيات كآية الولاية والتطهير والقربى والمباهلة وغيرها ، فيها تأتي أهميّة الاسباب في كشف مصاديقها وخصوصيتها بأهل البيت (عليهم السّلام) .

٢٠ - إنّ اللحام صرّحت باتجاه جديد في التّفسير على حدّ تعبيرها أسمته (مزج العلوم الأدبيّة والكونيّة في التّفسير) وقالت فيه: وهو اتجاه جديد في التفسير غايته مخاطبة الناس في هذا العصر على قدر عقولهم. ودفع مطاعن القائلين بأنّ هناك عداوة بين العلم والدين.

٢١ - تميزت القصص القرآنية عن غيرها من القصص في نقطة مركزية وهي: الهدف والغرض الذي سيقت من أجله ، وتنعكس هذه النقطة على خصائص ومميزات أخرى .فالقرآن لم يتناول القصّة باعتبار أنّها عمل (فنّي) مستقل في موضوعه وطريقة التّعبير فيها كما أنّه لم يأت بها من أجل الحديث عن أخبار الماضين وتسجيل حياتهم وشؤونهم، أو من أجل التّسلية ، وإنّما كان الغرض من القصّة تحقيق أهدافه وأغراضه الدينيّة التي سيقت من أجلها .

المَصَادرُ والمَرَاجِعُ

المصادرُ والمراجع

۞ القرآنُ الكريمُ .

أولاً : المصادر القديمة :

١. الأبجري، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (ت/ ١٢٢٤هـ)، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ،تح: أحمد عبد الله القرشي رسلان ، الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة ،ط/ ، ١٤١٩ هـ.

٢. ابن أبي الحديد، عز الدين عبد الحميد بن هبة الله بن *أبي الحديد* (ت/٦٥٦ هـ) ،شرح نهج البلاغة ، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط/ الأولى ، ١٣٧٨ - ١٩٥٩ م .

٣. ابن إدريس الحلي، أبو عبد الله، محمد بن أحمد العجلي(ت/ ٥٩٨ هـ) ،المنتخب من تفسير القرآن والنكت المستخرجة من كتاب التبيان (موسوعة إبن إدريس الحلي)، تح: السيد محمد مهدي الموسوي الخرسان، العتبة العلوية المقدسة، ط/ الأولى، ١٤٢٩ - ٢٠٠٨ م .

٤. ابن الأثير، أبو الفتح، نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الجزري، ، ضياء الدين، المعروف بابن الأثير الكاتب (ت/ ٦٣٧هـ)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر – بيروت، ١٤٢٠ هـ.

٥. ابن الجزري ،شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت/ ٨٣٣هـ)

- غاية النهاية في طبقات القراء، مكتبة ابن تيمية،د.ط ، ١٣٥١هـ.

- النشر في القراءات العشر، تح: علي محمد الضباع (ت/ ١٣٨٠ هـ)، المطبعة التجارية الكبرى (تصوير دار الكتاب العلمية) .

٦. ابن الجوزي ،جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت/ ٥٩٧هـ)،

- زاد المسير في علم التفسير، تح: عبد الرزاق المهدي ، ، دار الكتاب العربي – بيروت ،ط/ الأولى - ١٤٢٢ هـ.

- المصفى بأكف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ،تح: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، ط/ الثالثة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م
- نواسخ القرآن، تح: أبو عبد الله العاملي السّلفي الداني بن منير آل زهوي ، شركه أبناء شريف الأنصارى – بيروت ، ط/ الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م .

٧. ابن السراج ،أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج (ت/ ٣١٦هـ)، الأصول في النحو، تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، لبنان – بيروت ، د.ط ، د. ت .
٨. ابن العتائقي، كمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن ابراهيم الحلي(ت/٧٩٠)،النّاسخ والمنسوخ، تح: ثامر كاظم الخفاجي، استاره /قم -ايران ، ط/ الاولى، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.
٩. ابن القطان، أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي الحميري الفاسي (ت/٢٢٨ هـ) الاقناع في مسائل الإجماع، تح: حسن بن فوزي الصعيدي، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ط/ الاولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤م .
١٠. ابن المنذر ،أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري (ت/ ٣١٩هـ) كتاب تفسير القرآن، قدم الدكتور: عبد الله بن عبد المحسن التركي ، تح: الدكتور: سعد بن محمد السعد، دار المآثر - المدينة النبوية ، ط/الأولى ١٤٢٣ هـ، ٢٠٠٢ م.
١١. ابن النجار ، أبو البقاء محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي تقي الدين المعروف بابن النجار الحنبلي (ت/ ٩٧٢هـ)، شرح الكوكب المنير، تح: محمد الزحيلي ونزيه حماد، مكتبة العبيكان ، ط/ الطبعة الثانية ١٤١٨هـ - ١٩٩٧ مـ .
١٢. ابن تيمية ، أبو العباس تقي الدين ،أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت / ٧٢٨هـ)، الإكليل في المتشابه والتأويل ، تح: محمد الشيمي شحاته ، دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية – مصر ، د.ت.
١٣. ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت / ٣٩٢هـ)، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، وزارة الأوقاف -المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .
١٤. ابن حبان، أبو حاتم، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، الدارمي، البُستي (ت / ٣٥٤هـ)، الثقات ، وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية، مراقبة: الدكتور محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانية ، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند ، ط/ الأولى، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م.
١٥. ابن حنبل ، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت/ ٢٤١هـ) مسند الإمام أحمد بن حنبل، تح: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي ، مؤسسة الرسالة ط/الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م .

١٦. ابن خالويه ، أبو عبد الله، الحسين بن أحمد بن خالويه، (ت/٣٧٠هـ)، الحجة في القراءات السبع، تح: (الدكتور)عبد العال سالم مكرم، الأستاذ المساعد بكلية الآداب - جامعة الكويت، دار الشروق – بيروت ، ط/ الرابعة، ١٤٠١ هـ
١٧. ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان(ت/٦٨١ هـ) ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تح: إحسان توفيق، دار الثقافة ، د. ت .
١٨. ابن زنجلة ، أبو زرعة، عبد الرحمن بن محمد، ابن زنجلة (ت /٤٠٣هـ)، حجة القراءات ، تح: سعيد الأفغاني ، دار الرسالة ، د.ط ، د. ت .
١٩. ابن سيده ، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت/ ٤٥٨هـ) المحكم والمحيط الأعظم ، تح: عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط/ الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م .
٢٠. ابن شهرآشوب، أبو عبد الله محمد بن علي بن *شهرآشوب ابن* أبي نصر بن أبي حبيش السروي رشيد الدين المازندراني (ت/ ٥٨٨هـ) ، متشابه القران ومختلفه، چاپخانه شركت سهامى طبع كتاب، مكتبة البو ذر جمهري (المصطفوي) بطهران، ١٣٢٨ .
٢١. ابن عطية : أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت/ ٥٤٢هـ) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط/ الأولى - ١٤٢٢ هـ.
٢٢. ابن فارس ، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا(ت/٣٩٣هـ).
- الصاحبي في فقه اللغة ، المكتبة السلفية، القاهرة، ١٩١٠ م .
- معجم مقاييس اللغة ، تح: عبد السلام محمد هارون ، ، دار الفكر ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٢٣. ابن قدامة، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (ت/ ٦٢٠هـ)، روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، مؤسسة الريّان للطباعة والنشر والتوزيع ،ط/ الثانية ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م .
٢٤. ابن ماجة ، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، (ت/ ٢٧٣هـ) ،سنن ابن ماجه، تح: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي ، د. ط ، د.ت .
٢٥. ابن هشام ، أبو محمد عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، جمال الدين، ابن هشام (ت/ ٧٦١هـ)،
- شرح قطر الندى وبل الصدى ، تح: محمد محيى الدين عبد الحميد ،القاهرة ، ط/ الحادية عشرة، ١٣٨٣ .
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ،تح: د. مازن المبارك / محمد علي حمد الله ، دار الفكر – دمشق ط/السادسة، ١٩٨٥ م.

٢٦. أبو البقاء ، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت/ ١٠٩٤هـ)، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، تح: عدنان درويش - محمد المصري ، مؤسسة الرسالة - بيروت .
٢٧. أبو السعود، العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت/ ٩٨٢هـ) ، تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ،دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٢٨. أبو الفلاح، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (ت/ ١٠٨٩هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: محمود الأرناؤوط ، تخريج: عبد القادر الأرناؤوط ،دار ابن كثير، دمشق – بيروت، ط/ الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م
٢٩. أبو بكر الأنباري، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري (ت/ ٣٢٨هـ)، الزاهر في معاني كلمات الناس ، تح: (الدكتور)حاتم صالح الضامن ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، ط/ الأولى، ١٤١٢ هـ -١٩٩٢ م.
٣٠. أبو هلال العسكري ، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت/ نحو ٣٩٥هـ).
- الصناعتين في الكتابة والشعر، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية – بيروت ، ١٤١٩ هـ .
- معجم الفروق اللغوية ، تح: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ (قم) ،ط/ الأولى، ١٤١٢هـ.
٣١. الاخفش الأوسط، أبو الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، المعروف بالأخفش الأوسط (ت/ ٢١٥هـ) معانى القرآن للأخفش ، تح: الدكتورة هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط/ الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م .
٣٢. الأزهري، أبو منصور، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، (ت/٣٧٠هـ)، معاني القراءات للأزهري ، مركز البحوث في كلية الآداب - جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، ط/ الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م.
٣٣. الإشبيلي ،القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (ت/ ٥٤٣هـ)، المحصول في أصول الفقه ، تح: حسين علي اليدري - سعيد فودة ، دار البيارق – عمان ،ط/ الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٣٤. الأُشْمُوني ، علي بن محمد بن عيسى، أبو الحسن، نور الدين الأُشْمُوني الشافعي (ت/ ٩٠٠هـ)، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ، ط/ الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .
٣٥. الأصبهاني أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى ابن مهران (ت/ ٤٣٠هـ) ، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار أم القرى/مصر – قاهرة ، ط/ الأولى ، د. ت .

٣٦. الآمدي ، أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي (ت/ ٦٣١هـ)، الإحكام في أصول الأحكام ، المحقق: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت - دمشق - لبنان .
٣٧. الآمليّ، السيد حيدر (ت/ ٧٨٢ هـ)، تفسير المحيط الأعظم والبحر الخضم في تأويل كتاب الله العزيز المحكم،تح: محسن موسوي تبريزي، نور على نور / قم –ايران، ط/ الثالثة، ١٤٢٢هـ ق .
٣٨. الأندلسي ،أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين (ت/ ٧٤٥هـ)، البحر المحيط في التفسير ، تح: صدقي محمد جميل ، دار الفكر – بيروت ، ١٤٢٠ هـ.
٣٩. الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني (ت/ ٤٠٣هـ)، إعجاز القرآن ، تح: السيد أحمد صقر، دار المعارف – مصر، ط/ الخامسة، ١٩٩٧م
٤٠. البحراني، ابو المكارم هاشم بن سليمان البحراني (ت/١١٠٧هـ)، البرهان في تفسير القرآن ، مؤسسة الاعلمي، بيروت /لبنان، ط/ الاولى، ١٤١٩هـ -١٩٩٩م.
٤١. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، (ت/ ٢٥٦هـ)، التاريخ الكبير، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد – الدكن، محمد عبد المعيد خان ، د. ط ، د. ت . .
٤٢. البُستي ، أبو حاتم، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي الدارمي، البُستي (ت/ ٣٥٤هـ) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت/ ٧٣٩ هـ) تح: شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة، بيروت ط/الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م
٤٣. البَصْري ، محمد بن علي الطيب أبو الحسين البَصْري المعتزلي (ت / ٤٣٦هـ)، المعتمد في أصول الفقه، تح: خليل الميس ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الأولى، ١٤٠٣ هـ .
٤٤. البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت/٥١٠هـ) ، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تح : عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي –بيروت ، ط/ الأولى ، ١٤٢٠ هـ .
٤٥. البنّاء، أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني الدمياطيّ، شهاب الدين الشهير بالبناء (ت / ١١١٧هـ)، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، تح: أنس مهرة ،دار الكتب العلمية – لبنان ، ط/ الثالثة، ٢٠٠٦م - ١٤٢٧هـ.
٤٦. البهائي، بهاء الدين محمد بن الحسين بن عبد الصمد، الحارثي الهمداني العاملي الجبعي(الشيخ)، (ت/٩٥٣ هـ)، زبدة الأصول ، تح: فارس حسون كريم، المطبعة : زيتون، ط/ الأولى ، ١٤٢٣ - ١٣٨١ ش.
٤٧. بيان الحق، أبو القاسم محمود بن أبي الحسن (علي) بن الحسين النيسابوريّ الغزنوي، ، الشهير بـ (بيان الحق) (ت/ ٥٥٣هـ)، باهر البرهان في معانى مشكلات القرآن ، تح: سعاد بنت صالح بن سعيد بابقي ، جامعة أم القرى - مكة المكرمة، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م .

٤٨. البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت/ ٦٨٥هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت ط/ الأولى - ١٤١٨ هـ.
٤٩. البيهقي ، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت/ ٤٥٨هـ)، السنن الكبرى، تح: محمد عبد القادر عطا، ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنات، ط/الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
٥٠. الترمذي ، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت / ٢٧٩هـ)، الجامع الكبير -سنن الترمذي تح: بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي – بيروت ، ١٩٩٨ م .
٥١. التهانوي ،محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (ت/ ١١٥٨هـ)، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تح: د. علي دحروج ، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت ط/الأولى - ١٩٩٦م.
٥٢. الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (ت/ ٨٧٥هـ)، الجواهر الحسان في تفسير القرآن،تح: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود،دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ط/ الأولى - ١٤١٨ هـ .
٥٣. الثعالبي، أبو منصور، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي (ت/ ٤٢٩هـ) ، الإعجاز والإيجاز، مكتبة القرآن – القاهرة .
٥٤. الثعلبي، أبو إسحاق ،أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، (ت/ ٤٢٧هـ) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تح: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الأولى ١٤٢٢، هـ - ٢٠٠٢ م .
٥٥. الجاحظ، أبو عثمان، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، الشهير بالجاحظ (ت/ ٢٥٥هـ) المحاسن والأضداد، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣ هـ
٥٦. الجصاص أحمد بن علي أبو بكر الرازي *الجصاص* الحنفي (٣٧٠ هـ)، أحكام القران، تح: عبد السلام محمد شاهين دار الكتب العلمية / بيروت –لبنان، طم الاولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤م .
٥٧. الجصاص، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (ت/ ٣٧٠هـ)، الفصول في الأصول ،وزارة الأوقاف الكويتية ، ط/ الثانية، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .
٥٨. الجوزي ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت/ ٥٩٧هـ)، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر ، تح محمد عبد الكريم كاظم الراضي ، مؤسسة الرسالة - لبنان/ بيروت ، الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م
٥٩. الجوهري ، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت/ ٣٩٣هـ) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تح: أحمد عبد الغفور عطار، ، دار العلم للملايين – بيروت ، ط/الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

٦٠. الجويني، إبراهيم بن محمّد بن المؤيّد الجويني الخراساني(ت/٧٣٠ هـ)، فرائد السمطين في فضائل المرتضى والبتول والسبطين والأئمة من ذريتهم(ع)،مؤسسة المحمود، بيروت ، ط/ الاولى ، ١٤٠٠ ق.
٦١. الحاكم الحسكاني، عبيد الله بن أحمد المعروف بالحاكم الحسكاني، شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، ،تح: الشيخ محمد باقر المحمودي، مؤسسة الطبع والنشر، التابعة لوزارة الثقافة والارشاد الاسلامي ، مجمع ، أحياء الثقافة الاسلامية /ايران -طهران، ط/ الاولى ، ١٣١١هـ -١٩٩٠م .
٦٢. الحويزي، عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي (١١١٢ هـ)، تفسير نور الثقلين،تح : السيد هاشم الرسولي المحلاتي، مؤسسة اسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع / قم – إيران ، ط/ الرابعة ، ١٤١٢ هـ - ١٣٧٠ ش .
٦٣. الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (ت/ ٧٤١هـ) لباب التأويل في معاني التنزيل ،تح: تصحيح محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط/ الأولى - ١٤١٥ هـ
٦٤. الخراط ، أبو بلال، أحمد بن محمد الخراط، المجتبى من مشكل إعراب القرآن، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة ، ١٤٢٦ هـ .
٦٥. الخطيب البغدادي ،أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت/٤٦٣هـ)،الفقيه والمتفقه ، تح: أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف الغرازي، دار ابن الجوزي – السعودية ، ط/ الثانية، ١٤٢١هـ.
٦٦. الخفاجي، أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي (ت/٤٦٦هـ)، سر الفصاحة، ، دار الكتب العلمية، ط/ الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ -١٩٨٢م.
٦٧. الدامغانيّ، أبي عبد الله الحسين بن محمد (ت/٤٧٨ هـ)، الوجوه والنظائر للألفاظ كتاب الله العزيز، تح: عربي عبد الحميد علي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلميّة / بيروت – لبنا، د.ط ، د.ت.
٦٨. الدينوري ،أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت/ ٢٧٦هـ).
- تأويل مشكل القرآن ، تح: إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان .
- غريب القرآن، تح: أحمد صقر، دار الكتب العلمية ،١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.
٦٩. الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت/ ٦٠٦هـ) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ط/الثالثة - ١٤٢٠ هـ
٧٠. الراغب الأصفهانى ،أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت/ ٥٠٢هـ)،
- تفسير الراغب الأصفهاني، تح: د. محمد عبد العزيز بسيوني ، كلية الآداب - جامعة طنطا ، ط/ الأولى: ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م .

- المفردات في غريب القرآن ، تح: صفوان عدنان الداودي ، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت ، ط/ الأولى - ١٤١٢ هـ .
٧١. الرماني والخطابي والجرجاني، ثلاث رسائل في اعجاز القران،محمد خلف الله أحمد ، محمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، ط/ الثالثة .
٧٢. الزَّبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت / ١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس ، تح: مجموعة من المحققين ، دار الهداية، د ط، د ت .
٧٣. الزركشي ،أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت/ ٧٩٤هـ)،
- البحر المحيط في أصول الفقه ، دار الكتبي ، ط/ الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- البحر المحيط في أصول الفقه، تح : الدكتور محمد محمد تامر ، ط/ الأولى ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م.
- البرهان في علوم القرآن،تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه ، ط/الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م .
٧٤. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت/ ٥٣٨هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، دار الكتاب العربي – بيروت، ط/ الثالثة - ١٤٠٧ هـ .
٧٥. السِّجِسْتاني ، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (ت/ ٢٧٥هـ)، سنن أبي داود ،تح: محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت .
٧٦. السدوسي ، قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز، أبو الخطاب السدوسي البصري (ت/ ١١٧هـ)، الناسخ والمنسوخ، تح: حاتم صالح الضامن، كلية الآداب - جامعة بغداد، مؤسسة الرسالة، ط/ الثالثة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م .
٧٧. السرخسي ، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (ت/ ٤٨٣هـ)، أصول السرخسي، دار المعرفة – بيروت ، د.ط ، د. ت . .
٧٨. السكاكي ، أبو يعقوب،يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي (ت/ ٦٢٦هـ)، مفتاح العلوم ، تح: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ،ط/ الثانية، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .
٧٩. السمعاني، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت/ ٤٨٩هـ)، تفسير القرآن (تفسير السمعاني) ، تح: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم ،دار الوطن، الرياض – السعودية ط/ الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م
٨٠. السيوري، جمال الدين المقداد بن عبد الله السيوري (٨٢٦)، كنز العرفان في فقه القرآن ، تح: الشيخ محمد باقر (شريف زاده) وأشرف على تصحيحه واخراج أحاديثه محمد باقر البهبودي ، حيدري – طهران ، المكتبة الرضوية – طهران، ١٣٨٥.

٨١. السيوطي ،عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت/ ٩١١هـ).
- الإتقان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ط/١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م.
- التحبير في علم التفسير ، دار الفكر / بيروت –لبنان، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار الفكر – بيروت. د ت .
- معترك الأقران في إعجاز القرآن، دار النشر: دار الكتب العلمية / بيروت – لبنان ، ط/ الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .
٨٢. الشاشي، نظام الدين أبو علي أحمد بن محمد بن إسحاق الشاشي (ت/ ٣٤٤هـ)، أصول الشاشي، دار الكتاب العربي – بيروت ، د.ط ، د. ت . .
٨٣. الشافعي ،محمد بن أحمد الدمشقي الباعوني، جواهر المطالب في مناقب الإمام علي (ع)،تح: محمد باقر المحمودي، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية - قم – ايران، ط/ الاولى،١٤١٦ .
٨٤. الشريف الجرجاني ،علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت / ٨١٦هـ)، كتاب التعريفات ، تح: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان ، ط/ الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م .
٨٥. الشريف الجرجاني، أبو الحسن السيد الشريف علي بن محمد بن علي السيد زين الدين الحسيني الجرجاني(٥٣١هـ) الحاشية على الكشاف ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، عباس ومحمد محمود الحلبي وشركاهم، سنة الطبع : ١٣٨٥ - ١٩٦٦ م.
٨٦. الشريف الرضي، أبو الحسن محمّد بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن ابراهيم بن الإمام موسى الكاظم(ع)(ت/٤٠٦هـ)، تلخيص البيان في مجازات القرآن ، تح: محمد عبد الغني حسن ، دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه – القاهرة، ط/ الأولى، ١٣٧٤ – ١٩٥٥
٨٧. الشوكاني ، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت/ ١٢٥٠هـ)، إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول ، تح: الشيخ أحمد عزو عناية، دمشق - كفر بطنا ، دار الكتاب العربي ،ط/ الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م .
- فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت ، ط/
٨٨. الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت/ ٣٩٣هـ) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار ، ، دار العلم للملايين – بيروت ، ط/الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م
٨٩. الطبراني ،سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت/ ٣٦٠هـ)،
- الدعاء للطبراني ، المحقق: مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية – بيروت، ط/ الأولى، ١٤١٣هـ .
- المعجم الكبير، تح: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية – القاهرة ط/الثانية ،د. ت .

٩٠. الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي(ت/٥٤٨هـ) ، مجمع البيان في تفسير القرآن ،تح: لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان، ط/ الأولى ،١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م .
٩١. الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، الطبري (ت/ ٣١٠هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، تح: أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ط/الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م
٩٢. الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (ت/ ٣٢١هـ) شرح مشكل الآثار ، تح: شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، ط/الأولى - ١٤١٥ هـ، ١٤٩٤ م .
٩٣. الطحاوي، صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي (ت/ ٧٩٢هـ)، شرح العقيدة الطحاوية، تح: جماعة من العلماء، تخريج: ناصر الدين الألباني ، دار السلام للطباعة والنشر التوزيع والترجمة ط/ الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
٩٤. الطهراني، مير سيد علي الحائري الطهراني، تفسير مقتنيات الدرر ، الحيدري بطهران، دار الكتب الإسلامية، ١٣٣٧ ش.
٩٥. الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن (ت/ ٤٦٠هـ).
- الأمالي، تح: قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة ، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع - قم ، الطبعة / الأولى ، ١٤١٤ هـ .
- التبيان في تفسير القران، تح وتصحيح : أحمد حبيب قصير العاملي ، الطبعة : الأولى، مكتب الإعلام الإسلامي ،١٤٠٩ هـ.
- الخلاف،تح: السيد علي الخراساني ، السيد جواد الشهرستاني ، الشيخ مهدي نجف/ المشرف : الشيخ مجتبى العراقي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة،ط/ الثانية : ١٤٢٠ هـ .
- المبسوط، تح : تصحيح وتعليق : محمد الباقر البهبودي ، المكتبة المرتضوية لإحياء آثار الجعفرية.
٩٦. الطيالسي ،أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصرى (ت/ ٢٠٤هـ)، مسند أبي داود الطيالسي، تح: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي ، دار هجر – مصر ط/الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.
٩٧. العاملي، حسن بن زين الدين العاملي (ت/ ٥٩٥هـ)، معالم الدين وملاذ المجتهدين ، تح : مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، مؤسسة النشر الاسلامي/ قم، د.ت.
٩٨. العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (ت/ ٦١٦هـ)، التبيان في إعراب القرآن، تح : علي محمد البجاوي ، عيسى البابي الحلبي وشركاه، د.ط، د.ت .

٩٩. العلامة الحليّ، أبو منصور الحسن يوسف المطهر الاسدي (٧٢٦هـ)،كتاب الألفين الفارق بين الصدق والمين، تح: المؤسسة الاسلامية للبحوث والمعلومات/ايران -قم، ط/ الاولى، ١٤٢٣هـ -١٣٨١ش.
١٠٠. العلوي، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد باللّه (ت/ ٧٤٥هـ)، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، المكتبة العنصرية – بيروت ، ط/ الأولى، ١٤٢٣ هـ
١٠١. العياشي، محمد بن مسعود العياشي(ت/ ٣٢٠هـ) ، تفسير العياشي ، تح : الحاج السيد هاشم الرسولي المحلاتي، المكتبة العلمية الإسلامية – طهران، د.ط، د.ت.
١٠٢. الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت/ ٥٠٥هـ)، المستصفى، تح: محمد عبد السلام عبد الشافي ، دار الكتب العلمية ،ط/ الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .
١٠٣. الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت/ ١٧٠هـ) كتاب العين، تح: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي ، ومكتبة الهلال ، د. ت. .
١٠٤. الفيروزآبادى ، أبو طاهر محمد بن يعقوب مجد الدين الفيروزآبادى (ت/٨١٧هـ).
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، تح: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة . د.ط ، د. ت .
- القاموس المحيط، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان ، ط/ الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
١٠٥. القاضي أبو يعلى ، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء (ت/٤٥٨هـ)، العدة في أصول الفقه، تح: د أحمد بن علي بن سير المباركي، كلية الشريعة بالرياض - جامعة الملك محمد بن سعود الإسلامية ،ط/ الثانية ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م .
١٠٦. القالي، أبو علي القالي، إسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سلمان (ت/ ٣٥٦هـ) الأمالي = شذور الأمالي = النوادر، عني بوضعها وترتيبها: محمد عبد الجواد الأصمعي ، دار الكتب المصرية ، ط/ الثانية، ١٣٤٤ هـ - ١٩٢٦م.
١٠٧. قَايْماز ،شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت/٧٤٨هـ)، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، دار الكتب العلمية ،ط/ الأولى ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م.
١٠٨. قدامة، أبو الفرج بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي، (ت/ ٣٣٧هـ) ، نقد الشعر ، مطبعة الجوائب – قسطنطينية ، ط/الأولى، ١٣٠٢ هـ.
١٠٩. القرافي ، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (ت/ ٦٨٤هـ)، شرح تنقيح الفصول ، المحقق: طه عبد الرؤوف سعد ، شركة الطباعة الفنية المتحدة ،ط/ الأولى، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م.

١١٠. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت/ ٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي ، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ،دار الكتب المصرية – القاهرة ،ط/ الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م .
١١١. القزويني، محمد كاظم (السيد) ، فاطمة الزهراء من المهد الى اللحد ، سيد الشهداء / مكتبة دار الانصار _ قم ، ط/ الاولى، ١٤٤٢ه.
١١٢. القمي، أبو الحسن علي بن إبراهيم القمي(٣٢٩ هـ)، تفسير القمي، تح: السيد طيب الموسوي الجزائري، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر / قم - إيران، منشورات مكتبة الهدى، ط/ الثالثة ، ١٤٠٤ هـ .
١١٣. القيرواني ، أبو الحسن علي بن فَضَّال بن علي بن غالب المُجَاشِعِي القيرواني، (ت/ ٤٧٩هـ)، النكت في القرآن الكريم (في معاني القرآن الكريم وإعرابه)، تح: د. عبد الله عبد القادر الطويل ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط/ الأولى، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م .
١١٤. القيرواني، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (ت / ٤٣٧هـ)، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، تح: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، ط/ الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م
١١٥. الكاشاني، ملا فتح الله الكاشاني (ت/٩٨٨هـ)، منهج الصادقين في الزام المخالفين، تح: محمد حسن علمي/ تهران ، ١٣٣٣ .
١١٦. الكرمى، مرعي بن يوسف بن أبى بكر بن أحمد الكرمى المقدسي الحنبلى (ت / ١٠٣٣هـ)، قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن ، تح: سامي عطا حسن ، دار القرآن الكريم – الكويت .
١١٧. الكليني محمد بن يعقوب بن إسحاق *الكليني* الرازي (٣٢٩هـ) ، الكافي، دار الكتب الاسلامية/طهران ، تح: علي اكبر غفاري ، ط/ الخامسة، ١٣٦٣ش .
١١٨. الكوفى، أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلى الكوفى (ت / ٢٦١هـ)، تاريخ الثقات ، دار الباز ، ط/ الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ -١٩٨٤م .
١١٩. الماتريدي ، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور (ت/ ٣٣٣هـ) تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) ، تح: د. مجدي باسلوم ، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان ، ط/ الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م .
١٢٠. الماوردي ، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت/ ٤٥٠هـ) ، تفسير الماوردي = النكت والعيون ،تح: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان.

١٢١. مالك، أبو عبد الله *مالك* بن أنس بن *مالك* بن ابي عامر الاصبحي الحميري المدني (ت/ ١٧٩ هـ) ، الموطأ، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان ، ١٤٠٦ - ١٩٨٥ م.
١٢٢. مجاهد، أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (ت/ ١٠٤هـ)، تفسير مجاهد، تح: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر،ط/ الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م.
١٢٣. مجاهد، أبو بكر بن مجاهد، أحمد بن موسى بن العباس التميمي، البغدادي (ت/ ٣٢٤هـ)، كتاب السبعة في القراءات ، تح: شوقي ضيف ، دار المعارف – مصر ، ط/ الثانية، ١٤٠٠هـ
١٢٤. المجلسي، أَبو عبدِ اللّهِ محَمّد بَاقر بِن مُحمَد تَقِيّ بِن مَقصُود عَلِي المَجلِسِي الأَصفهانِي (ت/١١١١ هـ) ، بحار الانوار، مؤسسة الوفاء م بيروت – لبنان، ط/ الثانية ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .
١٢٥. المحب الطبري، أبو العباس أحمد بن عبد الله بن محمد الطبري المكي الشافعي(ت/ ٦٩٤هـ)، ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، **مكتبة القدسي لصاحبها حسام الدين القدسي – القاهرة**، ١٣٥٦ م .
١٢٦. المحقق الأردبيلي ، أحمد بن محمد الشهير بالمقدس الأردبيلي(ت/٩٩٣هـ)، زبدة البيان في أحكام القرآن ، تح : محمد الباقر البهبودي، مكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية – طهران . د.ت.
١٢٧. المحقق الحلي، أبو القاسم ، نجم الدين جعفر بن الحسن (٦٧٦هـ) .
- معارج الأصول ، تح: محمد حسين الرضوي ، :مطبعة سيد الشهداء (ع) - قم – ايران ، مؤسسة آل البيت (ع) للطباعة والنشر، ط/ الأولى ، ١٤٠٣ هـ.
- المعتبر، تح: عدة من الافاضل ، اشراف ناصر مكارم الشيرازي، مؤسسة سيد الشهداء(ع)/ قم، ١٣٦٤ ش.
١٢٨. المرداوي، علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان المرداوي الدمشقي الصالحي الحنبلي (ت/ ٨٨٥هـ)، التحبير شرح التحرير في أصول الفقه، المحقق: د. عبد الرحمن الجبرين، د. عوض القرني، د. أحمد السراح ، مكتبة الرشد -السعودية / الرياض، ط/ الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م
١٢٩. المعتزلي، أبو الحسين محمد بن علي الطيب البَصْري المعتزلي (ت/ ٤٣٦هـ) ، المعتمد في أصول الفقه، تح: خليل الميس ، دار الكتب العلمية – بيروت، الأولى، ١٤٠٣ هـ.
١٣٠. المفيد ،ابو عبد الله ، محمد بن محمد بن النعمان ابن المعلم العكبري، البغدادي (ت/٤١٣هـ) ،
- تفسير القرآن المجيد، تح: محمد علي آيازي ، مركز الثقافة والمعارف القرنية / بوستان كتاب قم ،ط/ الاولى ، ١٤٢٤ هـ - ١٣٨٢ ق .
- المؤتمر العالمي لذكرى الالفية لوفاة الشيخ المفيد، مؤسسة البعثة، مطبعة مهر، ط/ الثانية ، ١٤١٣هـ ق .
١٣١. مقاتل، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (ت/ ١٥٠هـ) تفسير مقاتل بن سليمان ، تح: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث – بيروت، ط: الأولى - ١٤٢٣ هـ .

١٣٢. المقري، أبو القاسم هبة الله بن سلامة بن نصر بن علي البغدادي المقري (ت/٤١٠هـ)، الناسخ والمنسوخ، تح: زهير الشاويش، محمد كنعان، المكتب الإسلامي – بيروت ، ط/ الأولى، ١٤٠٤ هـ .
١٣٣. المقرئ، ابي طاهر اسماعيل بن خلف المقرئ الانصاري الاندلسي، (٤٥٥ هـ)، العنوان في القراءات السبع، تح: الدكتور زهير زاهد، الدكتور خليل العطية، دار الغدير للطباعة والنشر / قم، ط/ الاولى ، ١٤٣٦ هـ ق .
١٣٤. المناوي ، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري(ت/١٠٣١هـ) فيض القدير في شرح الجامع الصغير ، ط/ الاولى، دار الكتب العلمية/ بيروت - لبنان، ١٤١٥هـ .
١٣٥. المنياوي، أبو المنذر محمود بن محمد بن مصطفى بن عبد اللطيف المنياوي ، التمهيد - شرح مختصر الأصول من علم الأصول ، المكتبة الشاملة، مصر ، ط/الأولى، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م .
١٣٦. الميانجي ،محمد باقر الملكي، مناهج البيان في تفسير القرآن، ايران . وزارت فرهنگ و ارشاد اسلامى . سازمان چاپ و انتشارات - ايران – تهران ، ط/ الاولى، ١٤١٤ ق هـ .
١٣٧. الميرزا القمي، ميرزا أبو القاسم القمي(الفقيه)(ت/١٢٣١هـ)، قوانين الأصول ،د. ط، د. ت.
١٣٨. النَّحَّاس ،أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (ت/ ٣٣٨هـ)،
- إعراب القرآن، تح: عبد المنعم خليل إبراهيم ، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط/الأولى، ١٤٢١ هـ.
- الناسخ والمنسوخ، تح : (الدكتور)محمد عبد السلام محمد، مكتبة الفلاح – الكويت، ط/ الأولى، ١٤٠٨ هـ.
١٣٩. النسائي ، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (ت/ ٣٠٣هـ)،
- السنن الكبرى، تح: حسن عبد المنعم شلبي أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي ، مؤسسة الرسالة – بيروت ط/الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م
- السنن الكبرى ،تح: د . عبد الغفار سليمان البندري، سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية / بيروت – لبنان ، ط/ الاولى، ١٤١١هـ -١٩٩١م
١٤٠. النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت/٧١٠هـ) تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تح: يوسف علي بديوي ، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت ، ط/ الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م
١٤١. النشَّار ،عمر بن قاسم بن محمد بن علي الأنصاري أبو حفص، سراج الدين النشَّار الشافعي المصري (ت / ٩٣٨هـ)، المكرر في ما تواتر من القراءات السبع وتحرر ويليه / موجز في ياءات الإضافة بالسور، تح: أحمد محمود عبد السميع الشافعي الحفيان، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط/ الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

١٤٢. النعماني ، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي *النعماني*(ت/ ٧٧٥هـ)، اللباب في علوم الكتاب، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ محمد علي عوض، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، ط/ الاولى ، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨ م.

١٤٣. النووي، أبو زكريا يحي بن شرف النووي الدمشقي (ت/ ٦٧٦ هـ) ، رياض الصالحين ، دار الفكر المعاصر/ بيروت –لبنان، ط/ الثانية ، ١٤١١هـ -١٩٩١م .

١٤٤. النُّوَيْري ، محمد بن محمد بن محمد، أبو القاسم، محب الدين النُّوَيْري (ت / ٨٥٧هـ)، شرح طيبة النشر في القراءات العشر، تح: الدكتور مجدي محمد سرور سعد باسلوم، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط/ الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م .

١٤٥. النويري،أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (ت/ ٧٣٣هـ) نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ، ط/ الأولى، ١٤٢٣ هـ

١٤٦. النيسابوريّ أبو بكر،أحمد بن الحسين بن مِهْران النيسابوريّ، (ت/٣٨١هـ)، المبسوط في القراءات العشر ، تح: سبيع حمزة حاكيمي، مجمع اللغة العربية – دمشق ، ١٩٨١ م

١٤٧. النيسابوري، أبو عبد الرحمن اسماعيل بن أحمد الحيري النيسابوري (ت/ ٣٦١هـ) وجوه القرآن، تح: (الدكتور)نجف عرشي، مؤسسة الطبع والنشر التابعة للاستانة الرضوية المقدسة، مجمع البحوث الاسلامية، ط/ الثانيّة، ١٤٣٢ هـ - ١٣٩٠ ش .

١٤٨. النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت/٨٥٠ هـ)غرائب القرآن ورغائب الفرقان،تح : الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلميّة / بيروت - لبنان، ط/ الاولى، ١٤١٦ هـ .

١٤٩. الهُذَلي ،يوسف بن علي بن جبارة بن محمد بن عقيل بن سواده أبو القاسم الهُذَلي اليشكري المغربي (ت / ٤٦٥هـ) ، الكامل في القراءات والأربعين الزائدة عليها ، تح: جمال بن السيد بن رفاعي الشايب، مؤسسة سما للتوزيع والنشر ، ط/ الأولى، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م .

١٥٠. الهروي،أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (ت/٢٢٤هـ)، الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز وما فيه من الفرائض والسنن، تح: محمد بن صالح المديفر ، مكتبه الرشد/ شركة الرياض – الرياض،ط/ الثانية، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م .

١٥١. الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت/ ٤٦٨هـ)، الوسيط في تفسير القرآن المجيد ، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان،ط/ الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م .

ثانياً : المصادر الحديثة :

١٥٢. أبو شهبة ، محمد بن محمد بن سويلم (الدكتور)، الاسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ، مكتبة السنة ، ط/ الرَّابعة، د. ت .
١٥٣. إحسان الأمين ، التفسير بالمأثور وتطوره عند الشيعة الإماميّة، دار الهادى – بيروت، ط/ الأولى، ١٤٢١هـ -٢٠٠٠م.
١٥٤. إحسان العارضي، جدل الحداثة وما بعد الحداثة في الفكر الاسلامي المعاصر، مركز الفكر المعاصر، ط/ الاولى، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣م .
١٥٥. إحسان عباس(الدكتور) (ت/ ١٤٢٤هـ) ، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الثقافة، بيروت – لبنان ، ط/ الأولى: ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.
١٥٦. أحمد حسن فرحات (الدكتور)، في علوم القرآن عرض ونقد وتح، دار ابن كثير / بيروت -لبنان، ط/ الاولى، ١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨م .
١٥٧. أحمد حمد،(الدكتور)،الاجماع بين النظرية والتطبيق، دار القلم/ الكويت، ط/ الاولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م .
١٥٨. أحمد عبد الله البيلي البدوي (ت/ ١٣٨٤هـ) من بلاغة القرآن، نهضه مصر – القاهرة، د.ط، ٢٠٠٥م .
١٥٩. أحمد محمد صافي المستغانمي (الدكتور)، تصريف القول في القصص القرآنيّ ، دار ابن كثير/ بيروت - لبنان ، ط/ الاولى، ١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م .
١٦٠. أحمد مختار عبد الحميد عمر (الدكتور)(ت/ ١٤٢٤هـ)، معجم اللغة العربية المعاصرة ، عالم الكتب ط/الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
١٦١. أحمد مطلوب (الدكتور)، كامل حسن البصير(الدكتور)، البلاغة والتّطبيق ، بيروت الحديثة ، ط/ الثالثة، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١م.
١٦٢. أحمد ياسوف، جماليات المفردة القرآنية، دار المكتبي – دمشق، ط/الثانية، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩م .
١٦٣. أحمد الوائلي (الدكتور)، من فقه الجنس في قنواته المذهبية . انتشارات الشريف الرضي، ط/ الاولى ، ١٤١٢هـ - ١٣٧٠ ش .
١٦٤. آل سعدي ، أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (ت / ١٣٧٦هـ)، القواعد الحسان لتفسير القرآن ، مكتبة الرشد، الرياض ، ط/ الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م .
١٦٥. آلان تورين، نقد الحداثة، ترجمة عبد السلام الطويل، مراجعة محمد سبيلا، نشر أفريقيا الشرق/ المغرب، ٢٠١٠ م.
١٦٦. الألباني ،أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (ت/١٤٢٠هـ)،سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، دار المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط/ الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

١٦٧. باومان ، زينجمونت ،الحداثة السائلة ، ترجمة : حجاج أبو جبر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر /بيروت ، ط/ الاولى ، ٢٠١٦م.
١٦٨. البغدادي، إسماعيل باشا بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي(ت/١٣٣٩هـ) (ت. ١٣٣٩ هـ، هدية العارفين اسماء المؤلفين وآثار المصنفين، دار احياء التراث العربي، لبنان – بيروت، د.ت.
١٦٩. البلاغي، الشيخ محمد جواد البلاغي النجفي(ت/١٣٥٢) ،آلاء الرحمن في تفسير القران، مطبعة العرفان ، ١٩٣٣م .
١٧٠. بنت الشاطئ، عائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ (ت/١٤١٩هـ)،
- الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق ، دار المعارف ، ط/ الثالثة، د.ت.
- التفسير البياني للقرآن الكريم ، دار المعارف/ القاهرة ، ط/ الخامسة ، د. ت .
- القرآن وقضايا الانسان ، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ١٩٧٢ م
١٧١. بهاء الدين خرمشاهي، التفسير والتفسير الحديثة ،راجعه : عصام حسن، دار الروضة للطباعة والنشر/ بيروت ، ط/الاولى، ١٩٩١م - ١٤١١هـ .
١٧٢. البيومي ، محمد رجب(الدكتور)، خطوات التفسير البياني للقران الكريم، سلسلة البحوث الاسلامية، د.ط، ١٣٩١هـ .
١٧٣. تيري ايغلتون، نظرية الأدب، ترجمة :ثائر ديب، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية/ دمشق، ١٩٩٥م.
١٧٤. الجابري، محمد عابد، التراث والحداثة دراسات ومناقشات ، مركز دراسات الوحدة العربية/ بيروت - لبنان، ط/ الثالثة، ٢٠٠٦ م .
١٧٥. جبار كاظم الملا (الدكتور)، سكينة عزيز الفتلي(الدكتور)، قواعد اصول التفسير في تهذيب الوصول للعلامة وكنز العرفان للسيوري ، مركز العلامة الحلي، لإحياء تراث حوزة الحلة العلمية،ط/ الاولى، ١٤٤٠هـ -٢٠١٩م.
١٧٦. جعفر السيد باقر الحسيني، أساليب المعاني في القران، مركز الطباعة والنشر التابع لمكتب الاعلام الاسلامي ، مركز بوستان، ط/ الاولى ، ١٤٢٨ ق - ١٣٨٦ش.
١٧٧. جعفر خضير، الشيخ الطوسي مفسراً ، دفتر تبلياغات اسلامي، قم ، ط/ الاولى ، ١٣٧٨ / ١٤٢٠ هـ .
١٧٨. جوان حسين آراسته، دروس في علوم القرآن (تعريب: خليل العصامي)، مركز المصطفى العالمي للترجمة والنشر، مطبعة زلال كوثر، ط/ الثالثة ،١٤٣٥ ق - ١٣٩٣ش .
١٧٩. الجيزاني، محمَّد بنْ حسَيْن بن حَسنْ الجيزاني، معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة، دار ابن الجوزي ،ط/ الطبعة الخامسة، ١٤٢٧ هـ
١٨٠. حَبَنَّكَة ،عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (ت/ ١٤٢٥هـ)، البلاغة العربية، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت ،الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.

١٨١. الحجوي ، محمد بن الحسن بن العربيّ بن محمد الثعالبي الجعفري الفاسي (ت/ ١٣٧٦هـ)، الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي ،دار الكتب العلمية -بيروت -لبنان ، ط/ الأولى ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
١٨٢. الحسين رزوق،(الدكتور) ، جهود الأمة في الإعجاز البيانيّ قراءة في المسار والمآل، المؤتمر العالمي الأول في القرآن الكريم وعلومه ، ط/ الاولى ، د. ت .
١٨٣. حسين صالح حماده ، مباحث في علوم القرآن، دار المحجة البيضاء/ بيروت - لبنان ، ط/ الاولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
١٨٤. حكمت عبيد الخفاجي (الدكتور)، منهج التفسير التحليلي - دراسة في الاساليب والطرائق ، مؤسسة دار الصادق الثقافية/ العراق بابل، ط/ الاولى، ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م
١٨٥. الحكيم، محمد باقر الحكيم (السّيد).
- تفسير سورة الحمد، شريعت – قم، مجمع الفكر الإسلامي، شريعت – قم، مجمع الفكر الإسلامي ، ط/ الأولى، ١٤٢٠ هـ.
- علوم القرآن، مجمع الفكر الاسلامي، ط/ الخامسة، ١٤٢٤هـ ق.
١٨٦. حنان اللحام (الدكتورة) .
- أضواء حول سورة الطلاق، دار الحنان للنشر /دمشق، د.ط ، د. ت .
- أضواء على سورة يس ، دار الثقافة للجميع ، ظ/ الاولى ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م
- أضواء وتأملات في سورة طه، المكتبة الكيّة / السعودية، دار إيلاف/ بريطانيا، دار البشائر الاسلاميّة، ط/ الاولى، ١٤١٤هـ -١٩٩٤م.
- تأملات في سورة الاحزاب ، مكتبة الامام الشافعي، ط/ الاولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م .
- تأملات في سورة المائدة ، دار الافاق والانفس / دمشق - سوريا، ط/ الاولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- تأملات في سورة هود ، توزيع دار الحنان/دمشق، مكتبة الامام الشافعي، ط/ الاولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م
- من هدي سورة آل عمران، دار الهدى للنّشر والتّوزيع، الرياض - السعودية، ط/ الاولى، ط/ الأولى، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩م.
- من هدي سورة البقرة، دار الهدى للطباعة والنشر، ط/ الاولى، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م
- من هدي سورة النّساء، دار الهدى للنشر والتوزيع، الرياض - السعودية، ط/ الاولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م، ط/ الثانية، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩م.
- من هدي سورة النّور، مكتبة الامام الشافعي، الرياض - السعودية، ط/ الاولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- من هدي سورة لقمان، دار الهدى للنشر والتوزيع ، ط/ الثانية، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

١٨٧. حيدر حب الله، إضاءات في الفكر والدين والإجتماع، مؤسسة البحوث المعاصرة، ط/ الاولى ، ١٤٣٤ هـ ق .
١٨٨. الحيدري، السيد كمال (المرجع).
- أصول التّفسير والتّأويل مقارنة بين آراء الطبطبائي وأبرز المفسرين ، مؤسسة الإمام الجواد (ع) للفكر والثقافة، ط/ الرابعة ، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢م .
- تأويل القرآن بين النّظرية والتّطبيق ، دار فرقد للطباعة والنشر/ايران ، ط/ الاولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
- اللباب في تفسير الكتاب ،تح: عبد الحسين ، عبد الرضا دار فرقد للطباعة والنشر/ قم، ط/ الاولى، ١٤٣١ق هـ
- المنهج التّفسيري ، دار فرقد للطباعة والنشر/ قم، ط/ الثانية، ١٤٣١ق
١٨٩. خديجة محمد المحمود (الدكتورة) ، أبرز جهود النساء في تفسير القران الكريم منذ القران الرابع عشر الهجري ، ناشرون ، ط/ الاولى ، ٢٠٢١م .
١٩٠. الخضيري، محمد بن عبد العزيز بن أحمد ، الإجماع في التفسير ، دار الوطن للنشر/ السعودية، رسالة ماجستير بإشراف : د. علي بن سليمان العبيد، جامعة محمد بن سعود الاسلامية / كلية اصول الدين، ١٤١٦ هـ .
١٩١. خلف محمد عبد الجواد، مدخل إلى التفسير وعلوم القرآن، دار البيان العربي – القاهرة . د. ط ، د. ت .
١٩٢. الخوئي، السيد ابو القاسم الموسوي الخوئي (١٤٢٣هـ)، البيان في تفسير القران، دار الزهراء للنشر والطباعة والتوزيع، ط/ الرابعة، ١٣٩٥ هـ، ١٩٧٥م.
١٩٣. داود سلوم (الدكتور) تاريخ النقد العربي من الجاهلية حتى نهاية القرن الثالث،كلية الآداب ، مطبعة الايمان، بغداد ١٩٦٩ م
١٩٤. الددو، محمد الحسن ولد محمد الملقب بـ(الددو)الشنقيطي، شرح الورقات في أصول الفقه، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية ، http://www.islamweb.net، ورقم الجزء هو رقم الدرس -٥ دروس].
١٩٥. درويش، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (ت/١٤٠٣هـ)، إعراب القرآن وبيانه ، دار الإرشاد للشئون الجامعية - حمص - سورية ، دار اليمامة/ دمشق - بيروت، دار ابن كثير / دمشق - بيروت، ط/ الرابعة ، ١٤١٥ هـ
١٩٦. الذهبي، محمد السيد حسين (الدكتور) (ت/١٣٩٨هـ) التفسير والمفسرون ،مكتبة وهبة، القاهرة ، د.ط ، د . ت .

١٩٧. رجاء بنت محمد عودة، الاعجاز القرآني وأثره على مقاصد التنزيل الحكيم، مكتبة العبيكان / الرياض، ط/ الاولى .
١٩٨. الرومي ، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي (الدكتور).
- اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، ط/ الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.
- دراسات في علوم القرآن الكريم، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف ، ط/ الثانية عشرة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .
١٩٩. رينهارت بيتر آن دُوزِي (ت/ ١٣٠٠هـ)، تكملة المعاجم العربية ،نقله إلى العربية وعلق عليه(ج ١ - ج٨): محمَّد سَليم النعَيمي (ج ٩ - ج١٠): جمال الخياط ، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية ط/الأولى، من ١٩٧٩ – ٢٠٠٠م .
٢٠٠. الزحيلي، وهبة مصطفى (الدكتور) ، التّفسير الوسيط، دار الفكر/ دمشق ، ط/ الاولى ،١٤٢٢ هـ .
٢٠١. الزُّرْقاني، محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (ت/ ١٣٦٧هـ)، مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ط/ الثالثة ، د ت .
٢٠٢. الزلمي ، مصطفى ابراهيم / التّبيان لرفع غموض النسخ في القرآن، منشورات أسمار / باريس، ٢٠٠٩م.
٢٠٣. زينب محمد الجبيلي الغزالي (الداعية) : نظرات في كتاب الله، دار التوزيع والنشر الاسلاميّة/ القاهرة، ط/ الأولى ،١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
٢٠٤. السّامرائي، فاضل صالح السامرائي(الدكتور).
- الجملة العربية ، تأليفها وأقسامها ،دار الفكر(ناشرون وموزعون) ط/ الثانية ، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٧ م .
- على طريق التفسير البيانيّ، كلية الاداب والعلوم -جامعة الشارقة/ الامارات،١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م .
٢٠٥. سامي أحمد الموصلي، الاعجاز العلمي في القرآن، دار النفائس / بيروت، ط/ الاولى
٢٠٦. السايس، محمد علي السايس(الدكتور)، تفسير آيات الأحكام، تح: ناجي سويدان ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، ط، ٢٠٠٢ م.
٢٠٧. السبت ، خالد بن عثمان السبت .
- قواعد التفسير (جمعاً ودراسة)، دار ابن عفان، د.ط ، د.ت .
- مختصر في قواعد التفسير ، دار ابن القيم -دار ابن عفان ، ظ/ الأولى ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥ م .
٢٠٨. السّبحاني ، الشيخ جعفر السبحاني (المحقق).
- الأقسام في القرآن الكريم، اعتماد – قم ، مؤسسة الإمام الصادق (ع)، ط/ الأولى ، ١٤٢٠ هـ.
- البدعة ، مفهومها ، حدها وآثارها ، ،مؤسسة الامام الصادق ، ١٤١٦ هـ .

- عصمة الانبياء في القرآن الكريم ، دار الولاء للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت / لبنان، ط/الثانية ، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.
- عصمة الأنبياء في القرآن الكريم ، مؤسسة الإمام الصادق (ع) - قم – ايران، المطبعة : اعتماد – قم، ط/ الثانية، ١٤٢٠ هـ .
- مفاهيم القرآن، مؤسسة الإمام الصادق(ع) / قم ، ط/ الرابعة، ١٤٢١ق .
- المناهج التفسيرية في علوم القران، مؤسسة الامام الصادق، ط/ الاولى ، ١٤٣٢هـ ق .

٢٠٩. السبزواري، *عبد الأعلى* بن علي رضا بن عبد العلي الموسوي *السبزواري* ، مواهب الرحمن في تفسير القرآن ، مطبعة الادب / النجف الاشرف، ١٣٨٨هـ .

٢١٠. ستيفن أولمان : دور الكلمة في اللغة ، ترجمة د. كمال بشر، الطباعة القومية / القاهرة ، ١٩٦٢م.

٢١١. السرميني، د. عدنان كامل، حجية الإجماع ، دار نور المكاتب / السعودية –جدة ، مؤسسة الريّان/ بيروت – لبنان ، ط/ الاولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م .

٢١٢. سعدي أبو جيب، موسوعة الإجماع في الفقه الاسلامي، ط/ الثالثة . د.ت .

٢١٣. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت/ ١٣٧٦هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، مؤسسة الرسالة ، ط/ الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م .

٢١٤. سعيد ناشيد ، الحداثة والقران ، دار التنوير للطباعة والنشر، ط/ الاولى، ٢٠١٥ م

٢١٥. سلامة ، عبد الفتاح محمد محمد سلامة، أضواء على القرآن الكريم (بلاغته وإعجازه) ، الجامعة الإسلامية/المدينة المنورة ، ط/ السنة الثانية عشر - العدد السادس والأربعون - ربيع الآخر - جمادى الأولى - جمادى الثانية، ١٤٠٠هـ .

٢١٦. السلمي ، عبد الرحيم بن صمايل العلياني ، دراسة موضوعية للحائية ولمعة الاعتقاد والواسطية ، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، د.ط، د. ت.

٢١٧. السلمي ،عياض بن نامي بن عوض السلمي، أصُولُ الفِقهِ الذي لا يَسَعُ الفَقِيهِ جَهلَهُ، دار التدمرية، الرياض -المملكة العربية السعودية، ط/ الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م

٢١٨. سلوى محمد العوا ، الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، تقديم عائشة عبد الرحمن، دار الشروق / القاهرة - مصر، ط/ الاولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

٢١٩. سليمان بن إبراهيم بن محمد العايد(الدكتور)،عناية المسلمين باللغة العربية خدمة للقرآن الكريم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف بالمدينة المنورة، د.ط، د. ت.

٢٢٠. السيد الجميلى، الإعجاز العلمي في القرآن، دار ومكتبة الهلال، دار الوسام/ بيروت، ٢٠٠٠م

٢٢١. سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت/ ١٣٨٥هـ)، في ظلال القرآن، دار الشروق - بيروت - القاهرة ، ط/ السابعة عشر - ١٤١٢ هـ .

٢٢٢. السيد محمد علي ايازي،المفسرون حياتهم و منهجهم، وزارت ارشاد طهران، ط/ الاولى، ١٣٧٣ - ١٤١٤ هـ.
٢٢٣. شحاته، عبد الله (الدكتور) ، تاريخ القران والتفسير، الهيئة المصرية العامة للكتاب / القاهرة، ١٣٩٢ هـ - ١٩٨٠م
٢٢٤. الشرقاوي، عفت محمد(الدكتور)، اتجاهات التفسير في مصر في العصر الحديث ،جامعة عين شمس ، ١٩٧٢ م .
٢٢٥. الشعراوي، محمد متولي الشعراوي (ت/ ١٤١٨هـ)، تفسير الشعراوي – الخواطر، ١٩٩٧م.
٢٢٦. الشنقيطي ، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت/ : ١٣٩٣هـ)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ مـ
٢٢٧. الشهرانيّ، سعد بن محمد بن سعد الشهرانيّ(الدكتور) ، السّياق القرآنيّ وأثره في تفسير المدرسة العقلية الحديثة، كرسي القرآن الكريم وعلومه، جامعة الملك سعود، ط/ الاولى، ١٤٣٦ هـ.
٢٢٨. الشهري، عبد العزيز بن سعد، التناصّ : القران في دراسات الحداثة العربية والإستشراق ، مركز الفكر المعاصر ، ط/ الاولى، ١٤٣٧ هـ .
٢٢٩. الشيخ السند ، محمد السند البحراني (المحقق) ، تفسير أمومة الولاية والمحكمات للقرآن الكريم، بقلم : الشيخ محسن الجصاني، مطبعة شريعت، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر، ط/ الأولى ، ١٤٣٤ هـ ق
٢٣٠. الصاعدي، حمد بن حمدي الصاعدي،المطلق والمقيد، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية ، ط/الأولى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م .
٢٣١. صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن ، دار العلم للملايين ، ط/ الرابعة والعشرون كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٠م .
٢٣٢. الصدر ، السيد محمد باقر، (ت/ ١٤٠٠ هـ) .
- دروس في علم الأصول ، دار الكتاب اللبناني - بيروت - لبنان / مكتبة المدرسة - بيروت – لبنان، ط/ الثانية ، ١٤٠٦ - ١٩٨٦ م
- المدرسة القرآنية، تح: لجنة التح التابعة للمؤتمر العالمي للامام الشهيد الصدر (قدس)، مؤسسة الهدى الدولية للنشر والتوزيع، ط/ الاولى، ١٤٢١ق.
- المدرسة القرآنية، دار التعارف للمطبوعات / بيروت –لبنان، ط/ الاولى ، د. ت .
٢٣٣. الصفار، الشيخ فاضل الصفار (معاصر) .
- أصول الفقه وقواعد الاستنباط، مؤسسة الفكر الاسلامي/بيروت -لبنان، مكتبة ابن فهد الحلي/ كربلاء المقدسة - العراق، ط/ الثانية و ١٤٣٢ هـ - ٢٠٠١١م .

- قواعد فهم القرآن وتفسيره وتأويله، دار المحجة البيضاء/ بيروت -لبنان، ط/ الاولى، ١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م.
٢٣٤. الصنهاجي، عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي (ت/ ١٣٥٩هـ) ، مبادئ الأصول ،تح: الدكتور عمار الطالبي ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ١٩٨٠ م.
٢٣٥. الطباطبائي، محمد حسين (العلامة).
- المرأة في الاسلام، تح: محمد مرادي، دار التعارف للمطبوعات/ بيروت –لبنان ،ط/ الاولى ، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧م،
- الميزان في تفسير القران، الأعلمي للمطبوعات/ بيروت –لبنان، ط/ الاولى ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م .
٢٣٦. الطبسي، محمد رضا الطبسي النجفي(الشيخ)، منية الراغب في إيمان أبي طالب(رض)، تح: محمد جعفر الطبسي، مؤسسة بوستان التابعة لمكتب الاعلام الاسلامي /قم ، ط/ الثانية ، ١٤٢٨ ق - ١٣٨٦ش .
٢٣٧. الطلحي، ردة بن ردة بن ضيف الله الطلحيّ ، دلالة السياق، ١٤١٨ هـ. (اطروحة دكتوراه) باشراف: (الدكتور)عبد الفتاح عبد العليم البركاوي.
٢٣٨. طه الجابري ، في تاريخ النقد والمذاهب الادبية ، الاسكندرية / مصر، ١٣٧٢هـ -١٩٥٣م .
٢٣٩. طه حسين(الدكتور) ، في الأدب الجاهلي ،مطبعة دار المعارف / القاهرة، د.ط، ١٩٥٨ م.
٢٤٠. عادل العلوي، أحكام السرقة على ضوء القرآن والسنة(تقرير بحث السيد المرعشي)، ستاره – قم، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي/قم - إيران،ط/ الاولى، ١٤٢٤هـ - ١٣٨٢ ش - ٢٠٠٣ م.
٢٤١. العاملي، محمد محمود مرتضى، فلسفة العصمة عند الشيعة الإماميّة ، دار الولاء للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت / لبنان، ط/الاولى ، ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م .
٢٤٢. العاني، معمر منير، تجليات النقد اللغوي المعاصر في خطاب التفسير، عالم الكتب الحديثة، ٢٠١٤م .
٢٤٣. عبد الجواد خلف ،مدخل إلى التفسير وعلوم القرآن ، دار البيان م القاهرة - مصر، ط/ الاولى، د ت.
٢٤٤. عبد الرسول الغفار (الدكتور)، الميسر في علوم القرآن ، دار المحجة البيضاء، دار ومكتبة الرسول الاعظم (ص)، ط/ الاولى ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م .
٢٤٥. عبد الزهرة عثمان محمد ، ابو طالب الصّحابي المفترى عليه ، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع ، ط/ الاولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤م .
٢٤٦. عبد السلام أحمد الراغب، وظيفة الصورة الفنية في القرآن ، فصلت للدراسات والترجمة والنشر – حلب ، ط/الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
٢٤٧. عبد السلام عبد الصالح الجار الله، نقد الصحابة والتابعين للتفسير -دراسة نظرية تطبيقية، جامعة محمد بن سعود الاسلامية/ كلية اصول الدين، ١٤٢٧هـ - ١٤٢٨هـ .

٢٤٨. عبد الصمد شاكر، نظرة عابرة إلى الصحاح الستة، دار الفكر العربي/لبنان - بيروت، ط/ الاولى، ١٤٢٤هـ - ق
٢٤٩. عبد القادر محمد منصور ، موسوعة علوم القرآن، دار القلم العربى – حلب، الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م
٢٥٠. عبد الكريم الخطيب (ت/ ١٣٩٠هـ) ،التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي/ بيروت – لبنان ، ط/ الاولى ،١٤٢٤ هـ ق.
٢٥١. عبد الكريم بن علي بن محمد النملة ، المُهَذَّبُ فِي عِلمِ أُصُولِ الفِقهِ الْمُقَارَنِ ، مكتبة الرشد – الرياض ، ط/ الأولى: ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م .
٢٥٢. عبد الكريم شريفي ، من فلسفات التأويل الى نظريات القراءة، الدار العربية للعلوم، ناشرون ، ط/ الاولى، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م .
٢٥٣. عبد الوهاب خلاف(الدكتور) (ت/ ١٣٧٥هـ)، علم أصول الفقه وخلاصة تاريخ التشريع، مطبعة المدني /المؤسسة السعودية بمصر، ط، د. ت . .
٢٥٤. العثيمين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت / ١٤٢١هـ).
- الأصول من علم الأصول ، دار ابن الجوزي ،د.ط، ١٤٢٦هـ.
- تفسير جزء عم ، دار الثريا للنشر والتوزيع، الرياض ، ط/الثانية، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م .
- شرح (مقدمة التفسير) لابن تيمية، إعداد وتقديم: الأستاذ الدكتور عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار ، دار الوطن، الرياض، ط/ الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م
٢٥٥. عدنان علي رضا النحوي، تقويم نظرية الحداثة ، دار النحوي للنشر والتوزيع/ السعودية ، ط/ الاولى ،١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .
٢٥٦. عدنان كامل السرميني (الدكتور)، حجية الإجماع ، دار نور المكاتب / السعودية –جدة ، مؤسسة الريّان/ بيروت – لبنان ، ط/ الاولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م .
٢٥٧. عدنان محمد زرزور، مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه ، دار القلم / دار الشامية - دمشق / بيروت، ط/ الثانية، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م .
٢٥٨. عدي جواد علي الحجار (الدكتور)، الأسس المنهجية في تفسير النّص القرآني،قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة، ط/ الاولى، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢م .
٢٥٩. علي العلي(الدكتور)، نحو قراءات منهجية آية التّطهير نموذجاً، مكتبة فدك / ايران -قم، مطبعة سرور، ط/ الاولى ، ٢٠٠٨م - ١٤٢٩ هـ ق .
٢٦٠. علي حميد خضير، دلالة السياق في النص القرآنيّ، اللكاديمية العربية في الدنمارك، باشراف: (الدكتور)عبد الإله الصانغ . ٢٠١٤ م - ١٤٣٥ هـ.

٢٦١. عماد حسن مرزوق (الدكتور)/ أصول التّفسير ومناهج المفسّرين ، مكتبة بستان المعرفة/ الاسكندرية ، ٢٠٠٩م.
٢٦٢. عيد بلبع (الدكتور) ، السّياق وتوجيه دلالة النّص، بلنسية للنشر والتوزيع، ط/ الاولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م .
٢٦٣. غانم قدوري، أبو عبد الله غانم بن قدوري بن حمد بن صالح، آل موسى فَرَج الناصري التكريتي(الدكتور)، محاضرات في علوم القرآن ، دار عمار – عمان ، ط/ الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.
٢٦٤. الغرباوي، ماجد ،اشكاليات التجديد، المعارف للمطبوعات /بيروت -لبنان ، ط/ الثالثة ، ٢٠١٦ م .
٢٦٥. الغزالي، زينب الجبيلي الغزالي ، نظرات في كتاب الله، دار التوزيع والنشر الاسلامية/ القاهرة ، ط/ الاولى ، ٢٠٠٦م .
٢٦٦. فتحي تركي، الحداثة وما بعد الحداثة، دار الفكر/ دمشق،د. ط ، ٢٠٠٣م.
٢٦٧. الفراهي، عبد الحميد الفراهي الهندي، تفسير نظام القران وتأويل الفرقان بالفرقان، الدائرة الحميدية ، ط/ الاولى ، ٢٠٠٨ م .
٢٦٨. فضل الله، محمد حسين (السيد)، من وحي القرآن ، دار الملاك –لبنان /بيروت، ط/ الأولى ، ١٤١٩ هـ ق .
٢٦٩. فضل حسن عبَّاس(الدكتور)، التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن ، ط/ الأولى، ١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦ م .
٢٧٠. فوزي آل سيف (الشيخ) ، نساء حول أهل البيت ، دار الصفوة، ط/ الاولى ٢٠١١ م.
٢٧١. القاضي ، عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي (ت/١٤٠٣هـ)، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدُّرة - القراءاتُ الشاذةُ وتوجيهها من لغة العرب ،دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان . د.ط، د.ت.
٢٧٢. القبانجي، السيد حسن السيد علي (العلامة)،منية الطالب في حياة أبي طالب (رض)، تح: مؤسسة احياء التراث الشيعي/ النجف الاشرف، ط/ الاولى ، ١٤٢٨ هـ .
٢٧٣. القطان ، مناع بن خليل (ت/ ١٤٢٠هـ) ، مباحث في علوم القرآن ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م
٢٧٤. القندوزي، سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي،(ت/١٢٩٤ هـ)، ينابيع المودة لذوي القربى، تح: سيد علي جمال أشرف الحسيني، دار الأسوة للطباعة والنشر، مطبعة أسوة ، ط/ الاولى، ١٤١٦ هـ ق .
٢٧٥. القِنَّوجي ، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (ت / ١٣٠٧هـ) .

- فتحُ البيان في مقاصد القرآن ، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت ، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م .
- نيل المرام من تفسير آيات الأحكام، تح: محمد حسن إسماعيل - أحمد فريد المزيدي ، دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٣/٠١/٣٠ م.

٢٧٦. الكطان، مناع بن خليل، مباحث في علوم القران، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٢٧٧. لجنة التحقيق في مسألة الإمامة في مدرسة الإمام باقر العلوم(ع) ،كتاب الله وأهل البيت في حديث الثقلين، مطبعة نكارش/ قم المقدسة - ايران، ط/ الاولى ، ١٤٢٢هـ .

٢٧٨. ماجدة فارس عبد الرزاق الفارس الشمري(الدكتورة)، التوضيح والبيان في تفسير آي القرآن، دار النّور للدراسات والنّشر،ط/ الأولى، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

٢٧٩. المازندراني، علي أكبر السيفي (الشيخ)، دروس تمهيدية في القواعد التّفسيرية،مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ط/ الثانية ، ١٤٣١ هـ ق .

٢٨٠. مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، المعجم الوسيط: ، دار الدعوة ،

٢٨١. مجموعة مؤلفين ، اللاهوت المعاصر دراسات نقدية ، العتبة العباسية المقدسة، المركز الاسلامي للدراسات والاستراتيجية، ط/ الاولى، ١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م.

٢٨٢. محمد إبراهيم الحفناوي، دراسات أصولية في القرآن الكريم، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية – القاهرة، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.

٢٨٣. محمد إبراهيم شريف(الدكتور) ،اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر ، دار التراث / القاهرة، ط/ الاولى ، ١٤٠٢ م.

٢٨٤. محمد إبراهيم محمد سالم (ت/ ١٤٣٠هـ)، فريدة الدهر في تأصيل وجمع القراءات ، دار البيان العربى – القاهرة ، ط/ الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

٢٨٥. محمد أديب الصالح (الدكتور)، موقع المرأة المسلمة بين الواقع ودعوى التجديد، مطبعة عبيكان، الرياض، ط/ الاولى ، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧م .

٢٨٦. محمد إسماعيل إبراهيم، القران وإعجازه العلمي، دار الفكر العربي. د.ط، د. ت.

٢٨٧. محمد السيد الجليند
- الامام ابن تيمية وقضية التأويل ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع/ القاهرة ،ط/ الخامسة ، ٢٠٠٠م .
- الوحي والإنسان -قراءة معرفية، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة)، د.ط، د. ت.

٢٨٨. محمد جواد الاريجاني (الدكتور) ، التدين والحداثة ،، ترجمة : علاء رضائي، الغدير للدراسات والنشر /بيروت –لبنان، ط/ الاولى ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م .
٢٨٩. محمد حسين علي الصغير (الدكتور).
- المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم،دار المؤرخ العربي، ط/ الاولى ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م.
- نظرية النقد العربي رؤية قرآنية معاصرة، دار المؤرخ العربي/ بيروت - لبنان، ط/ الاولى ، د.ت .
٢٩٠. محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن ملا علي خليفة القلموني الحسيني (ت/ ١٣٥٤هـ)، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، الهيئة المصرية العامة للكتاب،د.ط، ١٩٩٠ م .
٢٩١. محمد سالم محيسن (ت/ ١٤٢٢هـ).
- القراءات وأثرها في علوم العربية، مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة، ط/ الأولى، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .
- الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر، دار الجيل – بيروت، ط/ الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م .
٢٩٢. محمد صالح سليمان(الدكتور)، التأليف المعاصر في قواعد التفسير – دراسة نقدية لمنهجية الحكم بالقاعدة ، مركز تفسير للدراسات القرآنية ، ط/ ١٤٤١هـ - ٢٠١٩ م.
٢٩٣. محمد عبد المنعم القيعي(الدكتور)، الأصلان في علوم القرآن، ط/الرابعة ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م
٢٩٤. محمد علي الحسن(الدكتور)، المنار في علوم القرآن مع مدخل في أصول التفسير ومصادره، كلية الدراسات الإسلامية بجامعة الإمارات العربية المتحدة ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، ط/الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م .
٢٩٥. محمد علي الرضائي، دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية للقران، مركز المصطفى العالمي، دار المصطفى للطباعة الرقمية، ط/ السادسة، ١٣٩٩ش
٢٩٦. محمد فاروق النبهان ، المدخل إلى علوم القرآن الكريم، دار عالم القرآن - حلب، ط/ الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م .
٢٩٧. محمد محمود سيد أحمد طه، أعداء الحداثة: مراجعات العقل الغربي في تأزم فكر الحداثة، مركز الفكر المعاصر/ الرياض - السعودية، ط/ الاولى، ١٤٣٤ هـ .
٢٩٨. محمد مندور ، النقد المنهجي عند العرب ومنهج البحث في الادب واللغة ، دار نهضة مصر للطباعة والتوزيع . د ت
٢٩٩. محمد ناصر الدين الألباني(ت/ ١٤٢٠هـ)، صحيح وضعيف سنن الترمذي، برنامج منظومة التحات الحديثية / إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.
٣٠٠. محمد هادي معرفة (الشيخ) .

- التأويل في مختلف المذاهب والآراء ، مركز الدراسات والابحات العلمية التابع للمحمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية، مطبعة نكار، طهران، ط/ الاولى، ١٤٢٧هـ ق - ٢٠٠٦م .
- التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، الجامعة الرضوية للعلوم الاسلامية، ط/ الاولى ،١٤١٨
- تلخيص التمهيد، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، طم الخامسة، ١٤٢٦ هـ ق.
- التّمهيد في علوم القرآن، دار التعارف للمطبوعات/ بيروت ، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م .

٣٠١. محمود البستاني (الدكتور)، دراسات في علوم القرآن، البقيع/ ايران –قم، ط/ الأولى، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م.

٣٠٢. محمود بن عبد الرحيم صافي الجدول، في إعراب القرآن الكريم (ت/ ١٣٧٦هـ)، دار الرشيد، دمشق -مؤسسة الإيمان، بيروت،ط/الرابعة، ١٤١٨ هـ .

٣٠٣. محمود كيشانه، فهم النص الديني في ضوء العلوم المعرفية عند دعاة الهرمنبوطيقيا(اللاهوت المعاصر دراسة نقدية)، العتبة العباسية المقدسة ، المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية ط/ الاولى ، ٢٠٢٠ م .

٣٠٤. مرتضى فرج(الشيخ) محطات في تاريخ القرآن مبررات الايمان بسلامة النّص القرآنيّ، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت لبنان، ط/ الاولى ،٢٠١٥ .

٣٠٥. المركز العالمي للدراسات الاسلامية، نقد آراء الذهبي في التفسير والمفسرون تعريب :قاسم البيضاني ، مكتبة مؤمن قريش، ١٤٢٩ ق - ١٣٨٦ ش

٣٠٦. مروان وحيد شعبان، الإعجاز القرآني في ضوء الإكتشاف العلمي الحديث ، دار المعرفة/ بيروت – لبنان، ط/ الاولى، ١٤٢٦ هـ .

٣٠٧. المشهدي، محمد بن محمد رضا القمي المشهدي (الشيخ)، كنز الدقائق وبحر الغرائب ، تح : حسين دركاهي ، مؤسسة الطبع والنشر وزارة الثقافة والارشاد الاسلامي، ط/ الأولى ، ١٣٦٧ هـ . ش .

٣٠٨. المصطفوي، الشيخ حسن المصطفوي، التحقيق في كلمات القران الكريم ، مؤسسة الطباعة والنشر وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، ط/ الاولى /١٤١٧ هـ .

٣٠٩. مصطفى ديب البغا، محيى الدين ديب مستو، الواضح في علوم القرآن، دار الكلم الطيب / دار العلوم الانسانية – دمشق ، ط/ الثانية، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م .

٣١٠. مصطفى محمد، الفهرس الموضوعي لآيات القرآن ، مطبعة الخلود/بغداد، ط/ الثانيّة ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٣١١. مصطفى مسلم ، مباحث في التفسير الموضوعي، دار القلم، الرابعة ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٣١٢. مصطفى ناصف، نظرية التأويل، النادي الأدبي الثقافي/ جدة – السعودية، ط/ الأولى ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م .

٣١٣. المظهري، محمد ثناء الله، التفسير المظهري، تح: غلام نبي التونسي،مكتبة الرشدية – الباكستان ، ١٤١٢ هـ
٣١٤. المغراوي، محمد عبد الرحمن، المفسرون بين التأويل والاثبات في آيات الصفات، مؤسسة الرسالة/ بيروت –لبنان ، ط/ الاولى ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م.
٣١٥. مغنية، محمد جواد(الشيخ) ، التفسير الكاشف ، دار العلم للملايين بيروت –لبنان ،ط/ الثالثة ، ١٩٨١م،
٣١٦. الميبدي، محمد فاكر قواعد التفسير لدى الشيعة والسنة،المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية / المعاونية الثقافية/مركز الدراسات والتحقيقات العلميّة/ ايران – طهران، ط/ الاولى، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م .
٣١٧. نادية رمضان النجار، الظواهر المعجمية والدلالية عند بنت الشاطئ ،دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة/ جمهورية مصر العربية،د . ت .
٣١٨. نائلة هاشم صبري(الداعية)، المبصر لنور القرآن ، دار الرسالة القدسيّة / القدس، ط/ الثانيّة ، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م .
٣١٩. النائيني، الميرزا محمد حسين *النائيني*، تقرير بحث النائيني للسيد الخوئي، أجود التقريرات، أهل البيت (ع) ،مؤسسة مطبوعات ديني – قم ، ط/ الثانية ،١٣٦٩ ش .
٣٢٠. النجمي ،الشيخ محمد صادق،أضواء على الصحيحين، مؤسسة المعارف الإسلامية/ قم، ترجمة: الشيخ يحيى كمالي البحراني،ط/ الاولى ، ١٤١٩ هـ
٣٢١. الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، إشراف: د. مانع بن حماد الجهني ، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط/ الرابعة، ١٤٢٠ هـ .
٣٢٢. نذير الحسني / دروس في علوم القرآن، مركز المصطفى العالمي للترجمة والنشر، مطبعة زلال كوثر، ط/ الاولى ،١٤٣٥ ق - ١٣٩٣ش .
٣٢٣. نصر حامد أبو زيد .
- الاتجاه العقلي في التفسير (دراسة في قضية المجاز في القرآن الكريم عند المعتزلة) ، المركز الثقافي العربي، ط/ الثالثة ، ١٩٩٦ م .
- إشكاليات القراءة وآليات التأويل ، المركز الثقافي العربي/ لبنان – المغرب، ط/ الثالثة ، ١٩٩٤ م .
٣٢٤. نويهض ، عادل(الدكتور) ، معجم المفسرين من صدر الاسلام الى العصر الحاضر ،مؤسسة نويهض الثقافية، الطبعة الاولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣ م .
٣٢٥. هاشم أبو خميس (الدكتور)، المدخل إلى التفسير الموضوعيّ ، مؤسسة العرفان للثقافة الاسلاميّة ، ط/ الاولى ، ١٤٣٩ هـ - ٢٠١٧ م .

٣٢٦. الهاشمي، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (ت/ ١٣٦٢هـ) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، د . ت .
٣٢٧. وهبة الزحيلي ، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، دار الفكر، سوريا/ دمشق، ط/ الثانية، ١٤١١ هـ ق.
٣٢٨. اليزدي، محمد تقي المصباح اليزدي، دروس في العقيدة الاسلاميّة، دار البذرة، النجف الاشرف، ط/ التاسعة، ١٤٣٨هـ - ٢٠١٧ م .

ثالثًا : الرسائل والأطروحات والبحوث والمجلات :

١ - باب العياط نور الدين ، المنهج البياني في تفسير القران – بنت الشاطئ نموذجاً (رسالة ماجستير) اشراف: الجيلاني سلطلني / جامعة وهران، كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية/ الجزائر ، ٢٠٠٦ م -٢٠٠٧م .
٢ - عبد الرحمن عبد الله سرور المطيري، السّياق القرآنيّ وأثره في التفسير دراسة نظرية وتطبيقية من خلال تفسير ابن كثير، (رسالة ماجستير)، اشراف :د خالد عبد الرحمن القرشي، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨ ..
٣ - عفت بتول / سعدية جل، أصول التّفسير بين (نظرات في كتاب الله) و (المبصر لنور القرآن) - دراسة مقارنة في ضوء سورة الفاتحة والبقرة وآل عمران، (بحث منشور).
٤ - الغلاج ، عبد الله ابراهيم، الاتجاه اللغوي المنحرف في التفسير في العصر الحاضر ،(رسالة دكتوراه) قسم التفسير وعلوم القران/ كلية الدراسات العليا/ كلية أصول الدين ، جامعة ام درمان الاسلامية ، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠ م
٥ - قاخون، نارت محمد خير الدين، اتساق التأويل وسننه (اطروحة دكتوراه) اشراف : الاستاذ الدكتور: ابراهيم عبد الرحيم السعافين، كلية الدراسات العليا / الجامعة الاردنية، ٢٠١٤ م
٦ - محمد صالح سليمان(الدكتور).، نقد التفسير بين الواقع والمأمول ، جامعة الملك سعود، بحث مقدم للمؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية ، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م
٧ - محمد فال، محمد السالك، المرأة والتفسير الحاضر الغائب، بحث نُشر على مركز افاق للدراسات والبحوث بتاريخ : ٢٦ / ١٢ / ٢٠١٢م .
٨ - المطعني، عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني (ت/ ١٤٢٩هـ)، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ، (رسالة دكتوراه)، مكتبة وهبة ، ط/الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م

٩ - مناهج جامعة المدينة العالمية ،اتجاهات فكرية معاصرة ، رسالة ماجستير، جامعة المدينة العالمية، د.ط، د. ت.
١٠ - مؤسسة مثل الثقافية، قراءات معاصرة ، العدد الأول ، السّنة الاولى ،١٤٣٧ هـ - ٢٠١٥ م .

ABSTRACT:

The importance of criticism in interpretation comes with its value that makes the understanding of the Qur'an not stop at a limit. Perhaps this matter is one of the secrets of this divine book. From time to time, it seeks a new, realistic reading with the aim of clarifying what God wants from His Holy Book from the community and the individual. For a number of women (Bint Al-Shati, Zainab Al-Ghazali, Hanan Al-Lahham, Naila Sabry, and Magda Al-Faris), under the title (Criticism of Feminist Interpretations - An Analytical Study), where the study took it upon itself to explain what emerged from it of Qur'anic investigations that were made into five chapters: The first: Criticism of the origins of feminist interpretations, The second: criticism of the rules of feminist interpretations, and the third: criticism in the (History of the Holy Qur'an) and the fourth: criticism in the field of (the sciences of the Qur'an) and the fifth: criticism in the field of (Qur'an stories), each of which included several topics. This study also seeks to reveal interpretive efforts that came late as

being specific to women, and reveals what is new in them, then discusses their opinions and points of association and divergence, and the extent to which they are influenced by other interpreters, and this study may open the door for other studies in various fields in these travels.

Republic of Iraq

Ministry of Higher Education and Scientific Research

University of Babylon

College of Islamic Sciences

Department of Quran Sciences

Postgraduate studies

Criticism of feminist interpretations

Analytical study

A dissertation submitted by the student

Raed Abdel-Sada Hamza Al-Mahmudi

To the Council of the College of Islamic Sciences / University of Babylon, it is part Among the requirements for obtaining a doctorate degree in the sciences of the Qur'an and its interpretation

Supervision of Prof

Dr. Sukaina Aziz Al-Fatli

1445 2023